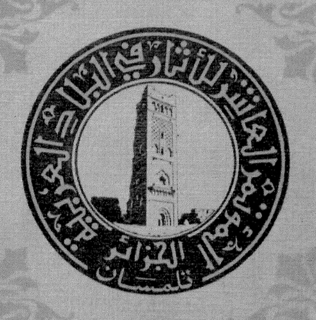


المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دراسات عن

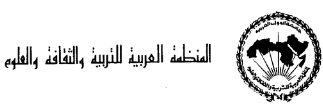
المسكن والمدفن

في الوطن العربي





تونس 1408 هـ - 1987 م



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ادارة الثقافة

دراسات عن

المسكن والمدفن

في الوطن العربي



تونس 1408 هـ - 1987 م



دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي/المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة .ـ تونس : المنظمة، 1987 .ـ 464 ص.

(قدمت الدراسات للمؤتمر العاشر للآثار في الوطن العربي المنعقد بتلمسان)

ق/007/10/1987

الفهـرس

الصفحة

القسم الأول
الابحـاث العلميـة

المسكن والمدفن في الوطن العربي

القسم الثاني

تقارير الدول والمنظمة
عما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر التاسع للآثار
صنعاء 1980

القسم الثالث

تقارير بعض الدول عن أوضاع الآثار

القسم الرابع

أعمـال المؤتمـر

تقديم

ان سعي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في خدمة أهدافها يقوم على الاستمرارية والتكامل منذ أن آلت إليها مسؤولية إدارة الثقافة بجامعة الدول العربية عام ١٩٧٠، وهكذا اتصل السعي في المشروعات ذات الصبغة القومية التي بدأتها الادارة، فتطورت عمقا واتساعا.

ومن تلك المشروعات التي عنيت بها الادارة الثقافية قبل انضمامها إلى المنظمة مؤتمرات الآثار التي عقدت منها ستة، فواصلت المنظمة رعايتها لها فعقدت : المؤتمر السابع في أبي ظبي (١٩٧٤)، والمؤتمر الثامن في مراكش (١٩٧٧)، والمؤتمر التاسع في صنعاء (١٩٨٠)، والمؤتمر العاشر في تلمسان (١٩٨٢)، والمؤتمر الحادي عشر في تونس (١٩٨٧)، وقد دأبت المنظمة على نشر وقائع تلك المؤتمرات، دراسات وبحوثا وتوصيات في كتب دورية.

ويضم هذا الكتاب وقائع المؤتمر العاشر، يتلوه، قريبا، بإذن الله كتاب وقائع المؤتمر الحادي عشر.

وتقوم فكرة مؤتمرات الآثار على تناول موضوع رئيسي، كعنوان للمؤتمر يقوم على دراسته فريق قومي من المتخصصين، يعمدون إلى مفرداته بالبحث والتمحيص، وإلى جوانب الموضوع تقوم الدول العربية بعرض التقارير المحلية عن الجوانب التي تخص أقاليمها في الموضوع نفسه، وتقدم المنظمة من جانبها المعلومات الفنية والادارية المتاحة حوله، وقد اختير موضوع «المسكن والمدفن في الوطن العربي» موضوعا للمؤتمر العاشر، فأعدت الأبحاث العلمية المتخصصة فيه، وعكفت الدول العربية والمنظمة على إيفاء الموضوع حقه، وهكذا، جاء تنظيم الكتاب في قسمين تناول القسم الأول، في ست دراسات الجوانب النموذجية حول المسكن في رقعة الوطن العربي، مشرقا ومغربا، منذ أقدم العصور، ومرورا بعصر ما قبل الاسلام، فالعصر الاسلامي، وذلك إلى جانب أربع دراسات تناولت المدفن في الشرق القديم : سوريا وفلسطين، وبلاد الرافدين والخليج العربي، والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وفي المغرب الكبير فيما قبل الغزو الروماني، إضافة إلى المسالك والدروب ودورها الحضاري في أثناء الفترة الاسلامية.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد اشتمل على تقارير الدول والمنظمة عما تم تنفيذه من توصيات الدورة السابقة للمؤتمر في صنعاء (١٩٨٠)، كذلك فقد ضم القسم الثالث تقارير عامة عن أوضاع الآثار في بعض الدول العربية، مما يحقق لوقائع مؤتمر الآثار العاشر تكاملا في مادتها، في أبعادها التاريخية.

وإذ تقدم المنظمة هذا الكتاب «ليكون مرجعا قريبا من المسترشدين والباحثين، وطلّاب المعرفة من أهل الاختصاص» وطالبي الثقافة العامة الجادّة المتجددة من القرّاء تطمح أن تكون مادته ولا سيما في الدراسات والأبحاث : «حول المسكن والمدن في الوطن العربي»، حافزا إلى الاستمرار في استيفاء جانبي الموضوع، على امتداد رقعة الوطن العربي، بخصوصياته المكانية، وفتراته الزمانية، وأن تتواتر مسيرة الكتابة فيه والاهتمام به.

والله من وراء القصد، موفّقا ومعينا.

د. محيي الدين صابر
المدير العام

القسم الأول

الأبحـاث العلميـة

المسكن والمدفن في الوطن العربي

المسكن في فلسطين وسوريا منذ أقدم العصور حتى بداية العصر الهلينيستي

الدكتور شوقي شعــث

الحديث عن المسكن أو الملجأ الذي لجأ إليه الانسان ليقيه عوامل الطبيعة وليحميه من عدوان أخيه الانسان أو الحيوان منذ أقدم العصور حتى العصر الهلينسي حديث طويل ولا يمكن بحال من الأحوال الالمام بكل تفاصيله في مقال قصير، ولما كان واقع الحال يفرض علينا معالجة الموضوع فلا بد من الاعتراف بأننا سنأتي فقط على الخطوط الرئيسية له دون الاغراق بالتفاصيل. في الصفحات التالية سأستعرض المسكن في كل من فلسطين وسوريا[1] تطوره من حيث المخطط ومواد البناء راجيا أن أوفق في هذا العرض.

أولا ـ فلسطين :

سكن الانسان الفلسطيني في العصر الحجري القديم الكهوف التي وجدت أدواته فيها، وهي منتشرة في فلسطين، ومن أهمها، مغارة أم قطفة ومغارة الزطية ومغارة السخول ومغارة كبارة ومغارة أبو سيف ومغارة القفزة وغيرها، كما سكن في أكواخ دائرة عثر على بعض بقاياها في عين غب (عين جيف) الواقعة إلى الشرق من بحيرة طبرية.

وفي العصر الحجري الوسيط الذي يتمثل في فلسطين بالدور النطوفي (سمي بذلك نسبة إلى وادي النطوف شمال غرب القدس)، عاش النطوفيون في الكهوف كما فعل أسلافهم في العصر الحجري القديم، كما عثر جان بزُو Jean Perrot في عين الملاحة عام 1950 على بيوت منحنية الاضلاع بها أدوات نطوفية محصنة. وليس في هذا الدور اعني الدور النطوفي اشارة إلى استعمال الطين المجفف بالشمس أو المشوي ولا الطين المدكوك ولا قوالب الطين وحتى وقت متأخر لم يكن معروفا سوى القليل عن الشكل، ويمكن من خلال المكتشفات الأثرية التي تعود إلى هذا الدور أن نتصور وجود نوعين من المساكن : الأول على المصاطب أمام الكهوف كما هو الحال في جبال الكرمل والنقب، والثاني في أكواخ حجرية دائرية أو اهليلجية ضمن مستوطنات في العراء كما هو الحال في عين الملاحة حيث عثر على مركب من البيوت تبلغ مساحته حوالي 2000 م^2 ولكن لم يعثر على مخططات مترابطة يمكن أن تعطي

فكرة عن طبيعة مخططات تلك المساكن. أما من حيث مواد البناء المستعملة فربما كانت مصنوعة من مواد بسيطة خفيفة تقوم على دعائم خشبية كالحصر وقش المكنس كتلك التي لا تزال تستعمل إلى يومنا هذا في بعض مناطق البحر المتوسط في بناء الأكواخ. وأظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت مؤخرا في النقب بعض نماذج من البيوت الأهليلجية، فقد عثر على خمس منشآت معمارية أهليلجية مرصوفة بالحجر، ولكن يبقى موقع عين الملاحة موقعا مثاليا حيث يعتقد أن المستوطنة كانت مؤلفة من خمسين بيتا دائريا في كل من السويات الثلاث التي نقبت.

تتراوح أقطار تلك البيوت، عند القاعدة ما بين 7 و9 م إلى 4,3 م وذلك في السوية الثالثة وهي محفورة في الأرض غالبا إلى عمق يتراوح ما بين 1 ـ 3 م بنيت الأقسام السفلية من تلك البيوت الحجرية وبطنت من الداخل بالحجارة الصغيرة الغشية، أما الأقسام العلوية فكانت من القصب أو الحصر تدعمها أعمدة خشبية ترتكز على قواعد حجرية منبسطة. يدخل إلى تلك البيوت من مداخل تكون عادة في الجانب المنخفض من المنحدر الذي تبنى عليه البيوت بالقرب من المنبع، وفي وسط كل كوخ موقد اهليلجي أو مربع حدد بواسطة حجارة من الدبش تليها من الخارج منطقة مرصوفة بالحجارة المشوية كما هو الحال في وادي فلاح وموقع البيضاء. ففي وادي الفلاح عثر على أربعة عشر كوخا صغيرا دائريا لازالت جدران بعضها قائمة إلى ارتفاع حوالي متر تقريبا، تقوم تلك البيوت على مصاطب ذات جدران استنادية وهو من نفس نموذج الأكواخ التي عثر عليها في الطبقة العليا من عين الملاحة، وفيها عثر على مواقد في الوسط محاطة غالبا بطبقة مرصوفة بالحجارة الرقيقة تختلف أقطار تلك الأكواخ، الدائرية أو الاهليلجية، من 2 ـ 7 إلى 4 أمتار، كما هي الحال في بيوت السويات العليا في عين الملاحة أو السوية الثانية في وادي فلاح. بعد هذه المرحلة لم تعد البيوت الأكواخ تبنى من الحجارة والأخشاب فقط بل أصبحت تبنى من الطين المدكوك أو الطين الأحمر ولكن في أساسات حجرية من حجارة الدبش الغشمية، أما الأجزاء العلوية فقد استمر بناؤها من مواد خفيفة مع تطور طفيف طرأ عليها.

شوهد التطور التالي من خلال التنقيبات الأثرية في أريحا حيث تبين أن النطوفيين كانوا أول من ترك الكهوف والمصاطب ونزلوا للاستقرار في السهول حيث سكنوا الخيام التي صنعوها من جلود الحيوانات أو في حفر غطوها بالأغصان الشجرية كان ذلك حوالي 7800 ق.م وهكذا عبد العصر الحجري الوسيط الطريق أمام الانسان للانتقال من حالة التوحش إلى تأسيس القرية الأولى في التاريخ والعيش عيشة جماعية.

لقد تميز العصر الحجري الحديث بنشوء القرية وبتدجين الحيوانات كالأغنام والماعز اضافة إلى معرفة الزراعة، كانت القرية صغيرة جدا وحياتها قصيرة وجرت العادة عند تأسيس القرية، أن تختار بقعة من الأرض وتنظف قبل زرعها من الحشائش والبذور، أما أكواخها

فتكون صغيرة وتبنى غالبا من القصب وحصر الحلفا، تظل تلك القرية قائمة حتى يكتشف القرويّون أن الأرض لم تعد صالحة للزرع وينتقلون إلى منطقة أخرى حيث يبدؤون في تأسيس قرية جديدة وبقي الأمر على هذه الحال حتى اكتشف انسان العصر الحجري الحديث الدورة الزراعية.

كانت البيوت في فترة ما قبل الفخار من العصر الحجري الحديث أبنية طينية ذات سقوف جمالونية مستديرة الشكل وذات أرضيات مطروقة (مدكوكة) منخفضة عن سوية الأرض المحيطة ويهبط إليها بدرجات، أما أشكالها فترتبط بأشكال الأكواخ الدائرية ويمكن دراسة بقاياها من خلال المكتشفات التي عثرت عليها السيدة كينيون في أريحا فوق البقايا النطوفية مباشرة حيث عثرت على بقايا مستوطنة بنيت أكواخها بمواد بسيطة قابلة للاندثار. وتوجد فوق هذه السوية أربع سويات تعود إلى العصر الحجري الحديث بقوالب طينية محدبة ومن مخططات دائرية أو منحنية كما أن قرية أريحا في هذا الدور حصنت بسور حجري عرضه 2م تقريبا دعم في احدى نقاطه بواسطة برج دائري مصمت. هناك تطور آخر حدث في هذه الفترة، ظهر في الانتقال من النموذج كامل الاستدارة إلى البيت الذي على شكل حذوة الحصان. وقد تأكدّ هذا التطور من خلال الحفريات التي أجراها جار ستانج في أريحا حيث وجد البيوت الدائرية جنبا إلى جنب مع البيت الذي على شكل حذوة الحصان. أما في الفترة التالية فكان الاتجاه إلى بناء البيوت بأشكال غير كاملة الاستدارة فكانت ذات أشكال مربعة أو مستطيلة بزوايا دائرية أو قائمة الزوايا، أو بيوت فترة PPNB في أريحا التي كانت أكثر تطورا من بيوت الفترة التي سبقتها، كانت ذات غرف أكبر ومداخل أعرض وفي بعض الأحيان كانت تحاط بأعمدة خشبية مخططاتها قائمة الزوايا وجدرانها مستقيمة ومصمته، وغالبا ما كان البيت مؤلفا من غرفة رئيسية كبيرة مستطيلة تلصق بها غرف صغيرة ربما كانت تستعمل لخزن المؤونة أو لأغراض أخرى ذات باحة خارجية مكشوفة تحيط بها، بنيت تلك البيوت بقوالب من اللبن المستطيل الشكل تحمل على أحد أوجهها آثار ابهام الصانع مرتبة في هيئة رقم 7 غطيت أرضياتها والأجزاء السفلى من الجدران بالجص المصقول، من موقع البيضا إلى الشمال من مدينة البتراء عثر على بيوت من هذه الفترة من الطبقة السادسة وهي تتألف من غرف دائرية متلاصقة وأرضياتها تحت مستوى سطح الأرض، وقد لاحظت الآنسة كيركيرايد العالمة الأثرية التي قامت بالتنقيب في الموقع، أن الجدار الدائري الذي يحيط بالغرفة الواحدة من هذه الغرف ذو تجاويف عمودية متوازية وعلى مسافات متساوية وفسرت ذلك بأنه عائد لطبيعة عملية البناء، حيث كانت تبدأ بغرس عدد من الأعمدة الخشبية بصورة دائرية يتم بعدها بناء جدار حجري يحيط بهذا الهيكل الخشبي ثم تُكسَى الحجارة بالجبس الذي بقيت فيه آثار تلك الأعمدة. أما الأرضيات فغطيت بالجبس في حين يتألف السقف من عوارض مستديرة خشبية تقوم على أعمدة خضبية، وملئت الفراغات الحاصلة بين عوارض المسقف بالقصب وأغصان الشجر ثم تغطى بعد ذلك بالطين والتراب ونجد في الطبقة الخامسة ـ الأحدث ـ أن البيوت في نفس الموقع أي بوضع ـ البيضاء، أكثر تطورا وأكثر دقة في تنفيذ البناء، فقد أصبحت متباعدة

بعد أن كانت متلاصقة ولا يستند بعضها إلى بعض، أما في الطبقة الرابعة فتصبح البيوت مستطيلة ومستقلة.

في العصر الحجري النحاسي أصبحت البيوت أكثر تطورا عن ذي قبل فقد سكن الغسوليون (نسبة إلى موقع قليلات الغسول في شرقي الأردن) الذين يمثلون هذا العصر في بيوت مبنية بشكل جيد بني بعضها بقوالب طينية مصنوعة بواسطة اليد ومجففة بالشمس، ذات أساسات حجرية غشيمة وبني بعضها كليا بمثل هذه القوالب، أما السقف فكان من الخشب، عثر على كثير من تلك الجدران الطينية مغطاة برسوم جدارية ملونة بألوان متعددة. ان قرية الغسول الرابعة المعنية هنا قرية زراعية بنيت بيوتها متلاصقة ومختلفة في أشكال تخطيطها، تتألف من غرف مربعة أو مستطيلة أو شبه منحرفة لها باحات مسورة بالتزيينات التي المحنا إليها، تمثل طيورا وحيوانات غريبة وأشكالا هندسية أشهرها النجمة السباعية وقد استعملت في تنفيذ تلك الرسوم، الألوان السوداء والحمراء والبيضاء، وهناك عدة مساكن من العصر الحجري النحاسي عثر عليها في تل الفارعة، وتل بير مطر، وتل بير صفد، وفي بيسان (السوية السادسة عشرة) وفي المزار (السوية الثالثة) كما عثر على بيوت من نوع خاص من هذا العصر بالقرب من بئر السبع بنيت أصلا كهوفا اصطناعية حفرت في الأرض الطينية ووصلت بالتدريج إلى السطح وقد انتشر هذا النوع في المناطق الأخرى بفلسطين. فقد اكتشف في عام 1950 عدد من المستوطنات المؤلفة من ذلك النوع من المساكن في المناطق الساحلية وفي التلال القريبة منها، وساد على العموم في هذا العصر البيت المكون من غرفتين واستمر حتى نهاية العصر البرونزي الباكر الدور الثاني كما سنرى، وذلك يدل على عدم تبدل نوعية السكان.

ان المعلومات المتوفرة لدينا عن العمارة المنزلية في فلسطين في العصر البرونزي الباكر نادرة بشكل عام، وان تتبع تطور البيوت في هذا العصر لا يخلو من تعقيد لأن معظم مواقع العصر البرونزي القديم بقيت مسكونة فترات طويلة كما ان هذا العصر ورث الكثير من التقاليد المعمارية من العصر الحجري النحاسي مما جعلنا نعتقد بسيادة بيت العصر الحجري النحاسي في فترة من العصر البرونزي الباكر، اما مواد البناء في هذا العصر فكانت من اللبن المصنوع بالقالب على الرغم من امكانية الحصول على حجر جيد للبناء وباطوال متنوعة وفي حال بناء الأبنية العامة كالمعابد والقصور التي تكون جدرانها عادة أطول وأسمك من جدران المنازل العادية تقوى تلك الجدران بأعمدة خشبية ثم جعلت أساساتها بعد ذلك من الحجر، ثم ارتفعت تدريجيا، نسبة الحجر في الجدران حتى أصبحت مكونة بأكملها من الحجر وذلك حال معبد تل العاى (التل) ـ الطبقة الثالثة ـ وفي تل الفارعة استبدلت الحجارة باللبن، أما السقوف فكانت من الخشب وهي مستندة إلى دعائم خشبية. في هذا العصر لا يوجد أثر للبيت الدائري الذي كان شائعا في العصر الحجري الحديث أما تلك المنشآت الدائرية التي عثر عليها في أريحا في الطبقة التي تعود إلى العصر البرونزي القديم، فهي في الغالب مستودعات دائرية. وسادت على العموم في هذا العصر البيوت ذات الجدران المنحنية (Curved Wall) والجدران

ذات الزوايا الدائرية ويبدو أن لمساحة الأرض المتاحة لقيام المسكن وطبيعة تنفيذ البناء دورا في تحديد شكل البناء، كما أصبح البيت يتكون من غرفة (أو غرفتين) ذات نهاية دائرية (Apsed House) ظهر هذا النوع من البيوت في العصر الحجري النحاسي واستمر إلى العصر البرونزي القديم وقد عثر عليها في مجدو (الطبقة الرابعة) وفي تل العاى (السوية الدنيا). بعد ذلك كانت هناك عودة إلى البيت ذي المخطط الطولاني لكن أكثر البيوت كانت تتألف من غرفة واحدة في الغالب بالرغم من أنه لم يكن من السهولة تمييز البيت المكون من غرفة من ذلك الذي يتكون من غرفتين كما كان من الصعب تمييز الباحات من الغرفة ذلك لأن المساكن بنيت متلاصقة الا أنه أمكن التعرف على بعض مخططات بيوت الأغنياء والأبنية العامة فقد أمكن التعرف على بناء متكامل تقريبا في بيسان المرحلة الثانية كان يتألف من ثلاث غرف وربما كان جزءا من بناء أكبر، كما أمكن التعرف على بناء آخر في تل الفارعة يعود إلى نهاية المرحلة الأولى مؤلف من خمس غرف بعضها كبير جدا ولعل أكمل وأجمل بناء أمكن التعرف عليه هو معبد تل العاى، كان هذا المعبد على شكل قاعة كبيرة مستطيلة تبلغ أطولها 20 × 6,5 م مقسمة بواسطة صف من أربعة أعمدة. مدخل المعبد الرئيسي في الجدار الطويل الشرقي، وقد بنيت جدرانه بمداميك منتظمة أقامت سقفه دعائم خشبية مرتكزة على قواعد حجرية ومن المحتمل أن يعود بناء هذا المعبد إلى بداية العصر البرونزي الباكر، كما اكتشفت في مجدو معابد مشابهة.

ان البيوت الخاصة بنيت على نفس النمط تقريبا ولكنها أصغر حجما، أما طرق البناء فقد تطورت تطورا هاما عبر سبعة قرون من العصر البرونزي الباكر استعملت في هذه الفترة الحجارة الضخمة المستخرجة من المقاطع حيث وضعت أفقيا ثم في المرحلة الثانية استعملت كتل من الحجر الكلسي وقد وضعت كذلك بطريقة أفقية ولكنها بشكل غير منتظم، ثم اتبعت في المرحلة الأخيرة بحجارة مربعة الشكل وضعت بانتظام في ميداميك منتظمة، أما الأساسات في المرحلة المتأخرة من العصر البرونزي الباكر فتتألف من الكتل الحجرية الكبيرة بطول 60 سم وبارتفاع 40 أو 50 سم وبسماكة 30 أو 40 سم وضعت في صفين متوازيين وملىء الفراغ بينهما بالحصى وبنيت المداميك السفلية بالحجارة أحيانا وأتمت الجدران من الأعلى بالطوب المجفف بالشمس وتألفت المونة من الجير أو الحصى الصغير المخلوط بالرمل في حالة البناء بالحجر، وبالطين في حالة البناء بالطوب المجفف بالشمس وزرقت (طليت) الجدران والأرضيات بالطين أو الجص وأحيانا كانت الأرضيات ترصف بالحجارة، أما الأخشاب فبقيت محافظة على أهميتها في البناء حيث استعملت في السقوف والسلالم والأسكفات والشبابيك بالاضافة إلى الدعائم.

كانت البيوت في المرحلة الثالثة من العصر البرونزي القديم (2600 ـ 3200 ق.م) تشاد من طابق واحد أساساتها ومداميكها السفلية من الحجر أما مداميكها العلوية فكانت من الطوب المجفف في الشمس. وهنا كانت البيوت في الغالب مؤلفة من غرفتين تفضيان إلى باحة

مكشوفة صغيرة والغرف مربعة الشكل تقوم سقوفها على أعمدة خشبية مرتكزة على قواعد حجرية.

وفي المرحلة الرابعة من العصر البرونزي القديم (EB IV) (كما يرى أولبرايت) أو المرحلة الانتقالية بين العصر البرونزي القديم والعصر البرونزي الوسيط (حسب كينيون وغيرها) تعرضت فلسطين كما تعرضت غيرها من المناطق المجاورة إلى قلاقل واضطرابات بسبب الهجرات البدوية وبالتالي إلى انعدام استقرار في بلاد الشام كافة، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الهجرات هي حركة القبائل الأمورية التي يعتقد بعضهم ان أهلها من الصحراء السورية في المنطقة الواقعة حول جبل بشرى وقد انساحت هذه القبائل حتى نهاية الألف الثالثة شمالا وجنوبا وسببت ذلك الاضطراب الذي المحنا إليه سابقا. أما العمارة في هذه المرحلة فقد تدنت حسبما اكتشفت السيدة (كينيون) في أريحا حيث عثرت على بعض البقايا المعمارية المتواضعة والتي هي عبارة عن عدد من المساكن التي ترتبط برابطة من حيث مخططاتها، وقد بنيت جدرانها من اللبن الأخضر اللون كما عثر على بناء مؤلف من غرفتين يعتقد أنه معبد.

بنيت البيوت في العصر البرونزي الوسيط، العصر الذهبي لفلسطين، على نفس النمط الذي كان سائدا في المراحل الأولى من العصر البرونزي القديم، ويعتبر هذا العصر عصر التفاعل الحضاري وبناء المدن والاستقرار، فقد سكن الأموريون فلسطين وسورية وفي بلاد الشام كلها وأسسوا ممالك المدن ومع أن الشواهد المعمارية وغيرها من المظاهر الحضارية تعتبر استمرارا للمعالم التي سبقتها، الا أن هذا العصر تميز ببناء المدن المحصنة على نمط جديد والأسوار والبوابات الضخمة والتحصينات الماثلة أي أنه شهد تقدما كبيرا فيما يعرف بالعمارة العسكرية وقد ساد هذا النوع من التحصينات اضافة إلى فلسطين (أريحا وبلاطة) في سورية (جرابلس وحمادة ورأس شمرا) وفي مصر (تل اليهودية) وبنيت أسوار المدن في هذا العصر غالبا بحجارة متعددة الزوايا مهرسة من الخارج. هذا في الأقسام السفلية أما الأقسام العلوية فبنيت باللبن ومن أمثلة ما اكتشف في أريحا وشكيم وبلاطة وتل الفارعة وتل بيت مرسيم، وكانت الأسوار تدعم بأبراج تقام على أبعاد متساوية حول الأسوار كذلك كانت البوابات الضخمة تحصن حيث يصعب على المهاجمين اختراقها بسهولة فكان ممر البوابات يدعم بعضادات بحيث يصبح هناك فسحتان أو ثلاثة يفصل بين كل فسحة وأخرى باب خشبي ضخم يسد الفراغ بين كل عضادتين. وجدت أمثلة هذه البوابات المحصنة في مجدو وتل بيت مرسيم وتل الفارعة وشكيم ـ بلاطة. أما العمارة المدنية فقد عثر على عدة قصور وبيوت للنبلاء محفوظة بشكل جيد فقد كان الزعماء الكنعانيون يسكنون داخل المدن وحولهم مجموعة من أقاربهم النبلاء ومن الوكلاء، أما باقي عامة الشعب فكانوا يعيشون عيشة بائسة وهنا يمكن أن نتصور الفروق المعمارية بين بيوت النبلاء وبيوت الفلاحين التعساء. من أمثلة القصور المكتشفة التي تعود إلى هذا العصر، القصر الذي عثر عليه، في تل بيت مرسيم والذي يعود

تاريخ بنائه ربما إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، يتألف هذا القصر من باحة أمامية ومن وحدتين معماريتين لا يربطهما رابط وهناك أمثلة أخرى اكتشفت في أريحا ومجدو وشكيم ـ بلاطة وتل العجول.

العمارة في العصر البرونزي الحديث تعتبر امتدادا لعمارة العصر السابق الا أنه وجد هناك ميل إلى البساطة في مواد البناء واستعمال الانقاض في بعض الأحيان ومن الأمثلة المكتشفة على هذا النحو المعبدُ الذي اكتشف في مجدو فوق انقاض معبد العصر البرونزي الوسيط ومعبد تل الدوير ومعبد مجدو. ويتألف المعبد هنا في الغالب من قاعة كبيرة مستطيلة توجد في آخرها حنية (فجوة) لوضع تمثال الرب المعبود أو رموز طقسية ومن غرفتين صغيرتين كانتا تقومان عند المدخل يحتمل أنهما كانتا لسدنة المعبد. هذا ما لاحظناه في معبد مجدو، أما معبد تل الدوير فكان يشبه معبد مجدو تقريبا ويعتقد انه بني لأول مرة حوالي عام 1480 ق.م، ويتألف من قاعة مستطيلة يبلغ طولها عشرة أمتار وعرضها خمسة أمتار وفيها أعمدة خشبية لدعم السقف في محورها المركزي وترتكز تلك الأعمدة على قواعد حجرية، كذلك كانت هناك غرفة على الجانب الطويل يدخل اليهما من القاعة الرئيسية وهي ربما كانت مخصصة للكاهن. هذا المعبد المستطيل المخطط أعيد بناؤه بشكل أوسع بعد تهديمه ولكن وفق مخطط مربع الشكل. ومن أمثلة العمارة المدنية في هذا العصر أيضا القصر الذي اكتشف في مجدو بالقرب من بوابة المدينة، مؤلف من قاعة كبيرة تؤدي إلى عدد من الغرف أقيمت حول جدران القاعة الرئيسية الشمالية والشرقية والغربية، أما المدخل فكان من الجهة الجنوبية وتبلغ أطوال القصر 50 × 25 م.

كانت المدن الفلسطينية في العصر البرونزي الوسيط، الدور المتأخر، وفي العصر البرونزي الحديث، الدور الباكر، قد تعرضت على العموم للهجمات المصرية مما سبب تدمير بعضها. كما تعرضت في نهاية العصر البرونزي الحديث إلى التدمير الذي الحقته بها شعوب البحر، أما التدمير الذي تتحدث عنه التوراة فلا زال موضع جدل بين علماء الآثار.

في العصر الحديدي خاصة في مرحلته الأولى (1200 ـ 900 ق.م) حافظت العمارة الفلسطينية على تقاليدها التي كانت سائدة في العصر البرونزي الحديث مع ميل إلى الانحطاط بسبب الظروف السياسية التي أحاطت بفلسطين، فقد تعرضت لغزوات جديدة من أهمها تلك التي جاءت من الجنوب والشرق الا وهي القبائل الاسرائيلية البدوية أما الغزوة الثانية فقد جاءت من البحر من قبل شعوب عرفها التاريخ باسم شعوب البحر ومن أهم فروعها التي جاءت لفلسطين الفلستر أو الفلستين الذين حملت البلاد اسمهم فيما بعد. لقد أفسحت تلك الغزوات المجال إلى التأثيرات المعمارية القادمة من سوريا الشمالية ومن فنيقيا، فقد أظهرت التنقيبات الأثرية في مجدو حيث عثر على مدخل يضم ثلاثة أزواج من الأعمدة في ممر طويل يفصلها زوج من الفراغات وهذا النمط المعماري كما يقول أولبرايت عثر عليه في شمال (زنجرلي) وكركميش في سوريا الشامية من أواخر القرن الحادي عشر أو القرن العاشر كما أدخل

الفنيون المعماريون السوريون أساليبهم المعمارية إلى فلسطين عندما استقدمهم شيخ التجار داوود الذين أقام حكومة أَلِغَارشِيَّة بفلسطين في ظل حماية مصرية ومن بعده ولده سليمان، لبناء القصور والمعابد فقد سألا أحيرام ملك صور ليرسل لهما المعماريين لوضع الخطط، والبنائيين والنجاريين والحدادين وحافري العاج لاشادة تلك القصور وتزيينها؛ فجاءت مخططاتهما حسب مخطط بيت هيلاني المعروف في سوريا الشمالية وغالبا ما تنطبق تلك التأثيرات على المنازل وعلى وجه الاجمال يمكن القول كما المحنا سابقا أن التقاليد المعمارية المتعلقة بالعمارة المنزلية بقيت على حالها التي كانت عليه في العصر البرونزي المتأخر مع ادخال تقاليد معمارية جديدة قادمة من سوريا.

في العصر الحديدي الثاني بقيت العمارة بفلسطين تتأثر بالعمارة السورية ـ الفنيقية فقد عمل (احاب) الشيء نفسه الذي سبق وعمله كل من داوود وسليمان عندما استقدم المهندسين والعمال لبناء قصره وتزيينه في السامرة فقد عثر في السامرة ومجدو بفلسطين على عمائر مشابهة للعمارة السورية الفنيقية.

ولكن في منتصف هذا العصر نجد أن بناء المساكن قد تطور بشكل ملحوظ فقد أصبح البناؤون باستطاعتهم استعمال أي نوع من المخططات دون أن تعوزهم المواد أو الأدوات بنيت البيوت في هذا الدور وفق مخطط طولاني أو مربع محيطه بالباحة المركزية أما الواجهة الرئيسية فكانت معمدة وتطل على الشارع غالبا ماكانت البيوت في هذا العصر تتألف من طابقين يكون الطابق الثاني أقل اتساعا من الطابق الأول ويقام فوق الغرفتين اللتين تحيطان بالمدخل الأمامي أما السطح المتبقي فكان يستعمل في أمسيات الصيف للنوم أو الاسترخاء.

كانت البيوت في هذا العصر تبنى باللبن ولكن بأساسات حجرية غشيمة توضع في خطوط متوازية في خندق بعرض 80 أو 90 سم أما المونة فكانت من الرمل وكسارة الحجارة. لقد عثر على عدد من البيوت التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد في تل الفارعة والتي كانت تتألف من باحة حولها الغرف من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة فكانت مكشوفة إلى الشارع.

أما منازل العصر الحديدي الثالث (العصر الفارسي) 550 ـ 330 ق.م) فيذكر أولبرايت أنه لا توجد الا أمثلة قليلة تستحق الذكر، أماطت التنقيبات الأثرية اللثام عنها حتى عام 1960 أهمها الفيلا التي اكتشفت في تل الدوير (لاشيش) والتي تعود إلى القرن الخامس أو مطلع القرن الرابع قبل الميلاد في حين أن الأستاذ ديمتري برامكه يزودنا بمزيد من التفاصيل عن عمارة هذا العصر ويبدو أن مرد ذلك أن الأستاذ برامكة قد ضمَّن كتابه نتائج التنقيبات الأثرية الحديثة فهو يذكر أن بيوت العصر الفارسي بفلسطين كانت من (Hammar dressed masonry) وفق مخطط طولاني أو مربع وكان كل بيت يتألف من عدد من الغرف تحيط بباحة مكشوفة التي كانت معمدة في بعض الأحيان وكان المدخل الرئيسي للبناء عبر مدخل معبد يطل على الشارع وكانت بعض البيوت تبنى من طابقين الطابق السفلي يبنى بالحجارة في حين يبنى الطابق العلوي باللبن المجفف بالشمس وكانت تسقف بسقف جمالوني يدعم بواسطة حزم

خشبية أو سقف مُسْتوٍ، وكانت الأبواب والنوافذ فيما عدا ما يتعلق بالمدخل الأمامي، تطل على الباحة الداخلية وكان الصعود إلى الطابق العلوي بواسطة درج يبنى قسم منه بالحجارة والجزء الآخر من الخشب حيث كان يلصق بأحد الجدران في الباحة وقد عثر في بيت زور وبتبيل وتل أبو حوام وتل النصبة على أمثلة من ذلك.

ثانيا ـ في سوريا :

لا يختلف انسان العصر الحجري القديم في سوريا عن زميله في فلسطين في سعيه للحصول على مأوى يقيه الطبيعة والحيوان فقد دلت التحريات والدراسات الأثرية التي جرت في الآونة الأخيرة على أن انسان ذلك العصر سكن المآوي الصخرية المنتشرة في سوريا ومن أهمها : تدمر ـ كهف ـ الدوارة ـ يبرود ـ الكوم والمناطق المجاورة له مثل (تل عريضة ـ عين بيطار ـ حومال ـ قاعدة جبل الكوم ـ تل الجران ـ وعين بني محيسن) جرف العجلة وادى العاصي (قرقر ـ عشارنة ـ لطامنة ـ غرماشي ـ محردة ـ رستن) حريصون بالقرب من مدينة جبلة وغيرها الكثير.

وفي العصر الحجري الوسيط تطور الأمر نتيجة لتأثيرات حصارية خارجية قادمة من فلسطين مثلا أو نتيجة لنضج ثقافي محلي عرف الانسان كيف يبني بيته ويبدو أن الأمر هنا لا يختلف كثيرا عن المناطق الأخرى في الشرق الأدنى وخاصة فلسطين في ظل سيادة الحضارة المعروفة بالحضارة النطوفية (نسبة إلى وادى النطوف بفلسطين) فإلى هذه الحضارة تعود البيوت الدائرية ذات الغرف الواسعة التي اكتشفت في تل المريبط في وادي الفرات الأوسط، بنيت تلك المنازل من المواد التي كانت في متناول الانسان اغصان تلك الأشجار وجذوعها حيث كان ينصبها عمودية إلى جانب بعضها البعض حيث تشكل حاجزا منفصلا يطلي بعدها من الداخل والخارج بالطين مشكلة بذلك جدران المنزل أما سقوف تلك المنازل فكانت غالبا تعمل من المواد الخفيفة مثل الحصر والأغصان أو جلود الحيوانات.

وكذلك الأمر في موقع أبي هريرة الذين يبعد عن المريبط بحوالي أربعين كم إلى الجانب الآخر من الفرات فقد اظهرت التنقيبات الأثرية التي أجراها الانجليزي اندريه مور بأن موقع أبي هريرة قد سكن في العصر النطوفي لأول مرة وكانت المستوطنة صغيرة نسبيا وتشبه المريبط I وبعد ذلك حرقت المستوطنة وهجرت.

وفي المرحلة الثانية من الاستيطان في تل المريبط حافظت البيوت على مخططها الدائري ولكن جدرانها أصبحت أكثر سماكة وأصبحت تبنى بأكملها من الطين وتدعم أساساتها أحيانا بالحجارة ومع ذلك بقيت بيوتا بسيطة تتألف من غرفة واحدة ذات تقسيمات داخلية، تختلف أقطار البيوت الدائرية في هذه المرحلة من 2,7 ـ 4 م كما هي الحال في السويات العليا في موقع عين الملاحة أو وادي رباح بفلسطين وقد توقف استعمال الأخشاب في إقامة البيوت وتم الانتقال إلى استعمال الجدران من الطين المدكوك أو الطين الأحمر المخلوط بالحصى أو بقايا

حجارة الطحن والملاط في الأساسات. كانت الأكواخ الجديدة محدودة الارتفاع وحافظت أجزاؤها العلوية على أن تظل من المواد الخفيفة.

وفي بداية الألف الثامنة ظهرت بالمريبط بيوت دائرية كبيرة يصل قطرها إلى ما يزيد عن عشرة أمتار وظلت الجدران من الطين أو الحجارة ولكن السقوف أصبحت تبنى من مواد صلبة مثل الألواح الخشبية المتلاصقة ومغطاة بطبقة من الطين، قائمة على أعمدة متينة عمودية كما هو الحال في بيوت اليوم وزينت تلك البيوت برسوم جدارية تعتبر أقدم رسوم في الشرق الأوسط وهي عبارة عن عناصر هندسية منفذة باللون الأسود أو اللون الأحمر فوق أساس أبيض.

وفي العصر الحجري الحديث حدث تطور جديد في مخطط المسكن في المريبط وأبي هريرة والكوم وتل الرماد إلى الجنوب الشرقي من دمشق، ففي المريبط ظهرت المساكن ذات المخطط المتطاول لأول مرة في مرحلة المريبط III ولكن التطور هنا لم يكن حاسما على حد تعبير (ميلارت) كما كان يظن بل بقيت البيوت الدائرية تستعمل إلى جانب البيوت المستطيلة حيث كان كلا النوعين يبنى من الحجارة القرصية من الحجر الجيري الأملس التي كان يسهل قطعها بأدواته أي بأدوات الانسان التي كانت شائعة الاستعمال آنئذ وهي غالبا من الصوان وضعت تلك الحجارة أفقيا كقوالب اللبن وربطت إلى بعضها البعض بواسطة ملاط طيني مخلوط بالحصى، أما أرضيات تلك البيوت فاستمرت كما هي الحال في السابق في صف الحجارة الصغيرة والحصى ومن ثم تغطيتها بطبقة من الطين الممزوج بالقش.

وفي أبي هريرة عثر على أكبر موقع معروف في سوريا من العصر الحجري الحديث ففي فترة PPNB كانت توجد في أبي هريرة مستوطنة ضخمة أظهرت التنقيبات عدة سويات معمارية بيوتها ذات مخططات طويلة مبنية من الطين المدكوك أو التوفة Tauf كما يسمونه في العراق.

وفي الدور الثاني من العصر الحجري الحديث أصبحت المساكن في موقع هريرة والمشرق عامة تبنى على شكل متطاول وتضم عدة غرف وكانت تبنى عادة بالقوالب الطينية والحجارة والخشب أما أرضياتها فكانت تعمل من الملاط الجيري أو التربة المدكوكة، كما كانت الأرضيات والجدران الداخلية تزين في بعض الأحيان. لقد انتشرت مواقع العصر الحجري الحديث (الدور الثاني) في سوريا الشمالية على نطاق واسع.

فقد امتدت من البحر الأبيض المتوسط نحو الشرق شاملة مواقع الكوم وتدمر وأبي هريرة وبفرض تل أسود، خربة البصل ـ تل الفخرية ـ تل هولا أسعد ـ رأس شمرا وغيرها. والملاحظ هنا أن معظم هذه المواقع كانت في مناطق نباتية حول الأنهار وروافدها أو حول مصادر الماء الأخرى. عموما يمكن القول ان الملامح الرئيسية للمساكن التي اكتشفت في موقع أبي هريرة بالقرب من نهر الفرات كانت تضم عدة غرف تفصل بعضها البعض ممرات ضيقة وباحات وكانت الغرف دائما صغيرة لا تزيد عروضها عن 1,4 أو 2 م وأطوالها ما بين 3 و4 م.

وهنا نقب حوالي خمسين مسكنا من هذا النوع كانت معظمها ذات طابق واحد لأن جدرانها كانت غير عريضة لتستطيع حمل طابق آخر اما اتجاهاتها فكانت كما هي الحال في بقرص شمال غرب/جنوب شرق ويبدو ذلك للاستفادة من أشعة الشمس قدر الامكان.

أما في تل الرماد إلى الجنوب الشرقي من دمشق فان أقدم سوية (الأولى) فقد عثر فيها على سلسلة من الأكواخ المغروسة جزئيا في الأرض فهي اما أن تكون مستديرة أو بيضوية مبنية من الطين المدكوك اما في السوية الثانية فأصبحت البيوت تأخذ الشكل المستطيل وتبنى بقوالب طينية مستطيلة وبأساسات حجرية ويبدو أن المسكن ذو الغرفة الواحدة قد شاع هنا.

وفي الكوم تمكنت البعثة الفرنسية في موسمها الأول عن اكتشاف بيت مستطيل ذو باحة مزدوجة يبلغ عرضها تقريبا 5 أمتار وطولها أكثر من ستة أمتار ويذكر جاك كوفان أن مثل هذه البيوت ذات الفسحات المزدوجة والأطوال الصغيرة كانت شائعة في كل القرى الموجودة على الفرات مثل المريبط IV، أبو هريرة وبقرص منذ نهاية الألف الثامنة قبل الميلاد.

ان أهمية تعاقب هذه المساكن يكمن في اعطائنا صورة عن تطور المساكن من الكوخ المستدير إلى البيت المستدير إلى البيت المتطاول المتعدد الزوايا إلى البيت المستطيل وكلها حسب رأي ميلارت باستثناء النوع الأول بنيت من الحجارة وكلها تتدرج تحت ثقافة.

حوالي مطلع الألف السادسة اختفت ثقافة PPNB في سوريا وفلسطين وقد ترافق ذلك مع هجر كثير من المواقع السورية والفلسطينية وربما كان ذلك راجع إلى تخريب أو عنف ولكن فيما عدا بعض المواقع القليلة التي بقيت مأهولة في منطقة الحولة بفلسطين ومنطقة دمشق بسوريا وفي مقابل ذلك ظهرت مواقع جديدة مثل أبو عوش وعسقلان بفلسطين وتل سوكاس بسوريا أما موقع رأس شمرا فيبدو انه لم يتأثر كثيرا.

في العصر الحجري النحاسي (الكالكوليتي) وجدت في سوريا البيوت الدائرية التي بنيت من الطين المدكوك على أساس حجرية متينة وهذا ما يميز هذا العصر، فكان لكل بيت غرفة مستطيلة في صدره.

كما وجدت البيوت المستطيلة الشكل ذات الأساسات الحجرية في رأس شمرا لها باحات، واسعة تحيط بها جدران مبنية من الحجارة الصغيرة وهذه البيوت تشبه البيوت التي عثر عليها في تل حلف في العصر الحجري النحاسي (دوكنتون هنرى) : حضارة تل حلف الحوليات السورية مجلد 23 (1973).

وفي جبل عارودة بحوض الفرات الأوسط عثر على بيوت من عصر أورك مبنية من الحجر المجفف بلغت قياساته 23 × 11 × 11 ويبدو أنه صنع من تراب الجبل نفسه.

وإلى الجنوب قليلا من جبل عارودة أماطت التنقيبات الأثرية في حبوبة الكبيرة من نفس

العصر اللثام عن بناء كبير مربع كان معدا للسكن بلغ طول ضلعه 9,5 م مبنى من الطين المجفف أيضا.

في موقع جاوه بالقرب من الحدود السورية الأردنية إلى الشمال الشرقي من الأردن في الهضبة البركانية عثر على نوعين من المساكن : نوع ذو شكل دائري وآخر ذو شكل مربع تعود إلى العصر الكالكوليتي ويضيف هيلمز (Helmes) الذي قام بالتنقيب في الموقع القول بأن المنازل في جاوه تتشابه في الشكل والانشاء إلى حد كبير فالكثير منها كانت بيوت تحت أرضية حيث يسمح سطح الأرض بذلك لها أرضيات طينية مرصوصة وأساسات حجرية وجدران مورقة بنيت بقوالب طينية ذات سقوف خشبية تقوم على دعائم خشبية ذات قواعد حجرية فوق السقوف الخشبية تأتي الأغصان الصغيرة والقصب والطين وعندما يكون البيت محفورا في الأرض يولج إليه بدرج حجري هناك بعض القواعد الحجرية داخل البيوت وبعضها لها تقيسمات داخلية. هذه البيوت يمكن أن تكون مشابهة لبيوت العصر الحجري النحاسي في منقطة بئر السبع بفلسطين أو بيوت سيناء الموقع.688.

بعد الألف الرابعة أصبحت سوريا الشمالية تحت تأثير حضارة العبيد الوافدين وربما كان ذلك بسبب العلاقات التجارية بين سوريا الشمالية وبلاد ما بين النهرين الجنوبية حيث كانت الأولى تزود الثانية بالأخشاب اللازمة لبناء المعابد والقصور عن طريق الفرات.

بوجه عام يمكن القول أننا لازلنا نجهل الكثير عن عمارة المساكن في سوريا بالألف الرابع رغم أن التنقيبات الحديثة في بعض المواقع أمدتنا بأن البيوت المستطيلة بنيت بالطوب الطيني فوق أساسات حجرية ومن أمثلة ذلك البيت الذي عرف في منطقة العمق في قبارة الأكراد السوية السابعة والذي يعود إلى العبيد المتأخر.

وفي الفترة المتأخرة من العصر الحجري النحاسي (3200 ـ 3000 ق.م) ظهرت في العمق الطبقة (F) وفي بيبلوس (جبيل) الطبقة (B) البيوت المستطيلة متجمعة إلى جانب بعضها البعض في ضمن سياج بدلا من أن تكون منفردة.

من العصر البرونزي الباكر أمكننا التعرف على بعض المساكن في جاوه وكانت في غالبيتها ذات شكل دائري وشكل مربع ويفترض هلمز (Helms) ان ظهورها كان في آن واحد كما أمكننا أن نتعرف على بعض بيوت أغنياء التجار من هذا العصر الدور الثالث. تضم حوالي ثماني غرف تحيط بساحة مستطيلة وقد تميزت هذه الفترة بظهور الدواخل والبوارز في الجدران كما كان لها صف مركزي من الأعمدة الخشبية تبلغ قياسات أحد تلك البيوت 30 × 28,5 مترا ولها 35 دعامة خشبية يقوم عليها السقف. القاعة المركزية لها سقف أعلى من باقي سقوف الغرف المجاورة وكانت النوافذ توضع تحت أفاريز وإلى نفس العصر أي العصر البرونزي الباكر يعود ذلك المسكن الكبير الذي عثر عليه في خربة الكرك (في الطرف الجنوبي من بحيرة طبريا) بفلسطين له مخطط مستطيل الشكل تبلغ أطواله 30 × 30م

بني من كتل بازلتية ضخمة وقد حفظ في موقعه الحالي إلى ارتفاع يصل إلى الدماك التاسع أي إلى ما يقارب المترين وتبلغ سماكة الجدران حوالي عشرة أمتار وهو مؤلف من تسعة دوائر حجرية (ربما أساسات بيوت) تتراوح أقطارها من سبعة إلى تسعة أمتار وكل من تلك الدوائر لها أربعة دعائم حجرية وعلى الرغم من ان الاعتقاد بأنه بيت عام فانه يذكرنا بالبيوت الموجودة في بعض قرى سوريا الشمالية التي لازالت قيد الاستعمال وتعرف بالبيت السوري أو بيوت خلايا النحل.

وفي بيت ماري (تل حريري) بمنطقة الفرات الأوسط أمكن التعرف من خلال التنقيبات الأثرية التي أجراها الاستاذ اندريه بارو على بيت من العصر ما قبل المرجوني (حوالي النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد) وهو عبارة عن بناء مستطيل أو شبه منحرف تتجمع البيوت غالبا في هذا العصر لتكون كتلا عمرانية ولكن في بعض الأحيان تترك فراغات بينها لتؤلف نوعا من الباحات (قاع ديار) تحاط بسياج له باب (سور) وفيما يتعلق بمواد البناء فهي غالبا ما تكون من القوالب الطينية المجففة بالشمس كما هو الحال في بلاد ما بين النهرين في تلك الفترة بالنسبة للجدران والأساسات الحجرية.

وإلى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد تعود البيوت التسعة التي اكتشفت في موقع سلنكحيه (المربع 25 V) هذه البيوت الكاملة يعتقد أنها كانت تستخدم للسكن لها باحات واسعة تجمعت حولها خمس غرف صغيرة أوست ويعتقد أن تلك الغرف كانت مسقوفة على شكل قباب أما الغرف الأخرى فيعتقد أنها كانت مغطاة بسقوف مسطحة، أما أبواب الغرف فكانت ضيقة (40 – 90 سم) وكذلك النوافذ.

في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد كانت العمارة المنزلية أقل فخامة من عمارة القصور وهذا يبدو مألوفا في كل القصور تقريبا ولكن يبدو أنها كانت تشببها فيما يتعلق بمواد البناء ففي تل عطشانة (الالاخ) مثلا عثر في الطرف الجنوبي على مجموعة سكنية منزلية وهي مبنية بالطوب فقط وهي في هذا تشبه أي حي من أحياء الأغنياء الخاصة، البيوت هنا تتجمع حول ساحة مكشوفة مستطيلة الشكل وترتفع قليلا عن سوية الأرض بحيث يصعد إليها بعدة درجات، بعض تلك المنازل كان مؤلفا من طابقين يصعد إلى الطابق العلوي منها بدرج حيث الغرف الفاخرة والمؤثثة جيدا.

عموما حافظت العمارة في تل عطشانة خلال الألف الثانية على التقاليد المعمارية السابقة فنجد أن قصر نقميبا استمر محافظا على نفس الأسلوب المعماري لقصر ياريم – ليم وكانت الأبنية تقام على أساس حجري وحتى الأقسام السفلى من البناء لعلو ثلاثة أقدام كانت تبنى بالحجارة الصغيرة تحيط بها من الخارج رقائق حجرية ربما للحماية أو للتزيين وبعدها يأتي البناء بالخشب والطوب فكانت توضع الأغصان الخشبية في بعض الأحيان إلى أن تبلغ طولها القدم وتكون من الداخل أو من الخارج بعدها تطلى بالطين.

في ايبلا ابان العصر البرونزي الوسيط (2000 ـ 1600 ق.م) أمكن العثور في المنطقة (B) على بعض المساكن التي بنيت بطريقة فنية سادت في كل المباني بفترة مرديخ (III A-B) فقد بنيت الأساسات الحجرية أولا على ارتفاع 40 سم أو 90 سم وبقيت ظاهرة فوق سطح الأرض ودون توريق ثم جاءت فوقها القوالب الطينية التي هي عادة ذات لون خضراوي ـ رمادي أو صفراوي ـ أحمر تبلغ أطوالها 31 × 32 × 12 سم.

أما فيما يتعلق بمخطط تلك المساكن فهو يتألف من ممر يأخذ بعض الأحيان شكلا ضيقا وباحة واسعة وغرفتين ويدخل إليه عبر بوابة في الجدار المواجه للممر.

ومما لا شك فيه أن العمارة في ايبلا بهذا العصر تشارك المنطقة السورية الفلسطينية تقاليدها المعمارية العامة ويتعدى ذلك في بعض الأحيان ليمتد إلى كثير من النواحي فهناك تشابه كبير في السمات المعمارية في ايبلا وتل عطشانة وكركميش وقطنة وتل القدح (جازور).

في شاغر بازار بالجزيرة السورية أظهرت التنقيبات الأثرية التي قام بها الأستاذ مالوان منازل متقاربة بجدران طينية في السوية الثالثة (حوالي عام 2000 ق.م) ونظرا لأن المخططات الأرضية لتلك الأبنية كانت مشوشة فلم يكن من المستطاع الوقوف على طبيعة تلك المخططات بشكل كامل أما مقاييس القوالب الطينية فكانت 27 × ؟ × 8 سم في السوية الثانية في نفس الموقع ظهرت مخططات المنازل واسعة وقد استعملت الكتل الحجرية الجيرية كأساسات للأبنية في هذه السوية على نطاق واسع.

أما في السوية الأولى فقد أمكن العثور على منزل خاص بالطوب ويعتقد أنه يعود إلى العصر البابلي حسبما يظهر من مخططه وعلى الرغم من أنه لم يثقب كليا الا أنه يظهر أنه يتألف من باحة تبلغ أطوالها 4,8 × 7,3 م تحيط بها الغرف من كل الجوانب حسب الطريقة البابلية وحتى الفترة المتأخرة من هذه السوية فأصبحت الغرف أصغر (2,5 × 2,5 م) وتراوحت سماكة الجدران الرئيسية للمسكن ما بين 75 ـ 100 سم تقريبا بنيت الجدران بالطوب الطيني وبلاط طيني أيضا وورقت الجدران وطليت بالبياض.

عموما أمكن ملاحظة أن الأبنية في سويات عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية في تل شاغر بازار سارت على نفس مخططات الأبنية التي سبقتها.

في العصر البرونزي الحديث ظلت المنازل تبنى وفق مخطط المنازل في العصر البرونزي الوسيط مع تغيير طفيف لقد كشفت التنقيبات الأثرية في رأس شمرا عن منزل يعود إلى هذا العصر مربع المخطط تبلغ أطواله (15 × 15 م يتألف من باحتين غير متساويتين).

في العصر الحديدي ظهر أن عمارة هذا العصر في رأس شمرا اختلفت عن سابقتها عمارة العصر البرونزي الحديث على الرغم من أنها استفادة من أساسات الأخيرة ففي رأس شمرا

كانت المساكن غرف منتظمة تتحلق حول باحة كما أن عمارة العصر البرونزي الحديث كانت تتماشى والاضطرابات الأرضية بينما عمارة العصر الفارسي وبعدها عمارة العصر الهلنسي كانت تتماشى والجهات الأربع.

في هذا العصر أيضا وهو العصر المعروف بالعصر الارامي ظهر في سوريا الشمالية طابع معماري تميزت به وهو ما يعرف ببيت هيلاني وهو تقليد استمر من التقاليد المعمارية الأقدم خاصة تلك العائدة إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد. ظهر هذا النمط في زنجرلي وتل حلف وربما في كركميش وغيرها من المواقع في سوريا الشمالية.

هذا إلى جانب تأثيرات أشورية وأخرى حثية تأثرت بها العمارة المنزلية في سوريا الشمالية.

أما في سوريا الساحلية فرغم أن التنقيبات الأثرية لم تزودنا الا بالشيء القليل الا أنه يمكن على حد تعبير موسكاتي التعرف على طبيعة تلك العمارة من خلال المشاهد التمثيلية لمدينة صور التي وجدت على الأبواب البرونزية (Balawate) في عصر سلما نصر الثالث (859 ـ 824 ق.م) ولمدينة أخرى في عهد سنحاريب حيث ظهرت البيوت في هذا العصر مؤلفة من طابقين كان الطابق العلوي أضيق من الطابق الأرضي فيها.

خاتمـــــة :

هذه ملامح عامة أوردناها عن المساكن في كل من فلسطين وسوريا، ومن خلال ما عرضناه يتبين لنا أن التأثيرات متبادلة بين فلسطين وسوريا منذ العصر الحجري القديم مرورا بالعصر النطوفي حتى أواخر العصر الحديدي، لاشك هناك اختلافات بين العمارتين وهذه الاختلافات راجعة إلى التأثيرات الخارجية التي تعرضت لها العمارة المنزلية في كلا البلدين أو نتيجة لظروف بيئية محلية. نخلص إلى القول بأن فلسطين وسوريا منطقة حضارية واحدة عبر العصور التاريخية وان تعرضت تلك المنطقة إلى التأثيرات الرافدية والميتانية والحثية في الشمال وإلى التأثيرات المصرية بالجنوب وإلى التأثيرات المينوية واليونانية بشكل عام من الغرب.

المراجع العربية :

ـ حتي، فيليب. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج1 ص9 وص 14 ترجمة الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافق مراجعة جبرائيل جبور، دار ثقافة بيروت 58.

ـ أبو طالب، محمود. آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة وزارة الثقافة والشباب عمان، الطبعة الأولى 78.

ـ نمنم، انطوان. تاريخ التجارة حقبة المقايضات بيروت 81.

ـ بارو، اندريه ماري ـ ترجمة د. رباح نقاح، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق 1979.

ـ فان، ديرليو. دليل آثار حوض الفرات معرض مكتشفات الحملة الدولية لانقاذ آثار حوض الفرات 1974.

ـ ستترومنغر، ايفا. حيوية الكبيرة دليل آثار حوض الفرات 1974.

ـ كافان جاك. تل المريبط، آثار حوض الفرات معرض مكتشفات الحملة الدولية لانقاذ آثار الفرات 1974.

ـ مور اندريه. أبو هريرة في آثار حوض الفرات 1974.

ـ فان لون موريتس. تل سلنكحية في آثار حوض الفرات 74؛ الحوليات الأثرية السورية، النتائج الأولية لحفريات تل سلنكحية عام 1972، 23 (1973).

ـ شتوكي رولف. تقرير أولي عن نتائج تنقيب البعثة الأثرية السوسرية في تل الحاج في حوض الفرات الحولية الأثرية السورية 23 (1973).

ـ دوكنتسون هنرى. حضارة تل حلف في المستوى الرابع من رأس شمرا الحوليات الأثرية السورية (23) (1973).

ـ ــــــــ وآخرون تقرير أولي عن حفريات رأس مشرا أوغاريت الموسم الثالث والثلاثون 1972 الحوليات الأثرية السورية 23 (1973).

PRAUSNITZ M.V. From Hunter to Farmer and Trader, Studies in the Lethic Industries (From Mesolethic to the Chalcolethic Age), Jerusalem 1970.

FRANKFORT H. — The Art and Architecture of the Ancient Orient, Pelican Paperback. 1970.

MELLAART J. — The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia, Beirut 1960 (Khayyats).

HELMS S.W — JAWA, Lost City of the Black Desert, Methuen, 1981.

YASSIN M.KH. — Domestic Architecture in the Pre-second Millennium in Palestine, unpublished dissertateion, 1974.

MALLOWAN M.E.L — Excavations at Brak and Chagar Bazaąr Iraq,vol. ix (1974).

» » — the Excavation at Tall Chagar Bazaar Iraq vol. III part 1 1936.

MOORE ANDREW M.C. — North Syria in Neolithic 2, in Prehistoire du Levant, colloques internationaux du CNRS N° 598 (1980).

Cauvin J. et al. — Recherches Prehistoriques à El Kown (Syrie) Première Campagne 1978 CAHIERS DE L'EUPHRATE N° 2. CNRS-CRA 1979 (Paris).

BRAIDWOOD R.J. — and BRAIDWOOD L.S. Excavation in the Plain of Antioch I, the earlier assemblages phase A-J, OIP LXI.

MATTHIAE P. — EBLA, An Empire Rediscovered, Hodeler and Stoughion, 1980.

RUTH AMIRAN, — ARAD. in EAEH (= Encyclopaedia of Archeological Excavations in the Holy Land) vol. 1 Oxford 1975.

PIRROJ J. — BEER SHEBA in EARH, Vol. 1 Oxford 1975.

MOSCATI S. — The world of the Phoenicins, History of Civilisation, Cardinal 1973.

ALBRIGHT. W.F. — The Archaeology of Palestine (Fully revised edition) A pelican Book, 1960.

» » — Palestine, Encyclopeclia Britannic 17, pp. 158-159.

BARAMKI D.C. — The Art and Architecture of Ancient Palestine, PLO Pesearch Center. Beirut, 1969.

YASSIN MAHAMMED KHAIR — Pre-Second Millennium Dwellings in Palestine ADAJ xxii (1977-1978) pp. 14-17.

BAROIS, A.G.	Manuel d'Archeologie Biblique, t;I pp. 244-264, Paris, 1939.
HAHBLIN DARA	JAME, «The Walls of Jericho» in the First Cities, Time-Life Books N.Y. 1973, p. 35.
DE VAUX, R.	Palestine in the Early Bronze Age, the Cambridge Ancient History, Third edition, vol. 1 part II, 1971, pp. 216-220.
MELLAART. J.	The Neolithic of the Near East, Thames and Hudson, London, 1975.

قصر قديم قبل الاسلام
اكتشف في مدينة تبسة سنة 1972 م

علي السلطاني

موقع تبسة

على إحدى نقاط الحدود الشرقية لنوميديا قديما والمغرب الأوسط حديثا ـ بين التل والصحراء ـ تعتبر كموقع عمراني هام كانت ولا تزال غنية بأثارها التي تعود لمختلف العصور مما يؤكد أنها عرفت خلال عمرها الطويل حضارات عديدة مثل الحضارة العاترية والقفصية والوهرانية لعصور ما قبل التاريخ. كما عرفت الحضارة البونيقية والرومانية والبيزنطية والاسلامية.

كانت موطن عبور واستيطان لهذه الشعوب والأمم المختلفة التي جاءت في أوقات متفاوتة وعاشت على أديمها أجيالا وعصورا وتركت أثارها دليلا عليها، نسبت إلى مواقع اكتشافها بعضها انقرض والبعض الآخر لا يزال يعيش في صورة الأحفاد. وقد توصل جمهور من الباحثين إلى الاعتقاد بأن المنطقة كانت آهلة بالسكان خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية بالدليل التالي. على سبيل المثال : عثر بعض الباحثين على خمسين موقعا في دائرة شعاعها خمسين كيلومترا. أنظر الخريطة شكل 2 و3 في المرجع[1]. كما جمع الأتابي 42 محلزة في تبسة في مساحة قطرها 30 كلم[2] وهي عبارة عن تلال تتجمع فيها بقايا طعام الانسان لعصور ما قبل التاريخ تدعى بحضارة الرماديات.

المساكن الأولى لانسان الجهة :

البدايات الأولى تعتبر من أسرار التاريخ لم يعرف على وجه التحديد متى بدأ إنسان الجهة يسكن الكهوف وما أكثرها بالجهة من أشهرها الكهوف الحمراء لا تزال بها رسوم الانسان على الجدران ثم كهوف الصفصاف ومتى سكن الدواميس «أو الغيران» نذكر منها : ذراع الدواميس وبالقرب من الشريعة وجدت غيران حفرها ذلك الانسان في الأرض الصلدة. أنظر المخطط : 1.

الأكواخ : سكنها الانسان عندما بدأ يشتغل بالزراعة وتربية الحيوانات في وقت غير معلوم، تخطيطها عبارة عن أربعة جدران مستطيلة وقد تكون مربعة بها مدخل وأمامها حوش

دائري ـ مبني بالطين المجفف على الشمس ومغطى بأغصان الأشجار الطويلة والعشب اليابسة عليه طبقة من الطمى ـ أنظر المخطط : 2.. وفي المناطق الجبلية تبنى بالحجر ولا ننسى أن مساكنهم المتجاورة على شكل تجمعات[3] تخضع لمعطيات المناخ والمجتمع.

والمسكن الوحيد المكتشف اثر تنقيبات سنة 1944/43 في تازبنت من طرف المحافظ السابق للآثار السيد سيري روش حددت مساحة بـ 2500 م². واكتشف أضلاع المنزل من الشرق إلى الغرب 25 م ومن الشمال إلى الجنوب 22 م، وارتفاع الجدران يتراوح بين 40 و60 سنم وسمكه 1,30 م حيث كانوا يبنون جدارين متوازيين ويملون الفراغ الموجود بينهما بالحصاء فيصير جدارا واحدا مرصوصا. ولم يتمكن من إتمام المخطط الكامل للمنزل ـ تبدو أن المنطقة عامرة بمنازل أخرى ـ تنتظر التنقيب ـ هذا وتذكر المصادر التاريخية[4] أنه ظهرت مساكن متقدمة نسبيا قبل ظهور البونيقيين وقبل وصولهم إلى المنطقة ـ لعلها تأثرت بتصاميم المساكن القديمة التي كانت منتشرة في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر اليوناني وأعتُمدت كنماذج لمخططات المنازل في إفريقيا الشمالية في العصر الروماني وظل مستعملا في المسكن التقليدي في كامل المغرب العربي حتى ظهور الاسلام[5].

أما كيف تطورت المساكن الأولى بالتدريج في المنطقة من الكهوف إلى الدواميس «والغيران» ثم إلى الأكواخ والخيام المتنقلة ثم إلى المنازل المريحة والقصور الفخمة، من الصعوبة بمكان تتبع كل المراحل والتطورات لوجود حلقات مفقودة من المساكن الشعبية ـ لمن أراد معرفة سلسلة التعاقب التدريجي التي مرت عليها ـ وهنا نذكر حقيقة وهي أن كثيرا ما ضيع الباحثون والمنقبون الأوروبيون مساكن نوميدية وبونيقية من العهود القديمة، كما ضيعوا منازل إسلامية تعود إلى العهود الاسلامية لأنها لا تهمهم حيث كان هدفهم الأول هو العهود الرومانية.

القصـــــر*

بداية الاكتشاف :

في مطلع سنة 1972 شرعت وِلاية تبسة في تنفيذ مشروع بناء أربعين مسكنا لموظفيها في الحي المعروف بالزاوية في المقبرة الاسلامية القديمة المتروكة منذ أكثر من ثلاثين سنة ولعله من باب الصدفة أو لأهيمة المكان عبر الأجيال يختار قديما لبناء المنازل والقصور ويحظى بنفس الاختيار لبناء المنازل والقصور في سنة 1972.

موقع القصر*[6]

بني القصر قديما قبل الاسلام جنوب السور البيزنطي على مسافة 266 م تقريبا[7] على

* معنى القصر : يطلق على الأبنية التي شيدها أصحاب الجاه والسلطان والأغنياء في كل عصر ومصر، وفي العهود الاسلامية للقصر معنى آخر يطلق على كل نوع من الأبنية يدعى بالقصر حدده الليحاني بانه بيت من حجر (قرشية) كانت تقصر فيه الحريم أي تحبس، المرجع : 6.

ربوة قليلة الارتفاع في سفح جبل أزمر يرتفع على الطريق العام بحوالي مترا ـ تذكر المصادر التاريخية أن البونيقيين اختاروا تبسة كمدينة تجارية بعيدا عن البحر وبنوا فيها الدور والقصور التي لم يبق لها أثر ـ وأن الرومان اختاروا تبسة كمدينة عسكرية وشيدوها كأهم مركز حراسة لقيادة اللواء الثالث، والامبراطور جستينيان البيزنطي جعل تبسة ولاية وحصنها داخل قلعة منيعة وبنى حولها وبداخلها الدور والقصور منها هذا القصر.

إذن موقعها ممتاز بين التل والصحراء معتدل الطقس كثير المياه والعيون تتهاطل فيها الأمطار والثلوج أحيانا. كان الأغنياء وأصحاب الجاه يفضلون العيش في مناخ تبسة لأنه يشبه مناخ الريف في طابعه العام ويتسم بالهدوء والاستقرار، والمنطقة كانت ولا تزال بها غابات الصنوبر ومواد البناء والمعادن وكل ما يحتاجون للبناء والعمران. أضف إلى ذلك فهي بمثابة مصيف بها كل ما يطلبه الانسان من الراحة والاستجمام.

ومن أهداف بناء القصر : ليقيم فيه صاحبه مع أفراد عائلته المؤلفة عادة من الزوجة والأبناء ولعل أغنياء فينيقيا والرومان والبيزنطيين الذين شيدوا أمثال هذا القصر قرب الأراضي الزراعية الخصبة لاستغلال الزراعة عن قرب والتحكم في رقاب النوميديين سكان البلاد الأصليين الذين أصبحوا مرتبطين بالأرض والجدير بالملاحظة لم يكن هذا القصر هو الوحيد فالاكتشافات السابقة التي جاءت بمحض الصدفة أثر الاشغال العمرانية بالمنطقة أظهرت مجموعة أبنية متجاورة وعلى غاية من الأهمية نذكر على سبيل المثال :

على بعد 150 مترا بالجهة الجنوبة للسور البيزنطي على مسافة 46 مترا شرق. هذا القصدر تم اكتشاف خلال السنوات 1924/23/22 تحت اشراف السيدين ريقاس ولسشبي، سلسلة من الممرات المبلطة بالفسيفساء ذات أقسام ثلاثة نصف دائرية، عليها رسوم أزهار وحيوانات.

وفي شهر نوفمبر 1939 تم اكتشاف منازل رومانية قرب معبر وادي زعرور الذي يقسم المدينة إلى قسمين متساويين تقريبا.

وبالجهة الجنوبية للقصر دائما على بعد 52 م وجدت قاعات مفروشة بالفسيفساء وقلعت سنة 1965 عليها مناظر صيد هامة جدا لا تزال محفوظة في مستودع المسرح المدرج.

وبالجهة الغربية على بعد 60 م وجدت فسيفساء سنة 1972 في مفترق الطرق الأربعة على عمق 1,20 م وهكذا...

التصميم العام للقصر

بعد إزالة الستار عن أرضية القصر ظهرت لنا جوانب عديدة كما ظلت جوانب أخرى غامضة ـ المبنى أصبح خرائب لا شكل له يصعب تكوين فكرة صحيحة عن تصميمه

الأصلي، بعض الجدران لا تزال موجودة لا يتجاوز إرتفاعها 75 سنم وبعضها مقلوع تماما وبعض الأبواب لا تزال أعتابها موجودة محفورة في الحجر يمكن بواسطتها تقسيم القصر إلى ثلاثة أقسام بالاضافة إلى البهو والممرات والسور الخارجي وحوض الأسماك.A

شكل القصر بصفة عامة مستطيل :

الطول = 26,50 م والعرض = 20,35 م.

المساحة الصغرى المكشوفة والمشغولة بالآثار تساوي 539,27 مترا مربعا والمساحة الكبرى الواقعة داخل السور الخارجي للقصر الذي اكتشف منه الضلع الشمالي فقط والذي يبلغ طوله 28,50 م.
الضلع الشرقي يحتمل طوله 28,50 م.
والضلع الجنوبي يحتمل طوله 32 م.
والضلع الغربي يحتمل طوله 29 م.

إذا ما أدخلنا مساحة السور في الاعتبار ضمن مساحة القصر يكون شكله منحرفا بل شبه منحرف ويتربع على مساحة 718,43 مترا مربعا.

أقسام القصر : (بناء على المخطط التوضيحي)

1 ـ القسم الغربي :

البيت الأول : صالون نصف دائري يقع في الجهة الجنوبية الغربية في نهاية الضلع مساحته 28,46 م^2 مبلطة بالفسيفساء.

البيت الثاني : شمال الصالون المساحة 25,20 م^2 مبلطة بالفسيفساء.

البيت الثالث : المساحة المفروشة بالفسيفساء 6,12 م^2.

A ـ يرمز إلى حوض مفروش بالفسيفاء لعله كان للتعميد أو لتربية الأسماء، المساحة المبلطة بالفسيفساء حوله = 3,05 م^2 تخرج منه ساقية كانت تحمل المياه من الصهريج جهة الغرب طولها 4,40 م وعرضها 17 سنم وعمقها 6 سنم.

2 ـ القسم الأوسط :

يقع هذا القسم جنوب البهو، وعلى طول الممر الثاني الذي يصل إلى القسم الشرقي من غرف القصر، بهذا القسم خمسة غرف، ثلاثة منها يرجح أنها كانت مفروشة لوجود فراش التبليط بالفسيفساء وغرفتان لا تزالان مبلطتان بالفسيفساء الفاخرة :

الغرفة رقم 4 : مستطيلة الشكل مساحتها 14 م^2 مقلوعة التبليط

الغرفة رقم 5 : مستطيلة الشكل مساحتها 14 م^2 لا تزال مفروشة بالفسيفساء

الغرفة رقم 6 : مستطيلة الشكل مساحتها 12 م^2 لا تزال مفروشة بالفسيفساء

الغرفة رقم 7 : مستطيلة الشكل مساحتها 15 م^2 مقلوعة التبليط

الغرفة رقم 8 : مربعة الشكل تقريبا مساحتها 28 م^2 مقلوعة التبليط.

3 ـ القسم الشرقي :

لا تزال به غرفتان مبلطتان بالفسيفساء :

الغرفة رقم 9 : مربعة الشكل تقريبا مساحتها 18 م^2 لا تزال مفروشة بالفسيفساء

الغرفة رقم 10 : مستطيلة الشكل تقريبا مساحتها 16 م^2 لا تزال مفروشة بالفسيفساء.

وصف أجزاء متممة للقصر من الداخل :

المدخل.
والممرات.
والبهو.

يبدو من التصميم التوضيحي للقصر وجود مدخل في نهاية الضلع الشمالي للمبنى لوجود مساحة مبلطة بالأحجار المنحوتة البيضاء الشبيهة بالرخام طولها 23,20 م وعرضها 1,65 م والمحتمل أن رواق الدخول الأصلي للقصر على شكل إيوان مفتوح للانتظار لعله كان محمولا على أعمدة لعدم وجود مكان الباب ومحفورا في الحجر على غرار أعتاب الأبواب الأخرى التي لا تزال في أماكنها ومن المدخل يتجه الداخل نحو الجنوب ليجد البهو :

البهو : يقع شمال الغرف المفروشة بالفسيفساء مساحته حوالي : 12 م^2، مبلط بالأحجار المنحوتة وحوله أربعة أبواب على الأقل :

1 ـ باب جهة الغرب اتساعه 1,67 م يؤدي إلى حوض الأسماك والحديقة والقسم الغربي.

2 ـ باب جهة الشمال اتساعه حوالي متر واحد يؤدي إلى المدخل الرئيسي وإيوان الاستقبال على ما يظن.

3 ـ باب جهة الشرق اتساعه الحالي 1,05 م يؤدي إلى الممر الأول وغرف الجناح الشرقي.

5 ـ باب جهة الجنوب اتساعه 1,16 م يؤدي إلى غرف القسم الأوسط.

الممرات :

أولا : يوجد ممر مستطيل شرق البهو طوله ستة أمتار وعرضه حوالي متر مبلط بالأحجار يؤدي إلى القسم الشرقي أين يوجد به باب يفتح على الغرفة رقم 9.

ثانيا : شمال هذا الممر توجد مساحة مبلطة بالأحجار وبها موزعات للماء (وتفتح عليها بعض الأبواب) طولها 10,50 م وعرضها جهة الغرب 3,20 م وجهة الشرق 95 سنم لعلها كانت قاعة من قاعات حمام المنزل، لم يكن هذا الرأي على سبيل القطع واليقين ـ الاكتشاف لم يتم بعد في الجوانب المجاورة للقصر.

السور الخارجي للقصر :

تم في جهة الشمال اكتشاف جدار طوله 24,50 م اعتقدنا أنه الضلع الشمالي لسور القصر لوجود موقع عتبة بابين محفورين في الجدار الحجري إتساع كليهما 1,40 م، لعل أحدهما كان يؤدي للحديقة وهو الباب الغربي وثانيهما يؤدي إلى القصر وهو الباب الشرقي. أما الأضلاع الثلاثة الأخرى لسور القصر لم تكتشف بعد والمؤكد أنها موجودة لوجود الضلع الشمالي والتبليط بينه وبين مبنى القصر بالأحجار المنحوتة ولا تكون غير سور القصر وعند إتمام التنقيب نصل إلى الحقيقة.

مادة البناء وتخريب القصر :

إذا كان القصر قد تعرض إلى التخريب خلال عمره الطويل من نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد حسب ما تنص قطع النقود البرونزية المكتشفة في القصر الآن 1972.

طبيعي جدا أن يتعرض القصر إلى التخريب التام وتنقل أحجاره وكل مواد البناء التي كانت مستعملة من أناس مجهولين جاءوا فيما بعد واحتاجوا إلى هذه المواد فنقلوها لبناء منازلهم ودورهم. وقد تكون هناك دوافع أخرى منها البحث عن المال أو انتقاما من صاحب القصر أو غير ذلك. وقد تكون غير هذا وذاك لعلها من العوامل الطبيعية ومن الأيادي الانسانية العابثة. والغرابة ليست في تخريب القصر الغير محروس مئات السنين وفي قلع مواد البناء وقلع تبليط ثلاثة غرف كانت مفروشة بالفسيفساء وهي (4 ـ 7 ـ 8) وإنما الغرابة كيف تركت سبعة غرف مفروشة بالفسيفساء حتى الآن. وكيف تركت بعض الجدران وبعض السواقي والساحات المبلطة بالأحجار وحوض الأسماك وهذا يعتبر من حسن حظ الأثريين والباحثين.

أما مادة البناء :

وجدت جدران مبنية بأحجار متنوعة كبيرة جدا منحوتة بني بها حسب الهندسة الرومانية بينها أحجار صغيرة مختلفة الأحجام للربط ولضمان قوة البناء. كما فرشت بعض الأقسام من

أرضية القصر بأحجار بيضاء منحوتة شبيهة بالرخام جهة الشمال والغرب، وبعض لوحات القرميد الغليظة المستطيلة وأنواع من قوالب الطابوق التي استعملت كثيرا في بناء المجاري المائية والسواقي والحمام، كما عثر على لوحات من الرخام الأبيض والوردي والقهوي.

إذن استعملت مواد عديدة في بناء القصر بالاضافة إلى المواد التي كانت بالسقف مثل قنوات مصنوعة من الفخار اسطوانية تدخل في بعضها مذكر في مؤنث لعلها مصنوعة خصيصا للسقف لازالة مياه الأمطار، وجدت نماذج كثيرة كانت في السقف...

لا عجب في هذا التخريب الذي تعرض له القصر وخاصة بعض الجدران فقد كان البيزنطيون أنفسهم كثيرا ما هدموا عمائر ومعابد اغريقية ورومانية ونقلوا مواد بنائها من الأحجار والرخام والأعمدة وبنوا بها كنائسهم ومنازلهم(7).

الزخارف :

البيت رقم 1 : الصالون النصف دائري المطل على الحديقة في نهاية الضلع الجنوبي الغربي، استعملت في تبليطه لوحة فسيفساء نصف دائرية عناصرها الزخرفية كالتالي :

أشكال هندسية متناظرة مثمنة الأضلاع تفصلها أشرطة منكسرة تكون عدة أشكال هندسية أخرى تنتهي بعدة أطر حول الرسوم حسب تعدد الألوان وتتوج بحنايا وأقواس عمياء زادت المنظر العام جمالا على جمال مما يؤكد المبالغة في زخارفه لأنه المقصود أكثر.

أما الألوان المستعملة في هذه القطعة فهي : الأزرق والأحمر والأبيض والأصفر الفاتح والبنفسجي.

البيت رقم 2 : زخارف أرضيته أشكال هندسية عبارة عن دوائر متداخلة تحصر بداخلها أشكال هندسية أخرى تتدرج حتى تصل إلى أصغر شكل هندسي ثم أحيطت باطار مستطيل عريض من مربعات بيضاء وسوداء. وفي النهاية أحيطت الزخارف بإطارات رسوم منكسرة بينها شبه وُريدات.

أما الألوان المستعملة هنا هي : الأبيض والرصاصي والبرتقالي.

البيت رقم 3 : أما لوحة الفسيفساء التي استعملت في تبليط البيت الثالث فزخرفتها عبارة عن خطوط منكسرة تنحصر بين صفين من المثلثات وهذه العناصر الزخرفية تقع داخل اطار مستطيل زخرفته على شكل ظفيرة كما حجز مثلثات داخل اطر مستطيلة عريضة حسب الألوان المستعملة الأبيض والأسواد والأحمر.

البيت رقم 4 : فزخارفه تعرضت للتكسير والتخريب لم يبق منها شيء الّا فراش تبليط الفسيفساء من الجبس.

البيت رقم 5 : زخرفة أرضيته عبارة عن دوائر بداخلها معينات متقاطعة وهذه الدوائر تنحصر بين عناصر زخرفية أخرى على شكل خطوط تلف حول نفسها وبداخلها ظفائر. أما الألوان المستعملة في هذا البيت فهي : الأبيض والأسود والأحمر.

البيت رقم 6 : زخرفة أرضيته هي أشكال هندسية تمثل دوائر داخل دائرة مثمنة الأضلاع في وسطها زخارف نباتية على شكل وُريدات والرسوم الهندسية هنا متعددة ومتنوعة منها أشباه منحرفة ومعينات وبداخلها أيضا زخارف نباتية وظفائر بداخل مستطيلات وأشباه منحرفة أما الألوان المستعملة هي : الأبيض والأسود والرصاصي والأحمر.

البيت رقم 7 والبيت رقم 8 : كسرا وقلعت منهما الفسيفساء في وقت غير معلوم.

أما الغرفتان 9 و10 : يعتقد أنهما قاعتان لحمام القصر فزخرفة أرضيتهما غنية جدا بالأشكال الهندسية المتعددة والزخارف النباتية التي تكثر فيها زهرة اللوتس، وعلى سبيل المثال نذكر :

الأشكال الهندسية الموجودة في البيت رقم 9 : عبارة عن أشعة من الخطوط المتقاطعة التي تتكون من أشكال هندسية عديدة منها المربعات والمستطيلات والمعينات والدوائر المثمنة الأضلاع والأشكال المنحرفة وأشباه المنحرفة وبداخل الدوائر الكبرى رسمت مجموعة ورود زهرة اللوتس أما الألوان المستعملة فهي : الأحمر والأسواد والأبيض والرصاصي والبرتقالي والأصفر كلها فاتحة وقد نجح في تناسق وتناظر الرسوم والألوان.

أما الأشكال الموجودة في البيت رقم 10 : منها المعينات والدوائر والمربعات والمستطيلات والأشكال المنحرفة وأشباه المنحرفة وبداخلها أشرطة ورسوم وأشكال هندسية أخرى لا تدخل تحت حصر أما الألوان المستعملة فهي نفس الألوان الموجودة في الغرفة رقم 9.

بعد الشروح الاجمالية للعناصر الزخرفية المفروش بها غرف وقاعات القصر ـ إذا ما قورنت يعتقد كانت زخارف مماثلة إن لم تكن أحسن في المدخل والأورقة والقباب والسقوف والشبابيك والافاريز والمصاعد وغير ذلك في الطابق الأرضي والطابق الأول «اذا كان».

لعلها تمثل نسبة هامة من زخارف المنزل تلفت ونقلت المواد التي كانت مبنية بها من أحجار وأعمدة ورخام وطابوق وغيره... إلى أماكن أخرى للبناء بها ـ ومن البقية الباقية من الفراش وإرتفاع قليل من جدار البناء نستطيع القول بدون تردد أن القصر فخم لا يكون إلّا لأحد الأغنياء من أصحاب الجاه، والسلطان. ظلت أجزاء ناقصة لم تسمح الظروف بمتابعة البحث والتنقيب عليها مثل المطبخ وبيوت الخدم والأضلاع الثلاثة لسور القصر التي لم تكتشف بعد ما عدا الضلع الشمالي كما سبق ذكره.

أما الحمام :

يحتمل أن تكون الغرفتان (9 ـ 10) بالمخطط التوضيحي تابعتان لحمام المنزل، ولعل

المساحة المبلطة بالأحجار جهة الشمال، كانت تشغل احدى القاعات، وقسما من البيت الساخن المفتوح على البيث رقم : 8. ولوجود السواقي والموزعات المائية (المصفات) هي :

الموزع الأول بالبيت رقم 9 : المسافة بينه وبين الموزع رقم 2 = 3,20 م.

الموزع الثاني : داخل جدار الممر الأول المسافة بينه وبين الموزع رقم 3 : 1,30 م.

الموزع الثالث : يقع شمال غرب الموزع رقم 2.

كل هذه الموزعات والسواقي تصب في ساقية مبنية واسعة عرضها 40 سم كشف منها حوالي مترين، وتوجد ساقية واسعة أخرى داخل جدار سور القصر الخارجي مبنية طولها من الشرق إلى الغرب 17,40 م وعمقها 17 سم وعرضها 20 سم كما اكتشفت ساقية أخرى شمال حوض الأسماك بالحديقة جهة الغرب طولها 440 م وعرضها 17 سم وعمقها 10 سم مبنية بالطابوق متجهة إلى الخارج بجدار المبنى لعلها تأتي بالماء من احدى الصهاريج... والمعتقد ان هذه السواقي كانت متصلة ببعضها في الأصل.

أما الماء الذي كان يجري فمن غير شك أنه أتى من الصهاريج التي كانت مهيئة فوق الغرف كانت تتلقى مياه الأمطار[8] كما يمكن جلب الماء الصالح للشرب من عين الميزاب أو عين سيدي محمد الشريف على مسافة ثلاثة كلمترا من شعاب جبل أزمر ـ إضافة إلى كل ذلك عثر على أنابيب مصنوعة من الرصاص لعلها صنعت لحمل مياه الشرب من احدى العيون المذكورة ولا تزال عين الميزاب (الجنوب) وعين سيدي محمد الشريف بالشرق تجريان وتمونان سكان تبسة بالماء الصالح للشرب.

أما حوض الأسماك شمال البيت رقم 3 فمبلط بالفسيفساء طوله 1,85 مترا وعرضه 50 سم وعمقه 95 سم. مبلط بالفسيفساء الرخامية البيضاء وبداخله ثمانية قنوات اسطوانية الشكل مفتوحة لعلها كانت تستعمل لتربية الأسماك والمساحة حول الحوض بقي منها مبلط بالفسيفساء (135 × 2,50).

النتائج :

اكتشف القصر قبل عشر سنوات وأزيل الستار على عشرة غرف لاتزل سبعة منها مبلطة بالفسيفساء التي هي عنوان الأبهة والفخامة وهي فن زخرفي في جميع صوره وحالاته وأشكاله التقليدية تستعمل من قطع صغيرة هندسية أكبرها 1 سم وتصنع من مادة الحجر والرخام والاجر وكتل البلور. تزخرف منها القاعات والغرف والأماكن المراد زخرفتها وتخضع لعوامل وامكانيات مادية وتحتاج إلى غنى وذوق فني رفيع. يعود الفضل الأول في اكبار هذا الفن إلى العراقيين الذين استعملوه في قصور بابل وإلى المصريين الفراعنة الذين استعملوه في قصورهم[9].

ثم تعلمها اليونان في آسيا الصغرى وعلموها للفنيقيين عند اتصالهم بهم. وبدورهم علموا هذا الفن لسكان أفريقيا الشمالية قبل الرومان بقرون، وتذكر المصادر التاريخية أن البونيقيين، لما تغلغلوا داخل البلاد في القرن الخامس قبل الميلاد وبنوا مادور وتسبة وشيدوا عدة قصور وكانوا يرسمون على اعتابهم رمز الهتهم تانيت بالفسيفساء وصمموا منازل بقيت نماذج منها في ديلوس احدى المنازل بالكركوان (بالوطن القبلي) لم يقع عليها أي تغيير، وقد تكون مطابقة لتصميم المنزل المكتشف في 1972 بتبسة.

اعتقد أن لا غرابة في هذا الامتداد السياسي والحضاري للبونيقيين اذ كان نفوذهم قد شمل المنطقة من القرنين 4 ـ 5 ق.م إلى 146 ق.م وقد يلائم سكان المنطقة واحتفظوا بالتخطيط البونيقي طيلة قرون مع تحوير طفيف، ونحن لا نستطيع أن نتجاهل من ناحية أخرى التخطيط الروماني والبيزنطي في المنطقة ـ لم نصل إلى القول الفصل نهائيا. مادامت أجزاء لا تزال ناقصة من القصر تنتظر التنقيب لاتمامها، ثم بعد ذلك لم نحاول المقارنة مع المخططات السكنية التي سادت بالمنطقة عبر الأجيال ومن جهة أخرى لم نعثر على وثائق أو كتب تاريخية تشرح المكتشفات والبحوث السابقة بتبسة القديمة، الا اشارات عابرة، تعرضنا لها في مطلع الحديث. والخلاصة لا يوجد أي منزل آخر بالجهة شبيها لهذا القصر في صورة من الصور يمكن مقارنته به. وإن كنا لا ندعي أنه القصر الوحيد المشيد في المدينة طيلة حياتها بل هناك عشرات لم تكتشف أو كان اكتشافها ناقصا أو اندثرت نهائيا، ويمكن اكتشاف قصور أخرى في المستقبل.

والجدير بالذكر أن هذا القصر لم ينشر على صفحات الكتب أو المجلات العلمية ما عدا نبأ الاكتشاف.

تاريخ القصر :

عند انعدام الوثائق التاريخية والنصوص الكتابية والدراسات بالمقارنة بقي الاعتماد على ما يقدمه علم الآثار أثناء الحفريات من التاريخ المطلق.

ولتحديد تاريخ البناء :

نعتمد على اللقى الأثرية
والرسوم الزخرفية المكتشفة
والطراز المعماري (التصميم العام)
والنقود المكتشفة في الموقع وغيرها...

حاولنا مقارنة هذه العناصر بما يماثلها لتحديد التاريخ المطلق لبناء المنزل.

توصلنا إلى :

1) من الناحية الدينية عثرنا على صليب محفور في الحجر مع بقايا لرفوف مصنوعة كلها في لوحات حجرية قائمة بشكل عمودي في الغرفة رقم 8 تبين أنه يعود إلى احدى العهود المسيحية المتأخرة.

2) بعد تحليل عناصر رسوم الفسيفساء فكانت تختلف اختلافا كبيرا عن الرسوم التي كانت سائدة خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد (4.3.2) لم نعد نرى ذلك التنوع والابتكار والحيوية في تصوير الأجسام، حيث بلغت الفسيفساء ازدهارا عظيما وزخرفت جدران القصور والحمامات والسقوف والأرضيات بلوحات فسيفسائية بديعة ذات مواضيع خيالية أو خرافية ورمزية تصور الآلهة والحكايات والأساطير الاغريقية بمناظر من البر والبحر. ولا سيما في تتويج فينوس ربة الجمال والحسن عارية الجسم تارة خارجة من أمواج البحر وتارة تمتطي حيوانات خرافية (برية وبحرية).

ـ اكتشفت في المدينة سنة 1886 م صور ونماذج في حمامات كركلا لا تزال معروضة في متحف مينارف بتبسة، وهي تمثل القرون الثلاثة المذكورة (2 4.3) م وموقعها لا يزال شمال قوس نصر كركلا بحوالي 200 مترا. **وفي هذا القصر** اختفت أيضا الرسوم الآدمية والحيوانية، وفقدت ماكان لها من نشاط وحركة وأصبحت تمتاز بالرسوم القبرية والهندسية التي سادت في بداية القرن الخامس والقرن السادس أيام البيزنطيين (533 إلى 647 م).

فالقاعات المفروشة بالفسيفساء التي لا تزال بقاعات وغرف القصر تحمل على العموم مميزات وخصائص الفسيفساء البيزنطية.

النقود المكتشفة في موقع القصر :

تبين من دراسة النقود البيزنطية أنها تعود إلى القرن الرابع الميلاد، كما وجد معها نقد بونيقي.

وللتأكيد :

على أن القصر قد بني بعد لبزليك ـ كتدرائية تبسة المبنية سنة 386 م وهي النتائج التي توصلنا إليها بالمقارنة لزخارف القصر القديم وزخارف العمائر الدينية التي ازدهرت في تبسة بمجرد الاعتراف بالدين الجديد حيث دخله النوميديون سكان تبسة الأوائل زرافات ووحدانا على أمل أن ينصفهم وينقذهم من ظلم الرومان الجائر الذي عانوا منه أيام الوثنيين.

وقد تظافرت الجهود بين طبقات السكان وشيدوا أكبر كتدرائية (مسيحية) سنة 386 في تبسة هي لبزليك تضاهي المباني الوثنية روعة وفخامة وفنا، هدمها الوندال فيما بعد. وكانت

مفروشة بأنواع من الفسيفساء ووقعت تنقيبات في صحن المصلى (الاتريوم) سنة 1943/1942 م وأزيل الستار عن قاعات مفروشة بالفسيفساء الهامة يغلب عليها الرسوم الهندسية مثل المستطيلات، والمربعات، والمعينات، والمكعبات، والدوائر المثمنة وغيرها متداخلة في تناسق بديع. تمتاز بعدة ألوان فاتحة منها البيضاء والحمراء والبرتقالية والسوداء والزرقاء تنحصر بداخلها حشوات من سعف النخيل وازهار اللوتس وأشرطة داخل أطر عديدة.

ولما قارناها بالرسوم والزخارف الفسيفسائية المكتشفة في القصر المكتشف في 1972 م وجدنا أوجه الشبه عديدة وتارة تكاد تكون نسخة طبق الاصل مع تحويرات بسيطة لعلها تعود إلى اختلاف الصناع والمواد المستعملة والامكانيات التي كانت لدى صاحب القصر والرغبة المطلقة في زخرفة دارة بأيّ لون أو نوع...

كذلك لم نشاهد الرسوم والصور الآدمية والحيوانية في كل من زخارف القصر وفي رسوم صحن ليزليك.

والتأثير الواضح والنتيجة الحتمية أن القصر شيد بعد ليزليك وخلال القرن الرابع للميلاد كما يؤيد هذا الرأي النقود المكتشفة في موقع القصر.

التخطيط :

المشكلة التي لا تزال غير واضحة هي مشكلة تصميم المنزل المكتشف في 1972 م لم نجد مخططا كاملا يعود إلى العهود النوميدية أو البونيقية أو الرومانية حتى يمكننا معرفة الأصل لنعرف مصدر التأثيرات بعيدة كانت أم قريبة وسوف أضطر في النهاية إلى أخذ أقرب مثال يمكن الاعتماد عليه ونقارن به هو تخطيط المنازل والقصور التي لا تزال تعيش بالقرب منها في مدينة تيمقاد حاليا، ونأخذ دار سرتيوس رقم 18 المؤخوذ ضمن قائمة آثار مخطط تيمقاد حاليا.

تبسة بنيت قبل تيمقاد بـ 117 سنة من طرف الرومان الذين شيدوا تيمقاد فيما بعد أيضا، فالمقارنة تكون صحيحة والمفروض تصميم المنازل لا تختلف إلا من حيث توفر الامكانيات المادية والذوق الفني، لكننا عند المقارنة نجد هناك فروقا عديدة بين المخططين.

الفناء في دار سرتيوس يقع وسط المنزل تقريبا والغرف تحيطه تقريبا بكل الجهات.

والفناء في القصر القديم بتبسة يقع قرب نهاية الضلع الشمالي والأبواب تؤدي إلى الحديقة والمدخل الخارجي والممر الأول جهة الشرق وهناك مدخل واحد يؤدي إلى غرف القسم الأوسط، ويبدو هناك فروقا أخرى في اتساع الممرات والحمام وعدد السواقي وحوض الأسماك في أنواع الزخارف... وهناك تفسير بعيد لهذا التصميم المحتمل أن يكون تصميما رومانيا، أتى به أحد الأباطرة في نهاية الحكم الروماني 429 بعد الميلاد من خارج الامبراطورية

الواسعة، أو ادخلت عليه تحويرات ذات طابع محلي خضع لظروف المجتمع وتأثيرات المناخ المحلي، مع تأثير أحد الصناع المهرة المجلوب خصيصا من خارج المنطقة واستعمل مهارته في فن العمارة والزخارف. وهذا التصميم لدخل أساليب وطرزا سادت في عصور مختلفة فأحدثت التشابه العجيب في التصميم وفي الزخارف قصد التباهي والافتخار. وعلى أية حال لا يخلو من التخطيط والتأثير الروماني والبيزنطي الذين بسطا نفوذهما السياسي والحضاري قرونا عديدة على المنطقة قبل الاسلام.

ومن اللقي والمكتشفات الأخرى في القصر :

عثرنا على فخاريات عديدة ومتنوعة (أغلبها مهشمة) بعد دراستها بالمقارنة وجدنا أغلبها يعود إلى العهود الرومانية من (4.3.2) وبالقرب من موقع القصر عثرنا على سبعة أواني فخارية كبيرة جدا كانت للخزن وجد بداخلها حبوبا لم يعرف زمنها (لا تزال في المختبر).

كما تم العثور على كؤوس زجاجية ملونة فاخرة وأواني زجاجية مختلفة الأحجام (مهشمة) وعلى مجموعة هامة من النقود الرومانية بعد قراءتها تعود إلى القرن الرابع للميلاد، ومعها نقد بونيقي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد وهذا مازاد الأمور تعقيدا. كما عثر على أنواع من الحلي، خواتم حديد ونحاس، وأساور، وأقراط وعقودا، وعلى مجموعة هامة من شواهد القبور الاسلامية عليها كتابات مغربية وكوفية وعلى بعض الفخاريات الاسلامية منها عنق لقلة (مصفاة). وعلى دميتين مصنوعتين من الحجر احداهما تمثل قردا وثانيتهما تمثل أسدا. وعلى أعمدة قصيرة مضلعة بقاعدتها وتاجها. وعلى بعض القطع النحاسية والحديدية والزجاجية والعاجية وبعض قطع من الفحم والعاج والعظام وعلى أنواع من قطع الرخام كمقاطع للمربعات التي تصنع منها الفسيفساء.

الهياكل العظمية :

لم يلفت انتباهنا كثرة الهياكل العظمية المنتشرة على طول المساحة المحددة لوضع حفر اختبارية لأنها كانت مقبرة منذ القدم وتعاقبت عليها أنماط من الحضارات، وأغرب ما عثرنا عليه في منطقة طولها عشرون مترا وعرضها ثمانين سنتمترا على عمق حوالي مترا عثرنا على عشرات بل مئات الهياكل العظمية فوق بعضها دون مراعاة لطريقة الدفن عليها الآف الأطنان من التراب والحجر ـ وقفنا أمامها في حيرة وصدفة زارنا أحد المسنين بالمدينة المدعو محمد الأخضر الفجي، وهو الذين أزال حيرتنا.

بقوله : هذه عشرات المئات من الهياكل العظيمة الاسلامية دفنت فوق بعضها بأمر من رئيس البلدية اثر وباء أصاب المدينة سنة 1920 م فحصد الأنفس، فحفر لها هذا المطبق ووضعها فوق بعضها وردمت حتى لا يتسرب المرض إلى الأصحاء.

الحلي الاسلامية :

عثر على بعض الهياكل العظمية في الطبقة العليا ومعها بعض الحلي مثل الخواتم الحديدية أو النحاسية والاقراط والأساور وجدنا هيكل امرأة بجانب هيكل رجل لا تزال العلاقة في موقع الاذن.

الشواهد الاسلامية :

عثرنا على ستة شواهد اسلامية موضوعة من الحجر عليها كتابة بخطوط مختلفة كوفية ومغربية تذكر اسم الهالك وتاريخ الوفاة وبعض الأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية وبعض الحكم ونذكر على سبيل المثال أن على الشاهد الاسلامي رقم 3 طوله 43 سنم وعرضه 34 سنم هو الحجر الشبيه بالرخام

كتب على الوجه الأول : وغدا تصير مثلي الدنيا ساعة أقضيها في طاعة

وكتب على القفا : بن مساهل توفي ليلة السبت عشرة في رمضان عام ثمانمائة هجرية... المحرم.

محتويات البحث :

- موقع تبسة
- المساكن الأولى للانسان
- القصر ـ (بداية الاكتشاف)
- موقع القصر
- التصميم العام للقصر
- الزخارف
- النتائج
- تاريخ القصر
- من اللقي والمكتشفات الأخرى بالقصر

المخططات :

شكل رقم 1 : تصميم دياميس أو غيران

شكل رقم 2 : تصميم للأكواخ ومساكن

شكل رقم 3 : تصميم لتبسة والسور البيزنطي وموقع القصر

شكل رقم 4 : تصميم للقصر المكتشف في افريل 1972

الصـــــور

الصورة رقم 2 في المخطط 4 تمثل رسوم فسيفساء في البيت 2
الصورة رقم 5 في المخطط 4 تمثل رسوم فسيفساء البيت 5
الصورةرقم 10 في المخطط 4 تمثل رسوم فسيفساء البيت 10.

المصادر

مصادر الموضوع

1) الجزائر ماضيها ص 21 تأليف أندري بارتيار طبع سنة 1951. مطبعة بيكار.

2) تاريخ أفريقيا الشمالية ص 45 تأليف أندري جوليان ترجمة محمد مزالي.

3) تاريخ الجزائر العام ص 49 تأليف عبد الرحمان الجيلالي طبع سنة 1965 مكتبة الشركة الجزائرية.

4) تاريخ الجزائر وماضيها ص 15 تأليف أندري بارتيار طبع سنة 1951 مطبعة ج. بيكار طبعة 2.

5) المدن القديمة بالجزائر ص 101 تأليف منير بوشناقي في 1978 م سلسلة الفن والثقافة.

6) لسان العرب ج 1 ص 411 تأليف بن منظور 630 هـ/1308 صادر بالدار المصرية للترجمة والنشر.

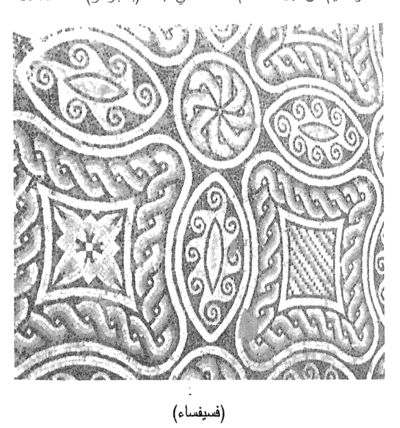
7) العمارة العربية في مصر الاسلامية ص 143 تأليف فريد الشافعي طبع سنة 1970 الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

8) المدن القديمة بالجزائر ص 101 منير بوشناقي ـ سلسلة الفن والثقافة بالجزائر ط : 1978.

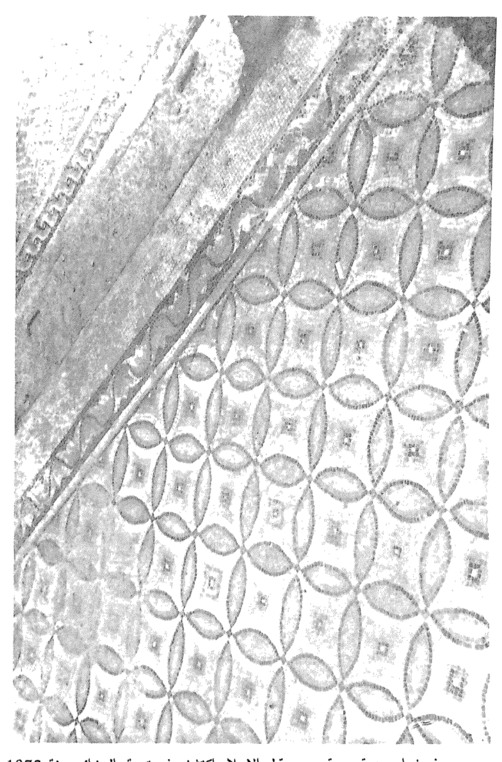
9) الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء ص 16 للمؤلف المنجي النيفر الشركة التونسية للتوزيع طبع 14/جانفي 1969 م.



قصر قديم من قبل الاسلام اكتشف في تبسة (بالجزائر) سنة 1972



(فسيفساء)



فسيفساء من قصر قديم من قبل الاسلام اكتشف في تبسة بالجزائر سنة 1972



فسيفساء من قصر قديم اكتشف في تبسة بالجزائر سنة 1972

البيت في المشرق العربي الاسلامي

الدكتور عبد القادر الريحاوي

المقدمـــــة :

أخذت قضية بناء المسكن وتطويره الكثير من اهتمام الانسان في كل زمان ومكان. وكان الهدف من وراء تلك الجهود المبذولة في هذا الصدد، تحقيق حلم الانسان في الحصول على البيت الذي يوفر له الأمن والراحة والاستقرار. ويجد فيه كذلك الرفاهية والجمال، وتحقيق هذه الأغراض، كان يختلف باختلاف الزمان والبيئة ومستوى الفرد من حيث الفقر والغنى، لكنه يعبر دائما عن المظهر الثقافي والحضاري للأسرة والمجتمع، فهو الخلية الأساسية للمدينة، ومحور نموها وتنظيمها وتطورها.

لقد ثبت من نتائج الحفائر وأعمال التنقيب التي أجريت في بلاد الرافدين وسورية ومصر بأن خبرات هامة في مجال البناء والتعمير قد تجمعت لدى انسان الشرق العربي منذ بضعة ألوف من السنين، مهدت لنشوء الحضارات وظهور المدن.

ودلت الدراسات على أن الشكل العام للبيت كان يعتمد على وجود فناء مكشوف تحيط به غرف (انظر اللوح رقم 1). وقد جعلت الغرف مستطيلة ضيقة لكي يسهل تسقيفها بالأقباء، الطريقة الشائعة في بلاد الرافدين وفي مباني اللبن عامة حيث يندر استعمال الخشب، ومع اللبن استخدم الاجر في أماكن محدودة كالبلاط والسلالم. لكن الحجر كان مستخدما في بعض المناطق كما في (أوغاريت) المدينة الكنفانية الواقعة على الساحل السوري. نجده جيد القطع في جدران القصر الملكي وفي المعابد، وساذجا ممزوجا بالمونة في جدران البيوت العادية. ويبدو ان المدينة عرفت رقيا في الخدمات في ذلك العهد المبكر (حوالي القرن 16 و17 ق.م).

ففي بيوتها الصغيرة أماكن للخدمات كالمطبخ والحمام، حيث وجدت أحواض حجرية وآبار، كما عثر على أقنية حجرية لتصريف المياه ومزاريب لمياه الأمطار وأنابيب من الفخار لنقل المياه، وشوهدت مجاري تحت الأرض لنقل المياه المالحة.

وعثر على ادراج من الحجر تدل على أن المساكن كانت تحتوي على أكثر من طابق. وفكرة تعدد الطوابق في البيوت عرفت في الحضارات القديمة، في بلاد الرافدين وكريت

ومصر، دل عليها وجود السلالم من جهة والمجسمات التي عثر عليها في مناطق التنقيب، والرسوم الجدارية التي تشاهد في قبور الفراعنة.

ولقد تعددت الطوابق في العهد الروماني، مما أحوج إلى اصدار تشريع يحدد ارتفاع المساكن بما لا يزيد على الستين قدما أي ما يعادل ثلاثة طوابق. ولكن من المدهش حقا أن يبلغ قصر غمدان الذي حدثنا عنه الهمداني عشرة طوابق في ذلك العهد المبكر.

لا شك أن البيت في الشرق العربي قد حصل على مزيد من التطور والرقي في العهدين الهلسنتي والروماني، بما ادخل عليه من تحسين في التخطيط والعناصر المعمارية، لا سيما وان تقاليد بناء البيوت كانت متقاربة في حضارات مدن البحر المتوسط، (افلباتيو) و(الاتريوم) في البيت الروماني كالصحن في البيت المشرقي، عنصر أساسي (اللوح رقم 2).

ولئن وجدنا في الفيلات الرومانية البرك ونوافير المياه، فان الاهتمام بالماء عند العرب القدماء كان موجوداً وعثر على تطبيقه المعماري في البرك التي يرجع أقدم مثل واضح لها إلى البركة المستطيلة المبنية بالحجر المنحوت في احدى باحات قصر اوغاريت الكنعانية. ويرجع تاريخها إلى حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد. كما أن بعض العناصر الزخرفية التي شاع استعمالها في العمائر والبيوت الرومانية كالفسيفساء والفريسكو أو الرسوم الجدارية، وجدت لها أصول معروفة قبل عشرات القرون في المدن العربية القديمة[1] كذلك فان الرواق المحمول على الأعمدة والذي أصبح عنصرا معماريا هاما في العمارة الرومانية، يحيط بفناء البيوت والفيلات الرومانية عثر عليه مستعملا في (أبله) (أواخر الألف الثاني).

ولا شك بأن الأقباء والقباب استعملها سكان بلاد الرافدين قبل أن يعرفها الرومان بألوف السنين ولعلها انتقلت اليهم عن طريق الاتروسكيين الذين هاجروا من آسيا الغربية واستوطنوا أواسط إيطاليا في الألف الأولى قبل الميلاد.

وقد تمكن الرومان بفضل استخدام البيوت (الخرسانة) والحجر من تطوير القباب والأقباء للحصول على قاعات أكثر اتساعا. وأصبح من السهل إقامة وحدات مربعة مسقوفة بأقباء متقاطعة أو بقبة.

والخلاصة فان البيوت العربية التي انشئت في بلاد الشام قبل الاسلام كانت تبنى بالحجر وتسقف بالربد (بلاطات طويلة من الحجر)، أو بالأقباء المتقاطعة، كما استعملت السقوف الخشبية الجملونية المغطاة بالقرميد.

البيت في الحضارة الاسلامية

1 ـ العهد الأموي

كان طبيعيا أن يتأثر البيت العربي بالدين الجديد، كما تأثرت العمارة والفنون وأسلوب الحياة، على أنه لم يصلنا أي نموذج أو وصف دقيق لما كان عليه البيت في صدر الاسلام.

ومما لا شك فيه أن البيت التقليدي المنفتح نحو الداخل ذي الفناء والحجرات الملتفة حوله لاءم مبادىء الاسلام واتجاهاته الاجتماعية والدينية وخاصة ما يتعلق منها بالمرأة، ووجد فيه المواطن المسلم راحته فدعم أسس هذا البيت ورسمها.

ونريد أن نلاحظ بأن الشكل الذي وضع عن بيت النبي صلى الله عليه وسلم ما هو الا خطوط عامة تمثل وضع البيت بالنسبة للمسجد، فهو لا يعطي فكرة واقعية ودقيقة، فليس من المعقول أن تكون الغرف التي يسكنها الرسول وأهل بيته مفتوحة على صحن المسجد المفتوح لعامة المسلمين، ولا بد ما رمز إليه بالغرف كان وحدة سكنية، وقد أثارت كتب السيرة إلى وجود ما يسمى بالبيوت، بيت عائشة وبيت خديجة، وهكذا...

ومع الازدهار والتطور الحضاري الذي حدث في العهد الأموي، ولا سيما على أرض الشام، خرج البيت الاسلامي من اطار البساطة والتقشف. وفي ظل حركة الأعمار التي عرفتها الدولة الاسلامية لاشادة المساجد والقصور، وظهور الفن المعماري الجديد الذي يعكس الذوق العربي والمثل العليا للاسلام، ظهر البيت العربي الاسلامي ممثلا أحسن تمثيل في تلك القصور الأموية التي نجد العديد منها في بادية الشام، وفي الأردن وفلسطين، وما القصر الا بيت كبير، أو مجموعة من البيوت لها صفات مشتركة.

ومن المؤسف ان لا نعثر على بيت واحد في المدن، والتنقيبات التي بدأت في دمشق بحثا عن آثار (الخضراء)، دار معاوية التي كانت تجاور الجامع من ناحية الجنوب لم تستكمل، وأهم ما وصفها به المؤرخ ابن عساكر قوله : (الخضراء من بناء أهل الجاهلية، من البناء القديم، أعاد بناءها معاوية بالطوب ثم نقضها وبناها بالحجارة)[2].

اذن لم يبق أمامنا سوى المنازل الأموية المشيدة خارج المدن، ويمثلها أحسن تمثيل الحير الغربي الذي كشف عن مخططه وعناصره المعمارية والزخرفية كاملة. ونجد في الحير الغربي دارا كبيرة يحيط بها سور مرتفع، خال من الفتحات، في وسطها صحن واسع يحيط به رواق على أعمدة، توزعت خلفه أجنحة السكن على طابقين وهي بيوت متلاصقة، يتكون كل بيت من بهو واسع تنفتح على جانبيه الغرف بشكل يراعى التناظر والتناسق في التوزيع، بعضها مربع وبعضها مستطيل الشكل.

وفي الحير الشرقي الذي تأكد لدينا بأنه عرف (بالزيتونة)[3] الاسم الذي تردده النصوص القديمة، نجد في القصر الكبير مجموعة من البيوت المستقلة تتوزع حول الساحة الرئيسية، ويتألف كل منها من صحن سماوى محاط برواق، وتتوزع خلفه القاعات والغرف (انظر المخطط في اللوح رقم 2).

2 ـ البيت في العهد العباسي

ونبحث عن البيت العربي في العهد العباسي فلا نجد اثاره سوى داخل القصور ومنازل

الأمراء ويتبدى لنا الفرق والتغير واضحا اذا ما نظرنا إلى آثار قصور سامراء (الجوسق الخاقاني، بلكوارا، قصر الجص...).

ونلاحظ بان القصر العباسي لم يعد بيتا كبيرا كما كان القصر الأموي بل غدا أشبه بمدينة ملكية فيها الباحات الواسعة والملاعب والحدائق، وبيوت السكن والحمامات وقاعات العرش والاستقبال.

على أن خير ما يعطينا فكرة واقعية عن البيت العباسي، تلك البيوت التي نجدها في قصر الاخيضر الحصين، وهذا القصر العباسي الوحيد الذي مازال قائما ترتفع أسواره المبنية بالحجر والجص قرابة العشرين مترا.

داخل هذا القصر الذي شيد في عهد الخليفة المنصور، والمرجح انه كان منزلا لعمه عيسى بن موسى، نجد بيوتا مستقلة تتشابه في تخطيطها، تحيط بقصر مركزي كبير (انظر اللوح رقم 4). ولعل هذه البيوت المتعلقة كانت لرجال الحاشية يتكون البيت من صحن أقيم في طرفيه المتقابلين جناحان يتألف كل منها من بهو واسع كالايوان، وعلى جانبيه غرفتان مفتوحتان عليه وعلى الصحن. وتميز في هذه الأجنحة شكلين من التخطيط.

فبعض البيوت يتقدم اجنحتها السكنية برواق أو سقيفة ذات ثلاث فتحات وقد تحول البهو إلى ايوان حقيقي، وبعضها خلا من الرواق.

ويعزو البعض هذه البيوت إلى تأثيرات العمارة الساسانية، حيث عثر على نموذج شبيه بالشكل الأول أي الجناح ذي السقيفة في قصر الشيرين بينما عثر على الشكل الآخر في فيروز أباد، لكن البيت بتخطيطه العام لا يشبه أي منشأة ساسانية بل يتصف بالأصالة، وقد حوى الصحن في طرفه الثالث كما يشاهد في المخطط على رواق من خمس فتحات. بينما فتح الباب في الطرف الرابع، حيث يؤدى إلى الدهليز المشترك الذي يحيط بالقصر المركزي[4].

بيوت الفسطاط

نماذج أخرى للبيت في العهد العباسي عثر عليها في فسطاط مصر حيث كشفت التنقيبات التي قام بها المرحوم (علي بهجت) و(البير كابرييل) عن معالم واضحة لعدد من البيوت يرجع تاريخها إلى العهدين الطولوني والفاطمي، أي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين.

ويبدو التشابه كبيرا بين هذه البيوت وبيوت الأخيضر التي مر وصفها وليس ذلك غريبا اذا عرفنا ان فن سامراء العاصمة قد انتقل إلى مصر وانتشر بشكل محسوس على يد أميرها أحمد بن طولون.

لكننا نلاحظ في بيوت الفسطاط أنها لم تتوقف عند اقامة الجناحين الموجودين في الأخيضر بل تعدد فيها الوحدات الكتية وإن بعض البيوت زود بجناح اضافي يجاور الباب وله

فناء خاص صغير. وتعددت الأواوين المطلة على الصحن وغدت في البيوت الكبيرة ثلاثة أو أربعة.

وكان الصحن يحتوي اضافة إلى أحواض الزرع على بركة ماء تخرج منها في بعض البيوت قناة إلى فسقية في ايوان أحد الأجنحة. ونجد في بيوت الفسطاط كذلك اهتماما خاصا بالمدخل الذي أصبح ممرا منكسرا في دهليز طويل أحيانا، وهذا ما يعطي للصحن الداخلي عزلة كاملة (انظر اللوح رقم 4).

وهكذا نجد أن البيت العربي الاسلامي قد انتقل إلى مرحلة جديدة من التكامل.

وهناك ظاهرة في التخطيط تلفت الانتباه في أكثر بيوت الفسطاط تتعلق بعدم انتظام الحدود الخارجية وكذلك عدم استقامة جدران الغرف والوحدات السكنية الأخرى، فلا تؤلف الجدران فيما بينها زوايا قائمة، باستثناء الأقسام الرئيسية كالصحن وواحد من الأجنحة والرواق الموازي له.

ولعل السبب في عدم انتظام الجدران الخارجية، تداخل حدود البيوت أو توسيع رقعة البيت مع الزمن، يدل على ذلك التواء الأزقة وعدم انتظام الدروب الأمر الذي نلحظه في معظم المدن العربية القديمة.

وأخيرا لا بد أن نتساءل عن وجود طوابق علوية في هذه البيوت المبنية باللبن (الطوب) والاجر (اللبن المشوي) والمسقوفة بالخشب وسقف النخل، أو بالأقباء المعمولة من اللبن والاجر في بعض الأماكن كالأواوين. حيث لم يعثر في الأطلال على أكثر من جدران الطوابق السفلى، وكانت مكسوة بالجص الذي يحمل أحيانا نقوشا وزخارف شبيهة بالتي شاعت في مباني سامراء.

ولقد أكد الدكتور فريد شافعي[5] عند دراسته لهذه البيوت على تعدد الطوابق فيها مستدلا من سماكة الجدران اولا، ومن وجود أنابيب من الفخار لنقل الماء فيما بينها، وقنوات تصريف، وادراج السلالم.

ويرى الدكتور شافعي بان بيوت الفسطاط كانت مزودة بشبابيك مفتوحة على الفناء الداخلي ولها مشربيات تصنع من الخرط أي الخشب المخروط المعشق في بيوت ذوي الياد، أو من الخرازانات أي القصب أو العصي ذات المقطع نصف الدائري ولا ندري مدى صحة هذا الرأي لأنه يقول بأنه لم يعثر على أثر لهذه المشربيات، ولا على أي نوع من الأخشاب كالأبواب والشبابيك لأنها كانت عرضة للحريق والسرقة.

3 ـ البيت في العهدين السلجوقي والأيوبي

لم يعثر حتى الآن على بيوت من هذا العهد، مما يجعلنا نبحث عن شكل البيت في

المنشآت الأخرى المعاصرة. ولا شك أن تجديدا طرأ على تنظيم البيت في العراق والشام تبعا للتطور الذي حدث في الفن المعماري عامة.

فالمعروف ان بناء المدارس شاع وانتشر على عهد السلاجقة ثم الأيوبيين من بعدهم، وشيدت كذلك الخانقاهات (الرباطات) والبيمارستانات. وكان المخطط العام لهذه المباني شبيها بمخطط البيت، صحن تتوسطه بركة، وتحيط به قاعات وأواوين، ومجموعة من الغرف في الطابق العلوي. ويدخل اليها من باب يؤدي إلى دركاه (دهليز). ولا بد أن نعلم هنا بأن اهتمام السلاجقة ببناء المدارس منذ عهد الوزير نظام الملك الذي تحمس في نشر مذهب السنة للتغلب على خطر الشيعة والباطنية والمذاهب المنحرفة، كان بمقدوره استخدام المساجد لهذا الغرض، وقد كانت من قبل مكانا للعبادة والتعليم. ولكن من أهداف المدرسة كما بدا من تصميمها الذي يختلف كثيرا عن تصميم المسجد أن تكون مقرا للمدرسين وطلاب العلم، فهي تضم إلىٰ جانب قاعات الدرس والمسجد غرفا عديدة صغيرة للسكن، ووجدنا في بعض المدارس تصميما يجعل في المدرسة أجنحة خاصة للسكن منعزلة عن القسم الأساسي للمدرسة المؤلف من المسجد وقاعات الدرس وأحيانا التربة. وهذه الأجنحة بيوت حقيقية تتألف من صحن خاص بها، وأوانين وغرف موزعة على طابقين مختلفة الحجم نضرب مثلا على ذلك مدرسة الفردوس التي أنشأها الأيوبيون في حلب (انظر المخطط في اللوح رقم 5) وقد طبقت هذه الفكرة فيما بعد حين شيدت مدرسة السلطان حسن في القاهرة في العهد المملوكي مع اختلاف في تخطيط البناءين.

والذي نراه بأن مخطط المدارس أو وحداتها السكنية المماثلة لم تكن تختلف عن شكل البيت، سوى ان المدارس كانت أكثر عناية من حيث مواد البناء والفن المعماري. كأن تجعل لها بوابة فخمة مزينة بالمقرنصات وغير ذلك من عناصر الفن السائد مما لا نراه الا في بيوت ذوى اليسار أو الأمراء وقصور الحكام. فما الرباط الناصري في حلب سوى دارين احداهما للرجال والأخرى للنساء وقد حل المسجد المقام في جناح الرجال الكبير محل قاعة لاستقبال الكبيرة وهو مؤلف من قسم متوسط مسقوف بقبة وعلى جانبيه ايوانات عن يمين وشمال معقودان بقبوة طويلة.

كذلك نجد مدرسة الصاحبة والبيمارستان القيمرى وهما من عمائر الايوبيين في دمشق أشبه بدارين حقيقيتين (اللوح رقم 5) والذي أكد لي هذا الرأي حول التشابه بين البيت والمدرسة ما عثرت عليه من أخبار تشير إلى أن الكثير من المدارس التي اشتهرت في دمشق كانت في الأصل بيوتا ومساكن.

فالمدرسة البادرائية وهي من مدارس العهد الأيوبي المشهورة كانت دارا لاسامة (الامير اسامة بن منقذ).

والمدرسة الشبلية كانت دارا لشبل الدولة. والمدرسة العادلية الصغرى كانت دارا اشترتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبوبكر وجعلتها مدرسة. والاقباليتان الكائنتان بالقرب من

المدرسة الظاهرية كانتا دارين اشتراهما الأمير جمال الدولة اقبال، وجعل احداهما مدرسة للحنفية والأخرى للشافعية والدخوارية كانت دارا اشتراها شيخ الأطباء ابن الدخوار وحولها مدرسة للطب.

وعلى العكس من ذلك فان مدارس عدة كانت قد اتخذت دورا خاصة بمسكن العلماء والمدرسين، من ذلك المدرسة البدرية اعطيت لبسط ابن الجوزى (مؤلف كتاب مرآة الزمان المشهور) والمدرسة العادلية اعطيت للقاضي ابن خلكان (صاحب كتاب الوفيات).

ونخلص إلى القول بانا اذا افتقدنا نماذج للبيت العربي في هذا العهد الوسيط من عهود الحضارة العربية الاسلامية، فانا نجد صورة مماثلة منه في هذه المدارس والرباطات والبيمارستانات التي يوجد منها الكثير اليوم، ولا سيما في مدينتي دمشق وحلب.

وأريد أن أشير إلى نوع آخر من التخطيط ظهر في عهد السلاجقة امتد تأثيره لعدة قرون على بناء المدارس والمساجد والقصور والبيوت. ولقد ظهر على الأخص في الأناضول للتغلب على برودة طقس تلك المنطقة. ذلك هو التخطيط القائم على أساس الصحن المسقوف، فلقد حافظ السلاجقة على التخطيط المألوف المكون من صحن وأواوين وغرف موزعة في الأركان وجعلوا الصحن مربعا مسقوفا بقبة، واحتفظوا ببركة الصحن، وهكذا أصبح البناء وحدة مغطاة كلها (انظر اللوح رقم 5).

وانتقل تأثير هذا التخطيط إلى الشرق العربي فظهر أول ما ظهر في المدرسة التي شيدها السلاجقة عند برك الناقة في بصرى الشام. ثم في المدرسة الركنية الأيوبية في دمشق ثم في المدرسة الجقمقية التي شيدت في العهد المملوكي إلى الشمال من جامع دمشق الأموي.

وأريد أن أشير إلى ظاهرة لفتت انتباهي خلال دراستي لتاريخ دمشق العمراني(6) تتعلق ببيوت النزهة، أو ما اطلق عليها وقتئذ الجواسق (جمع جوسق) وهي كلمة فارسية رأيناها تطلق على بعض القصور العباسية كقصر المعتصم في سامراء (الجوسق الخاقاني) تشبيها لها بالقصور.

ذكرت المصادر ان السلطان نور الدين حين شاهد ما كان يحظى به الأغنياء من متعة السكن والتنزه بالجواسق والمقاصف في دمشق، أمر ببناء قصر في الربوة خاص بالفقراء خلده بعض الشعراء في قصيدة، نذكر منها هذا البيت :

عَمَرَ الرَّبوةَ قصرًا شاهِقًا   نُزهـةً مُطلقـةً لِلفُقَـراء

وانها لظاهرة تدل على الرفاه والرغبة في التحرر من جو المدينة المكتظ بالسكان، حيث يجد الانسان في هذه البيوت ما لا يتحقق له في المدينة من هواء عليل وطبيعة جذابة، تتوفر فيها الخضرة والماء، اشتهرت بها أرباض دمشق كالنيربين والربوة والمزة وسفوح قاسيون.

وبدا لنا بأن هذه البيوت كانت موسمية يخرج إليها أصحابها في الربيع والصيف، فاذن هي أشبه ببيوت الاصطياف في عصرنا.

ونعود أيضا إلى النصوص لنجد ما وصفت به بيوت دمشق في ذلك العهد فلقد قال في وصفها الرحالة ابن جبير الذي زارها في أواخر القرن السادس (12 م) (وبيوتها طين وقصب، طبقات بعضها فوق بعض، ولذلك يسرع الحريق إلى البلد وهو كله ثلاثة طبقات فيحتوي من الخلق ما تحتوي ثلاثة مدن)[7].

ويبدو أن زيادة الارتفاع في البيوت كانت تعبيرا عن ضيق الأرض ورغبة الناس في السكن داخل الأسوار، فالاتساع الأفقي لا يقدر عليه غير ذوي الثراء لا سيما حين ترتفع أثمان الأراضي، وليس هناك من سبيل أمام العامة عند تكاثر أفراد الأسرة في البيت الواحد الا باللجوء إلى زيادة عدد الطوابق.

وفيما يخص مواد البناء في قول ابن جبير، فان المادة التقليدية كانت وحتى عهد قريب تعتمد على الاجر واللبن والخشب، ولا يستعمل الحجر الا في الأساسات وأماكن جد محدودة على خلاف المباني العامة كالمساجد والمدارس وبيوت الخاصة وذوي الثراء. ولقد أبدى المقدسي أيضا قبل ابن جبير (القرن الرابع) ملاحظة مماثلة حين وصف مدينة دمشق : (وأبنيتها خشب وطين، ومنازلها ضيقة، وأزقتها غامة) بينما عرفت بيوت حلب وحتى الفقيرة منها باستعمال الحجر كمادة تقليدية تعتمد عليها من زمن بعيد وحتى يومنا.

وقد لاحظ القدماء هذا الفرق، فقال القلقشندي (صاحب كتاب صبح الأعشى) حين عقد مقارنة بين بيوت دمشق وحلب : (وعناية أهل دمشق بالمباني كثيرة وان كانت حلب اجمل بناءً لعنايتهم بالحجر، فدمشق ازين وأكثر رونقا لتحكم الماء إلى مدينتها، ويستعمل في عمارتها الخشب الحور بدلا من خشب النخل، الا أنه لا يغشى بالبياض، ويكتفي بحسن ظاهره).

4 ـ البيت العربي في العهد المملوكي

وتصبح البيوت في العهد المملوكي أكثر اشراقا وجمالا، كنتيجة لما حدث من تطور على الفنون والعمارة، حيث انطلقت من جو الجد والصرامة التي كانت عليه في العهد الأيوبي لتحقق المزيد من التجديد والتنويع في العناصر والاسراف في الزينة والزخرفة، وكان ذلك تعبيرا عن الترف والرفاه الذي نتج عن انتهاء الحروب الصليبية، والازدهار الاقتصادي الذي عرفته البلاد في أكثر أيام العهد المملوكي.

وأصبحت العمائر ترفل في الزينة والزخرفة داخلا وخارجا، حيث لم يدع الفنان المسلم مكانا في الأرض والسقوف والجدران الا وكساه بعنصر زخرفي من رخام ملون أو مقطع على هيئة الفسيفساء يمازجها الصدف أو رخام منقوش مغشى بالذهب، وخشب محفور أو مطعم

ومدهون بالأصبغة. وحتى سطوح القباب والمآذن لم تبق على ما كانت عليه، بل كسيت بالزخارف المتنوعة.

فهذه الثورة الفنية اذن لا بد أن تنعكس على البيت العربي في المناطق الخاضعة للسلطنة المملوكية ولا سيما مصر والشام.

ونبحث عن آثار البيوت والقصور فلا نجد سوى النزر اليسير، ففي القاهرة بقايا وقطع متناثرة من بيت قايتباى والغورى والأمير طاز وقوصون، وقاعة من بيت محب الدين (انظر اللوح رقم 10) التي تحدى على قبة مقرنصة فوق القبة.

بينما لا نجد في بلاد الشام اليوم شيئا منها سوى الصورة التي حفظها لنا عنها العمري (القرن الرابع عشر للميلاد) حين تحدث عن دمشق : (وبها الديار الجليلة المذهبة السقوف المفروشة بالرخام، ومنها ما هو مؤزر الحيطان بالرخام المنوع، المصقل بالصدف والذهب. ذات البرك والماء الجاري، يجرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها).

وحين وصف القصر الأبلق، قصر الظاهر بيبرس (668 هـ) : (مبنى بالحجر الأسود والأصفر، مدماك من هذا ومدماك من هذا، ويدخل إليه من دركاه له جسر راكبا بعقد على مجرى الوادي إلى ايوان براني ثم يدخل إلى القصر من دهاليز فسيحة تشتمل على قاعات ملكية بالرخام الملون مموهة بالذهب واللازورد والفضى المذهب[8] وازر بالرخام إلى سجف السقف، والدار الكبرى بها ايوانات متقابلات[9] الخ...)

وينطلق هذا الوصف تماما على ما نراه اليوم من المباني العامة كالمدارس والمساجد وهي كثيرة في مصر والشام وعلى البقية التي ذكرناها من بيوت القاهرة وتتشابه كلها في التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفية من ذلك البوابة ذات المقرنصات والدركاه أو الدهليز خلفها، والعقود الحجرية والرخام الملون، أو الفسيفساء الرخامية في البلاط ووزرة الجدران، والسقوف الخشبية الملونة والملاحظ أن الفن الاسلامي الذي ترسخ في العهد المملوكي في حقل العمارة والزخرفة وبناء البيوت قد استمر لقرن أو أكثر. حيث نجد اثاره في البيوت والعمائر العثمانية الأولى مما يجعل التشابه كبيرا بينها وبين ما انشىء في أواخر العهد المملوكي، ويأتي كمثال على ذلك بيت جمال الدين الذهبي في القاهرة (1047 هـ) وبيت رجب باشا في حلب وبين الزهراوي في حمص، وبيت في دمشق تحول إلى مدرسة زينت فواز، هذه البيوت يحسب من يراها للوهلة الأولى بأنها من العهد المملوكي.

وقبل ان ننهي الحديث عن بيوت هذا العهد لابد أن نذكر تصميما معماريا جديدا ظهر في مجال السكنى، عرفته القاهرة بشكل خاص. ذلك ما عرف (بالربع)، وقصد به المجمع السكني وكان يتألف من صحن كبير مشترك تتوزع حوله بيوت صغيرة موزعة على عدة طبقات تبلغ الخمس أحيانا تؤجر للأسر الفقيرة وأقيمت في الطابق الأرضي من البناء دكاكين على الشارع.

ولعل هذه الفكرة انما وجدت من أجل حل ازمة السكن، وتذكرنا هذه المنشأة بفكرتها وتخطيطها وتعدد الطبقات بمثيلتها التي عرفت عند الرومان أي ما اطلق عليه (انسولا ـ INSULA).

5 ـ البيت العربي في العهد العثماني

نصل في هذا العدد إلى خاتمة المطاف في تطور البيت العربي فالبيوت التي نشاهدها يرجع معظمها إلى ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. وتعتبر حصيلة خبرات قرون ونتيجة تجارب حضارات مارسها الانسان العربي والمسلم في المشرق والمغرب على السواء، في مجال التخطيط واختيار العناصر والحلول المناسبة بحثا عن المسكن المثالي الذي يحقق راحة الجسم والنفس ويلبي الرغبات ويرضي الأفكار النابعة عن الدين والمجتمع، ويتلاءم مع الاقليم والمناخ، ويرضي الذوق والميل الفني وهو ميل أصيل تميز به الانسان في الحضارة العربية الاسلامية.

هذا ما استيقنته اثر زيارتي للعديد من هذه البيوت العامرة إلى اليوم في القاهرة ومدن الشام وتونس والجزائر والمغرب والحجاز واليمن، وقراءتي ما كتبه عنها العلماء والرحالة قديما وحديثا وما أبدوه من اعجاب وتقدير لمزاياها وانه لدليل ناصع على ما في تراث حضارتنا العربية الاسلامية من روائع ومحاسن تدعو للفخر والاعتزاز.

ومن المؤسف حقا ان تذهب هذه الثروة من البيوت التي تزخر بها المدن العربية ولولا اقدام سلطات الآثار في هذه الدول على حماية بعض منها بادراجه في سجل الآثار لسارت في طريق الانقراض ولما بقيت شواهد للاجيال المقبلة تحدثهم عن نمط الحياة السكنية التي عاشها اجدادهم.

سأقوم بوصف كامل لبيت نموذجي من بيوت المشرق وأقول المشرق لأني قصرت بحثي على البيت في المشرق العربي الاسلامي وان كانت هناك خصائص تكاد تكون واحدة تشمل البيت في المشرق والمغرب، فهي جميعا تنتمي لحضارة واحدة وتستمد من تراث مشترك، وإن كانت هناك بعض الفروق في التفاصيل، فمردها إلى اختلاف الاقليم أو الموارد المتوفرة، أو إلى العادات المحلية الموروثة، حتى اننا نلحظ هذا الاختلاف بين بيوت البلد الواحد، كما رأينا قبل قليل في المقارنة التي عقدها القلقشندي بين بيوت دمشق وحلب. وإني لأرى بأن لكل بيت شخصيته التي أسهم في ابرازها طبيعة الأرض ورغبات السكان وأذواقهم في اختيار المواد والعناصر وطريقة توزيعها، وأخيرا ما يعمد إليه المهندس أو المعمار من محاورة الابتكار والتجويد. وسوف أشير إلى هذه الفروق في حينها.

1 ـ البوابة والمحيط الخارجي :

مما يستلفت الانتباه ان المظهر الخارجي للبيت بسيط لدرجة مسرفة في التواضع بالمقارنة بما في الداخل من الروعة والجمال. فالجدران ساذجة صماء خالية من الفتحات في الأصل الا

من نوافذ ضيقة وعالية بالنسبة لمستوى الشارع والجدران مبنية بالحجر الغشيم في أجزائها السفلى وبالاجر واللبن والخشب فيما تبقى. باستثناء بيوت حلب التي تعتمد على الحجر كليا كما أسلفنا، والجدران سميكة عادة سواء كانت من الحجر أو اللبن، وهذا يساعد على التخفيف من وطأة الجو الخارجي الحار أو البارد، علما بأنه لا يتعرض من الجدران الخارجية لتأثير الجو سوى جزء محدود بسبب اندماج الأجزاء الأخرى مع الجدار.

أما ما نشاهده في بعض البيوت من فتحات على الشارع فيعتبر عادة دخيلة على البيت العربي. واستتبع استعمال هذه الفتحات وضع حواجز خشبية دعيت في مصر بالمشربيات[10] نجد نماذج لها في وكالة الغوري وفي بيت قايتباى من أواخر عهد المماليك، ولكن ما نشاهده من بروز قد يكون من عهد لاحق أي من العهد العثماني، وهكذا تحولت المشربيات إلى ما يعرف بالروشن[11] أو الكشك الذي يطل على الشارع من ثلاث جهات.

واستخدمت هذه المشربيات البارزة في بيوت القاهرة لتغطية الفتحات المطلة أيضا على الفناء الداخلي، وهذا شيء لا نظير له في بيوت الشام، ولعل السبب يرجع إلى شدة المناخ في القاهرة والرغبة في التخفيف من وطأة الشمس والنور، وقد يكون هناك دافع آخر اجتماعي يتصل بالحجاب والمرأة حيث تسمح المشربية للنساء الاطلالة على الصحن في أوقات الحفلات ووجود الرجال دون أن يكشفن.

ولكن لا تسيء الشربية إلى تصميم الواجهة فقد اعتنى بصنعها وزخرفتها بالخشب المخروط وبالرسوم والاشكال لتغدو قطعة فنية.

ولم تعرف البيوت الفتحات على الشارع في بلاد الشام الا في عهد متأخر ولعل ذلك لا يرجع إلى أبعد من القرن التاسع عشر حين شاعت عادة فتح شبابيك في الطابق الأرضي فوق مستوى الرؤية، وزودت الطوابق العليا بفتحات كبيرة تغطيها الأكشاك أو الرواشن (انظر اللوح رقم 13) وهذا تعبير عن مزيد من التحرر الانطلاق والرغبة في الحصول على مزيد من النور والهواء، فضلا عما فيه من كسب في المساحة على حساب الشارع[12].

ونجد هذه الرواشن مستعملة بشكل واسع في بعض مدن الحجاز كمكة وجدة حيث يختلف هنا تصميم البيوت عن البيت التقليدي الذي نصفه. فهي خالية من الصحن، وتتألف من عدد من الطوابق تصل إلى خمسة أحيانا، ولذا فانها تسمى بالبيوت الأبراج فهي شبيهة بذلك ببيوت صنعاء اليمن نجد في البيت رقعة ضيقة أو ممرا مكشوفا، ولكن الاعتماد الكلي في الحصول على النور والهواء على الفتحات الخارجية التي وضعت أمامها الحواجز الخشبية البارزة أو الرواشن (انظر اللوحين 8 و9).

أما باب البيت فهو مفتوح على الشارع أو على زقاق ضيق في ركن واحد من الجدران الخارجية ثم يؤدي إلى دهليز أو دركاه، كي لا ينفتح على الصحن مباشرة محافظة على الخصوصية وحرية السكان، وغالبا ما يكون الدهليز في ممر منكسر، ويعلق الباب بمصراع

كبير من الخشب الجيد، وقد يزود بفتحة صغيرة (تسمى خوخة) ويحيط بالباب اطار حجري معتنى به، وقد تكون حجراته من ألوان متناوبة وقد يعلو الباب شباك صغير عليه (خص) أو مشربية.

2 ـ الصحن أو الفناء الداخلي وخصائصه :

الصحن في البيت العربي عنصر رئيسي وله مكانة كبيرة في أسلوب السكن والمعيشة، يفاجأ الداخل إليه باحساس الانتقال المفاجيء من اطار البساطة إلى جو غني بكل مظاهر الجمال والبهجة لما يراه في الصحن وعناصره والواجهات المحيطة به من عناية فائقة معماريا وفنيا. فالأرض مبلطة بالحجارة البيضاء أو الرخام الملون، مرصوفة بأشكال هندسية منتظمة. وفي وسط الصحن بركة ماء مستطيلة أو مربعة أو مضلعة، تخرج من وسطها نافورة تتساقط الماء منها بصور كصوت المطر وليس ما يطرب الانسان العربي ويسر ناظريه أكثر من رؤية الماء والخضرة. وفي أركان عديدة من الصحن توجد الأشجار وعرائش الكرمة والياسمين وأحواض الزهور وقد نجد كما في أكثر البيوت الحلبية مصطبة حجرية إلى جانب البركة تستخدم في أيام الأفراح (كتخت) للمغنين أو المغنيات. ونجد كذلك في البيوت الحلبية بئرا وصهريجا تغطيهما خرزة حجرية، نظرا لقلة المياه في هذه المدينة واعتماد أهلها سابقا على مياه المطر.

هذا وللصحن وظائف ومنافع عديدة نذكر منها :

أ) الناحة الصحية : يمد الصحن أقسام البيت بالنور والهواء وأشعة الشمس ويلطف من برودة الجو شتاء وحرارته صيفا بتحول إلى خزان كبير للهواء البارد في ليالي الصيف فيمد أقسام البيت ببرودته حتى ساعات متأخرة من النهار، وبالعكس فانه يحتفظ في الشتاء بدفء النهارات المشمسة ليمد بها غرف البيت ساعات بعد غياب الشمس.

ب) الناحية الاجتماعية والنفسية : يعتبر الصحن النافذة التي يطل منها الانسان على الكون اللانهائي تظلله على الدوام قبة السماء بشمسها ونجومها وغيومها ويحس بالحرية المطلقة والهدوء والطمأنينة، والصحن مكان التقاء أفراد الأسرة وتعاونهم ومكان للجلسات الصباحية والمسائية، واللقاءات الاجتماعية فهوا أحسن مكان لاحياء الحفلات والسهرات ومكان رحب لمناسبات الأفراد والاتراح.

3 ـ الواجهات الداخلية :

تؤلف الواجهات الخلفية المعمارية، حيث تتوزع الأواوين والأروقة وفتحات الأبواب والشبابيك في تصميم معماري زخرفي رائع وهي مبنية بالحجر المنحوت المتناوب الألوان أحيانا، تتخلله الأشرطة الزخرفية والعقود والمحاريب والنقوش والمقرنصات ورقاع

الفسيفساء[13] وتتفاوت ارتفاعات الواجهات بحسب الوحدات السكنية فيتكون من مجموعها خط متكسر بعيد عن الرتابة.

وتتنوع أشكال الفتحات، فمن شبابيك مسقوفة بساكف، مستطيلة الشكل يغطيها حبل من قضبان الحديد، خلفه درقات الزجاج والخشب، وطاقات مستديرة (قمارى) ونوافذ مقوسة في اعلاها بعقد مجزوء أو نصف دائري. وللأبواب مصاريع من الخشب المتقن الصنع المزود بالحشوات الهندسية والمطعم بالعاج أو الصدف. (انظر الألواح 13 ـ 15).

ويختلف منظر الواجهات بعض الشيء في بيوت القاهرة، حيث نجد (التختبوش) بدلا من الايوان، فهو ظلة مفتوحة على الصحن بدون قنطرة كالايوان، ونجد المقعد الذي يحتل مكانة في الطابق العلوي أو بين الأرضي والعلوي وهو غرفة مفتوحة كليا على الصحن تتألف واجهته من قنطرتين فهو أشبه بالشرفة (الفيراندا) في البيوت الحديثة، وهناك المشربيات (الاكشاك الخبية) الجميلة مما لا نراه في البيوت الشامية (انظر اللوحين 11 و12).

4 ـ الوحدات السكنية :

تتوزع حول الصحن الوحدات السكنية على جهاته الأربع في أغلب الأحيان ففي احدى الجهات نجد الايوان وهو كغرفة واسعة مفتوحة كليا على الصحن بقنطرة من الحجارة الملونة والمزخرفة، ويرتفع مقدار درجة عن مستوى الصحن، محاط أحيانا في داخله بمصطبة مفروشة للجلوس والاستحمام، وغالبا ما يجعل موقع الايوان في الجهة الجنوبية ويسمى عندئذ شمالي لأنه يطل على الجهة الشمالية وللاعلى لا يكون معرضا لأشعة الشمس، أو يكون غربيا ليتقبل الرياح الغربية وعلى جانبي الايوان غرفتان مفتوحتان على الايوان فقط، ولها شبابيك مفتوحة على الصحن وعلى الايوان وبذلك تتكون وحدة منسجمة من الايوان والغرفتين، وفي جانب آخر من الصحن نجد عدة غرف متجاورة في مستوى أرض الصحن أو نجد رواقا يتقدم الغرف ليحميها من أشعة الشمس.

وفي جهة ثالثة توجد القاعة الكبرى المخصصة لاستقبال الضيوف وتكون مرتفعة عن مستوى الصحن يصعد إليها بعدة درجات، ويقام تحتها أحيانا قبو ينزل إليه بدرج، والقبو عبارة عن غرفة مسقفة بقبوة ولها نوافذ على الصحن في مستوى الأرض، في أسفل واجهة القاعة. ويستفاد منه في حفظ المؤن أو كغرفة طعام صيفية بسبب ما يحتفظ به من الرطوبة وقد تزود بعض البيوت بما يسمى المغارة وتكون أكثر عمقا من القبو وتحدث أحيانا تحت الصحن.

وهناك في جانب آخر من البيت المطبخ وهو مكان واسع يضم الاثافي وأدوات الطبخ وأحواض الماء، وقد نجد في البيوت الهامة حماما متكاملا كالحمامات العامة لكنه أصغر منها، وكذلك جناحا خاصا بالضيوف وآخر بالخدم ولكل منهما فناء خاص ويتصلان بالفناء الاساسي الكبير بممرات مكشوفة أو دهاليز مسقوفة وهذا يستتبع أن يكون للبيت أحيانا أكثر من باب وقد يلحق بكتلة البيت اصطبل ودكاكين مفتوحة على الشارع.

هذا هو التخطيط العام للطابق الأرضي[14] في بيوت الشام ومصر (انظر اللوحين 6 و7) أما الطابق العلوي فنجده في أكثر البيوت، وهو لا يغطي كامل المساحة مما يدع مجالا لاحداث سطح أو أكثر يستفاد منه في بعض الحاجات المنزلية والجلوس في ليالي الصيف. ويصعد إلى الطابق العلوي بسلالم حجرية مخفية في مكان مسقوف أحيانا، أو ظاهرة في بعض جوانب الصحن، مزودة بدرابزين من الحديد أو الخشب وفي الطابق العلوي غرف وقاعات مخصصة للنوم وخاصة في الشتاء لكونها معرضة لأشعة الشمس أكثر من قاعات الطابق الأرضي حيث الظل والرطوبة والمياه مما يجعله مناسبا أكثر من الطابق العلوي للصيف.

وقد كثرت الفتحات في غرف الطابق العلوي رغبة في مزيد من النور والشمس والاطلالة على الصحن فأصبحت تؤلف واجهاتها سلسلة من الشبابيك الزجاجية[15] وقد زود بعضها بايوان صغير للجلوس[16] وزود البعض الآخر بممر مسقوف أمام الغرف يطل على الصحن للوصول إلى سائر غرف الطابق العلوي باستخدام سلم واحد بدلا من أن يخصص سلم لكل جهة. ومن النادر أن نجد طابقا آخر فوق الطابق العلوي ولكن قد يحدث أن تضاف غرفة واحدة وتكون غالبا من الزجاج والخشب اسماها أهل دمشق (الطيارة) بسبب ارتفاعها واشرافها على المحيط الخارجي. وهكذا نجد سكان البيت العربي قد تصرفوا بأشكال عديدة في تنظيم البيت تحقيقا لراحتهم وسعادتهم وارضاء لأذواقهم.

5 ـ كسوة القاعات وتنظيمها الداخلي :

تتألف القاعة الكبرى ومعظم الغرف الأخرى من عتبة واسعة تلي الباب يسميها المصريون (درقاعة) ويليها ايوان أو ايوانان متقابلان على جانبيها أو متعامدان أحيانا، أو ثلاثة أواوين موزعة على شكل الحرف (T) اللاتيني ويرفدها غرف مربعة تحتل بعض الأركان[17] كما هو الحال في قاعة الحرملك في بين العظم بدمشق (انظر اللوح رقم 6) وتسمى هذه الأواوين في دمشق (طرز وطرزات) وهي مفتوحة على العتبة بقنطرة معقودة بالحجارة الملونة المزخرفة بالفسيفساء وترتفع الأواوين عن مستوى العتبة بمقدار درجة. وتحتوي العتبة في أكثر القاعات على بركة ماء أو فسقية من الرخام الملون أو الفسيفساء الرخامية باطنها قليل العمق، تخرج من وسطها وحوافها نوافير الماء، وأرض القبة مبلطة بعناية بالرخام الملون ذي الأشكال الهندسية وسقفها يرتفع عن سقوف الأواوين كي تجلب النور إلى داخل القاعدة من نوافذ في اعلا السقف[18] وقد يكون السقف قبة كما في قاعة قصر العظم بحماة.

وتؤزر جدران الغرف والقاعات عادة بكسوة من الرخام الملون ويتخللها لوحات زخرفية من الفسيفساء (الأبلق) كالتي تقدم وصفها (انظر اللوح رقم 10).

وقد نجد بين هذه الكسوة سبيلا من الرخام المفصل بالأشكال والألوان يسيل منه الماء ببطء على سطحه العمودي المائل قليلا، لينصب في حوض من الرخام الجميل كما هو الحال في العديد من بيوت دمشق.

ويحل الخشب المزخرف في كسوة الجدران بدلا من الرخام ويتخلله المكتبات والخزائن وقد اشتهرت بيوت الشام باستعمال هذا النوع الجميل من الخشب في السقوف والجدران ويطلق عليه الحلقة العجمية، تغطي الخشب الزخارف النافرة النباتية والهندسية المصبوغة بالألوان الجذابة ويغشى بالذهب وتتخلله ألواح عليها آيات قرآنية وأشعار مكتوبة بماء الذهب (انظر اللوحين 13 و16).

وهكذا نرى بان القاعات في البيت العربي الاسلامي تحولت إلى متحف للفن الاسلامي وقد انفق عليها بسخاء ليرضي حب الجمال والميول الفنية التي جبلت عليها ابن الحضارة الاسلامية كما قلنا.

بعد هذا الوصف المعماري والفني لقاعات البيت العربي الاسلامي تبقى أمامنا ناحية تتعلق بالتكنولوجيا التي أبدعت المكيفات أي ما عرف بالملقف[19] بلغة العهود الماضية وقد شاع استعمال الملقف في كثير من بيوت البلدان التي يشتد فيها الحر. ويقوم الملقف على أساس فتحة في السطح يعلوها حاجز موجه نحو اتجاه الريح، يتلقف الهواء وسوقه الحر داخل القاعة عن طريق قناة محدثة في الجدار ولكي يحدث الجريان في القاعة، تفتح النوافذ العليا ليخرج منها الهواء الساخن وقد تحتوي بعض الملاقف على جرار تتساقط منها قطرات الماء فوق سطح من الفحم يمر فوقه الهواء فيبرد.

فاذا أضفنا إلى الملقف ما سبق أن ذكرناه عن مهمة الصحن والماء والنبات في تلطيف جو البيت عامة يتأكد لدينا ما كان يملكه البيت العربي من أسباب الراحة والرفاه.

الهوامـــــش

1 ـ عثر على أقدم شكل للفسيفساء في معبد (أورول) في العراق ويرجع إلى الألف الثالث فيما عثر على الرسوم الجدرانية (الفريسكو) في مارى وتل برسيب في سورية من الألف الثاني.

2 ـ أبلة ومارى من المدن القديمة في سورية، الأولى تقع في وسط البلاد، بين حماة وحلب والثانية في الشرق، بالقرب من الحدود العراقية، على نهر الفرات.

3 ـ انظر عن دار معاوية البحث الذي نشرناه تحت عنوان (قصور الحكام في دمشق) في مجلة الحوليات الأثرية السورية (المجلد 22/1982).

4 ـ انظر التحقيق الذين نشرناه عنه في مجلة الحوليات، المجلد 27 لعام 1977.

5 ـ انظر كتابه العمارة العربية في مصر ص 445.

6 ـ انظر مقالنا المنشور في مجلة الحوليات الأثرية السورية (المجلد 14، 1964) بعنوان تاريخ دمشق العمراني.

7 ـ ينطبق هذا الوصف تماما على تربة الظاهرة الموجودة في المدرسة الظاهرية بدمشق.

8 ـ لمزيد من المعلومات انظر مقالنا (قصور الحكام) الذي تقدم ذكره، وفيه حديث عن دار السعادة منزل نواب السلطنة في دمشق.

9 ـ اعددنا هنا أسماء بعض البيوت المشهورة في كل من القاهرة ودمشق وحلب ففي القاهرة : بيت جمال الدين الذهبي (1361 م) بين السميمي (1648 م) بيت ابراهيم كتخذا النارى (1694 م) بيت الكريتلية (1631 م) بيت السادات الوفائية (1659 م).
وفي دمشق : بيت العظم (مقر متحف التقاليد الشعبية) بين نظام ـ بيت خالد العظم (متحد مدينة دمشق) بيت المجلد ـ بيت سقا أمين ـ بيت جبرى ـ مكتب عنبر ـ بيت (مدرسة زينب فواز)
وفي حلب : بيت جنبلاط ـ بيت رجب باشا ـ بيت صايغ ـ بيت غزالة ـ بيت اجقباش ـ بيت صادر ـ بيت الدلال.

10 ـ يعتقد البعض أن اسم المشربية انما جاء من كلمة الشرب أو الممان الذي توضع فيه أدوات الشرب، القلة أو الشربة، وانا نشك في ذلك ولعله اسم محرف عن كلمة أخرى، فلقد استعمل الرحالة ابن جبير حين وصف الخشب المخروط كلمة مشرجيب والمشرجبة، وقد خففت الكلمة بحذف الجيم فأصبحت مشربية أي ان الاسم جاء من مادة الخشب وفي الشام يسمونها (الحفي) وهو نوع من القصب.

أما الأصل الفني للمشربية فانا اعتقد بأنها تطورت عن المشبكات أو الحواجز ذات الأشكال الهندسية التي توضع على النوافذ أو الشبابيك في العمارة الاسلامية أقدم نموذج لها صنع من الرخام موجود في جامع دمشق الأموي، ثم صنعت من الجص وعشقت بالزجاج الملون في العهود الاسلامية اللاحقة (جامع عمرو في الفسطاط وكثير من عمائر الشام في العهدين السلجوقي والايوبي) ثم صنعت بالخشب في نوافذ المباني المملوكية كما صنعت من البرونز والمشربية في الأصل هي هذا الحاجز أو الشبك دون البروز الذي أطلقنا عليه الروشن.

11 ـ أما الروشن فكلمة معربة وجدتها مستعملة في كتاب من القرن الرابع فاستخدمتها للتعبير عن البروزات الدفاعية التي تزود بها الحصون، وهي في الأصل من الحجر، وجد أقدم نموذج لها في العمارة الاسلامية في قصر الحير الشرقي، كما عثر على نماذج صغيرة لها في بيوت من العهد البيزنطي في الشمال السوري (منطقة المعرة).

أما الروشن الخشبي فيرجع بان استعماله ادخل على البيوت في العهد العثماني لكثرة استخدامه في بيوت استامبول وشواطىء البوسفور حيث يكثر استعمال الخشب، وأطلق عليه اسم المشربية أيضا في مصر وسمي في حلب كشك من الكلمة التركية التي انتقلت إلى اللغات الأوروبية وهي تعني القصر الصغير أو الشادروان وسماها أهل جدة وأهل دمشق روشن وهذا أقرب للصحة.

12 ـ انظر اللوح رقم 7.

13 ـ الفسيفساء المستعملة في هذا العهد وهي شائعة في البيوت الدمشقية على الأخص نوع جديد متطور عن الفسيفساء الرخامية ويسمونها (الأبلق) وهي مؤلفة من الحجارة الصقلية بحجم حجارة التبار نقشت عليها أشكال هندسية أو نباتية وملئت بعجينة ملونة فيتكون من مجموعها لوحات زخرفية.

14 ـ لا يشمل هذا الوصف البيوت في جدة وصنعاء التي اسميناها البيوت الأبراج لأنها تتألف من عدة طبقات ولها تنظيمها الداخلي الخاص (انظر مخططات لبعض هذه البيوت وواجهاتها في الألواح 7 و8 و9).

15 ـ انظر اللوح رقم 14.

16 ـ انظر اللوح رقم 15.

17 ـ يخيل إلينا أن هذا التخطيط مستمد من البناء السلجوقي الذي سبق أن تحدثنا عنه ذي الصحن المسقوف والأواوين المتقابلة، المزود بغرف في الأركان، وقد ظهر في المدارس وانتقل بعد ذلك إلى بلد العثمانيين وقصورهم (انظر اللوح رقم 5).

18 ـ يطلق العامة في مصر على سقف القبة أو الدرقاعة (الشخشيخة) ويكون على شكل منور مسقوف أو على شكل قبة كما رأينا في قاعة محب الدين في القاهرة (1350 م) وهي من العهد المملوكي (اللوح رقم 10) ونلاحظ في الصورة بأن طاسة القبة قد تحولت إلى شبك من الجص المعشق ذي الاشكال الهندسية، يقول حسن عبد الوهاب بأنها أو قبة من هذا النوع في مصر، لكني أضيف بأن الأصل الأول لها ظهر في المغرب، وأقدمها قبة جامعة تلمسان (الجزائر) التي شيدها المرابطون سنة (1135 م) وشيد بعدها المرينيون قبتين على شكلها أحداهما في جامع فاس جديد (1276 م) والثانية في جامعة تازة في المغرب (1294 م).

19 ـ يطلق عليه في بعض البلدان اسم (الباتنج) وفي ذلك اشارة إلى الأصل الفارسي للكلمة.

أهم المصـــــادر

ـ 1 ـ

المصادر العربية

1 ـ أنور شكري : العمارة في مصر القديمة 1970

2 ـ أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، 1969.

3 ـ رحلة ابن جبير، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة 1955.

4 ـ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار.

5 ـ ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، جزءان، القاهرة 1960 ـ 1964.

6 ـ ابن بطوطة : الرحلة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) القاهرة 1938.

7 ـ د. فريد شافعي : العمارة العربية في مصر.

8 ـ محمد بدر الدين الخولي : المؤثرات المناخية والعمارة العربية، جامعة بيروت.

9 ـ د. صالح لمعي مصطفى : عمارة الحضارات القديمة، دار النهضة العربية، بيروت 1979.

10 ـ د. صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري الاسلامي في مصر، بيروت 1975.

11 ـ المقريزى (تقي الدين) : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جزآن، 1370.

12 ـ القلقشندي : صبح الأعشى، القاهرة 1913، 19.

13 ـ المقدسي (شمس الدين محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن 1909.

14 ـ د. أسعد طلس : الآثار الاسلامية في حلب، دمشق 1956.

15 ـ د. عبد الرحمن زكي : موسوعة مدينة القاهرة 1969.

16 ـ د. عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها 1969.

17 ـ الفن في العراق القديم : انطوان مورتفارت، ترجمة د. عيسى سلمان وسليم طه.

18 ـ د. ثروة عكاشة : الفن العراقي القديم.

19 ـ د. عبد القادر الريحاوي : العمارة العربية الاسلامية دمشق 1979.

20 ـ د. عبد القادر الريحاني : مدينة دمشق، تراثها وآثارها، دمشق 1969.

21 ـ د. عبد القادر الريحاني : قلعة دمشق، دمشق 1979.

22 ـ د. عبد القادر الريحاني : قصور الحكام في دمشق، الحوليات الأثرية السورية المجلد 22، 1972/23 ـ 1973.

23 ـ المدرسة الجمقمقية، الحوليات الأثرية، المجلد العاشر، 1960.

24 ـ تاريخ دمشق العمراني : الحوليات الأثرية، المجلد 14، 1964.

المصادر الأجنبية

1 — ASLANAPA (OKTAY) : TURKISH ART AND ARCH

2 — BURCHKART : ART OF ISLAM

3 — BUTLER : ANCIENT ARCH IN SYRIA, LEYDEN, 1907 — 16

4 — CRESWELL (K.A.C.) EARLY MUSLIM ARCH

5 — DAVID (J.C) : ALEP... BULLETIN D'ETUDES ORIENTAL, T.XX VIII, 1975.

6 — FRANKFORT (H) THE ART AND ARCH. IN THE ANCIENT ORIENT LONDON 1975.

7 — GARDNER (S) : EVOLUTION OF THE HOUSE LONDON 1975.

8 — KHAN (M.S) : JEDDAH OLD HOUSES 1981.

9 — HOHG : ISLAMIC ARCH. NEWYORK, 1977.

10 — STUDIES IN ISLAMIC ART AND ARCH. IN HONOUR OF PROFESSOR CRESWELL, CAIRO 1965.

11 — MORGART (A) : THE ART OF ANCIENT MESOPOTAMIA,

12 — PARROT (A) : ASSUR, PARIS 1961.

13 — PARROT (A) : SUMER, PARIS, 1960.

14 — SOURDEL (Do et Ja) : LA CIVILISATION DE L'ISLAM CLASSIQUE, PARIS, 1968.

15 — SCHEFFER (CL) : UGARITICA, PARIS, 1939.

16 — SAUVAGET (J) : ALEP, PARIS, 1941.

17 — PORTER : FIVE YEARS IN DAMASCUS, 2 vol. LONDON 1958.

18 — PAUTY (E) : LES PALAIS ET LES MAISONS D'EPOQUES, MUSULMANS AU CAIRE,, LE CAIR, 1932.

بيـــوت سدراتــــة

الدكتور رشيد بو رويبه

تقع مدينة سدراته على مسافة 14 كلم جنوبي غربي ورقلة. وأسسها الامام الرستمي يعقوب أفلح في سنة 908/296 بعد فتح مدينة تاهرت من طرف الفاطميين.

فازدهرت سدراتة وذكر المؤرخون أنها كانت مكونة من 325 قرية تسقيها 1051 عينا وبقيت تلعب دورا هاما في تاريخ المغرب وحضارته حتى القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي حيث خربت واضطر سكانها إلى مغادرتها والتوجه نحو ناحية وادي مزاب. وبعد ذلك اندثرت المدينة واخفتها الرمال.

ولكن بفضل الحفريات التي أجريت بها، لنا معلومات عديدة عن البيوت التي أكتشفت والتي تعتبر من أقدم وأجمل بيوت يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى.

سنحاول فيما يلي أن ندرس هذه البيوت ونبرز خصائصها. وحتى يكون عرضنا واضحا نرتبها حسب تاريخ اكتشافها وهكذا ندرس بالتوالي أعمال فيكتور لارجو، وهارولد طارى، وبول بلانشي، وفوشي، ومارجريت فان برشم.

1 ـ البيوت التي اكتشفها فيكتور لارجو :

ان أول اثري اعتنى بسدراتة هو الرائد الفرنسي فيكتور لارجو الذي جال في الصحراء بين 1875 و1879 وألف كتابا عنوانه (Le pays de Richa Ouargla. Voyage à Ghadames) فاكتشف لارجو بيوتا من ثلاثة أنواع :

أ) بيت مربع يبلغ ضلعه 9 م ويحتوى على قسمين احدهما عبارة عن رواق مكون من أقواس نصف دائرية الشكل ترتكز على دعائم مربعة.

ب) بيوت مربعة يبلغ ضلعها 9 م مكونة من غرفة واحدة وأمامها فناء مغلق.

ج) بيوت مستطيلة مكونة من غرفة واحدة يتراوح طولها بين 6 م و7 م وعرضها بين 4 م و 5 م.

وكانت هذه البيوت مبنية من الحجر الكلس أو من كتل مكونة من الجبس (Gypse) أو الطين وأصبحت مع مرور الزمان صلبة مثل الحجر. وأغلب هذه البيوت كانت مطلية بعناية كبيرة.

وفيما يخص الزخرفة وجد لارجو طنفا وقطعة من الجص المنقوش.

2 ـ البيوت التي اكتشفها هارولد طارى[1]

وبعد فيكتور لارجو وصل إلى سدراتة هارولد طارى مندوب وزارة المالية الفرنسية لدى لجنة السكة الحديدة التي تخترق الصحراء.

وكان طارى عزم على غرس النخل في ناحية وادي مئة. فقضى بها يوم 31 ديسمبر 1880 ثم توجه نحو سدراستة حيث وصل في 2 يناير 1881 وكان هارولد طارى قرأ كتاب لارجو وعند وصوله إلى سدراتة أزيل وهمه لأنه ما كان يرى أمامه الا الرمال ومن حين إلى آخر آثارا غير منظمة مختلطة بالأرض ترتفع عن سطحها بأقل من عشرين سنتيمترا.

مع ذلك شرع هارولد طارى في العمل واكتشف عدة بيوت منها :

أ) بيت مكون من ثلاثة غرف يبلغ طول كل واحدة منها 3 م وعرضها 150 م بجدران مزينة بورود منقوشة في الجص.

ب) غرفتان يفصلهما جدار مزين بثلاث نوافذ نصف دائرية الشكل.

ج) جزء من بيت مكون من ثلاث غرف وحجرة صغيرة (شكل رقم 1).

يبلغ طول الغرفة الوسطى 2,34 م وعرضها 2,15 م ويستطيع المرور إلى الغرفتين (م) و(ن) بواسطة قوسين نصف دائريين مرتكزين على أعمدة. وكان طول الغرفة (ن) يساوي 2,34 م وعرضها 1,63 م.

وكانت الغرفتان (م) و(ن) مرتفعتين بالنسبة إلى الغرفة (ل) بارتفاع درجة. وكان لكل واحدة منهما تجويف مربع يساوي ضلعه 43 سم يزين جدار واجهة الدار الذي كان يبلغ سمكه 39 سم.

أما الحجرة الصغيرة (و) فكان يمكن المرور إليها من الغرفة (ن) ويساوي طولها طول الغرف الأخرى بينما يبلغ عرضها 91 سم.

هذا فيما يخص التصميم. أما فيما يتعلق بالزخرفة فكان الجدار (ب د) للغرفة (م) مزينا بكتابة هذا نصها :

هذا قدر مسعود

لخنش رحمه الله
لا يوجد مال

وأما الجدار (ا ب) لنفس الغرفة فكان مزينا بعناصر بشرية وحيوانية ونباتية وهندسية وان الصور البشرية كانت تمثل :

- ثلاثة جنود مترجلين حاملين رمحا
- وخمسة فرسان راكبين مهارى وحاملين رمحا
- وترقيا راكبا مهرا ويقود أسيرا.

وكانت الحيوانات الممثلة تشتمل على :
- المهارى التي سبق ذكرها
- وجمال
- وأسد
- ونعامتين

وكان النبات الوحيد الممثل هو النخيل.

وأما العناصر الهندسية الممثلة فهي دوائر متحدة المركز.

د) بيت مكون من فناء وست غرف (أشكال 2، 3، 4، 5).

بعد اكتشاف البيت السابق ذكره، توجه هارولد طارى نحو غربي المدينة ووجد على مسافة كيلومتر مدينة ثانية وقال في هذا الصدد :

(ان أول حفرية أجريتها قمت بها بنفسي صحبة الفارس بشير بن شرقي من قبيلة الاربعاء وعثرت أثناءها على قطعة منقوشة على شكل طنف كانت موجودة على عمق 20 سم. فأمرت باخراج هذا الطنف الذي امكنني من العثور على محيط غرفة مقسمة على ثلاثة أقسام بواسطة قوسين كل واحد منهما مرتكز على عمودين. وبعد اكتشاف هذه الأعمدة، توهمت أن هذا البيت أكبر من البيوت التي كنت اكتشفتها من قبل واستعملت خمسة عشر عاملا أمرتهم بنزع الردم).

وبعد هذه العملية، اكتشف هارولد طارى بيتا يبلغ طوله 17,80 م يحتوي على فناء وست غرف. ان الفناء (و) يشغل وسط البيت، والغرف موضوعة كالتالي : الغرفتان (أ) و(ب). على يسار الفناء والغرف (ك) (ل) و(ن) على يمينه.

وكانت الغرفتان (أ) و(ب) مفروشتين ببلاط، ويبلغ طول الغرفة (أ) 6,74 م وعرضها 1,97 م في احد طرفيها و 2,31 م في الآخر. وهي مزينة بأربعة أعمدة يساوي قطرها 15 سم

تقريبا (شكل رقم 3) ويستطاع المرور منها إلى الغرفة (ب) بواسطة قوس يعلوها طنف. وتطل الغرفة (ب) على الفناء (و) بواسطة ثلاثة أقواس حدوية الشكل ترتكز على دعائم مخددة يتراوح ضلعها ما بين 45 سم و50 سم (شكل رقم 4) وفي احدى الغرف الموجودة على يمين الفناء، الغرفة (ل) اكتشف هارولد طارى جرتين مندمجتين في كتلة واحدة، كان قطر فم الأولى يساوي 80 سم وقطر فم الثانية 60 سم (شكل رقم 5) وكانت هاتان الجرتان تستعملان كمطمورتين لخزن التمور.

هـ) بيت يقع على بعد مئة وخمسين خطوة من البيت السابق ذكره يبلغ طوله 9,30 م وعرضه 4,25 م ويشتمل على ثلاث غرف ومخزنين يعلوهما قبو. وكان سلم يؤدي إلى السطح (شكل رقم 6 وشكل رقم 7).

ولا يفيدنا هارولد طارى بمقاسات غرف هذا البيت ولكن بفضل الرسم التخطيط الذي نشره نستطيع أن نقدرها. وهكذا نجد أن طول الغرفة (أ) يبلغ 4 م وعرضها 1,40 م وان طول الغرفة (ب) يساوى 7,70 م وعرضها 2 م بينما كان طول الغرفة (ج) يبلغ طولها 6,50 م وعرضها يتراوح بين 50[1 م و2 م.

و) غرفة من بيت يجاور البيت الذي سبق ذكره. وكانت هذه الغرفة على شكل مربع منحرف وفيها جرتان لخزن التمور.

ز) بناء مستطيل يبلغ طوله 10,30 م وعرضه 8,30 م مزين بتجويفين منقوشين يجرى بينهما امضاء المهندس المعماري الذي قام ببنائه. فاخذ هارولد طارى طابعا لهذا الامضاء ولكن الطابع ضاع. كما اكتشف هارولد طارى في نفس المكان غرفة صغيرة يبلغ طولها 4,50 م وعرضها 2,50 م مزينة بنقوش رائعة الجمال. ويواصل هارولد طارى حديثه قائلا : (ما استطعت أن أعمله في يوم ونصف يوم هو نزع ردم محيط الغرفة الكبيرة كله (شكل رقم 7)... وعند رجوعي إلى الجزائر العاصمة طلبت من رسام أن يتم رسومي بالصور الفوتوغرافية والصور المطبوعة. ويوجد المنظر العام لنقوش الجدار (أ، ب) للغرفة الكبيرة بمتحف تروكاديرو بباريس وزيادة على ذلك رجعت إلى الاغواط بحملتين من القطع الجصية المنقوشة بعثت إلى متاحف الجزائر وقسنطينة وتروكاديرو) وقالت مارجريت فان برشم التي بذلت كل جهودها للعثور على ما كان تركه هارولد طارى أنها لم تستطع أن تعثر سواء أكان بباريس أو قسنطينة أو الجزائر على أي أثر لهذه الغنيمة ويمكن ان القطع التي نراها بمتحف ستيفان جزال بالجزائر والتي رصعت في ثلاث الواح جصية ولا تحمل الا اسم سدراتة، تكون الآثار الأخيرة لبعثة طارى[2] (شكل رقم 8).

3 ـ القصر الذي اكتشفه بول بلانشي :

كان بول بلانشي استاذا في التاريخ بثانوية قسنطينة، فزار سدراته في سنة 1898

فواصل الحفرية التي كان بدأها هارولد طارى قبل أن يغادر سدراتة وأخبرنا عن نتائج أعماله في (محاضر اكاديمية الكتابات والآداب). فقال انه في يوم 21 يناير 1898 كان اكتشف ثلاث عشرة غرفة من القصر ووجد على جدرانه ستين مترا مربعا من النقوش والكتابات بقيت على حالها الأصلي.

وفي محاضر جلستي 15 و29 يوليو 1898 لنفس الاكاديمية أخبرنا انه عثر على (قصر كاد يكون على حاله ترتفع جدرانه إلى 4 م وما يزيد على ذلك يحتوي قسمه المكتشف على أربع وثلاثين غرفة ومئتي متر مربع من النقوش).

وتحدث أيضا عن اكتشافاته في مقال عنوانه (المدن الصحراوية الميتة)

وقالت مارجريت فان برشم في تعليقها على مقالات بول بلانشي : (قال بلانشي انه نزع الردم من أربع وثلاثين غرفة لهذا القصر وعلى مئتي متر مربع من النقوش ان هذا العمل العظيم لم يواصل مع الأسف وما بقي منه الا بعض المذكرات... ورسم ثمين للفناء بأقواسه الثلاث الحدوية الشكل) (شكل رقم 9).

4 ـ أعمال المهندس فوشي :

وصل المهندس الفرنسي فوشي إلى سدراتة في سنة 1942 ولكن لم تدم زيارته لها الا يومين وترك لنا بعض المذكرات ورسم تخطيط لجزء من القصر (شكل رقم 10) وبضع صور فوتوغرافية.

5 ـ البيوت التي اكتشفتها مارجريت فان برشم :

قامت مارجريت باستطلاع جوي وبحملتين اثريتين.

وقع الاستطلاع الجوي في 23 مارس 1950 وبين لمارجريت فان برشم وجود مدينة موجهة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ينيف طولها على 2 كلم بينما لا يبلغ عرضها 1 كلم مكونة من عدة قرى مختلفة تجمعها طرق (وكل واحدة منها، مثل التلال السبعة لمدينة روما الأولية تشغل تلا، كأنها أكروبول يرتفع فوق مستوى الصحراء).

وأثناء الحملة الأثرية الأولى التي وقعت في فبراير 1951، اكتشفت مارجريت فان برشم دارا اطلقت عليها اسم الدار رقم خمسة وثلاثة بيوت أخرى الدار رقم 4 ودارا مجاورة لها والدار رقم 2.

أ) الدار رقم 5 (شكل رقم 11)

ان الدار رقم 5 هي الدار المكونة من ست غرف وفناء التي كان اكتشفها هارولد طارى والتي وجدتها مارجريت فان برشم مخفية تحت 3 م من الرمال.

ذكرت مارجريت فان برشم أن طولها التقريبي يساوي 20 م وعرضها التقريبي يبلغ 10 م وتفيدنا برسم تخطيطي لهذه الدار يختلف شيئا ما عن تصميم هارولد طارى ويبدو انه أدق منه من حيث أنه موجه ومصحوب بمقياس (شكل رقم 11) كما تفيدنا بمعلومات لم نجدها في وصف هارولد طارى :

1 ـ الطول والعرض للغرفتان اللتان يبلغان بالتقريب 7 م و2 م[2].

2 ـ كانت قوسان حدويتا الشكل ترتكزان على أعمدة الغرفة (أ) ولكن قمة الأقواس انهارت. وكان هذان القوسان يقسمان الغرفة (أ) على ثلاثة أقسام. ان القسمين الموجودين في طرفي الغرفة مرتفعان بالنسبة إلى القسم الأوسط بارتفاع درجة ويشكلان عبارة عن ايوانين.

3 ـ كانت تيجان بسيطة تعلو الأعمدة وهي على شكل جذع هرم زواياه منحوتة على شكل مثلثات[3].

4 ـ نجد بطرفي الغرفة (ب) ايوانين مرتفعين بارتفاع درجة يماثلان ايواني الغرفة (أ) وكانت الغرفة (ب) تطل على الفناء بواسطة ثلاثة أقواس حدوية الشكل مرتكزة على دعائم انيقة[4].

5 ـ يساوى ارتفاع الجرة الكبيرة الموجودة في الغرف (ل) 1,70 م وارتفاع الجرة الصغيرة 1,62 م وللجرة الكبيرة ثقبة يسيل منها عصير التمور في دن محفور في الأرض[5] ونجد بها درجتين عاليتين تسمحان بالتسلق إلى فم الجرة (تشير مارجريت فان برشم انها رأت جرات مماثلة لجرتي الدار رقم 5 في بعض بيوت مدينة ورقلة.

6 ـ وراء الجرتين نجد درجتين عاليتين تؤديان إلى جزء مرتفع لهذه الغرفة كان يستعمل كمخزن[6].

7 ـ في كل غرفة تجويفات محفورة في الجدران على ارتفاع 1,45 م من سطح الأرض كانت تستعمل كخزائن أو لوضع المصابيح.

8 ـ كانت جدران الغرفتين (أ) و(ب) مزينة بطنف على شكل أسنان المنشار. وكان هذا الطنف يجرى على ارتفاع 3 م بالنسبة لمستوى الأرض.

ب) الـــدار رقم 4 :

هي دار بسيطة ما بقي منها الا بضعة أقواس وجدار نقشت عليه، بدون ترتيب، أشكال تشابه الأشكال التي مازلنا نراها الآن في النسيج البربري. وتقول مارجريت فان برشم في هذا الصدد : (يبدو أن هذا الجدار استعمل كلوح الألوان لبعض المزخرفين ويمكن ان هذه الدار كانت مدرسة للنسج.

ج) دار موجودة بالقرب من الدار رقم 4 :

نزعت مارجريت فان برشم ردم جزء من هذه الدار من فناء مركزي وأبواب تعلوها أقواس حدوية الشكل وطنف على شكل أسنان المنشار وغرفتين صغيرتين مكللتين بقبتين مرتكزتين على مثلثات وسلم يودي إلى السطح[7].

د) الـــدار رقم 2 :

تقع هذه الدار بمحيط المدينة وهي مزينة بزخرفة جصية جميلة جدا كانت تزين الجدران، أغلبها تحت الردم، وكانت هذه الزخرفة تحتوي على ألواح ماطورة تشغل القسم العلوي للجداران داخل الغرف بينما كان القسم السفلي غير مزخرف[8].

ان الصور الفوتوغرافية التي تصحب وصف الدار رقم 2 تبين لنا الأشكال الزخرفية التي تزينها وهي متنوعة إلى أقصى حد. نذكر منها :

1) افريزا مكونا من سطور منكسرة ولالىء ومكعبات[9].
2) شبكة من المعينات المزينة داخليا بزهرة[10].
3) دوائر متشابكة تكون مغازل[11].
4) دوائر متحدة المركز تشكل اكاليل مؤثثة بعناصر نباتية[12].
5) زهور تساعية الفصوص[13].
6) أقواس قلبية الشكل[14].
7) غصون ملتوية وأوراق مختلفة الشكل[15].

هذا فيما يخص الحملة الأثرية الأولى. أما فيما يتعلق بالحملة الأثرية الثانية التي وقعت في ديسمبر 1951 ويناير 1952 فاكتشفت مارجريت فان برشم اثناءها بنائين.

ان البناء الأول هو دار محصنة يساوي طولها 50 م محاطة بسور سميك يتراوح ارتفاعه بين 4 م و5 م وكان سلم عريض يتبع السور من الخارج ثم يشكل زاوية قائمة ويؤدي إلى فناء حوله عدة مباني. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية رأت مارجريت فان برشم آثار بروج مربعة داخلها اجران في حالة لا بأس بها وآثار النار وأفرانا للفخار وقطعا عديدة من الفخار.

أما الدار الثانية ما هي الا القصر ذو الأربع وثلاثين غرفة الذي كان اكتشفه هارولد طارى بول بلانشي والذي أفادنا المهندس فوشي بتصميمه. فوجدته مارجريت فان برشم مخفيا تحت الرمال. هذا ما اضطرها إلى إعادة البحث عنه.

ان هذا البناء الذي يسمى اليوم المحكمة، كان على قول مارجريت فان برشم دار ملك توجد فيها محكمة. وكان يبلغ طوله 60 م وعرضه 30 م ويحتوي على فناء وعدة غرف استطاعت مارجريت فان برشم ان تنزع الردم عن ثلاث منها : الغرفة (أ) والغرفة (ب) والغرفة (ج).

1 ـ الفنـــــاء :

يساوي طول الفناء 7 م وعرضه 5 م. وكانوا يدخلونه من باب مزين بثلاث أقواس على شكل نعل الفرس كما نراه في الرسم الذين تركه لنا بول بلانشي (شكل رقم 9) وترتكز الأقواس على أعمدة مكونة من قاعدة مربعة وجذع اسطواني الشكل وتاج على شكل جذع هرم قطعت زواياه على شكل مثلثات منحنية الأضلاع (شكل رقم 12) ان المثلثات مزينة بافريز من اللالئي تشكل قوسا مدببة تندرج فيها زهرتان خماسيتا الفصوص موضوعتان الواحدة الأخرى. وأما المساحة الممتدة بين مثلثين فهي مزينة بنخلة ودائرة تندرج فيها زهرة ثلاثية الفصوص.

2 ـ الغرفـــة (أ) :

يساوي طول الغرفة (أ) 8 م وعرضها 2,10 م. وكان يعلوها قبو مهدى الشكل ينتهي من كل جهة بتجويف تعلوه قبيبة صدفية الشكل مرتكزة على عمودين مجدولين صغيرين. وفي طرفي هذه الغرفة هناك قوسان كبيران نصف دائري الشكل يشكلان ايوانين يقصدهما بواسطة درجة عالية.

ان الزخرفة التي كانت تزين الجدار بين هاتين القبيبتين النصفيتين كانت تشتمل على لؤلؤيات ذات تسعة فصوص. ونجد تحت هذه اللؤلؤيات شرائط قائمة مزينة بعناصر نباتية وافريزا من المكعبات وافريزا من اللالئي وطنفا على شكل أسنان المنشار بينما نرى فوقها شريطين أحدهما مزين بعناصر نباتية والآخر بعناصر كتابية يحيطهما افريز من المكعبات[16].

4 ـ الغرفـــة (ب) :

يبلغ طول الغرفة (ب) 4,50 م وعرضها 2,10 م ولها في طرفيها مصطبتان عريضتان مرتفعتان بالنسبة إلى مستوى الأرض ارتفاعا يتراوح بين 20 سم و30 سم وكان يعلوها قبو مهدى الشكل مثل الغرفة (أ).

وكانت هذه الغرفة مزينة بستة تجويفات تعلوها نصف قبيبة صدفية الشكل مثل القبيبات النصفية التي تزين الغرفة (أ) غير أن زخرفتها تختلف عنها شيئا ما. ونرى في الرسم الذي تركه لنا جورج مارسي[17] (شكل رقم 13) ان القبيبة النصفية ترتكز على عمودين مجدولين وان فوق القوس المفصصة نشاهد ورقتين خماسيتي الفصوص وقرصين مزينين بزهرة مستديرة ثمانية الفصوص حولها مكعبات. ويعلو هذان القرصان افريز من المكعبات وشريط أفقي مؤثث بكتابة ثم افريز من المكعبات ودوائر تندرج فيها عناصر نباتية.

وعلى يمين ويسار القبيبة النصفية نجد شرائط مزينة بغصون ملتوية وافريزا من المكعبات وافريزا من المعينات ثم طنفا على شكل أسنان المنشار.

4 ـ الغرفة (ج)[18] :

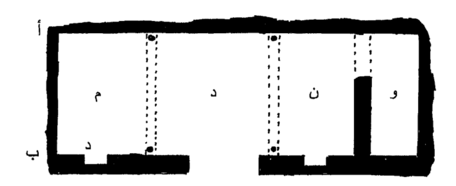
ان الغرفة (ج) مربعة الشكل ويبلغ طول ضلعها 2 م، وهي محاطة بأربعة أقواس نصف دائري الشكل. فكانت مزينة بزخرفة رائعة الجمال ولم يبق منها الا الزخرفة التي تزين الجدار الشرقي وتحتوي على العناصر التالية :

ـ أوراق خماسية الفصوص
ـ غصون ملتوية
ـ مربعات تندرج فيها أوراق خماسية الفصوص
ـ أفريز من اللالىء أو المكعبات
ـ دوائر متشابكة تشكل مغازل ومربعا منحنى الاضلاع تندرج فيه ورقة خماسية الفصوص
ـ دوائر رباعية الفصوص في وسطها زهرة ثمانية الفصوص مندرجة في دوائر متحدة المركز

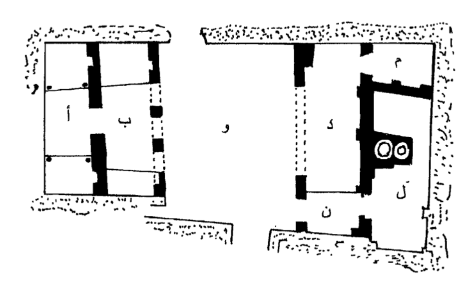
تلك هي البيوت التي اكتشفتها مارجريت فان برشم أثناء الحملتين الأثريتين اللتين قامت بهما بسدراتة.

ان أعمالها وأعمال الأثريين الذين سبقوها : فيكتور لارجو وهارولد طارى وبول بلانشي والمهندس فوشي تبين لنا أن بيوت سدراتة بعددها الكبير وتنوع أشكال غرفها وزخرفتها الأنيقة تحتل مكانة عظيمة في تاريخ الفن المعماري الاسلامي.

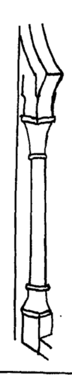
ونتمنى ان بحثنا هذا يدفع مجموعة من الأثريين الجزائريين الشبان لمواصلة العمل بسدراتة المدينة المخفية تحت الرمال. وحتى تكلل أعمالهم بالنجاح ينبغي أن تكون، في مرحلة أولى، تحت اشراف مارجريت فان برشم التي برهنت بكفاءتها واظهرت استعدادها التام لمواصلة أبحاثها وتكوين أثريين جزائريين.



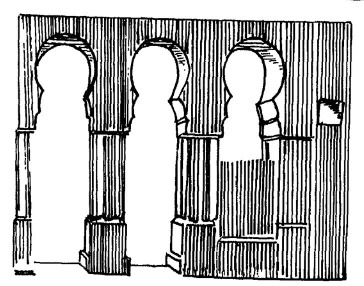
شكل (1) : بالبيت (ج) الذي اكتشفه هارولد طاري



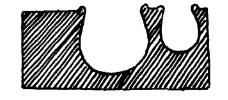
شكل (2) : تصميم البيت (د) الذي اكتشفه هارولد طاري



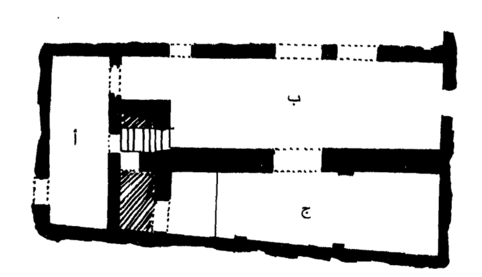
شكل (3) : عمود من أعمدة الغرفة (1) من
البيت (د) الذي اكتشفه هارولد طاري



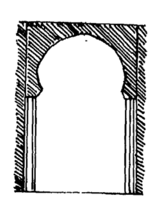
شكل (4) : الاقواس التي تؤدي من الغرفة (ب)
الى فناء البيت (د) الذي اكتشفه هارولد طاري



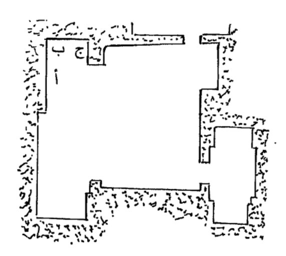
شكل (5) : مقطع أفقي لجرتي الغرفة (ل)
للبيت (د) الذي اكتشفه هارولد طاري



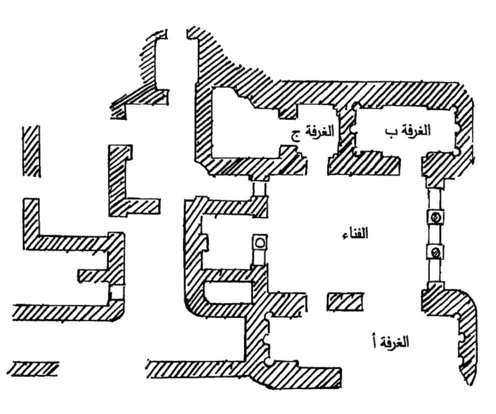
شكل (6) : تصميم البيت (ة) االذي اكتشفه هارولد طاري



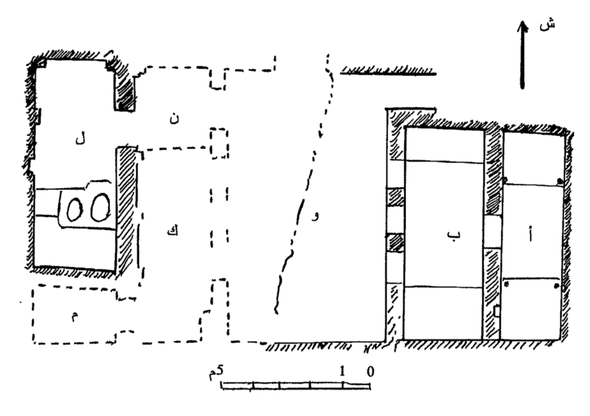
شكل (7) : قوس من اقواس البيت (ة) الذي اكتشفه هارولد طاري



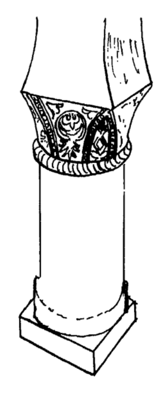
شكل (7) : تصميم البيت (ز) الذي اكتشفه هارولد طاري



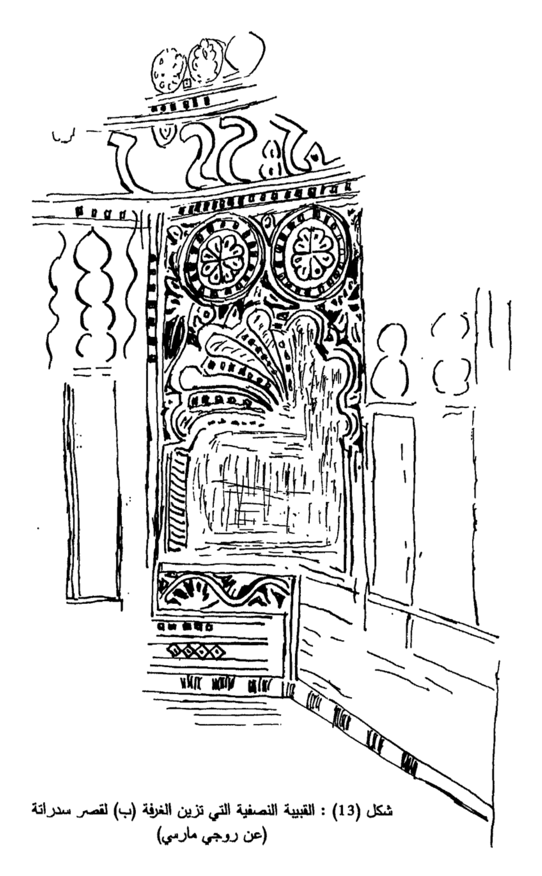
شكل (10) : تصميم قصر سدراتة (عن المهندس فوشي)



شكل (11) : تصميم الدار رقم 5 التي اكتشفتها مارجريت فان برشم



شكل (12) : عمود من أعمدة
قصر سدراتة (عن ج. مارسي)



شكل (13) : القبيبة النصفية التي تزين الغرفة (ب) لقصر سدراتة
(عن روجي مارسي)

الهوامـــش

1) H. Tarry, Excursion archéologique dans la vallée de l'Oued Mya, (1 Revue d'Ethnographie, t. II, 1883, p. 21 — 34.

2) M. Van Berchem, A la recherche de Sédrata, Archeologica Orientalia, in Memoriam Ernst Herzfeld, p. 28 — 30.

3) M. Van Berchem, op. cit; Plate III,

4) Ibid, Plate III, 4 et 6.

5) Ibid, Plate III, 7.

6) Ibid, p. 30.

7) Ibid, p. 30.

8) M. Van Berchem, A la recherche de Sedrata,.., Plate IV.

9) Ibid.

10) Ibid.

11) Ibid.

12) Ibid.

13) M. Van Berchem, Le palais de Sédrata dans le Désert Saharien, Studies in Islam Art and Architecture in Honour of Professor K.A.C Creswell, Pl. III.

14) Ibid.

15) Ibid.

16) M. Van Berchem, le palais de Sedrata,....., Pl II, 7.

17) CF. M. Van Berchem, le palais de Sédrata..., Pl IV.

18) C.F. M. Van Berchem, le palais de Sédrata..., Pl V.

المدخل إلى المسكن العربي الاسلامي بمدينة الجزائر

محمد الطيب عقاب

المقدمـــــة :

سأحاول بهذا البحث الموجز ان أبرز أهم العناصر المعمارية في العمارة الجزائرية وبالضبط في المسكن العربي الاسلامي بمدينة الجزائر، خاصة المتصلة تاريخيا بالعهد العثماني، وذلك عن طريق معاينة وتسجيل كل ما هو باق أو يحمل سمات العمارة الاسلامية، وجوانبها المختلفة، بغرض دراستها الدراسة الموضوعية الأثرية، والقاء الضوء حسبما سمحت به لنا خبراتنا في هذا المجال، بل حسبما تنطق به من معان حضارية واجتماعية أيضا.

وتعتبر مدينة الجزائر، واسطة العقد، بالنسبة للمغرب الاسلامي، فهي اذن بهذا الموقع الجغرافي، تتأثر وتؤثر، بكل مظاهر الحضارة المختلفة السائدة في العالم الاسلامي.

وبالرغم من غياب المثال العمراني الدائري المشع ـ الذي عرف أول ما عزف في مدينة بغداد ـ فان المثال العمراني لمدينة الجزائر لا يختلف كثيرا عن بقية النسيج العمراني في البلاد العربية الاسلامية، ذلك لأن مركز الجذب للسكان ولكل المجموعات المحلية لا يختلف، في شكله العام، عن بقية المدن الاسلامية، اذ تتركز نقاط مركز الجذب في وسط المدينة، وهي تشتمل على عدة مرافق أساسية، والتي تحتاج إليها المدينة، وتتمثل فيما يلي[1].

1 ـ مقر دار الامارة[2] وقصور حكام البلاد
2 ـ المسجد الجامع، وبقية المساجد الأخرى
3 ـ الأسواق الكبرى، ومنطقة التجار الموزعين حسب الاختصاص
4 ـ الطريقان الرئيسيان، والمعروفان بمحوري المواصلات، أولهما قادم من الناحية الشمالية الغربية، وهذان المحوران يلتقيان مباشرة عند السوق المركزية (سوق الجمعة)، التي لا تبعد كثيرا عن مقر الحكام الا ببضع خطوات (الشكل)[3].

ويبدو ان موضع مدينة الجزائر الجغرافي، وانعدام أهميتها السياسية والادارية في العصور الوسطى[4] هما اللذان لم يسمحا بتكوين المحورين المتعامدين في تشكيل المدينة وتوزيع الأحياء التجارية، كما هو معروف في مختلف المدن الاسلامية، خاصة في البلدان

المجاورة لها، وحسبنا الاشارة هنا بأن مدينة الجزائر هي صورة طبق الأصل لمدينة اسطامبول التركية[5].

ومن الملاحظ بهذا الصدد التنويه بالتركيب العمراني حسبما تتطلبه روح الشريعة الاسلامية، حيث نجد المجموعات السكنية بعيدة عن مركز الجذب بالمدينة المتصفة بالحركة الدائمة لمختلف أنشطة الحياة الاجتماعية، كما سنعرف ذلك فيما بعد.

التركيب العمراني لمدينة الجزائر :

المعروف ـ مبدئيا ـ ان المثال العمراني لأي مدينة كانت، ولأي عصر كان فانه يكون انعكاسا صادقا للتقاليد الحضارية السائدة فيه، والتي بدورها لا تكون الا نتيجة لتفاعلات كثيرة مشتركة بين العوامل المختلفة المتصلة بالحياة الاجتماعية بالدرجة الأولى، والدينية والثقافية.

ولذلك نجد مدينة الجزائر تتبع في تركيبها العمراني للمجمع السكني، وقد نتج عن هذا المثال العمراني ـ من الناحية المناخية ـ التقليل من تعرض الأسطح الخارجية للمباني لأشعة الشمس، كما أدى ـ أيضا ـ إلى تظليل بعض المباني المجاورة لها[6] بالرغم من عدم ارتفاع المباني عن بعضها البعض. وبالتالي أصبحت نسبة الطاقة الحرارية في الغرف محدودة، سواء في الصيف أو في الشتاء ومن نتائج هذا التركيب العمراني حماية المشاة من أشعة الشمس، والاستفادة من الممر الهوائي الرطب، نتيجة لضيق الأزقة، والتوائها، بالاضافة إلى التغطية الكاملة لبعض الأجزاء البارزة نحو الخارج. وتسمح هذه البروزات، المتصلة فيما بينها، بتبادل الحديث بين النساء، كما تشكل في نفس الوقت الايوان المقتضب (الصورة رقم 4)، الذي أصبح مع مستوى جدار الغرفة من الداخل، أو قليل الارتفاع عن مستوى الغرفة في بعض المساكن.

وبالرغم من العلاقة الوثيقة بين الشارع والمبنى، خاصة في الميدان الصحي فانها لم تراع فيها نظام الامداد الشمسي للمبنى، ولكن المعماري المسلم قد أوجد حلا لذلك، اذ رأى ذلك غير مجد، مادامت الجدران في معظمها صماء الا من بعض الفتحات الصغيرة (الشمسيات أو القمريات) وهذا من أجل تأمين الخصوصية بالاضافة إلى الحماية من مضاعفات الأشعة الشمسية المنعكسة، هذا بالنسبة للمظهر الخارجي أما من الداخل فان الطابق الأرضي يستمد الضوء من خلال الفتحات الكبيرة، الموجودة في جدران الغرف من الطابق الأرضي المستوى مع أرضية الصحن مباشرة.

ولعل التفسير الوحيد لادراك وتفهم هذا النمط المعماري، هو الارتباط الوثيق للمسلم بما تمليه عليه تعاليم ديننا الحنيف، اذ نجتمع الأسرة لأكثر من أجيال، حيث يوسعون الدار سواء أفقيا أو عموديا. وبذلك نتجت ظاهرة التجمع العمراني. وربما لا نستبعد ـ أيضا ـ اجتماعيا حتميا، أدى بالضرورة إلى الأخذ بفكرة تقريب المسكن بالآخر، وتجميع الوحدات السكنية حول فناء واحد بالنسبة للعائلات المتقاربة.

وبصرف النظر عن مزايا هذا المثال العمراني، من ربح المساحة، وتعدد الطوابق، فان ذلك قد قوى الترابط العضوي للأسرة الواحدة، حيث يتسع المبنى في اتجاه واحد وهو الاتجاه العمودي في أكثر الأحايين.

وقد روعي في تصميم العمارة الاسلامية بمدينة الجزائر، الشكل الذي يكون في مقاومة الأحوال المناخية، بالدرجة الأولى. ذلك ان الجزائر تقع في منطقة البحر الأبيض المتوسط، المتميزة بالتقلبات الجوية، بالرغم من أنها منطقة معتدلة فضلا عما ينتج عنها من الاختلاف الحاد في درجة الحرارة والرطوبة. ولذلك سعى المهندس المعماري إلى ابداع وسيلة تهدف أولا إلى المحافظة على معدل مناسب الحرارة، والرطوبة، داخل المبنى. كما سعى أيضا إلى ابتكار الاحتياطات المناسبة كحماية المبنى من الأمطار بواسطة وجود الأروقة، وارتفاع مستوى أرضية الغرف عن مستوى الصحن، وكذلك تثبيت كاسرات الضوء والمطر في النوافذ.

وإلى الآن نجهل، هل كان المهندس المعماري الجزائري يعمد إلى دراسة المنطقة المناخية وتحليل خصائصها ؟ لأن بعض البحثين يرون أن المسكن العربي بمدينة الجزائر لا يتلاءم مع الظروف المناخية السائدة فيها، بسبب انعدام تسرب أشعة الشمس إلى الداخل، خاصة في المساكن الصغيرة[7]. الا انه بامكاننا التأكيد أنه كان يفعل ذلك، لاستعاضة الشمس بالعناصر التي تقوم مقام الشمس وهي مواد البناء المناسبة للظروف المناخية والعناصر المعمارية كالجدران السميكة والفتحات والسقوف المسطحة. ورغم ازدحام المباني وشكلها المتضام فان مداخل المباني قد جعلت في الاتجاه المعاكس لاتجاه الرياح، ورغم ضيق الطرقات والدروب، ولذا يبدو اهتمام المهندس المعماري مركزا على دراسة جميع الأوضاع حتى يكون المبنى مناسبا لصحة الانسان، لمدى تأثير هذا العامل في هذه المنطقة على العناصر الخارجية للمبنى.

مواصفات المساكن :

أ) الشكل الخارجي :

ذكرنا في ما سبق مرفولجية مدينة الجزائر، وبأنها تعتمد على التحام المنازل بعضها ببضع مما نتج عن ذلك ضيق مسالكها وغيرها. والآن نذكر المظهر الخارجي للمساكن، فهي مكعبة الشكل بصورة عامة، تحتوي على طابق واحد أو على طابقين، أبوابها لا تواجه الشوارع الكبرى أو العامة، وهذا ينطبق حتى على قصور حكام البلاد، فمثلا باب قصر حسن باشا (1205 ـ 1212 هـ)[8] وكذلك بالنسبة لقصر خداوج العمياء[9] وغيرهما. وتعلو الباب كنة أو ظلة، مدعمة بعمودين مكعبين مزدانين بزخرفة نباتية رشيقة، نفذت بمنط الاستدارة المتدابرة (الصورة 2) كما يمكن أن نلاحظ بعض البروزات، التي تتصل أو تقوم عليها المداخن، أو ايوان الغرفة. والبروزات مدعمة على أعمدة من الخشب، والجدير بالذكر أن هذه الأعمدة لا تحمل الجزء البارز من المبنى، وإنما هدفها الأول حماية الناس وخاصة المعوقين منهم من

اصطدامهم بالبروزات المتدرجة ذات الزوايا القائمة في جوانبها، لأن أعظمها غير مرتفع عن مستوى قامة الانسان.

وتتحد طوابق المنازل بواسطة افريز بارز عن الجدار قليلا، روعي في تركيبه الحصول على عنصر زخرفي، بحيث تبرز جوانب الاجر بشكل مثلث، ثم تليه صفوف من الاجر أيضا بوضع مستقيم، يتدرج كل صف عن سابقه قليلا.

والمساكن التقليدية بمدينة الجزائر لا تظهر بها النوافذ الا في الطوابق العلوية فقط، أما في الطوابق السفلية فنجد فتحات صغيرة مسيجة بمشبك من حديد أو نحاس، وبذلك لا تسمح لمن كان بالخارج أن يطلع على ما يجرى في الداخل، وطبعا فان هذا ما تمليه روح الشريعة الاسلامية، حتى أن الفتحة الموجودة بالباب، فان الطارق لا يستطيع الرؤية من خلالها. وتحتوي النوافذ على منكسرات للضوء أو للمطر، هذه المنكسرات وضعت في أفقي النافذة، وقد استغلت المنكسرة السفلى لتبريد المياه، بان فتحت فيها فتحات مستديرة، مناسبة للقلل ذات القواعد المستدقة ومن المفيد أن نشير بان مادة المنكسرات هي من الشيست.

وأخيرا نشير إلى أن مساكن مدينة الجزائر كانت منذ العصر العثماني ناصعة البياض، حتى سميت بالجزائر البيضاء[10].

ب) الشكل الداخلي :

ان مساكن مدينة الجزائر تحتوي على ثلاثة طوابق رئيسية، هي : ـ المستوى الأرضي ـ الطابق الأرضي ـ الطابق العلوي ـ المنزه والسطح جنبا إلى جنب.

المستوى الأرضي :[11] ونعني به المرافق التي تقع أسفل صحن أو فناء المسكن والذي توجد فيه ضرورات الدار، من مخازن لعلف الحيوانات، واصطبلات لها، وماجل لحفظ مياه الأمطار التي تأتيه من سطح الصحن.

ويدعم سقف المستوى الأرضي باساطين مكعبة، يتفرع من كل زاويتها ضلع يكون السقف المقبب المتقاطع[12] وتستمد هذه الأقسام لهذا المستوى نورها من خلال الفتحات الموجودة في أسفل جدران الغرف المحيطة بالصحن، كما أشرنا من قبل، بالاضافة إلى فتحات صغيرة في الجهة الموازية تسمح بمرور الهواء، وتجديد الجو.

والجدير بالملاحظة، ان المواد المستعملة لبناء المستوى الأرضي يعتمد أساسا على الكتل الضخمة من الحجارة الجيرية، التي يعتقد جورج مارسي من بقايا الآثار الرومانية. وقد لا نجازف بتفنيد هذا الرأي، الا اذا سحبنا هذا السؤال. هل كل ما بنته فرنسا في الجزائر من البنايات بالكتل المماثلة من الأطلال الرومانية ؟

الطابق الأرضي : ويقترن الطابق الأرضي، عادة، بمدخل الدار مباشرة، كما أنه يقترن بالمستوى الأرضي في بعض الأحايين. هذا المدخل الذي يحتوي على سقيفتين[13] على الأقل، سقيفة صغرى أو أمامية، وهي خاصة بالاستقبال الأولي للغرباء، اذا كانت الدار لعامة الناس، أما اذا كانت قصرا تابعة لاحد الحكام من الدايات فانها تعتبر مكانا للحراس، وهي تحتوي على مقعدين متواجهين.

وتليها السقيفة الكبرى، التي يتوقف طولها حسب أهمية الدار نفسها فهي تبلغ أكثر من خمسة عشر مترا فيها أكثر من ست مقاعد في احدى الجهات، أما الجهة الموازية فيقل عدد المقاعد إلى أربعة أو ثلاثة، وذلك نظرا لوجود الباب الداخلي للمسكن، التي تقع ـ في بعض المساكن ـ خلفه سقيفة صغيرة، هي بالواقع مرحلة انتقالية للمنعطف الذي يؤدي إلى باب الصحن ووسط الدار، وقد يصغر شكل السقيفة إلى الحجم الذي يحتوي على مقعدين مزدوجين، وأيا كان حجم السقائف، فانها يراعى بان تكون ذات انكسارات للصحن، وهذا الانكسار من المدخل يسميه المؤرخون العرب بـ (الباشورة)[14] وإذا كانت المداخل المنكسرة في العمارة الحربية هدفها تأخير العدو عن الوصول إلى مبتغاه، فان منافعها في المنزل هو منع الفضوليين من الاطلاع على ما بداخل المسكن، وقد وفق أحد الباحثين حينما اعتبر السقيفة كمصفاة، حيث يستقبل الغريب فيها والتحدث إليه، قبل أن يسمح له بالدخول[15] ويعقب السقيفة الكبرى، في بعض المنازل، سقيفة خلفية، الا أنها قد لا تحتوي على مقاعد للجلوس لكونها تقع في مواجهة الصحن مباشرة، وهي حلقة الوصل بينها وبين الصحن والدار ككل.

وهذا النمط خاص بالمنازل الموجودة داخل مدينة الجزائر. أما منازل الفحص[16] فان لها أكثر من مدخل، وبالتالي أكثر من سقيفة، موزعة كما يلي : فبدل عن السقيفة الأمامية، استبدلت بمقدم المبنى، الذي يرتكز على أعمدة مزدوجة أو ثلاثية، وهو بدون أبواب، الا الباب الذي يفضي إلى السقيفة الكبرى، أما السقيفة الأخرى فهي على الجانب الآخر من المسكن، التي تتصل مباشرة بالحديقة، وهي لا تختلف عن باقي السقائف المعتادة (الشكل 2).

الصحـــــن :

يرتبط الصحن في مسكن مدينة الجزائر ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية للسكان، فهو أحد العناصر المعمارية التي يقوم عليها المنزل، فضلا عن كونه يزود الماجل بمياه الأمطار، بواسطة مصفاة مزدانة بثقوب، اتخذ منها شكل النجمة. كما يعتبر ـ أيضا ـ المكان المفضل لاقامة الأفراح والاجتماعات، الا أن الدور الأكبر يلعبه، تزود الغرف المحيطة به بالنور المشع والمنعكس من أرضية الرخام البيضاء. وللتخفيف من لظى الحرارة على الغرف نصبت الفسقيات المائية في وسط الدار، من الرخام، نحتت بنمط يثير الاعجاب، حافتها مزدانة بشراشيف أو بعقود مفصصة، أو مقلوبة، بينما ازدان بدنها باكليل من الزهور.

ومعالجة اصالة الصحن، قد لا تفيدنا في هذه العجالة، وان كان الباحثون يرون أن جذورها منغرسة في اطوار التاريخ القديم، الا أنه من الواضح كان معروفا عند البابليين والساسانيين،

وليس كما يرى البعض انه فكرة رومانية اغريقية[17]. ووجد فيه ـ اي الصحن ـ المسلمون ما يلائم الوضعية الاجتماعية لهم، خاصة الذي يقوم به لتصريف الرطوبة، نتيجة الممر الهوائي السائد بينه وبين مدخل المسكن، وبالضبط اذا انعدم هناك عنصر الملقف، وكذلك فهو يعتبر خزانا للهواء البارد، الذي يترسب إلى ساعات متأخرة من النهار، ذلك لأن الجو البارد أثقل من الجو الحار.

الأروقـــــة :

تعتبر الأروقة الهيكل الأمامي للغرف، ويستفاد منها في أكثر من وظيفة، أولها تعد الحاجز المنكسر لأشعة الشمس، بحيث لا تعدى، كأقصى حد، وسط الغرفة، ولفترة قصيرة أثناء الشروق[18] وبذلك تقوم مقام العازل الحراري شتاء وصيفا. وثانيا فهو الممر الحر للحريم، خاصة ما اسدلت الستائر من على الأعمدة الخشبية، التي وضعت ـ افقيا ـ في أسفل قاعدة العقد، أو في كتف التاج وأخيرا تؤدي وظيفة انشائية معمارية، هي حمل كل من الممر للطابق الأول وسقفه أيضا. وتمتاز أروقة منازل الجزائر بعقودها الحدودية، ذات الشكل المدبب التي أصبحت ظاهرة معمارية خاصة في العمارة الاسلامية في المغرب الاسلامي والاندلس ومما يستوقف الناظر تركيب ووضع رجل العقد مباشرة فوق تاج العمود، الذي يجمع بين الدائرة والمربع، وهو نمط كورنثي، والمحلى بورقة الاقنثة (شوكة اليهود).

والأعمدة في عمارة منازل مدينة الجزائر تتنوع بين الحلزونية، الموضوعة في أروقة الطابق الأرضي دائما، وبين نصف حلزونية وثمانية الاضلاع المثبتة في أروقة الطابق العلوي، لتطابق تضليعات العمود الملساء مع حافة الدرابزين، الذي يستمد استحكامه من العمود. بينما لا تتوفر الأعمدة المستديرة كثيرا في مساكن الجزائر (الصورتان 8 و9).

وطبيعة المواد للاعمدة من الرخام، بالنسبة لدور الأعيان والحكام بينما أعمدة الحجر الجيري تتوفر في مساكن العوام، أو في أماكن غير ذات أهمية كالمخازن والمستوى الأرضي والدويرات الملحقة بالقصور.

الغـــــرف :

ان أهم ما يميز الغرف هو شكلها المستطيل، وبالتالي ضيق عرضها ذلك أن الأوضاع الاجتماعية من جهة وقوة احتمال السقف الخشبي من جهة أخرى، هما العنصران الأساسيان اللذان فرضا هذا التركيب الانشائي، فالغرفة في المساكن تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أولها القسم الوسطي الذي ينقسم بدوره إلى قسمين، جزء خاص بالأكل، وآخر يكون منه الايوان، وان كان في معظمه ايوانا مقتضبا، قليل الغور والعمق من الداخل وقليل البروز بالنسبة للجدار الخارجي (الصورتان 1 و4). وتنعدم المصطبة التي توجد عادة فوق الايوان، وربما يرجع ذلك إلى التغييرات التي حدثت في بعض المنازل، لأن بعضا منها ما يزال يحتفظ بها، كما هو الشأن في المساكن العربية الاسلامية، وخاصة في تركيا.

أما القسمان الآخران، وهما جانبا الغرفة، فيمكن ان نعتبرهما كغرفتين للنوم، لأنهما صغيران جداً.

وتوجد المرافق المعيشية أو الصحية في جانب واحد من المسكن، اذ دائما ما يقترن المطبخ بالحمام، أو نجد المطبخ يقع تحت الحمام، كما سنرى ذلك فيما بعد، وتحتوي كل هذه الأقسام على خزائن جدارية، منها ما هو موازٍ للنوافذ ومنها الموجودة في سوارى أركان الغرف، الا أن هذه الأخيرة جد صغيرة، نتيجة ضيق تلك السواري (الشكل 3) كما يمكن أن نشير إلى الاحتواء الذي تشمله المرافق المعيشية والخدمات من غرف فوق مجازات الانتقال، أو في نهايات الغرف، وتتخذ هذه الغرف مكانها كمستوى وسطي في الطابق نفسه، أي دون احداث أي تغيير في مرفولوجية شكل الطابق بالنسبة لمظهره الخارجي. واستعمال الغرف الصغيرة خاص بالمؤونة وتوابعها.

وأحيانا نلاحظ ان مرافق الخدمات، لها مدخل جانبي، غير المدخل الرئيسي للمسكن، وهذا تجنبا للحركة الدائمة، وابتعادا عن احراج الضيوف، كما أن بجانبها يقع الملقف، الذي سنرى دوره بعد حين.

ان توفر هذه الاقسام المعمارية من شأنها أن ترينا مدى ادراك السكان بل المهندس المعماري (معلم البناء) لقيمة المكان، واستغلاله استغلالا مفيدا، دون اللجوء إلى الاستقطاع من حيز الغرف الأفقي، وبذلك نرى المعالجات المعمارية كانت وفق ترابط وتنسيق متزن حول المباني نفسها. وطبعا فان هذا التركيب المعماري الذي أصبح جزءا عضويا في جميع العمارة الاسلامية، أملته الظروف الاجتماعية الاسلامية، بالدرجة الأولى، وهي السماح بحرية الحركة لأهل المنزل، بعيدة عن أعين الزائرين، وكذلك اقتصاد ما أمكن من مساحة الجزء المخصص لذلك، والاكتفاء بمنطقة واحدة من المبنى لايصال المياه إلى مرافق الخدمات، ثم أيضا حث الدين الاسلامي على النظافة، حيث جعلها من شروط الايمان.

الحمامـــــات :

أشرنا ان الحمامات تكون دائما بجانب أو بالقرب من المطبخ وأحيانا فوقها، وهذا من أجل بناء الاتون (الفرناق) الذي يكون في أسفل الغرفة الساخنة للحمام، بينما النار تتسرب تحت أرضيتها، عبر مجازات مستطيلة ضيقة، بنيت بالاجر (الطابوق) وضعت فوقها الواح من حجر الشيست[19].

ويبنى الحمام بعناية فائقة، حتى لا يتعرض للتصدع أثناء الحرارة المرتفعة، اذ تتألف الأرضية من طبقتين على شكل نصف اسطواني أو ذات سقف مقبب متصالب، منضدتان بالاجر. أما سقف الحمام فيتخذ شكل نصف قبة متعددة الاضلاع تحتوي احداها دون أخرى على فتحات، رتبت بصورة هندسية رائعة : على نمط المثلثات أو المعينات، بالاضافة إلى

تنميقها بشظايا الزجاج المختلف الألوان فتضفي على الغرفة رونقا وبهاء تبعث السرور والانشراح في نفوس المستحمين نتيجة لحركة الظلال وانعكاس الشمس داخل الغرفة.

وتبنى المداخل ـ أيضا ـ بطريقة فنية بديعة تتمثل في بناء شرافات مسننة مزدوجة، بينها بالتناول شرافات أخرى صماء، وهذه الشرافات تمثل سقف المدخنة بينما بني في أسفلها جدار مخروط، أي ترك فيه فتحات مستطيلة لسحب الدخان منها. وهناك أسلوب آخر خاص بتغطية مداخل المساكن، يتمثل في بناء قبيبات صغيرة بدل الشرافات، تليها قبيبات صماء أقل منها شكلا (الصورة 16) وهذا النمط المعماري نادر في المساكن الجزائرية، الا أنه يعتقد كمرحلة جديدة متطورة في بناء وإيجاد عناصر معمارية جديدة، وفعلا، فانا لا نجد ما يناظرها في العمارة العربية الاسلامية. ومجال المدخنة يكون دائما بين جدار المبنى وجداري المطبخ والحمام. ونادرا ما نجد مجال المدخنة بارزا عن جدار المبنى، اللهم الا إذا كان الحمام بعيدا عن المطبخ فيكون بارزا في شكل مكعب.

ولانارة غرفة الحمام فقد استحدثت بها حنايا ربعية، في وسط اركانها وقد شكلت أيضا بطريقة فنية، بحيث فتحت فيها انصاف دوائر صغيرة بغية الحصول على عنصر تشويقي، حتى لا تطغى على الغرفة روح الجمود فيها.

واذا كان نمط الحمام قد احتفظ بصورته الأصلية، وهي الأقسام الثلاثة المعروفة في العصر الروماني، فان الحمام في مساكن مدينة الجزائر، قد اكتفى بغرفتين أساسيتين، هما الغرفة الباردة أو الدافئة، والغرفة الساخنة، وهذا ـ طبعا ـ لمحدودية مساحة المسكن.

العناصر المعمارية المكملة للمسكن :

ـ الملقــــف :

ان كلمة الملقف هي ترجمة للكلمة الفرنسية (البئر الضوئي) وبما أن هذه الكلمة أي الملقف، لا يتوقف دورها على تزويد المنزل بأشعة الضوء وأنواره للوحدات السكنية للمزل، لأن هذا الدور خاص بالصحن، الذي يعتبر الجزء الخاص من السماء لغرفة البيت. بينما الملقف عبارة عن بئر هواء، يبنى وينشأ في أحد الأركان المواجهة لمدخل المسكن، خاصة في القصور، وبذلك يكون في اتجاه الريح بالاضافة إلى أن درج السلم يكون بجانبه، والذي يفضي مباشرة إلى الصحن. ولذلك نلاحظ بأن الملقف عبارة عن واسطة العقد بالنسبة للمسكن، بواسطته يتم الحصول على حركة الهواء الرطب، حتى وان كانت الرياح ساكنة في الخارج، وهذا بفضل عملية التصعيد، ابتداء من مدخل المسكن إلى بداية أسفل الملقف نفسه.

ومما يستوقف النظر بهذا الصدد أن الملاقف قد وضعت في الأركان الواقعة في الجهات الشمالية الشرقية، أو الشمالية الغربية، نظرا لأن الرياح الرطبة تهب من الشمال الغربي،

ولذلك بقيت الملاقف بدون سقف، بعكس بعض الملاقف في البلاد العربية، خاصة في مصر، ذات سقف مائل، ولعل ذلك راجع إلى حركة الرياح القوية التي تحمل معها كثيرا من الرمال.

ونظرا لأن مرافق الخدمات في القصور لها مدخل منفصل عن المدخل الرئيسي كما أسلفنا، فانها تحتوي ـ أيضا ـ على الملاقف، من أجل تجديد حركة الهواء والتزود بالهواء الرطب. (الصورتان 12 و13).

ـ الـــــدرج :

يتميز الدرج في المسكن الجزائري ـ عموما ـ بالاتجاه المستقيم والانكسار أو الانعطاف ذي الزوايا القائمة. وهي ظاهرة معمارية تسهل على الباحث معرفة أصل الدرج، من المستحدث، وبذلك يكون قرص الدرج مربع الشكل (الشكل 3) ونظرا لاتساع بئر الدرج في بعض القصور والمنازل، فقد اتخذ من صلب جداره غرفا صغيرة بقدر قامة الرجل أو أقل، واستعملت كمخازن لمختلفة الأغراض، وفي حالة ضيق جدار قرص البئر تفتح فيه مقاعد أو خزائن جدارية.

ومكان الدرج في العمارة الجزائرية، يكون دائما في أحد أركان، أي في نهاية السقيفة، بجانب الملقف، حتى يستمد الدرج منه كميات وتجديد حركة الهواء، عبر الفتحات أو النوافذ ولا يختلف بناء سقف الدرج عن سقف المسكن سواء بسقفه المقبب المتصالب، أو بنمط تفرشه فوق روافد خصبية، وسنرجيء هذا عند حديثنا عن سقف المسكن.

وككل عناصر المسكن المعمارية، فان سطح الدرج يغطى بألواح رخامية أو بألواح من حجر الشيست، ويصل سمك الألواح الرخامية إلى أربعة سنتم، بينما ألواح الشيست تكون أقل منها سمكا أما قوائم الدرج فتكسى بالمربعات الخزفية (الأشكال 6).

ـ الســـــقف :

أ) بناء السقف : تتميز سقوف مساكن مدينة الجزائر ـ بدون استثناء ـ باستوائها، وبالرغم من أن هذا الشكل المعماري للسقف يتعرض للظروف المناخية سواء الحرارية منها، أو الباردة، فان المهندس المعماري قد احتاط لذلك، حيث عمد إلى وضع مواد خاصة، وهي المواد التي لها قابلية الاكتساب البطيء للحرارة أو للبرودة، المشكلة بمواد الطين الممزوجة بالجير، وبقطع الفخار والآجر المشوه بالاضافة إلى المادة الخشبية، التي تحمل كل هذه المواد. وذلك بعد أن توضع الرافدات عرضيا، بالنسبة لطول الغرفة، فوق جدارها قبل الاكتمال من بنائه بمسافات متساوية فيما بينها (الصورة 8، 9، 10).

وسقوف مساكن مدينة الجزائر، كما في كل العمارة العربية، ذات نوعين منها، الأول مقبب متصالب، نلحظه في المستوى الأرضي، والسقائف، والدرج المؤدي إلى الطابق العلوي

أحيانا، ذلك لأن في بعض المساكن يكتفي بدرج الطابق الأرضي، وأهمية هذا النوع من السقف هو توزيع ثقل المبنى على جوانب العقود وأعمدتها، وحمايته من التصدع. والثاني وهو السقف المستوى، الذي يوجد في الغرف والأروقة، ابتداء من الطابق الأرضي، وتركيبه يتم حسب الأقسام التالية :

1 ـ الطبقة السفلى، وتعرف بالطبقة الماصة للأشعة الشمسية، التي تنعكس من على سطح الأرض المبلط بالرخام، وتكون موادها ذات لون معتم، أو ما يعرف بمادة (النهو).

2 ـ الطبقة الوسطى، المملوءة بالمونة[20] تتخللها شقاف من الفخار وغيره.

3 ـ الطبقة الخارجية أو العاكسة للضوء، وتتمثل هذه الطبقة بتغطية السطح بمربعات الآجر أو بأحجار من الشيست الا أن هذه المادة الأخيرة لم نعثر عليها في مساكن القصبة التي تعرضت للهدم.

ب) السطح : يعتبر السطح قطعة أو جزءا رئيسيا من المسكن، وقد أشرنا من قبل، إلى أن سقوف مساكن مدينة الجزائر مسطحة. وهذا التشكيل المعماري له ما يبرره، سواء من الناحية الطبيعية للبلاد، أو من حيث الأوضاع الاجتماعية بصفة عامة. فمن ناحية المناخ فقد عرفنا أن مدينة الجزائر ذات المناخ معتدل يتأثر بالجو البحري المتشبع بالرطوبة ورأينا ـ أيضا ـ أن المثال العمراني لمساكن الجزائر يقوم على أساس المتضام أو المجمع السكني، وعليه فان أشعة الشمس لا تتوغل كثيرا إلى داخل المسكن، خاصة في فصلي الخريف والشتاء ولذلك نجد أن السطح يستعمل لأكثر من غرض، ففيه تقضي المرأة معظم أوقاتها، سواء في التحدث مع جارتها أو القيام ببعض الأشغال، كتجفيف المحاصيل الزراعية والثمار ومشاهدة ما يجرى في الشوارع، عبر فتحات صغيرة في صدر الجدار.

والسطح ليس مجالات فارغة، بل يحتوي في احدى جهاته الأربع على غرفة هي بطول تلك الجهة. وقد بنيت باهتمام كبير، حيث حفت بابها بعمودين من الرخام وفتحت علي جانبي الباب نافذتان، توازيهما من الداخل خزانتان جداريتان يتوسطهما ايوان مقتضب، بارز قليلا إلى الخارج، ويحتوي الايوان، في صدره، على شمسيات ثلاثية العدد، وتعرف هذه الغرفة، عند عامة الناس بالجزائر، بالمنزه (الصورة 14) و(الشكل 5).

ـ القبـــــاب :

لم تستعمل القباب في مساكن مدينة الجزائر كثيرا، وانما شكلت في مناطق انتقال المجازات المعمارية، خاصة في سقوف المستوى الأرضي، وفي الأركان من المبنى. أما في داخل الغرف فقد بنيت بها سقوف الايوانات (الشكل 5) وطبعا في غرف الحمامات، لما لها من وظيفة معمارية، ذلك لأن السطح المستوى اذ تشبع ببخار الماء، فانه يحتمل أن يسقط بينما سقف القبة يجعل المياه تنزل بطريقة انسيابية، ولا تؤثر في السقف.

وكظاهرة معمارية اسلامية، فان القبة تقوم على حنايا ربعية، هي اختصار لما يعرف بالمقرنس، أو بالمثلث الدائري. ودور القبة ـ معماريا ـ يتمثل في التغطية والتقليل من الضغط الحراري على الفراغات الداخلية، لكونها لا تتعرض لأشعة الشمس كاملة، عكس ما ينال السطح الأفقي، لأن شكلها يسمح للجزء المظلل بمد حركة الهواء المنعشة، والتخلص من الهواء الحار الجاف.

والعمارة الاسلامية تكتمل دائما بالعناصر الزخرفية ولذلك كسيت بواطن القباب بالمربعات الخزفية، ذات الزخارف المتنوعة، رتبت منها نجيمات ثمانية الاضلاع.

ـ الفتحـــات :

ان التسمية المصطلح عليها في العمارة الاسلامية هي الشمسيات أو القمريات وكلا التسميتين متطابقتان على مسماها، فوظيفتها أولا تخفيض نسبة التسرب من الطاقة الحرارية إلى داخل الغرفة. وثانيا الحد من قوة الابهار للاضاءة الطبيعية وذلك بمنع الضوء بواسطة التخاريم الجصية التي شكلت بأنماط زخرفية متنوعة، سواء منها العناصر المعمارية (مدينة الجزائر وميناؤها) أو بزخارف هندسية (الأطباق النجمية) أو بزخارف نباتية، قوام عناصرها مزهريات وورود وشجرة الحياة، أو بعناصر كتابية بالخط النسخي، شملت أسماء مثل دبرونوش ويمليخا.

وللتقليل من نافذ الأشعة المنعكسة إلى دار الغرفة، لم يكتف المعماريون بالتخاريم التي تزدان بها الشمسيات، بل عمدوا، من جهة أخرى، إلى تغطيتها بشظايا من الزجاج الملون رغبة منهم لاستكمال اللوحة الفنية للغرفة، بالانسجام مع الزخرفة التصويرية للسقف الغرفة الخشبي، وهي ظاهرة تمثل روح الحضارة الاسلامية على امتداد رقعتها المتسعة (الصورة 17).

الزخرفة الفنية :

يبدو المسكن الجزائري العربي من مظهره الخارجي ككتلة صماء، الا أن هذا الانطباع سرعان ما يتبدد، وذلك عندما يكون الانسان بداخله، حيث شفعت جدران الغرف العلوية بتنوع كبير من الزخرفة، سواء من حيث الطريقة أو الصناعة الفنية، مما يقوم دليلا قاطعا على أن بعد الفن الاسلامي ـ في مختلف عصوره ـ لم يكن في يوم ما يخدم الأغراض الدينية، كما لا ينظر إليه كعمل من أعمال الآخرة، إنما هو فن من فنون المدينة، بعد أن ترجم الفنان الآيات التي تدعو الانسان إلى الاستفادة من (زينة الحياة الدنيا).

زخرفة الأبواب :

باستطاعتنا أن نبدأ الحديث عن الزخرفة الفنية، بمداخل المساكن، اذ تعتبر العنصر الوحيد المزخرف خارج المسكن ولعل السر في ذلك هو الاستعداد للترحيب بالزوار وادخال

الانشراح إلى قلوبهم، ويقوم الباب باطار من الرخام الأبيض، خاصة في مساكن الأثرياء، وباطار من الحجر الجيري في مساكن العوام والغريب في الأمر أن الاطر الرخامية لا تتوفر على زخرفة غنية بالعناصر، بل اقتصرت على حزوز تحف بها، أو على رمز الهلال في زوايا مثلث العقد وكذلك في مفتاحه، أو نجد مكان الهلال، ورقة الاقنثة بشكل مستدير مرفوعة على سحابة غائمة، كما نجد أيضا اكليلا من الزهور مطوقا للعقد، ومتدليا على عمودي العقد (الشكل 7) بينما اطر الأبواب للمساكن الشعبية نجدها غنية بالعناصر الزخرفية وان كانت موحدة النمط، تتمثل في نقش ونحت الورود على أعمدة وبدنات العقود، وتوزيعها بالتجاور (الصورة الثانية عشرة) بينما نجد زهرة عباد الشمس بارزة ومركبة في مفتاح العقد. وتعتبر الزخرفة النباتية التي تزدان بها أطر الأبواب أكثر شيوعا في مدينة الجزائر، بالرغم من أنه لا يوجد لها مثيل في البلدان العربية، مما يمكن القول أنه تطور حديث، بدأ في الظهور ابتداء من القرن العاشر للهجرة (أواخر القرن 16 م).

المربعات الخزفية :

تتخذ المربعات الخزفية مكانا واسعا في المسكن الجزائري، فهي تكسو ما يقرب من المتر للجدار الأسفل من الجدار، حتى أن أحد الدارسين قد قدر عددها في أحد القصور بـ 500.000 مربعة[21] كما تؤزر بها اطر العقود، التي تبتدىء من تاج العمود، وكذلك تشكل منها افاريز متصلة بالسقف، سواء داخل الغرف، أو خارج جدرانها الموالية للصحن.

واذا كانت رغبة السكان هي الحصول على تجميل المسكن وابراز أبهة رفيعة له، تنبىء عن مدى مكانة رب المسكن في المجتمع، فان الهدف الأساسي للمربعات هو الحصول على عنصر معماري، يتمثل في جعل الغرف تتمتع بجو لطيف تطرد الحرارة المنعكسة من سطح وسط الدار، ذي الأرضية الرخامية، وأيضا المحافظة على الجو الدافىء للغرفة أثناء فصل البرودة، فهي بذلك تقوم بدور العازل المضاد لكل فصل من فصول السنة.

وتتوزع أنواع مختلفة من المربعات الخزفية، في مساكن مدينة الجزائر بل وفي كل القطر. وبالرغم من كثرة أنواعها، والتي ترجع إلى مختلف البلدان الأوربية، فانا مازلنا نجهل النوع المصنوع محليا، كما أنه لم نجد تلميحا عنه عند الباحثين الذين اهتموا بدراسة الفن المعماري بالجزائر[22] وترجع كثرة أنواع المربعات الخزفية بالجزائر إلى قوة الأتراك العثمانيين وبسط نفوذهم في عرض البحر الأبيض المتوسط على الدول الأوربية قاطبة، ابتداء من القرن 16 إلى بداية القرن 19 م (الصورة 17).

الزخرفة الجصية :

تعتبر المادة الجصية من أكثر المواد طواعية للزخرفة وقد شغلت حيزا كبيرا بداخل المساكن، حيث شكلت منها الأفاريز والأجزاء العليا لجدران الغرف وحواشي القباب والنوافذ.

وأهم العناصر الزخرفية، التي نحتت من الجص[23] ما اصطلح عليها بالعناصر المغربية، أو عرانيس الأرابسك (الرقش) المغربية[24] وبذلك غاب الطراز المشطوف أو المائل في هذه الزخرفة، نتيجة تضافر ورقة التشبيكات، ثم تكوين الأطباق النجمية، وعناصر أخرى كثيرة. ومن الأهمية هنا أن نشير إلى الاستمرارية للزخرفة الكتابية الكوفية على الأخص، بالرغم من أنها لم تنمق كثيرا، الا أنها ذات جمال اخاذ، شملت هذه الزخرفة الكتابية كلمات غير مألوفة في الفن الاسلامي وهي : العاقبة، والفانية والباقية.

المراجـــع :

ـ الدولاتلي (ع) المدن العربية بين الأصالة والمعاصرة، مجلة (المستقبل العربي) العدد 13 (السنة 2) آذار/مارس 1980.

ـ ,, المدينة العربية في تونس (كتيب خاص) دون ناشر وتاريخ.

ـ شافعي (د/ف) العمارة العربية في مصر الاسلامية، ج1 : عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة 1970.

— Abdennabi (H.); Habitations à patios : passé, présent, avenir,... (Mémoire, Institut d'Urbanisme, Alger, 1962, «Dacty»)

— Berbrugger (A.), Bibliothèque Musée d'Alger, Bastide, 1860.

— Gavault (P.), Notice sur la Bibliothèque-Musée d'Alger, Revue Africaine, n° 214-215 (1894).

— Gl Broussaud; Les carreaux de faïence peints dans l'Afrique du Nord, Paris, plon, 1930.

— Marçais (G.); Manuel d'art musulman : L'Architecture : Tunisie, Aglérie, Maroc, Espagne et Sicile. t.II, Paris, 1927.

« «; L'architecture musulmane d'occident, Paris, 1954

« «; Maisons et villas musulmane d'Alger, Documents Algériens, vol. 1948.

— Raymond (A.); le Centre d'Alger en 1830, Revue de l'Occident Musulman et de Méditerranée, n° 31-1981-1.

— Van Berchem (M.); Sedrata : un chapitre nouveau de l'histoire de l'art musulman; Ars Orientalis, vol. I, (MCMLIV).
Sedrata: une ville du Moyen-Age ensevilie dans les sables du sahara Algérien, Documents Algériens, n° 11 (1953).

الهوامـــــش :

1) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، يمكن الرجوع إلى المقالتين الآتيتين :
ـ ع. الدولاتلي، المدن العربية بين الأصالة والمعاصرة، مجلة المستقبل العربي عدد 13 (السنة 2) 1980.

— A. Reymond, Le centre d'Alger en 1830, Rev. de l'Occident Musulman et de la Méditérranée, n° 31-1981 - 1

2) وتعرف أيضا بقصر الجنينة، وقد رحل عنها الداى سنة 1817 وتعرضت للهدم بعد أن شب بها حريق (ليلتي 26 و27 جوان 1844) وانتهى من تهديمها سنة 1856.

3) راجع ع. حليمي، مدينة الجزائر، منذ نشأتها حتى سنة 1830.

4) Les trésors de la Turquie,.... p 200, Genève, Skira, 1966.

5) G. Marçais, Maisons et villas musulmanes d'Alger, Documents Algériens n° 1948, p 345.

6) Abdennabi, Les maisons à patios, (D.E.S) 1962, (Dactylo) (Mémoire, Institut d'urbannisme, Alger, 1962.

7) الموافق لسنة (1791 ـ 1798) وحسن باشا هو الذي اقرض فرنسا بعض المال بدون فوائد، راجع : ن. عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، ص 115.

8) هذا القصر كان زاوية لسيدي أحمد بن عبد الله الزواوي، المتوفى سنة 884 هـ/1479 م) راجع : ن. عبد القادر، المصدر السابق، ص 164.

9) لم يبق منها الا في نوافذ قصر الداي بالقصبة.

10) عرف عن الشيخ ابن مسايب الشاعر التلمساني بأنه يسمى مدينة الجزائر بلد الجير هذا ولم يسعفنا الحظ للعثور على ترجمة لهذا الشيخ الشاعر.

11) يعتبر المستوى الأرضي في الجنوب الجزائري والبلاد العربية كمكان للترويح، اذ تتجمع فيه نسبة كبيرة من الرطوبة.

12) مازلنا نبحث عن ترجمة صحيحة لكلمة (voûte d'arête) فالبعض يسميها سقف متصالب، وآخر ينعتها بالقبوات الدائرية أو المدببة ـ المتقاطعة كما أن بعضهم يستعمل كلمة الأقبية الطولية المتقاطعة.

13) تطلق كلمة سقيفة في كل البلاد العربية تقريبا، ماعدا في المغرب الأقصى فيسمونها اسطوان أما في تونس فيسمونها الدريبة.

14) دكتور شاو، الرحلة في ايالة الجزائر، ص 94 (غير مترجم).

15) ف. شافعي، العمارة العربية في مصر الاسلامية، ص 191.

16) ع. الدولاتلي، المدينة العربية في تونس (كتيب خاص) دون ناشر أو تاريخ بالنسبة للحكام، والتي توجد في ضواحي المدينة.

17) راجع ج. ماسي، قصور، ومنازل المسلمين بمدينة الجزائر، في مجلة وثائق جزائرية، ص 345.

18) لعلّ هذه الوظيفة هي التي دفعت فريد الشافعي ينعتها بالظلات، راجع كتابه السابق الذكر ص 355.

19) هذا التركيب المعماري للحمام كان معروفا منذ أيام الرومان، راجع : مادة الحمامات في دائرة المعارف الاسلامية.

20) المونة تتركب من الجير والجبس ورماد الأفران.

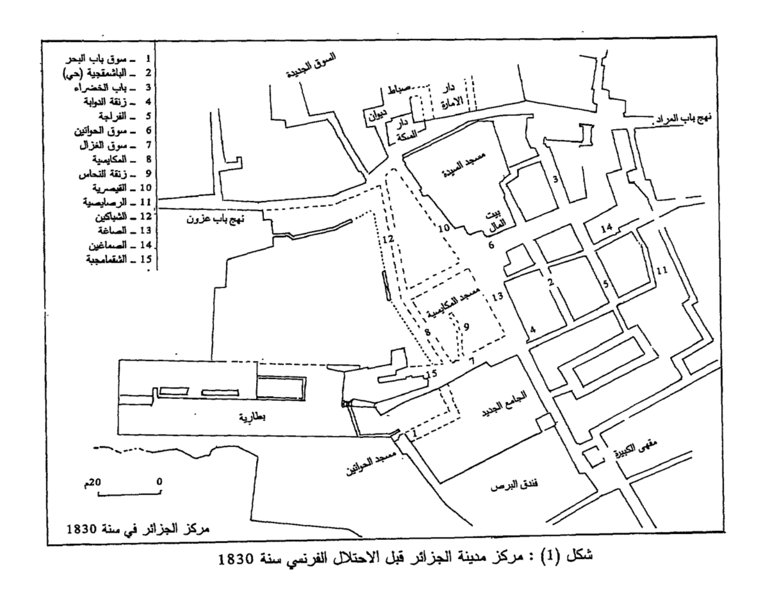
21) دراسة خاصة قام بها مارسيل فيليبرت، وقدمها إلى لجنة الجزائر القديمة.

22) Gl. Broussaud, Les carreaux de faïences peints dans l'Af. du Nord Paris, 1930.

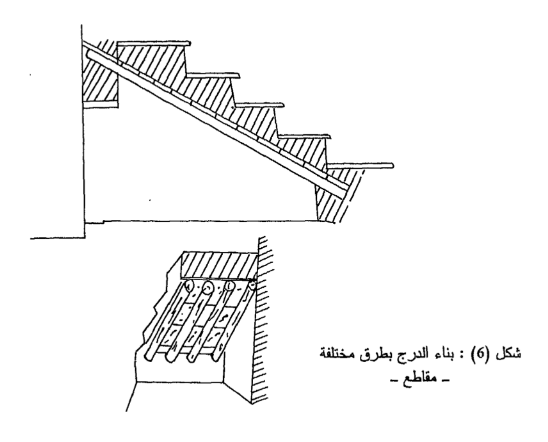
كما أن هناك باحثا جزائريا يعد رسالة دكتوراه الدور الثالث عن هذا الموضوع نرجو أن تجد ما نفتقده.

23) يتم نحت الجص بعد أن ترسم العناصر فوق الطبقة الملساء.

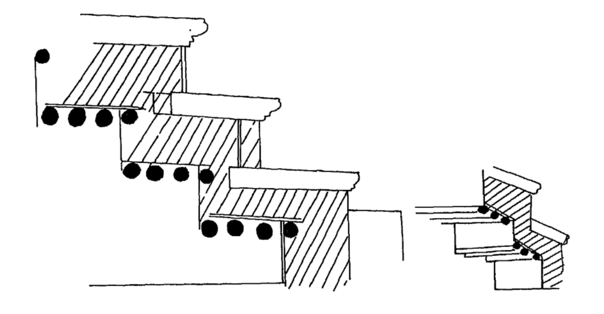
24) M.V. BERCHEM. Le Palais de Sedrata dans le désert Saharien (Ars Orientalis, vol. I; MCMLIV, p 164).

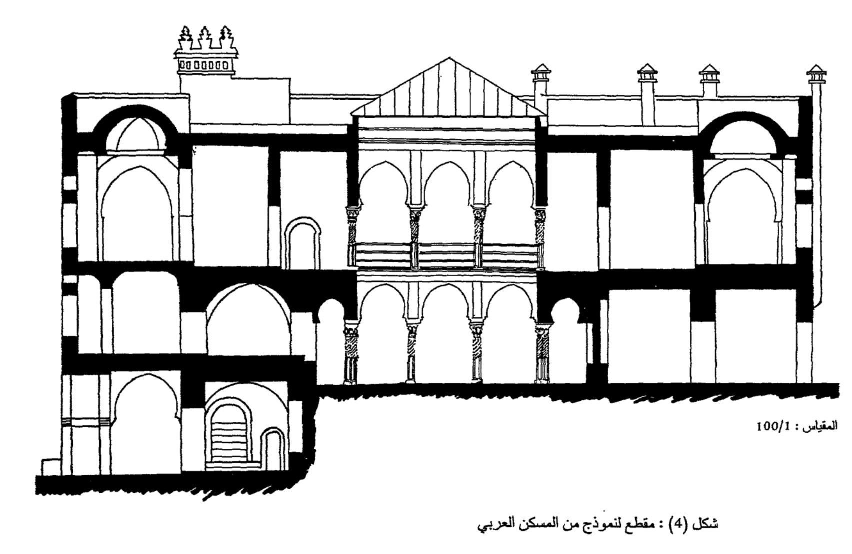


شكل (1) : مركز مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830



شكل (6) : بناء الدرج بطرق مختلفة
ـ مقاطع ـ





شكل (4) : مقطع لنموذج من المسكن العربي

حول مخطط أغادير ـ تلمسان بين الفتح الاسلامي وحلول المرابطين

الدكتور سعيد دحماني

ـ الاطار الجغرافي :

يمثل موقع أغادير نجدا منحنيا من الغرب إلى الشرق وهو امتداد للنجد الذي أقيمت عليه تلمسان الحالية.

ويحدد هذا النجد جنوبا وجنوبا شرقيا وادى متشكانة الذي كان يمثل خندقا طبيعيا يعززه السور الذي لا تزال منه بقايا قائمة. اما شمالا وشرقا فيحد النجد سور عال من الطوب، ويقف النجد من الجهة الشمالية على حافة هاوية تطل على سهل المنية الممتد شمالا.

ويبلغ عرض هذا الجزء من النجد، الذي أقيمت عليه مدينة أغادير حوالي 550م، أما طوله فيبلغ 650 إلى 700 مترا، أما ارتفاعه فيكيل 750 إلى 800 مترا.

ـ الاطار التاريخي :

1) قبيل الاسلام

انه مما لا شك فيه أن عمر الموضع قبل الاسلام، ففي الفترة الرومانية (حيث كانت المدينة تدعى بوماريا) كانت مركزا يقطنه أهالي المنطقة كما يبدو انه استعمل كنقطة مراقبة عسكرية رومانية[1].

2) من الفتح الاسلامي إلى ظهور المرابطين[2]

ويبدو ان فتح اغادير ـ تلمسان وقع أثناء حملة أبي المهاجر أي بين حملتي عقبة بن نافع الأولى والثانية وذلك بين 55 هـ و 61 هـ ولا تذكر المصادر كيف اسلمت وما أصبح دورها في التقسيم الاداري لولاية افريقية والمغرب.

ثم يعود ذكر تلمسان في المصادر في القرن الثاني للهجرة عند قيام ثورات الامازيغ ضد ولاية بني أمية ومنطلقها ثورة ميسرة المدغرى سنة 122 هـ (740 م) الذي أسس دولة ربما كانت أغادير أحد مقاطعاتها.

وبقيت تلمسان ـ مثل المغرب الأوسط والأقصى عموما ـ في صراع مع ولاة بني أمية ثم مع ولاة بني العباس، وعندها استقلت القبائل اليفرنية في منطقة تلمسان تحت لواء أبي قرة الذي جعل من أغادير دار حكمه سنة 140 هـ (757 م) وربما بايعه قومه بالخلافة. ثم انتقلت أغادير ـ تلمسان إلى حكم سلالة ابن خزر بن صولات وهو أيضا من الزناتيين إلى حدود سنة 174 هـ (790 م).

وعند قيام ادريس الأكبر، كون دولة انضمت إليها قبائل مغراوة وبني يفرن فأصبحت أغادير ـ تلمسان خاضعة للادارسة وتولى فيها الولاية سليمان أخو ادريس وأعقابه. ولم تخرج المدينة من الفترة الادريسية وفترة الصراع بين الدولة الفاطمية وأمويي الأندلس الا سنة 375 هـ (986 م).

وإستقل بالحكم بنو خزر المغراويين الموالين لبني أمية الأندلسيين فحكموا أغادير فيما حكموا. وقد دال بها احد أبناء زيرى ابن عطية يعلى وإعقابه إلى قيام المرابطين سنة 473 هـ (1081 م) وعين يوسف بن تاشفين واليا على أغادير قائده محمد بن تينامر المسوفي ثم أخاه تاشفين وعند هذا الحد أنشأ المرابطون مدينة جديدة (تاغرارت) غربي أغادير وهي قلب مدينة تلمسان الحالية.

والملاحظ أن أغادير بقيت آهلة في الحقب التاريخية اللاحقة الا أن الوظائف الأساسية (إدارة... وغيرها) تحولت إلى المركز الجديد بتاغرارت.

ـ ما بقي من أغادير القديمة :

وبقي من مخطط مدينة أغادير ـ تلمسان العام آثار السور الذي ترجع منه اجزاء إلى ما قبل المرابطين وأجزاء منه إلى أيام الموحدين وبني زيان وقد قام بوصفها ودراستها ويليام وجورج مارسيه خاصة[3].

فاما آثار المباني العامة التي يتصل تاريخها بأغادير قبل حلول المرابطين فهي :

أ) المسجد الجامع الذي وقع العثور على بقاياه وتخطيطه بفضل الحفريات التي انطلقت منذ سنة 1973[4].

ب) كما توجد شمالي ـ شرقي المسجد بقايا حمام يبدو أنه معاصر للمسجد ويقع على نفس مستوى أرضية الجامع.

ج) حي الباغة الذي يقوم عند السور الشمالي.

د) ضريح ومصلى سيدي الداودي (المتوفى سنة 402 هـ/1011 م) ويوجد خارج السور عند باب القبة.

هـ) ضريح سيدي وهب (أو وهاب ـ وهو حسب البعض من الصحابة الذين شاركوا عقبة بن نافع في فتح تلمسان وتوفي بها).

فالملاحظ أنه لم يصلنا من أغادير القديمة الا القليل وذلك لأن المدينة الأولى فقدت وظيفتها السياسية والادارية عند حلول المرابطين وما انفكت تفقد تبعا لذلك سكانها على مر القرون إلى أن أصبحت ـ خاصة عند آخر مرحلة من دولة الزيانيين ـ بساتين وأرضا تغلب عليها الزراعة.

والمشكل الأساسي اليوم هو كيف يمكن تصور تخطيط أغادير عندما كانت المدينة مركزا سياسيا واداريا واقتصاديا؟

لنا بالطبع شهادات المراجع التي ألفها الرحالة أو الجغرافيون وأهمها ما نجده عند ابن حوقل والبكرى.

ـ وصف المدينة في المراجع :

فيقول ابن حوقل(5).

(... وهي مدينة أزلية، ولها أنهار جارية وأرحية عليها وفواكه ولها سور من آجر حصين منيع).

ويروى أبو عبد الله محمد بن ابي بكر الزهرى(6)

(... وهي مدينة عظيمة، فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة وهي كثيرة الزرع والضرع، ولها أعمال كثيرة، وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدإع وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة وغير ذلك...)

ويقدم البكرى الوصف التالي(7)

(وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجر الجوز ولها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة، باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة. وفيها للاول آثار قديمة وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا، ولهم بها كنيسة معمورة وأكثر ما يوجد الركاز في تلك الآثار. وكان الأول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال. وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين، وهو نهر سطفسيف وهي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق. ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب. ومن ولده عيسى أبو العيش بن ادريس بن مخمد بن سليمان، الذين بنى جراوة وكان أميرها وبها توفي ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله...)

ـ محاولة تصور مخطط أغادير :

فقدم المراجع تؤكد قدم أغادير ووجودها قبل الاسلام فهي (مدينة أزلية) و(فيها آثار قدمية للأول) ويؤكد قيام عمران بشري قبل الاسلام ما عثر عليه من بقايا الفترة الرومانية عندما كانت المدينة تسمى بوماريا والتي اعتمد عليها كانال لوضع تصوره لمخطط المدينة بين 47 ق.م و438 بعد م.

وبعد ذلك ـ عند قيام الامارات الأمازيغية المستقلة قبل الاسلام ـ أصبحت مركزا لهم وربما هذا الذي يشير إليه البكرى عندما يقول (وهي دار مملكة زناتة).

فالموضوع بقي مركز عمران قائم قبل الاسلام وبعده فأغادير اذن ليست مستحدثة مثل مدن اسلامية أخرى بالشمال افريقي ولم يستغن عنها الفتح الاسلامي بل استمر في استعمال الموضع.

ولم تضعف مكانتها بين فجر الاسلام بها ووصول المرابطين فيقول الزهرى (هي مدينة عظيمة... وهي دار مملكة) ويذكر ابن حوقل والبكرى سورها وهو الذي لا تزال اجزاء منه قائمة، واذا ما قارنا اتساع المدينة بين ما كان عليه أواخر الفترة الرومانية وعند حلول المرابطين وجدنا أن السور المحيط بها يكيل 350 × 200 م فكانت المدينة أيام الرومان تمسح قرابة 7 هكتارات داخل سورها وعند حلول المرابطين اتسعت رقعة السور، فاعتمادا على مقاييس المسجد الجامع الذي كشف عليه (42,25 م × 38,75 م) والتي تبلغ مساحته 1637,19 مترا مربعا فلقد أصبحت مساحة أغادير حوالي 21 هكتارا، أي أن ضلع السور المحيط بها قد بلغ حوالي 458 م طولا[7].

وبذلك ونظرا لوضعية ما بقي من السور ووضعية الموقع الجغرافي فربما كان مخطط المدينة في شكل شبه مربع[8].

ويذكر البكرى تفصيلا هاما حول السور فيقول : (ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة : باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب القبة وفي الغرب باب أبي قرة).

ومن بين هذه الأبواب التي وصلتنا باب القبة، أما الأبواب الأخرى فنرى أن ثلاثة منها تخص الجانب الجنوبي من السور غير أنه ليس لدينا ما يؤكد وضعها المدقق على السور، فان كان الأمر ممكنا بالنسبة لباب وهب الذي يحتمل احتمالا قويا أنه كان في المنطقة التي أقيم بها الضريح الذي يحمل اسم سيدي وهاب وربما كان يتوسط السور الجنوبي، فالامر ليس كذلك بالنسبة للبابين الآخرين، فربما كان باب الحمام على الجهة الشرقية من السور اذ هي منطقة قريبة من المياه وحيث كان يسهل فيها بناء حمام؟ أما باب الخوخة الذي يحتمل انه كان غرب السور الجنوبي فربما كان بابا متصلا بقلعة أو قصبة؟ أما بالنسبة لباب أبي قرة فيمكن الاحتمال انه كان متوسطا السور الغربي على أساس مقابلته للباب الشرقي أي باب القبة.

وكما ترى فالمراجع غير واضحة ولا مفصلة ولن نتمكن من ضبط الحقيقة الا عن طريق الحفريات الموسعة والمعمقة.

أما عن مراحل بناء السور وتطوره واتساعه فمما لا شك فيه أنها وقعت فالحوادث التاريخية التي مرت بها أغادير منذ الفتح إلى حلول المرابطين تفرض ذلك، فأيام الثورات الخارجية خاضت المدينة غمار الحروب ولم يعط اسم أبي قرة لأحد أبواب المدينة ان لم يكن ذلك مقرونا بأعمال تعزيزية للدفاع عن المدينة.

كما تخللت الفترة الادريسية صراعات أدت إلى اصلاحات وتعزيزات للسور وكذلك أثناء حكم بني خزر، ولكن المراجع التاريخية الموجودة لدينا الآن لا توضح الرؤيا فيعود اذن للبحث الأثري الاعتناء بذلك.

أما المخطط المعماري داخل المدينة فالمراجع لا تعطي الا عموميات عن الارحية والطواحين المقامة على الأنهار (ابن حوقل والبكرى) كما يتحدث الشاعر بن خميس عن (ساقية الرومي) وعن جلب الماء إليها من عيون تسمى لوريط (البكرى) وتروى ان (لها أسواق ومساجد ومسجد جامع) (البكرى) وتؤكد على عمل الصوف (الزهرى) وانها (مقصد لتجار الافاق) (البكرى) وتضيف إلى هذا إشارة إلى التركيبة الاجتماعية فهي (دار زناتة) وبها (بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة) (البكرى).

غير أن موقع مختلف هذه المعالم العمرانية غير وارد في النصوص فتعذر وضع رسم صحيح مدقق لأغادير باستثناء موقع المسجد الجامع الذي وقع العثور عليه.

فالمسجد الجامع يقع على قرابة 150 م من السور الشمالي وكذلك من السور الشرقي وعلى 250 م من السور الجنوبي وعلى قرابة 350 من السور الغربي المحتمل فالمسجد في شبه وضعية قلب المربع الذي تمثله المدينة وربما كان في وضعية تميل إلى الشطر الشرقي من المربع المحتمل قبيل دخول المرابطين فذلك يعود إلى كون المدينة قد اتسعت في اتجاه الشطر الغربي ولنا مقاس عليه فتطور مختلف مراحل تلمسان كان دائما نحو الغرب (احداث تاغرارت ثم احداث المنصورة...) وبصفة عامة فموضوع المسجد الجامع بأغادير هو نفس موضع الجامع الكبير بتاغرارت مما يجعلنا نتساءل هل تخطيط تاغرارت لم يكن قد وضع على غرار تخطيط أغادير؟

فانطلاقا من موقع المسجد الجامع المتأكد عندنا واستنادا إلى مخطط تاغرارت واعتمادا على وجود حي الدباغة القائم، يحتمل ان احتلت الأحياء العاملة والأسواق المشار إليها في المراجع شمال وشرقي ـ غربي المسجد الجامع وربما كان حي القيصريات التي يفد إليها التجار المشار إليهم في المراجع عن مقطع طريق رئيسية شرقية ـ غربية (الواصلة بين باب العقبة وباب أبي قرة) وطريق رئيسية جنوبية (عن طريقة باب وهب).

فلعل الشطر الشمالي من المدينة كان الحي الاقتصادي والتأكيد على هذه الأهمية يقوم على ماكانت عليه تلمسان من الأهمية في خريطة شبكة الطرق والمسالك التجارية بمحوريها الأساسيين : الأندلس إلى افريقيا والمغرب الأقصى إلى القيروان وإلى الشرق. ويضاف كاحتمال اضافي بالنسبة لهذا الشطر الشمالي انه كانت تسكنه المجموعة النصرانية حول كنيستها.

أما الاحياء السكنية فيحتمل انها كانت منتصبة جنوب المسجد الجامع وغربيه، فمختلف الطبقات الأثرية التي وقع كشفها جنوب المسجد الجامع هي طبقات سكنية.

أما محيط المسجد الجامع فلعله كان حي الادارة والمؤسسات التعليمية والعلمية؟

ولم تذكر النصوص وجود أو عدم وجود قصبة دفاعية بأغادير ولكن أمام ما مرت به المدينة من أهوال (فالطبقات الرمادية الحاملة لآثار التهاب حرائق هائلة بحفريات أغادير تدل دلالة صريحة على ذلك) فانه من المحتمل أن كان بالمدينة جهاز دفاعي من طراز قصبة أو تكنة وقد يكون أقيم في المنطقة الجنوبية الغربية من المدينة على الأقل.

على أن هناك تفصيل معماري يكون فيه الاحتمال قريبا من الحقيقة وهو الأريحة والطواحين : فهي ربما كانت مقامة على وادي متشكانة جنوبي وشرقي المدينة. أما (ساقية الرومي) التي يشير إليها الشاعر ابن خميس والتي يبدو أن نص البكرى يعنيها في نصه (وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون...) فربما كانت تسقي المدينة آتية من الجنوب أو من شرق المدينة؟ مما يدعم احتمال وجود باب الحمام كما اقترحناه، فهذه المجاري كانت تغدق ماءها في ما تغدق على حمام بالجنوب الشرقي من أغادير.

والخلاصة أن المراجع التاريخية والجغرافية بعيدة عن ان تمكننا من العناصر لرسم تخطيط أغادير ـ تلمسان التي طمست معالمها الا ما قل فهي تجعلنا نتصور فقط أهمية المدينة وما كانت تحتويه ـ في الخطوط العريضة ـ من المعالم العمرانية.

والاحتمالات المعتمدة سواء أكان ذلك على ما أبقت عليه الأيام وما عثر عليه أثناء الحفريات، أو كان على القياس بتخطيط تاغرارت، فهي ليست الا نظرية للعمل الأثري والتقديم له فهو الذي يستطيع وحده التمكين من ضبط مخطط أغادير المعماري بين الفتح والعهد المرابطي.

الهوامـــش :

1) انظر : J. CANAN, Pomaria, Tlemcen sous la domination romaine, in : Bulletin de géographie et d'archéologie d'Oran, 1889 pp 257 à 324.
وقد قام في مقاله بتقديم تصميم تصويري لمخطط بوماريا ما بين 47 ق.م و438 بعد م.

2) انظر – ابن خلدون، كتاب العبر
– يحيى بن خلدون، بغية الرواد
– ابن عذارى المراكشي، البيان
– ابن الاثير، الكامل في التاريخ.

3) انظر W. G MARCAIS, les monuments arabes de Tlemcen Paris 1903, pp 113-135.

4) انظر التقرير الأولى حول حفريات أغادير بمجلة الآثار الجزائرية ج 6، ص 243، 256 والبحث الذي قدم أمام مؤتمر صنعاء (اليمن، مارس 1980).

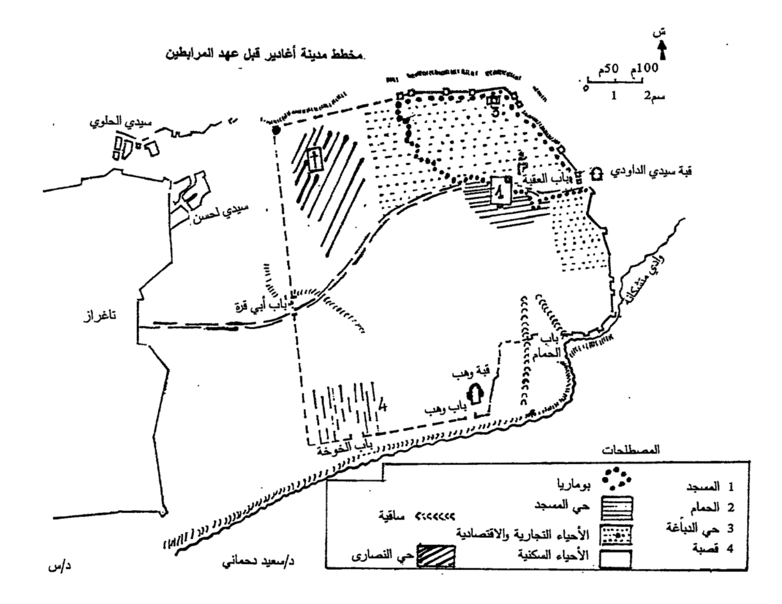
5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 88، دار الحياة، بيروت.

6) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق الحاج صادق ص 194 ف Bulletin d'études Orientales, T. XXI, Damas 1968.

7) البكرى، المسالك والممالك، ص 77/76 طبعة مكتبة المثنى بغداد.

8) اعتمادا على نظرية الكسندر ليزين في النسبة القائمة بين مساحة المسجد الجامع ومساحة المدينة عموما.

9) انظر المخطط المرفق.



مخطط مدينة أغادير قبل عهد المرابطين.

المدفن في الشرق القديـــــم

سوريا، فلسطين، بلاد الرافدين، والخليج العربي

د. معاوية ابراهيم

لم تكن عادات الدفن لتنفصل عن المنازل والحياة اليومية وكذلك الأديان والطقوس الدينية التي شاعت في الشرق الأدنى القديم عبر جميع فتراته الزمنية منذ انسان العصر الحجري وحتى اليوم. الا ان هذه العادات أخذت طرقا متباينة تبعا للفترة الزمنية والمنطقة الجغرافية وكذلك أسلوب ونمط الحياة في تلك الحقبة أو تانك المنطقة، الأمر الذي يجعلنا أن نتطرق في هذه الدراسة إلى عادات الدفن تبعا لوحدات جغرافية رئيسية ولفترات زمنية ابتداءا من أقدم العصور وحتى العهود العربية الاسلامية. وتجدر الاشارة هنا إلى أهمية الدراسات والأبحاث المتعلقة بالمدافن وعادات الدفن بشكل لا يقل عن دراسة المدن والمواقع السكنية، فغالبية الكنوز الأثرية التي نشاهدها في المتاحف والمعارض الأثرية استخرجت من المدافن، وحتى الغزاة حافظوا على حرمة المدافن وأبقوا عليها على ما هي عليه لما لها من مكانة خاصة ولارتباطها بالعادات والمعتقدات الدينية، الأمر الذي أبقى على محتوياتها في غالب الأحيان على وضعها الأصلي وسهل على المنقبين والباحثين استخراجها ودراستها.

ومن الواضح أن تطور عادات الدفن كانت تختلف بتغير البيئة والمعتقدات الدينية ووسائل الانتاج بالاضافة إلى الانتقال من فترة زمنية إلى أخرى. لتسهيل هذا الاستعراض لابد من البحث في تقسيم الشرق القديم إلى مناطق جغرافية رئيسية، خاصة في سوريا وفلسطين كوحدة جغرافية وحضارية وبلاد الرافدين ـ الخليج العربي كوحدة أخرى مع الأخذ بعين الاعتبار التأثيرات المتبادلة والعلاقات التي كانت تربط هذه الوحدات قبل الاحتلال اليوناني والروماني لها. سنلاحظ من خلال هذا الاستعراض تنوع المدافن في المنطقة الواحدة كما سنتتبع تطور هذه العادات عبر حلقة التسلسل التاريخي.

المدفن هو الموضع الذي يدفن فيه ميت سواء كان حفرة أو تجويفا في الأرض أو في الصخر، وقد يكون المدفن عبارة عن بناء من الحجر أو الطين أو الطوب، أو تابوتا حجريا أو فخاريا، أو جرة فخارية، أو مزيجا من البناء والطمر الترابي ليظهر على شكل كومة أو تلة ترتفع فوق سطح الأرض أو ما يعرف بتلال المدافن (Tumuli). كما قد يكون المدفن في منتهى البساطة أو صرحا ضخما. ولا يجب أن يخفى على ذهن الدارسين أنه كثيرا ما تركت

جثث الموتى في العراء، خاصة في عصور ما قبل التاريخ. غالبا ما وجدت المدافن خارج المواقع السكنية وقريبة منها، وكشف عنها في بعض الأحيان داخل المستوطنات أو حتى تحت مساطب البيوت.

يلاحظ في بعض الفترات الزمنية أن دفن الموتى لم يقتصر على الانسان وإنما تعداه إلى الحيوانات التي وجدت لها في بعض الفترات الزمنية مدافن خاصة وكانت تدفن في كثير من الأحيان مع الانسان كجزء من المرفقات الجنائزية.

مصادر معرفتنا عن عادات الدفن تعتمد إلى حد كبير على ما تم الكشف عنه من مدافن، ولكنها لم تقتصر عليها، ففي حضارتي الرافدين ومصر تتحدث المصادر المكتوبة عن الموت منذ الالف الثالث ق.م (Jacobsen 1980: 19-24) وكذلك ما بعد الموت (Bottero, 1980: 25-43). لقد ساد الاعتقاد في حضارة الشرق القديم بأن هناك حياة أخرى بعد الموت وارفقت مع الميت تقدمات لها علاقة بمأكله ومشربه ومعتقداته الدينية وممتلكاته الشخصية. فمنذ العهد البابلي القديم تتحدث بعض النصوص على أن المرفقات الجنائزية (كسبو Kispu) واجب على ورثة الميت (Tsukimoto 1980: 129-138). كما تمثلت عادات الدفن في الانتاج الفني لشعوب الشرق القديم، فظهرت اشارات على الأختام الاسطوانية التي عثر عليها في بلاد الرافدين (Porada 1980: 259-270).

سوريا وفلسطين :

اهتم انسان هذه المنطقة منذ العصر الحجري القديم قبل أن يعرف أي نوع من حياة الاستقرار بدفن الموتى، اذ كشفت التنقيبات التي أجريت في عدد من الكهوف في فلسطين عن مدافن لرجال ونساء وأطفال تم وضعها في **مداخل الكهوف** أو على **المصاطب الموجودة** أمامها.

مثال ذلك : كهوف جبل الكرمل (مغارة السخول، مغارة الطابون، جبل قفزة) ومغارة الزطية بالقرب من وادي العمود. وجد داخل هذه الكهوف عدد من الهياكل العظيمة التي تعود إلى فترة الموستيريان وتماثل إلى حد كبير انسان نياندرتال الذي كشف النقاب عنه في أوروبا (Anati 1961 : 103 — 109, Perrot 1979 : 103-105, Garrod 1937).

تشهد منطقة الشرق القديم في أواخر العصر الحجري القديم ـ المرحلة الناطوفية ـ (حوالي 10000 ق.م) تغيرا مناخيا وبيئيا مما ساعد انسان المنطقة على البدء بحياة الاستقرار، مع انه استمر في استعمال الكهوف التي لجأ إليها لحماية نفسه من ظروف الطبيعة القاسية وليتجنب شر الحيوانات المفترسة، الا أنه استطاع أن يحدث تغيرا هاما في حياة البشرية فأخذ يبني الأكواخ التي تمثل اقدم ما عرف من مواطن الاستقرار المرتبطة بحياة زراعية بدائية. تمكن المنقبون من العثور على حقول للمدافن في هذه الفترة، اذ وجدت هياكل

عظميةكاملة في أوضاع مختلفة كأن تكون ممدودة أو بشكل قرفصائي، كما هو الحال في موقع الملاحة على بحيرة طبرية. فقد وجدت الهياكل العظمية في هذا الموقع مدفونة بشكل جماعي ووجد معها بعض المرفقات الجنائزية مثل حلي الرأس والرقبة وبعض الأصداف البحرية وقرون الغزلان. عثر في موقع عرق الأحمر إلى الجنوب الشرقي من القدس على سبع جماجم بشرية وجدت معها اسنان حصان (Neuville 1951).

موقع هام آخر بالقرب من قصر الخرانة الاسلامي ــ حوالي 70 كم إلى الجنوب من عمان ــ تم الكشف عنه مؤخرا من قبل دائرة الآثار الأردنية باشراف السيد مجاهد المحيسن (Muheisen 1981). وقد عثر المنقب على موقع أشبه بالمعسكر يخلو من البقايا المعمارية الظاهرة. يعود تاريخ الموقع إلى أواخر العصر الحجري القديم (17000 ــ 8000 ق.م). من بين المكتشفات الهامة مدفنان لرجلين بالغين، وجد مع احدهما قرن غزال أو ماعز على كل من جانبي الرأس. يتوقع المنقب وجود عدد آخر من المدافن التي تحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب.

أما في أريحا القديمة (تل السلطان) فقد تم العثور على مجموعة **من الجماجم تحت مساطب البيوت**. الذي يلفت النظر في هذه الجماجم هو تغطيتها بالجبس والصلصال أما العيون والآذان فقد تم ملؤها بالأصداف. قد تمثل هذه الجماجم أقدم ما عرفه الانسان من التحنيط البدائي، وقد تشير إلى تقديس الأجداد (Sellin & Watzinger 1913; Garstang 1932, 1933, 1934, 1935, 1936; Kenyon 1957, 1960, 1965, 1971).

لم يقتصر دفن الموتى تحت أرضيات البيوت على أريحا وإنما وجد العدد من المدافن في وضع مماثل كما هو الحال في البيضاء ــ أحد مواقع العصر الحجري الحديث الهامة ــ الواقعة إلى الشمال من مدينة البتراء النبطية في جنوب الأردن، حيث تم دفن الموتى على الجانب الأيسر في وضع أشبه بالقرفصائي ولم يتمكن المنقبون من التعرف على اتجاه محدد للهياكل العظمية. وقد وجد الرأس للأشخاص البالغين في حالات متعددة منفصلا عن الجسم ومدفونا في موضع مختلف على غرار ما وجد في أريحا. أما الأطفال فقد وجدت هياكلهم كاملة مع العلم بأنهم يشكلون نسبة كبيرة من مجموع الهياكل العظمية التي عثرت عليها (ديانا كركبرايد) في الموقع. تمثل هياكل الأطفال في بعض الحالات ــ خاصة في الطبقة الثانية ــ توأما أو أكثر، وفي أربع حالات وجد مع كل هيكل خرزة بمحاذاة الرأس (Kirkbride 1960; Kirkbride 1966).

وهناك موقع معاصر لكل من البيضاء وأريحا يطلق عليه عين غزال بالقرب من عمان حيث وجدت مؤخرا مجموعة كبيرة من الهياكل العظمية في تجاويف تحت مساطب البيوت (Rollefson 1982). كشف خلال موسم واحد عن (15) مدفنا، وهناك دلائل تشير إلى وجود عدد آخر من هذه المدافن. تبين من الدراسة الأولية أن ثلاثة من هذه الهياكل لرجال تتراوح

أعمارهم من 30 ـ 50 سنة، خمسة لاناث من 13 ـ 40 سنة، وطفلين من 6 ـ 13 سنة. كما وجد جنين مكتمل في حوض أحد النساء في سن المراهقة، ويعتقد المنقبون أن عسر الولادة تسبب في وفاتها.

وجدت جماجم منفصلة أيضا في الطبقة العلوية من تل رماد في منطقة دمشق، ووجد معها أشكال آدمية بسيطة من الصلصال، كما لوحظ على بعض الجماجم آثار صبغ أحمر (Contenson 1963; 1964; 1966). تعود الطبقة العلوية في تل رماد إلى مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث حيث ظهرت أمثلة فخارية، بينما تعود المدافن التي عثر عليها في كل من أريحا، والبيضاء، وعرق الأحمر والملاحة إلى المرحلة التي تسبق صناعة الفخار من العصر نفسه أو حتى بعضها يعود إلى العهد الناطوفي.

تماثل عادات الدفن هذه ما عثر عليه في شمال سوريا، وخاصة مدافن تل مريبط التي تعود إلى المرحلة الناطوفية وفترة العصر الحجري الحديث لما قبل صناعة الفخار (Van Loon 1960).

أما في جبيل الساحلية (بيبلوس) إلى الشمال من بيروت فقد وجد مدفن من **النوع القرفصائي** ومعه خنجران تم وضعهما بالقرب من الصدر. ينسب هذا المدفن إلى أقدم طبقة كشف عنها دونان في الموقع. قد تعاصر هذه الطبقة العلوية في تل رماد ـ العصر الحجري الحديث ـ مرحلة صناعة الفخار. تضمنت الطبقة التي تعلوها هياكل عظمية لأشخاص بالغين تم دفنهم في صندوق ترابي، بينما وجد الأطفال داخل جرار فخارية لتمثل طورا جديدا في عادات الدفن في هذه المنطقة (Dunand 1939; 1950; 1956; 1964).

العصر الحجري النحاسي (4500 ـ 3200)

بقيت المدافن الأرضية منتشرة في شمال سوريا كما هو الحال في شاغار بازار، ومن المحتمل أنها استمرت في مناطق الجنوب ـ مثل الفارعة إلى الغرب من نابلس، وتل أبو مطر بالقرب من بئر السبع، الا أن الأمثلة الموجودة بين أيدينا تشير إلى تطور ملحوظ من خلال دفن الموتى داخل جرار وصناديق فخارية كما يظهر ذلك في مواقع حضارة غسول ـ بئر السبع والساحل الفلسطيني. ففي تليلات الغسول ـ في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الميت ـ وجدت مجموعة من عظام **الأطفال موضوعة داخل جرار فخارية**، وفي أحدى الجرار وجدت جمجمة طفل يتراوح عمره من 6 ـ 7 سنوات، ووجدت الهياكل العظمية في غالب الأحيان تحت مساطب البيوت وذلك استمرار لما كان متبعا في العصر الحجري الحديث (Mallon, Koeppel and Neuville 1934; 1940; North 1969: 1-24) أما في مواقع الساحل الفلسطيني (يازور، خضيرة، ابن براق) فظهرت اعداد من «الصناديق الفخارية» التي استعملت لدفن الموتى وتم وضعها على شكل مجموعات داخل كهوف صخرية كبيرة ولها مداخل رأسية. يحيط بالكهف من الداخل بسطة مرفعة من الحجارة الكبيرة،

استغلت كقاعدة لصناديق الدفن. الصناديق مستطيلة على شكل بيوت مخروطية يتخللها فتحات، أحدها من الأمام كبيرة الحجم. تحمل الصناديق من الخارج زخارف ورسومات هندسية، وغالبا ما توجد على الفتحة الأمامية صورة وجه انسان، وأحيانا شكل حيواني. ويحمل بعضها زخرفة بارزة لقرون حيوانات وأفاع. أحد هذه الصناديق من الحجر الذي وجد بداخله سبع جماجم والعظام التابعة لها مصنفة تبعا لاحجامها. أما العظام التي وجدت في الصناديق الأخرى فوجدت بداخلها الهياكل العظمية غير كاملة، وغالبا ما تم وضعها بداخل الصناديق في مرحلة متأخرة بعد الوفاة وقد تم حرقها أحيانا قبل وضعها داخل التوابيت. تدل هذه المكتشفات على تطور واضح في عادات الدفن والمعتقدات الدينية المرتبطة بها (Ory 1946; Kaplan 1963; Dothan 1961; Perrot 1961; Sukenik 1937).

ظاهرة جديدة أخرى تنسب إلى هذا العصر وقد تمتد إلى العصر الذي سبقه وترتبط هذه الظاهرة بوجود أنصاب حجرية تعرف باسم **الدولمنز** (Dolmens) كما لها علاقة بعادات الدفن في الألفين الخامس والرابع ق.م. وتتألف هذه الأنصاب عادة من لوحات صوانية كبيرة الحجم نصبت على جانبها لتشكل غرفة صغيرة على شكل مربع أو مستطيل، وتم سقفها بواسطة بلاطة كبيرة مشابهة تخرج اطرافها عن حواف البلاطات السفلية. يحيط بالنصب ـ أو في بعض الأحيان مجموعة أنصاب ـ ساحة دائرية مرتفعة مرصوفة (Ayoub 1982) غالبية الأنصاب موزعة على شكل حقول تتمركز فوق هضاب الأردن الشرقية الموازية لوادي الأردن. مازال الغموض يسيطر على هذه الأنصاب التي تشبه في شكلها وطريقة بنائها الأنصاب الحجرية الأوروبية. احتوت بعض المدافن من هذا النوع في موقع العظيمة شرقي البحر الميت على هيكل أو هيكلين عظميين، الا أن جميع الأمثلة التي تم الكشف عنها في الشمال لم تسلم على ما يبدو من التخريب ووجدت خالية من العظام (Anati 1961; 278-283; de Vaux 1970).

العصر البرونزي القديم (3200 ـ 2000 ق.م)

تشهد منطقة الشرق القديم مع نهاية العصر الحجري النحاسي تحولات اجتماعية واقتصادية هامة. يكثر النقاش حول هذه الفترة فبعض العلماء ينسبها إلى مرحلة متأخرة من العصر الحجري النحاسي (de Vaux 1970)، والبعض الآخر يطلق عليها فترة ما قبل التمدن (Kenyon 1960) وهناك رأي ثالث يرجح تبعيتها للعصر البرونزي القديم (Wright 1958; Amiran 1958). على أي حال، فمهما كانت التسمية فان هذه الفترة تمثل مرحلة انتقالية ما بين العصر الحجري النحاسي الذي يتميز بمجتمعات القرى الزراعية ومرحلة تأسيس المدن.

انتهى العصر الحجري النحاسي بظهور اعداد كبيرة من المدافن ذات **المداخل الرأسية** (Shaft tombs) التي تنسب إلى جماعات قضت على حضارة العصر الحجري النحاسي أو حضارة غسول ـ بئر السبع، ولم يكشف إلى الآن عن مستوطنات تتناسب والعدد الكبير لهذه

المدافن، مما دعا الكثير من العاملين في الآثار إلى الاختلاف على أنساب هذه المدافن من حيث التسمية ـ كما أشرنا أعلاه ـ وطبيعة المجتمع الذي ينتمي إليه أصحابها.

وتبقى المدافن الشاهد الرئيسي على الفترة التي تسبق عصر دويلات المدن، وقد وجدت غالبا في مواقع سكنية تطورت إلى مدن محصنة كما هو الحال في تل المتسلم، أريحا، بيسان، تل الفارعة وباب الذراع. تم قطع هذه المدافن من الصخر الطبيعي على شكل كهف أو بئر. يتضمن المدفن في العادة عددا من الغرف الجانبية تتفرع عن المدخل الرأسي. استعملت جميع الأمثلة المعروفة لدينا لأغراض الدفن الجماعي، اذ يصل عدد الهياكل العظمية في المدفن الواحد العشرات أو المئات الأمر الذي يدعو للاعتقاد بأنها تغطي فترة زمنية قصيرة قد تصل إلى 200 ـ 300 سنة.

لاشك بأن المدافن ذات المداخل الرأسية تمثل شيئا جديدا في عادات الدفن لم تكن معروفة من قبل، ويعزو البعض هذه الظاهرة الجديدة إلى مهاجرين جدد أدخلوا عادات دفن مغايرة لما كان سائدا في العصور السابقة. ويرى هؤلاء أن المرفقات الجنائزية وبشكل خاص الأواني الفخارية ذات اللونين الأحمر والأسود المصقولين، وكذلك الفخار الملون من انتاج القادمين الجدد (Kenyon 1960; Lapp 1970; 101-131)، بينما يعتقد ديفو أن هذا التطور كان محليا واعتبره استمرارا لحضارة غسول ـ بئر السبع (de Vaux 1970). وجدت مدافن هذا النوع في مختلف المواقع الفلسطينية خارج المواقع السكنية، وهي متجانسة إلى حد كبير من حيث شكلها ومحتوياتها، لذا نورد هنا وصفا مختصرا للمدافن التي تم الكشف عنها في موقع باب الذراع في منطقة اللسان شرقي البحر الميت.

استطاع المنقبون تمييز أربعة أنواع رئيسية من المدافن في باب الذراع. يمثل كل نوع مرحلة زمنية لتغطي بمجموعها مراحل العصر البرونزي القديم، أي في أواخر الألف الرابع وحتى نهاية الألف الثالث ق.م.

(Lapp 1960; 1968; 1970; Ibrahim 1972; Rast and Shaub 1978; 1980; Ortner 1981; Frohlich and Ortner 1982).

النوع الأول والأقدم (Shaft Tombs)

عبارة عن تجويف عمودي مقطوع في الصخر الطري يزيد عمقه على المترين وقد يصل إلى أربعة أمتار. يتسع في الأسفل ويتفرع عنه تجويف آخر أو أكثر. استعملت التجاويف أو الغرف الجانبية لاغراض الدفن. المدخل بيضوي أو اسطواني الشكل تقريبا وأحكم اغلاقه بتراب كلسي من نفس الصخر الذي قطع فيه القبر، وفي حالات أخرى تم تغطية المدخل بلوحة حجرية كبيرة تم وضعها بدقة تحت الفوهة بقليل، أما مداخل التجاويف الجانبية فقد أغلقت بواسطة بلاطات حجرية تتخللها أحيانا حجارة أصغر حجما، ووجد خلف كل مدخل درجة تؤدي إلى أرضية الغرف الجانبية.

والجدير بالذكر أن البعثة التي تنقب في باب الذراع منذ عام 1965 قد كشفت عن عشرات بل مئات المدافن من هذا النوع، ويظهر أن غالبيتها بقيت بعيدة عن أيدي العابثين واللصوص.

محتويات المدافن : غالبا ما احتوى المدفن الواحد على كوم من العظام لعشرات الموتى القيت على أرضية من الرمل الناعم أو الحصير، الكبيرة منها مرتبة بالتوازي والصغيرة دون انتظام ووضعت الجماجم على حدة. تمثل الجماجم رجالا ونساءا وأطفالا مصطحبين باعداد كبيرة من الأواني الفخارية، وكثيرا ما وجد وعاء أو وعاءان من البازلت، وكذلك هراوة من الرخام أو البازلت، وظهرت في بعض المدافن دمى من الطين أو الفخار وأساور وأسلحة برونزية. تعد الأواني الفخارية التي استخرجت من مدافن باب الذراع بعشرات الالاف تتضمن أصنافا محدودة تمت صناعتها على ما يبدو في مصانع مركزية، ويظهر أنها صنعت خصيصا لأغراض الدفن ولم يسبق أن استعملت لأغراض أخرى.

مازالت المدافن ذات المداخل الرأسية ومحتوياتها هي مصدر معلوماتنا الرئيسية عن نهاية العصر الحجري النحاسي وبداية العصر البرونزي القديم. أما بالنسبة للمواقع السكنية المعاصرة لها فانها تكاد تقتصر على ما هو أشبه بالمعسكرات كما هو الحال في باب الذراع (Lapp 1966; 1970)، أريحا (Kenyon 1957; 93-102; Hennessy 1967)، تلول أبو العلايق بالقرب من أريحا (Pritchard 1958; 14ff)، خربة الكرك على بحيرة طبرية (Maisler and Stekelis 1952: 165ff). قد يشكل موقع جادة الذي يقع على بعد حوالي 140 كم إلى الشمال الشرقي من عمان، استثناء حيث عثر المنقب سفند هيلمز على مدينة محصنة يعيدها إلى مرحلة المدافن ذات المداخل الرأسية (Helms 1981).

النوع الثاني : المدافن القبيبة

هناك عدد قليل من مدافن باب الذراع التي تلي النوع الأول زمنيا وقد تشكل حلقة وصل بين **المدافن ذات المداخل الرأسية والمدافن المستطيلة**. تم بناء هذا النوع من الطوب على شكل قبة، يستدير في الأسفل ويضيق باتجاه الأعلى وله مدخل ضيق نسبيا تحيط به بلاطتان حجريتان تعلوهما بلاطة ثالثة. يسبق المدخل باحة صغيرة مسوّرة ومرصوفة بالحجارة. مادة البناء والمدخل مع الباحة المرتبطة به تشبه إلى حد كبير الوضع في مدافن النوع الثالث (المدافن المستطيلة). يعيد المنقبون تاريخ هذا النوع إلى مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم ـ أي مستهل الألف الثالث ق.م.

النوع الثالث : (Charnel House)

عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل جدرانها مبنية من الطوب على طبقة من الحجارة غير المنتظمة. تبلغ أطوال المدافن متوسطة الحجم 11,50 × 5,50 م، بينما كشف عن مدفن

أطواله 15,50 × 7,80 م ليشكل أكبر مدفن في الموقع حتى الآن، يتخلل المدفن مدخل منطقة وسطية للجانب العريض للغرفة كما هو الحال في المنازل والمعابد الكنعانية. تصطف على جانبي المدخل بلاطتان حجريتان تعلوهما لوحة أخرى، بينما أغلق المدخل بواسطة بلاطة أو أكثر من نفس النوع. وتوصل المدخل بأرضية الغرفة درجة أو درجتان. وجدت غالبية المدافن مرصوفة بالحصى، وهناك دلائل واضحة على أنه سقف بواسطة لوحات خشبية بعرض الغرف شوهد حريق شمل عددا من هذه المدافن، ومن المحتمل أن الحريق قد تسبب من المهاجمين للمنطقة الذين دمروا المدينة المحصنة الواقعة إلى الشمال من منطقة المدافن.

تتضمن موجودات هذه المدافن أكواما من العظام بلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من المتر. بعض هذه الأكوام كانت مصنفة حسب أحجام العظام، فيظهر أن العظام الكبيرة قد وضعت على جانب والصغيرة على جانب آخر والجماجم منفصلة عنها، وكذلك حال الأواني الفخارية التابعة لها، الا أنه يجب القول أنه عثر على هذه الأكوام أحيانا بشكل يخالف هذا التصنيف.

يستدل من الكيفية التي وجدت فيها محتويات المدفن وأنواع الأواني الفخارية بأن هذا النوع من المدافن استعمل لفترة طويلة قد تصل مئات السنين لتغطي مرحلتين رئيسيتين من مراحل العصر البرونزي القديم (Early Bronze Age II-III) تتضمن الأواني الفخارية تنويعا أكثر من المدافن الأقدم، فمنها ما هو مصقول ومغطى بقشرة رقيقة ملساء أو مطلي بأشكال هندسية، والصقت على جوانب العديد منها أياد مختلفة الأشكال والأحجام بشكل أفقي. وهناك عدد وافر من الأواني المعروفة بأباريق ابيدوس مصرية الأصل. والجدير بالذكر أن الأواني الفخارية التي وجدت في هذه المدافن مدارة على العجلة وتشبه إلى حد كبير ما يعثر عليه في المدن والمواقع السكنية المعاصرة لها. كما عثر بداخل المدافن على لوحات ودبسات من الحجر ومجموعات من الخرز وبعضها من الذهب، وكذلك أسلحة تضم فؤوسا وخناجر طويلة. ومن المكتشفات بقايا من القماش والخشب شمله الحريق.

تتصل بالمدخل من الخارج باحة مستطيلة مرصوفة بالحجارة ويحيط بها جدار منخفض من الطوب، يعتبر باب الذراع من أهم المواقع في فلسطين والأردن من عصر دويلات المدن للالف الثالث ق.م والتي تلت المدافن ذات المدافن الرأسية. كما تقدم المدافن المستطيلة أمثلة ليس لها مقارنات مباشرة في المنطقة. رغم انتشار المدن على نطاق واسع فان المدن التي تم الكشف عنها حتى الآن قليلة نسبيا. الأمثلة المعروفة لدينا من الألف الثالث ق.م تتواجد خارج المدن أو المناطق السكنية، وغالبا ما دفن سكان المنطقة موتاهم في كهوف أو غرف صخرية وجدت على جوانب الهضاب والمرتفعات. فوهات هذه المدافن على مستوى أرضياتها تقريبا بخلاف المدافن ذات المداخل الرأسية. أما غرف الدفن فكانت اما لعائلة أو لمجموعة بشرية تم دفنها عبر مرحلة طويلة، وقد وضعت الجثث تبعا لنظام معين بحيث يترك مكان لوفيات جدد. لم نستطع التعرف تماما على الكيفية التي دفن فيها الموتى بسبب الدمار الذي أصاب غالبيتها، الا أن بعض الأمثلة التي تشير بأنها وضعت على جانبها وكان لها وضع

قرفصائي أي بثني الركبتين وضم اليدين أمام الوجه. هناك أمثلة تدل على حرق الموتى قبل دفنهم، كما هو الحال في خربة الكرك على بحيرة طبرية وفي بعض مدافن باب الذراع المستطيلة. وجدت بعض هذه المدافن في أريحا وتل الجزر في الجنوب من فلسطين (Kenyon 1960: 52ff; 1971 : 8-11; de Vaux 1966 : 17-19)

النوع الرابع : (Cairn Tombs)

عبارة عن حفرة عمودية مقطوعة في الصخر تتفرع عنها غرفة جانبية أو أكثر. وجد في الغرفة هيكل عظمي واحد بصحبته بضعة أوان فخارية صنعت باليد عدا العنق الذي تظهر عليه آثار العجلة، وغالبا ما وضعت فوق الفوهة كوم من الحجارة. لم يعثر في باب الذراع حتى الآن الا على عدد قليل من هذا النوع، الا أنه ينتشر في عشرات المواقع الفلسطينية الأردنية ويمتد وجود هذه المدافن حتى شمالي سوريا. على أي حال تختلف هذه المدافن مع موجوداتها عن الأنواع سالفة الذكر.

وجدت مثل هذه المدافن في العديد من المواقع في الأردن حول مدينة عمان (جبل التاج، المدينة الرياضية، المشيرفة، أم الرجوم المدينة الطبية)، وكذلك في تل الحصن بالقرب من أربد وفي ظهر مرزبانه وعين سامية والجيب وحبلة العمود وبيت ساحور في منطقة القدس، وخربة كوفين وبيسان وتل المتسلم في مرج ابن عامر وتل العجول بالقرب من غزة وتل بيت مرسيم وغيرها. أسهب بول لاب في دراسة هذا النوع من المدافن عند استعراضه لمدافن ظهر مرزبانه (Lapp 1966: 30-75)، كما قامت كاثلين كنيون بتصنيف المدافن التي كشفت عنها في أريحا إلى سبعة أنواع تبعا لشكلها وطبيعة المكتشفات التي وجدت بداخلها (Kenyon 1965; 1971; 11-17).

مع ان النقاش يطول حول ماهية هذه المدافن، الا أن هناك اجماعا على أنها تعود لأواخر الألف الثالث ومستهل الألف الثاني ق.م لتشكل الشاهد الرئيسي على المرحلة الانتقالية ما بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط، اذ أن المواقع السكنية المعاصرة للمدافن قليلة جدا. غالبا ما كان أصحاب هذه المدافن من جماعات أشبه بالرحل يعيشون في معسكرات أو مواقع زراعية بسيطة للغاية، لم تكن المرحلة الانتقالية التي تعيشها لتقتصر على جنوب سوريا وإنما شملت معظم بلاد الشرق بما في ذلك مصر وبلاد الرافدين. وهناك اعتقاد بأن المجموعات القبلية وراء هذا التحول هي نفسها التي ترد في سجلات السومريين والبابليين القدماء وعرفوا السومرية باسم (مرتو) والبابلية القديمة باسم (امورو) (Kenyon 1966: 6ff).

كانت معلوماتنا عن عادات الدفن في الألف الثالث ق.م في شمال سوريا محدودة وتعتمد على ما تم الكشف عنه من مدافن في تل كركميش (Woolley 1952: 214ff) وفي تل برسيب (Thureau-Dangin and Dunand 1936: 96ff) وكذلك في تل حريري (ماري) حيث ظهرت بعض المدافن من عصر فحر السلالات، الا أن القسم الأكبر فيها أعيد إلى مستهل

الألف الثاني ق.م (Perrot 1938: 4ff; Mesnil du Basson 1948) لكن الوضع أصبح أكثر وضوحا بعد حملات التنقيب الانقاذية منذ نهاية الستينات في مواقع حوض الفرات مثل تل شمس الدين الغربي، تل ممبقات، تل جفة وحلاوة (Orthmann 1977: 97-105). تتركز حقول المدافن المعروفة لدينا على الحافة الشمالية لحوض الفرات في المنطقة الممتدة ما بين تل شمس الدين وتل مريبط. أما تل حديدي على الحافة الجنوبية لنهر الفرات، فغالبا ما تعود المدافن التي وجدت فيه إلى ما بعد المدافن في المواقع المشار إليها ـ أي إلى مرحلة متأخرة من الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م.

أشار اورتمان في بحثه عن عادات الدفن في الألف الثالث ق.م في منطقة حوض الفرات (Orthmann 1977) إلى وجود أنواع مختلفة من المدافن، وتمكن من تمييز نوعين رئيسيين هي مدافن فردية ومدافن جماعية.

تتضمن **المدافن الفردية** وهي الأكثر شيوعا أمثلة عادية عبارة عن تجاويف محفورة في الأرض، وأخرى أشبه بالخنادق المقطوعة في الصخر أو التربة الطبيعية. وقد تم تلبيس جوانب الخندق بالحجارة لتظهر فوق سطح الأرض، ومن ثم غطيت ببلاطات حجرية تتخللها حجارة أصغر حجما. وجدت مثل هذه المدافن في طاوي (Orthmann 1977) وفي تل العبد (Bounni 1974)، وتل برسيب (Thureau-Dangin and Dunand 1936: 108)، وكركميش (Woolley 1952: 219ff).

أما **المدافن الجماعية** فلا يعرف فيما اذا خصصت أو اعدت لعائلات أو فئة اجتماعية معينة. والجدير بالذكر أن المدافن الجماعية انتشرت على نطاق واسع في مختلف مناطق الشرق القديم وخاصة في سوريا وفلسطين وتتميز عن المدافن الفردية بأنها ضمت أكثر من هيكل عظمي واحد وتغطي فترة زمنية أطول، كما تتميز بكبر حجمها لتفي بأغراض الدفن الجماعي.

تضم المدافن الفردية هيكلا عظميا باتجاه شرق غرب مع وجود الرأس ناحية الغرب وتم وضعه على جانبه بوضع قرفصائي. يوجد مع الميت في العادة عدد محدود من المرفقات الجنائزية بما في ذلك بعض الأواني الفخارية والحلي من الخرز والأساور وأحيانا خنجر أو فأس من البرونز.

تتنوع المدافن الجماعية في شمال سوريا فمنها ما هو محفور في الصخر أو التربة الطبيعية على شكل بئر (shaft tomb) تتفرع عنها غرفة أو ثلاث غرف جانبية كما هو الحال في النوعين الأول والرابع في باب الذراع وغيرها من المواقع الجنوبية (فلسطين والأردن). وجد هذا النوع من المدافن في عدد من مواقع حوض الفرات : تل شمس الدين الغربي، طاوي، وحلاوة (Orthmann 1977: 102ff)، وكذلك في شاغار بازار في منطقة الخابور حيث تضمنت المدافن هياكل عظمية لاشخاص بالغين. نوع آخر من المدافن عبارة عن غرف من

الطوب ولها سقوف مقوسة، كتلك التي عثر عليها في ترقا بالقرب من ماري وتل أربيد (Hrouda 1971,596)). يذكرنا هذا النوع بمدافن الطوب المستطيلة التي كشف عنها في باب الذراع والتي تعود إلى المرحلتين الثانية والثالثة من العصر البرونزي القديم.

والنوع الثالث وهو على ما يبدو أكثر شيوعا وغالبا ما يعود إلى مرحلة متأخرة من العصر البرونزي القديم. هذا النوع عبارة عن غرف مستطيلة باتجاه شرق ـ غرب، تم بناؤها داخل سرير صخري ومغطاة ببلاطات حجرية. وإذا ما كشف عن احد هذه المدافن فانها تشبه **«الدلمون»** وهذا ما يبرر تسميتها لدى أورتمان (Dolmen – like Chamber). وجدت هذه المدافن في مواقع الفرات مثل ممبقات وطاوي، وكذلك في تل بارسيب، تل باغوز ويبرود (Orthmann 1977: 102; Abou Assaf 1967). لا نعرف تماما من أين جاء هذا النوع من المدافن، اذ أن لها انتشار واسع في مختلف أنحاء الشرق القديم : تلمن هيوك، وجدكلي (الأناضول)، وفي جبال زاغروس الايرانية (Berghe 1968; 1970). الا أنه غالبا ما كان مصدرها الخليج العربي حيث وجدت باعداد هائلة وتغطي فترة زمنية طويلة من الألفين الثالث وبداية الثاني ق.م، وأكثر منطقة يكثر فيها هذا النوع هي البحرين (Ibrahim 1982)، تبقى هذه التأثيرات بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث، خاصة في المنطقة الواقعة ما بين الخليج العربي وشمال سوريا وسيتطرق إليها الباحث في مجال آخر.

تبقى المدافن التي عثر عليها في تل حديدي جزءا من هذا التقليد. يبلغ طول أحد المدافن (14م) باتجاه شمال ـ جنوب ويتخلله مدخل من الجانب الشرقي وفتحات في الشمال والجنوب. يمكن الوصول إلى أرضية المدفن بواسطة ثلاث درجات عند المدخل، جدران المدفن من الحجارة شبه المنتظمة، بينما يغطيه من الأعلى بلاطات حجرية كبيرة (Dornemann 1977: 226ff). بالاضافة إلى هذا النوع وأمثلة أخرى محفورة في الصخر الطبيعي، فانه عثر في تل حديدي على خمسة مدافن لأطفال. من بين مدافن الأطفال مثال غريب يتعلق بوجود ثلاثة أطفال صغار داخل اناء فخاري من النوع المعروف باناء الطبخ تم العثور عليه تحت أرضية احدى الغرف. كما عثر على مثالين آخرين لأطفال داخل جرار كبيرة من النوع المستعمل للخزين (Dornemann 1977: 226ff).

العصر البرونزي المتوسط (1950 ـ 1550 ق.م)

بقيت **المدافن ذات المدخل الرأسي** المقطوعة في الصخر هي السائدة في فلسطين خلال النصف الأول من الألف الثاني ق.م، تضمنت غالبية الحقول المعروفة **مدافن جماعية** : كما هو الحال في تل الفارعة الجنوبي (Williams 1977)، تل الدوير (Lachish)، الجيب شمالي القدس (Pritchard 1963)، تل الفارعة الشمالي إلى الغرب من نابلس (de Vaux 1948, 1949, 1951, 1952, 1955)، أريحا، أربد سحاب (Ibrahim 1972) بالقرب من عمان. الا أنه يجب القول بأن عمليات الدفن الفردية بقيت موجودة في تل العجول

(Petrie)، وتل المتسلم (Guy 1938)، وغيرهما كامتداد لعادات الدفن المتبعة في المرحلة الانتقالية ما بين العصرين البرونزي القديم والبرونزي المتوسط (EB-MB).

تتميز هذه المرحلة بالتأثيرات الخارجية، وخاصة المصرية منها من خلال الهكسوس الذين امتد نفوذهم إلى فلسطين والأردن وشمال سوريا. وان أبرز ما يميز الهكسوس في هذه المناطق عادات دفن الموتى. غالبا ماكان يتم تجهيز المدافن بالمرفقات الجنائزية المتنوعة حتى أنها أصبحت تضم اثاث البيوت، وحتى العربات التي كانت تجرها الخيول، بالاضافة إلى المقتنيات الشخصية كالحلي بمختلف أنواعها، الجعران (الجعلان) المصرية الأصل، أسلحة معدنية، وأوان فخارية. تتميز الأواني الفخارية لهذه الفترة بالجودة المتناهية، خاصة المزهريات والصحون التي تنحني اكتافها نحو الخارج. غالبية المكتشفات من المدافن اما أن تكون مستوردة من مصر أو مصنوعة محليا ومتأثرة بالأسلوب المصري.

بينما تم قطع غالبية المدافن في الصخر الطبيعي، الا أن بعضها كما في تل المتسلم فقد تم بناؤها على شكل غرف لتسهيل عملية الدفن الجماعي من خلال فتحها واغلاقها كلما دعت الحاجة إلى ذلك. هناك بعض المدافن من المرحلة الانتقالية (EB-MB) التي أعيد استعمالها في العصر البرونزي المتوسط، كما هو الحال في العديد من مدافن أريحا (Kenyon 1971: 17 - 18) ومدافن الجيب (Pritchard 1963). والتقليد السائد في مدافن أريحا هو ازاحة الهياكل العظمية مع مرفقاتها التي تم دفنها سابقا نحو احد جوانب غرفة الدفن وفسح مجال لدفن موتى جدد. القي بموتى العصر البرونزي القديم على الظهر، أحيانا بثني الركبتين، وعثر في أحيان أخرى على مجموعة من الهياكل العظمية على شكل كوم وكثيرا ما القي بالعظام الكبيرة من الهياكل السابقة خارج المدافن. تشير بعض المدافن على أنه تم دفن بعض العائلات على شكل صف بحيث وضع الكبار في الوسط والشباب على اليمين والصغار على اليسار والأطفال في أحد الزوايا.

عثر في تل القدح (Hazor) شمالي فلسطين على مجموعة من **مدافن الأطفال داخل جرار فخارية** مثبتة في التربة الطبيعية، ووجد داخل الجرار بعض الجعران المصرية من فترة الهكسوس (Yadin 1975: 38 - 39).

نلاحظ في الشمال استمرار بناء **المدافن الصندوقية** حتى بداية الألف الثاني ق.م مع الابقاء على الدفن في أوان فخارية والقبور الصخرية لعامة الناس. أما العائلات الغنية فقد اقيمت لهم **مدافن من الطوب أو الحجر مع سقوف على شكل عقود** (Hrouda 1971)).

استعملت **بيوت الدفن الجماعية** في شمال سوريا على غرار بلاد ما بين النهرين، الا أنه ظهر عدد كبير من المدافن الفردية في تل باغوز (بالقرب من ماري) من فترة اسين ـ لارسا، غالبية هذه المدافن على شكل صندوق من الحجر (Mensil du Buisson 1948: 30ff). بالاضافة إلى المدافن الصندوقية فقد أعدت حفر للدفن

تم تخصيصها للاطفال. وجدت المدافن موزعة على شكل مجموعات فوق مرتفع طبيعي، بحيث وضعت مدافن الأغنياء على قمة المرتفع وأحيطت بها المدافن الأخرى. تتضمن المدافن المخصصة للأغنياء أمثلة تشبه تلال المدافن التي عثر عليها باعداد كبيرة في البحرين وأجزاء أخرى من الخليج العربي (Ibrahim 1982). يحيط بغرفة الدفن جدار دائري تتوسطه غرفة مستطيلة غائرة في الأرض الطبيعية. تغطي الغرفة 4–5 بلاطات حجرية ترتفع فوقها طبقات من التراب على شكل تلية يغطي أطرافها الخارجية الجدار الدائري. يضم كل مدفن من مدافن تل باغوز الصندوقية شخصا واحدا تم وضعه على قاعدة الخشب ومعه أسلحته ومرفقات أخرى استعملها المتوفى في حياته اليومية كالأثاث والأواني.

يعتبر حقل المدافن الذين عثر عليه في رأس شمرا (أوغاريت) من مستهل الألف الثاني ق.م من أكبر الحقول في المنطقة. يتواجد هذا الحقل على السفح الشمالي لمنطقة الاكروبولس وقد عثر على المدافن في غرف غائرة تحت المنازل. تأخذ هذه المدافن الحجرية شكلا مستطيلا وتغطيها بلاطات حجرية، وغالبا ما احتوى المدفن الواحد على هياكل عظمية لعائلة كاملة. بالاضافة إلى هذا النوع فقد عثر على أنواع أخرى كالمدافن الصندوقية والصخرية، كما تم دفن الأطفال بطريقة تقليدية داخل جرار فخارية (Schaeffer 1931; 1932-1934; 1938).

العصر البرونزي الحديث (1550 ـ 1200 ق.م)

استمر استعمال جميع أنواع المدافن التي عرفت في العصر البرونزي المتوسط مع اختلاف في المكتشفات التي وجدت بداخلها، فظهرت **المدافن الصخرية والصندوقية** بالاضافة إلى **جرار الدفن** في كل من سوريا وفلسطين حتى أن بعض المدافن الصخرية والصندوقية التي استعملت في العصر السابق أعيد استعمالها في العصر البرونزي الحديث.

واتخذت القبور في هذه الفترة وفي الغالب شكلا دائريا كما كان يوضع مع الميت جميع ما يحتاجه من أدوات في حياته اليومية وذلك لاعتقادهم بالحياة الأخرى بعد الموت (Baramki 1969: 102). وقد تمثلت لنا قبور هذه الفترة في العديد من المواقع الأثرية في منطقة سوريا ـ فلسطين. ففي مدينة أريحا لاحظ المنقبون وجود فجوة زمنية في استعمال القبور التي تعود إلى هذه الفترة، حيث وجدوا أن الدفن في جميع القبور في المقابر الشمالية لهذا الموقع قد توقف نهائيا في نهاية العصر البرونزي المتوسط. الا أن كاثلين كنون والتي حفرت الموقع في الفترة الواقعة ما بين أعوام 1952 ـ 1958 ذكرت على أنه قد عثر في المقبرة الغربية على بقايا تعود لفترة العصر البرونزي الحديث داخل قبور العصر البرونزي المتوسط (Kenyon 1960)، كذلك تم العثور في موقع أبو شوشه (Gezer) وفي كهف 10A على مدفن حيث وجدت بقايا الدفن من عظام وأدوات موضوعة على مسطبة مرتفعة وقد أمكن تمييز 89 هيكلا عظميا داخل هذا المدفن الجماعي تعود أغلبها لأفراد بالغين (Seger 1972). ومن الأمور المهمة والنادرة والتي تعود إلى هذه الفترة وعثر عليها داخل هذا القبر **تابوت** يعتبر

التابوت الوحيد الذي عثر عليه في هذه المنطقة ويعود إلى هذه الفترة وقد وجد بداخله فخار قبرصي. وإن دل هذا التابوت على شيء فإنما يدل على وجود صلات مع قبرص كما أنه يعطينا فكرة على أن مثل هذه التوابيت قد استعملت أيضا كقبور جماعية حيث عثر بداخله على ثلاثة عشر هيكلا عظميا (Seger 1972).

أما في الأردن فقد تم العثور على العديد من المقابر والتي تعود إلى هذه الفترة ومن أهم هذه المواقع طبقة فحل قبر رقم 6 (Smith 1976) والبقعة (MacGovern) والقويلبة (Kafafi 1977) وتل السعيدية (Pritchard 1980)، وكتارة السمرة، (Leonard 1981, Kafafi 1977) والحصن (Kafafi 1977) ففي موقع كتارة السمرة تم العثور على قبر ذي شكل غير منتظم يضم عظاما حيوانية بالاضافة إلى العظام الانسانية (Leonard 1981).

ومن الأمور المألوفة في هذه الفترة هو العثور على العديد من الأواني الفخارية المايسنية والقبرصية المستوردة، كذلك الجعلان وكؤوس المرمر المصرية في بعض القبور (Seger 1972; Leonard 1981). ووجدت جميع هذه اللقى في المستوطنات والمدافن على حد سواء.

ان وجود قبور العصر البرونزي الحديث لم يقتصر على منطقة الأردن وفلسطين فحسب بل تعداه إلى مناطق أخرى في سوريا فعلى سبيل المثال عثر في موقع رأس البسيط على قبر يتألف من **حفرة مستطيلة الشكل ومحاطة بالحجارة** وقد عثر بداخل هذا القبر على ثلاثة هياكل عظمية اثنين منها يخصان أشخاصا بالغين بينما الثالث يخص طفلا كما عثر بداخله على بعض الأواني الفخارية المؤرخة للفترة الواقعة بين 1525 ـ 1425 ق.م (Courbin 1977-78: 31) وفي موقع تل الحريري (ماري) على نهر الفرات بالقرب من الحدود العراقية تم العثور على عدد من القبور تعود بتاريخها للقرن الرابع عشر ق.م، ومن أهم ما عثر عليه في هذا الموقع **قبور من الطين** بالاضافة إلى **توابيت طينية** بعضها مغطى والبعض الآخر بقي مكشوفا كما عثر على **اطفال مدفونين داخل جرار** (Strommenger 1954: 141). كذلك اكتشف في موقع تل العطشانة (Alalakh) أطفال كانوا قد دفنوا داخل جرار بالاضافة إلى قبور عادية، وقد عثر بداخلها على أوان فخارية وأدوات للزينة وفي بعض الحالات اختام اسطوانية كذلك تم التعرف على لعب للأطفال (Stommenger 1954: 143-144). ومن الأمور الواجب ذكرها أيضا أنه تم العثور في مدينة حماه في شمال سوريا على **قبور مقطوعة داخل الصخر** (Fugmann 1958). أما في موقع رأس شمرة (أوغاريت) على الساحل السوري فقد تم اعادة استعمال بعض قبور الفترة السابقة كما ذكرنا أعلاه بالاضافة إلى أن بعض القبور تم بناؤها خلال هذه الفترة، وقد جاءت هذه القبور مربعة الشكل ويوجد بداخل جدرانها حنايا ربما كانت تستعمل لوضع الأسرجة وقد ظهر هذا النوع من القبور في أريحا ويعود بتاريخه لفترة العصر البرونزي المتوسط. نوع آخر من القبور ظهر في رأس شمرة الا وهو **القبور تحت أرضيات البيوت**. بالاضافة إلى رفات الميت فقد عثر داخل هذه القبور على أوان فخارية وحلي بالاضافة إلى بعض الأسلحة (Schaeffer).

مثال آخر من لبنان هو موقع جبيل (بيبلوس) الساحلي حيث استطاع المنقب تمييز بعض القبور التي يعود تاريخها للأسرة المصرية الثامنة عشر أي بداية العصر البرونزي الحديث ومعظمها تتكون من **حفرة رأسية عمودية** داخل الأرض (Shaft) تنتهي بغرفة (Strommenger 1954: 145-146) وفي أحد قبور مدينة جبيل (بيبلوس) تم اكتشاف تابوت الملك الفنيقي احيرام والذي يعود تاريخه لفترة لاحقة.

ظهرت في فترة متأخرة نسبيا من هذا العصر اعداد من **التوابيت الفخارية** التي يتناسب حجمها وحجم الانسان البالغ ويحمل غطاء فوهة التابوت رسما بارزا يمثل وجه انسان وفي بعض الأحيان كانت ترسم الأطراف، ومما لا شك فيه ان عادة الدفن هذه مقتبسة من عادات الدفن المصرية. وقد تم العثور على هذا النوع من التوابيت والتي بدأ استعمالها في نهاية العصر البرونزي الحديث كما هو الحال في موقع تل الدوير (Tufnell 1958: Pl. 45)، وازدهرت في العصر الحديدي كما هو الحال في تل الفارعة الجنوبي (Petrie 1930: Pl. XXIV) وبيسان (Dothan 1967) ودير البلح (Dothan 1972; 1973) في فلسطين، وفي طبقة فحل (Yassine 1975) في الأردن.

العصر الحديدي (1200 ـ 539 ق.م)

غالبية مدافن العصر الحديدي الأول (1200 ـ 1000 ق.م) من النوع المعروف **بالمدافن الصخرية** (Loffreda 1968; Kuschke 1977) التي تظهر بأشكال مختلفة ليس من السهل ايجاد تصنيف دقيق لها، الا أن لبعضها مدخل رأسي يأخذ بالاستدارة على غرار النوع الذي يظهر في بداية العصر البرونزي القديم. يتخلل مدافن العصر الحديدي الصخري في غالب الأحيان مرتفع صخري على شكل بسطة عريضة تحيط جزئيا أو كليا بغرفة الدفن من الداخل، بحيث يتوسط الغرفة ممر ضيق أحيانا يسهل وضع الجثث فوق البسطة الجانبية. تأخذ غرفة الدفن شكلا دائريا أو طوليا أقرب إلى المستطيل المنحرف يتفرع عن الغرف في أمثلة كثيرة فتحات جانبية غائرة في الصخر وغير منتظمة تماما، استعملت أيضا لأغراض الدفن أو المرفقات الجنائزية. لكثير من المدافن الصخرية مداخل جانبية تم اغلاقها بواسطة بلاطات حجرية ليسهل ازاحتها أثناء تكرار استعمال غرف الدفن. يرتفع المدخل عن أرضية الغرفة ويتصل بها نزولا بواسطة عدد من الدرجات (3 ـ 7 درجات). عثر على عدد من هذه المدافن الصخرية في تل الفارعة الجنوبي (Starkey and Harding 1932: Pl. 59)، وفي الحقيقة فان مدافن تل الفارعة تمثل مجموعة متميزة من حيث الشكل ووضع الموتى بداخلها، اذ وجد الجزء الأكبر من الهياكل العظمية باتجاه شرق ـ غرب، وفي هذه الحالة وجد الرأس في الشرق. مثل هذه المدافن وجدت أيضا في سحاب إلى الجنوب الشرقي من عمان (Dajani 1970; Ibrahim 1972). لأحد مدافن سحاب (Area C) فتحة رأسية تمتد على شكل مدخنة مبنية من الحجارة وتغطيها بلاطة حجرية كبيرة. استعمل الجزء الجنوبي المتسع للسكن في الألف الرابع ق.م، بينما اعيد استعماله كمدفن في بداية العصر الحديدي الأول (حوالي

1200 ق.م). استعمل هذا الكهف لأغراض الدفن الجماعي كغالبية المدافن من هذا النوع. يتميز مدفن سحاب عن غيره من المدافن المعاصرة بوجود طبقات دفن متعاقبة ومعها عدد كبير من المرفقات الجنائزية من أسلحة، جعلان، أوان فخارية ورخامية وحلي متنوعة من البرونز والخرز. تتمثل آخر طبقات الدفن بثماني جرار فخارية كبيرة كسر الجزء العلوي منها حتى الكتف، ووجدت كل جرتين متقابلتين بحيث تشكل بمجموعها شكل حرف (M) باللاتينية، بالاضافة إلى ذلك فقد وجد هيكل عظمي في تابوت خشبي تم وضعه فوق البسطة الصخرية من الناحية الشمالية (Ibrahim 1978; 1982: 123) وجد مثال آخر من المدافن الصخرية في جبل النزهة باحد ضواحي عمان (Dajani 1966a)، ووجد مثلها في أربد (Dajani 1966b).

تستمر **المدافن الصخرية** في الظهور في الألف الأول ق.م، الا أنها تصبح (1000 _ 800 ق.م) أكثر انتظاما وتأخذ شكلا أقرب إلى المربع أو المستطيل كما هو الحال في تل الجزر وتل النصبة (Kuschke 1977, 123) وذبيان إلى الجنوب من عمان .(Reed 1958, Pl. 95f)

يحيط بمدينة القدس مئات من المدافن المقطوعة في الصخر، عدد كبير من هذه المدافن بارزة وتتخللها من الأمام واجهات مزخرفة وتتواجد بداخلها غرف للدفن، وتظهر وكأنها مقامات معمارية غير متجانسة، خاصة تلك المتواجدة في سلوان غربي أسوار المدينة. يمكن تأريخ بعض هذه المدافن إلى القرنين السابع والسادس ق.م، بينما يعود القسم الأكبر منها إلى الفترة الهلنستية (القرن الأول ق.م) وتظهر عليها تأثيرات معمارية مختلفة (Avigad 1976: 17 - 20). كما يوجد عدد من الكهوف فوق مرتفع صخري بين طريق نابلس وشارع صلاح الدين. يعود تاريخ هذه الكهوف إلى القرنين الثامن والسابع ق.م وتتخللها مسطبات على غرار الأمثلة الأقدم من هذا العصر (Barkay and Kloner 1976). مثل هذه الكهوف وجدت أيضا في تل الخويليف إلى الجنوب الغربي من الخليل (Biran and Gophna 1970). لابد من الاشارة إلى أنه كشف عن مدافن هذا النوع في عشرات المواقع الفلسطينية الأردنية التي لا مجال لذكرها هنا.

يستمر استعمال **التوابيت الفخارية** في العصر الحديدي بمراحله المختلفة على نطاق أوسع من العصر الذي سبقه (Weippert 1977: 271-272). وجدت مثل هذه التوابيت في عمان (جبل القصور) وسحاب (Albright 1932; Yassine 1975).

بالاضافة إلى التوابيت الفخارية استعملت في أواخر العصر الحديدي صناديق من الحجر **النواويس** لأغراض الدفن، وحيثما تظهر هذه الصناديق يبدو عليها تأثيرات خارجية، أي أنها ليست عادة تقليدية في المنطقة، كما أن ظواهرها الفنية ليست محلية. أقدم هذه الصناديق في هذه المنطقة هو التابوت الحجري الذي وجد في جبيل (بيبلوس) ويحمل اسم الحاكم احيرام من القرن العاشر ق.م. يظهر على جوانب هذا الصندوق نحت بارز يمثل ما يسمى بمراسيم الموت بأسلوب مصري. وجد الصندوق منهوبا ولا نعرف شيئا عن محتوياته

(Chehab 1970; Hachmann 1976; Weippert 1977: 269-270). يزداد استعمال الناووس من الرخام والحجر في القرن الخامس ق.م في مواقع الساحل السوري الفلسطيني مثل صيدا وارواد وحتى غزة (Buhl 1964; Stern 1971; 1973).

تعتبر **تلال المدافن** (Tumuli) في العصر الحديدي ظاهرة غريبة، الا أن عددا من هذه التلال ينتشر فوق قمم الهضاب الممتدة غربي مدينة القدس. يحتاج هذا النوع من المدافن المزيد من البحث والتنقيب، ولا يسعنا الآن الّا أن نشير إلى أن التاريخ المقترح لها من القرنين الثامن والسابع ق.م (Amiran 1958).

الجدير بالذكر ان عادة **حرق جثث الموتى** في العصر الحديدي أخذت تنتشر في كل من سوريا وفلسطين. وضعت الجثث بعد حرقها في أوعية وهذا ما يبرر تسميتها قبر الوعاء. مثل هذه الأوعية وجدت في عدد من المواقع الفلسطينية مثل تل القصيل وأريحا ويازور (Garstang 1933: 36) ; (Dothan 1960: 260). وكذلك في تل بيت مرسيم (Albright 1936/37, 75-76). عثر على مدفنين من هذا النوع في تل حلف تحت كتل من الطوب الطيني، ووجدت مع كل منهما دمى الاهية من حجر البازلت (Naumann 1950). قد يمثل موقع حماه أفضل المواقع للتعرف على هذه الطريقة في دفن الموتى، ففي حماه عثر على حوالي 1670 وعاء للدفن تم وضعها داخل حفر مقصورة بالجير مدعمة ببلاطات حجرية أو مسلات منحوتة تم وضعها فوق سطح الأرض للدلالة على وجود المدافن وقدسيتها (Riis 1948).

المدافن في بلاد ما بين النهرين

يشغل موضوع المدفن في بلاد ما بين النهرين الحقيقة حيزا كبيرا في حضارة هذا الجزء من الشرق القديم خاصة اذا أخذنا بنظر الاعتبار التطور الذي حدث هنا من حيث الشكل والنوعية ومادة البناء وطريقته على مدى العصور التاريخية التي مرت بها هذه المنطقة سواء ما ابتكر فيها من طرق الدفن هذه أو ما نقل إليها وتطور فيها.

والخوض في موضوع كهذا يتطلب كما لا يخفى على ذي الاختصاص اجراء مسح عام لكل الفترات التاريخية ومراجعة نصوص كل التنقيبات التي اجريت هنا وهي في الحقيقة عملية تتطلب وقتا وجهدا كبيرين لا يمكن الخوض فيها الا بالتطرق بصورة سريعة ومركزة لما حدث في الواقع من خلال دراسة موضوعية، علمية واحصائية.

ونحاول هنا اعطاء فكرة عامة ومختصرة للأشكال وتطور المدافن وما يلحق بها وذلك لأغلب الحقب التاريخية التي مرت بها المنطقة.

ومن الجدير بالذكر اننا لم نتناول في هذا البحث نتائج التنقيبات التي قامت بها الحكومة العراقية بالاشتراك مع عدد من البعثات الأجنبية وذلك في مواقع حمرين وسد حديثة حيث تم

حفر عدد كبير من المواقع في هذين المكانين وذلك في اطار انقاذ هذه المواقع بالنظر إلى تشييد سدين كبيرين على نهر ديالى ونهر الفرات والذي سوف يتم من جرائه غمر منطقة هذه المواقع بالمياه المتجمعة عن هذين السدين حيث أن نتائج هذه التنقيبات لم تنشر بصورة نهائية لحد الآن ولكن من خلال معرفتنا بالنتائج الأولية لهذه الحفائر يبدو أن كثيرا من المدافن والقبور قد تم الكشف عنها هناك والتي تشكل بالنسبة لهذا البحث أهمية كبرى لا يمكننا للأسف التطرق إليها منتظرين نتائج التنقيبات هذه.

العصر الحجري الحديث قبل الفخاري

مقارنة بالمواقع الفلسطينية والتي عثر فيها على مدافن أو قبور تعود إلى الحقبة الأخيرة من العصر الحجري القديم أو ما يطلق عليه بالحجري الوسيط والتي تعرف هنا بالفترة النطوفية كموقع عينان/ملاحة أو وادي الفلاح وغيرها (Garrod, 1961)، لم يعثر في بلاد ما بين النهرين على أية مدفن من هذه الفترة لحد الآن حيث تؤرخ أقدم المدافن التي عثر عليها هنا إلى فترة العصر الحجري الحديث قبل الفخاري (PPN) وهي التي أمدتنا بها مواقع عديدة في شمال ما بين النهرين نذكر منها على سبيل المثال موقع علي قوش (Mortensen, 1963) وموقع كريم شاهر (Braidwood, 1960) وقلعة جرمو (Braidwood, 1950) (Schachermeyr, 1945 : 51) وتصنف هذه القبور أو المدافن التي عثر عليها هنا تحت ما يسمى بالقبور الأرضية البسيطة وهي التي كانت تحتوي على هياكل بالغين أو أطفال مدفونة على الأغلب في حفرة أرضية بوضعية القرفصاء الجانبية ومغطاة بطبقة من التراب.

ان هذا النوع من المدافن أو ما نسميه بالقبور الأرضية لا يمكننا اعتباره طريقة تقليدية استخدمت في هذه الفترة الزمنية فقط إنما هي أول محاولة أو تجربة اتخذها الانسان لحفظ جثة المتوفى. وقد استمرت طريقة الدفن هذه أو استخدام هذا النوع من القبور في كل الفترات التاريخية تقريبا، ولا يكاد ان يخلو موقع اثري في بلاد ما بين النهرين منها.

هذا وقد نشأت فكرة مرفقات القبر الجنائزية مع أولى هذه المحاولات حيث عثر على جزء من هذه المرفقات البسيطة والتي لم تكن تتجاوز نوعا من الأحجار أو الخرز. وهذا النوع من المدافن ان دل على شيء فيدل طبعا في الفترات التاريخية المتأخرة على استخدامه من قبل عامة الناس.

العصر الحجري الفخاري : فترة حسونة

مع ظهور الفخار بدأت المدافن تحوي بطبيعة الحال هذه المادة التي أخذت تلعب دورا مهما كمرفقات جنائزية للقبور، وقد ساعدت في حالات كثيرة على تأريخ المدافن وعائديتها الزمنية. ومن المواقع المهمة التي تعود إلى هذه الفترة بلا شك موقع حسونة حيث عثر فيه على

عدد من المدافن التي تؤرخ إلى هذه الفترة وهي ما ندعوه بطبقة ما قبل سامراء (Pre Sammara) (حسونة Ia-c/II) حيث نلاحظ لأول مرة ظهور طريقة جديدة في الدفن بالاضافة إلى القبور الأرضية البسيطة التي لاحظنا وجودها سابقا الا وهي استخدام **الجرار الفخارية** في الدفن. ومنذ هذه الفترة بدأ استخدام الأواني الفخارية يلعب دورا ملحوظا لأغراض الدفن كونه مادة استخدمت في صناعة الجرار التي كانت تستعمل كقبور أو لصناعة الجرار الصغيرة التي وجدت معها كمرفقات جنائزية (Lloyd & Safar 1954) وقد عثر في هذا الموقع وبالذات في الطبقة... على مجموعة كبيرة من قبور الأطفال مدفونة في جرار تعود إلى مايدعى بـ (Coarse Ware) المخرز والذي يعتبر من الأنواع التقليدية لهذه الفترة ومن أحسن الأمثلة هو القبر الذي كان يحوي على توأم مدفون في احدى هذه الجرار (Lloyd & Safar, 1954) هذا وقد استخدمت سواء في حالة البالغين أو الأطفال طريقة دفن القرفصاء الجانبية.

ومن مواقع هذه الفترة المهمة هو موقع مطاره والذي عثر فيه على بعض القبور الأرضية التي لا زال استخدامها مستمرا في هذه الفترة (Braidwood 1952).

فترة سامــراء

لقد أمدنا في الحقيقة أكثر من موقع يؤرخ إلى هذه الفترة بقبور سواء كانت الأرضية منها أو الفخارية. ومما لا شك فيه أن أهم موقع يؤرخ إلى هذه الفترة هو تل الصوان حيث عثر على عدد كبير من المدافن التي كانت على **شكل أوعية من الجبس** تغلق على بعضها وتثبت بمادة القار، وقد كان قسم من مدافن تل الصوان مخصصا للأطفال وبعض الأحيان البالغين أو للأجنة (Embryos) والذي يستلفت النظر كثرة هذه المدافن التي لا تتناسب مع حجم الموقع وهو الذي دعا المنقبين إلى التفكير بأن موقع تل الصوان كان يستخدم كمجمع للدفن في هذه الفترة وذلك مع أماكن أخرى لسبب لا زال مجهولا. هذا وقد الحقت بهذه المدافن مرفقات جنائزية هي عبارة عن دمى مصنوعة من الحجر الشمعي (Alabaster) والتي تعتبر فريدة من نوعها حيث لم يعثر في أي موقع من مواقع ما بين النهرين على شبيه لها لحد الآن. وعلى الرغم من عثور المنقبين على لقى فخارية كثيرة تمثل صناعة سامراء التقليدية في شتى أنحاء الموقع ولكنه لم يعثر على فخاريات كمرفقات جنائزية في القبور.

ان مدافن تل الصوان تمثل في الحقيقة طريقة فريدة في الدفن لم يسبق لها مثيل وقد تم الكشف عن خمس طبقات معمارية في هذا الموقع أمدتنا بكمية لا بأس بها من المدافن التي سبق وتحدثنا عنها (Abu-Al-Soof 1968) (Adhmai 1968) (Wailly & Abu-Al-Soof).

ومن مواقع هذه الفترة أيضا موقع حسونة طبقة (III/IV) حيث عثر هنا على عدد لابأس به من المدافن خاصة الأرضية منها. وقد وجدت الهياكل فيها في وضعية القرفصاء. هذا وقد عثر على قسم من القبور التي تعود إلى هذه الطبقة تحتوي على أجزاء من الهيكل والسؤال الذي يطرح نفسه هل أن تجزيء الهياكل هذه كان متعمدا أو أنه حدث عفويا؟ ولا يمكننا أن نعدّ هذه

الطريقة في الدفن تقليدا ساد في هذه الفترة لأنها حالات شاذة لم تتكرر في مواقع أخرى أو في عصور تاريخية لاحقة (Lloyd & Safar 1954: Fig. 31).

أما في موقع مطاره فقد أمدنا من هذه الفترة بأمثلة جيدة للدفن تحت أرضية البيوت وذلك من نوع القبور الأرضية البسيطة حيث عثر هنا على خمسة هياكل تحوي على مرفقات جنائزية هي عبارة عن آنية فخارية وبعض الخرز (Braidwood 1952: 23).

أما موقع سامراء نفسه فلأول مرة تبدو لنا مؤشرات وجود مدافن متجمعة إلى بعضها البعض بالمفهوم الذي يمكن أن يطلق عليه مقبرة وهو أو دليل لهذا النوع من الدفن في بلاد ما بين النهرين وهذا ما عثر عليه هرتسفلد أثناء تنقيباته في موقع سامراء حيث كشف عن قبور أرضية متجمعة في مكان واحد أصاب قسم منها التلف من خلال المستوطن الاسلامي الذي دمر قسم من هذه القبور (Herzfeld 1933) هذا وقد عثر على مرفقات جنائزية لهذه القبور هي عبارة عن جرار فخارية وحجرية وأبر عظمية... الخ.

فترة حلــــف

لعل موقع تبه كورا هو أهم مواقع هذا الدور وهو الذي أمدنا بكمية لا بأس بها من المدافن التي تعود إلى هذه الفترة ولأول مرة تظهر هنا طريقة جديدة في الدفن لم تكن معروفة سابقا الا وهي القبور الحصيرية حيث كانت الجثة تغلف بنوع من الحصر المصنوعة من القصب وتوضع في داخل الحفر الأرضية (Tobler 1950: Pl. IXIV) ويمكننا أن نعتبر هذا النوع من القبور تطورا نوعيا للقبور الأرضية البسيطة. هذا وقد استمر استخدام أنواع القبور هذه إلى فترات متأخرة حيث كانت شائعة على ما يبدو بين عامة الناس وذلك جنبا إلى جنب مع القبور الأرضية البسيطة وتم العثور على هذا النوع من القبور في أغلب مواقع بلاد ما بين النهرين وذلك في فترات تاريخية مختلفة. أما قبور تبه كورا فقد ضمت مرفقات جنائزية هي عبارة عن آنية فخارية وتدل وضعية القبور في هذا الموقع على كون المكان عبارة عن مقبرة جماعية (Tobler 1950).

أما الموقع الآخر المهم في هذه الفترة فهو الاربجية حيث تم الكشف عن تسعة قبور أثنين منها للأطفال. والشيء الجدير بالملاحظة هنا هو عثور مالوان على القبر (G51) لأحد الأطفال تحت واحد من مباني الـ (Tholoi) والشيء الذي نعرفه بأن الدفن لم يكن من البداية يقرن مع المباني المقدسة إلا في حالات نادرة جداء أما عثور المنقب على هذا القبر في هذا المكان فلا يدل على كون المكان هذا مقدس (Mallowan 1935) حيث نحن لا نعلم لحد الآن ما هو المغزى من مباني الـ (Tholoi) (Hrouda 1971).

ويمدنا موقع شاغار بازار في سوريا بمدافن تعود أيضا لهذه الفترة حيث عثر هنا على تسعة مدافن من بينها خمسة تعود إلى أطفال وجد قسم من الهياكل محروق جزئيا ووضعت في جرار فخارية صغيرة دفنت تحت أرضية الدور (Mallowan 1935).

أما في عصر العبيد فقد طرأ تبدل على طريقة الدفن بدأنا نلمسه بكل وضوح منذ بداية هذه الفترة حيث انتشرت بالاضافة إلى **القبور الأرضية والحصيرية** التي نوهنا بها سابقا في فترات سابقة أشكال جديدة من القبور، وظهرت استعمالات لم تكن معروفة سابقا، نأخذ على سبيل المثال القبور التي كانت تحتوي على كسر فخارية كثيرة والتي عثر على عدد لابأس به منها في مواقع تبه كورا والأربجية والعبيد في الجنوب. كما أمكن التعرف على **مقابر جماعية** تعود إلى هذه الفترة وفي المواقع التي ذكرناها سابقا ونلاحظ التركيز على الدفن في هذه المقابر حول المباني المقدسة. أما طريقة الدفن **في قبور الكسر الفخارية** فكانت تتم بوضع الجثة على مجموعة أو كومة من الكسر الفخارية كذلك توضع إلى جانب الجثة يمنا ويسارا مجموعة من هذه الكسر وفي حالات كثيرة كانت هذه الجثث تغطى بالكسر وقد عثر على أنواع كثيرة من هذه القبور أقدمها كما أسلفنا يعود إلى فترة العبيد وبداية فترة الوركاء تبه كورا والذي يعتقد بأن هذه الفخاريات كانت تكسر عمدا لهذا الغرض كاحدى شعائر الدفن وذلك بسبب عائدية الكثير من القطع الفخارية إلى بعضها البعض في هذا النوع من المدافن (Woolley 1929 - 30). وإن ما عثر عليه وولي في موقع العبيد يشير إلى وجود هذا النوع هنا حيث يؤرخ إلى أقدم فترات هذا العصر (Woolley 1927).

كما بدأنا نلاحظ في هذه الفترة ظهور نوع آخر من المدافن وهي التي كانت **الجثة فيها توضع على حصير في حفرة** ثم تغطى بوعاء فخاري كبير نوعا ما ومصنوع لهذا الغرض. وقد عثر على قسم كبير منها وهو يحوي حزوز ضخمة. وقد لوحظ بأن طريقة الدفن هذه اختفت بصورة ملفتة للنظر لفترة طويلة ثم عادت الى الظهور مرة ثانية في فترة سلالة أور الثالث حيث عثر على الكثير من هذه المدافن. هذا وقد استمر استخدامها في فترة من الفترات التي تلت سلالة أور الثالث بدون انقطاع وذلك في فترة سلالة أيسن ــ لارسا والعصر البابلي القديم، وفي مواقع كثيرة في شمال وجنوب بلاد النهرين كما كثر انتشارها في فترة العصر الكاشي والميتاني حيث ظهر عدد لا بأس به منها (Strommenger 1954).

وإلى أواخر فترة العبيد تعود أقدم اشارة إلى استخدام **القبور الفخارية المزدوجة** وهي ادخال وعائين من الفخار كبيري الحجم واحدهما في الآخر صنعا خصيصا لهذا الغرض حيث كانا يطرحان أرضا وتوضع الجثة بداخلهما ثم يغلقان سوية وتربط المنطقة الفاصلة بالقار وتوضع هدايا القبر في الداخل والتي كانت تشتمل في الغالب على جرار فخارية صغيرة وقطع من الحلي والخرز... الخ هذا وقد عثر على أمثلة كثيرة لهذا النوع من القبور في مواقع مختلفة حيث لاحظنا وجوده في الطبقة (XII) من موقع تبه كورا ممثلة بثمانية قبور من هذا النوع وقد استعملت هذه القبور غالبا لدفن البالغين وللأطفال في حالات قليلة وكانت الجثة توضع أيضا بوضع القرفصاء. أما اليدان فكانتا توضعان أمام الوجه وقد تم العثور على أنواع من هذه القبور

في حفريات مخمور أيضا (Amin & Hollowan 1950). هذا وقد اختفت طريقة الدفن هذه أيضا بعد فترة من الزمن كما حدث للقبور الفخارية المقلوبة سابقا وذلك لفترة طويلة من الزمن ثم ظهرت مرة ثانية في فترة سلالة أور الثالث وبصورة مكثفة. هذا وقد أمدتنا مواقع بلاد ما بين النهرين بأمثلة كثيرة لها (Parrot 1948) وقد استمر استخدام هذا النوع من المدافن على مر العصور التاريخية وبدون انقطاع إلى نهاية العصر البابلي الحديث وعثر على قسم منها تؤرخ إلى الفترة الأخمينية (Reuther 1926: Fig. 99, 102).

وإلى هذه الفترة تؤرخ أيضا أقدم اشارة لوجود القبور المبنية من اللبن المجفف بالشمس أو الطابوق (الآجر) حيث عثر على قسم منها في موقعي العبيد وأريدو والتي كانت مغطاة وأيضا يسقف من هذه المادة وقد لاحظنا وجود مثل هذا النوع من القبور منذ طبقة الوركاء (XVIII) أيضا ثم استمر استخدامها بصورة مكثفة. وعثر على مجاميع كبيرة منها في مواقع كثيرة في بلاد ما بين النهرين. هناك أمثلة ودلائل على وجود أنواع من هذه المدافن ظلت مستخدمة إلى نهاية الفترة السلوقية وهو ما عثر عليه في بابل واشور نوزي والنمرود (Reuther 1926: Fig. M9).

فترة الوركـــــاء

استمر في هذه الفترة استخدام كل أنواع القبور التي نوهنا بها سابقا تقريبا وقد عثر على مجموعات منها في أغلب المواقع التي تعود إلى هذا الدور. هذا وقد طرأ تطور ملموس على نوع القبور المبنية من اللبن حيث ظهرت هناك مؤشرات لاستخدام نوع آخر من هذه القبور وذلك في الطبقة (XI) من موقع تبه كورا الا وهو وضع الجثة في قبر مصنوع من اللبن له جدار منخفض وكانت أرضية هذه القبور تغطى بمادة الطين. وقد اعتبرت هذه المحاولة خطوة أولى إلى تطور نوع آخر من القبور ساد في هذه الفترة وهي **القبور الحجرية** والتي كانت تبنى من مجموعة من الأحجار ترصف إلى بعضها البعض بحيث تكوّن القبر الذي لم يكن مرتفعا كثيرا وبعد وضع الجثة فيه كان هذا البناء الصغير يغطى بحجرة تغلقه كليا. وقد عثر على قسم كبير من هذه القبور وقد أبعد عن قسم منها حجرة السقف (Tobler 1950). وبالاضافة إلى ما ذكر من أنواع القبور هذه يستمر كما ذكرنا استخدام الأنواع التي عرفت سابقا ومن أكثرها وجودا في هذه الفترة **القبور الفخارية** (غير المزدوجة) حيث لاحظنا استخدام الكثير منها في مواقع عديدة على سبيل المثال في نينوى (Hallowan 1933) وفي نوزي (Starr 1939) وفي كاري رش (Lloyd 1940).

عصر جمدة نصر والمرحلة الانتقالية لعصر ميسالم

استمر استعمال **المدافن الأرضية** في عصر جمدة نصر على نطاق واسع كما هو الحال في أريدو، أور، لجاشي، قاره، تل جمدة نصر ونينوى (Strommenger 1954: 68)، بالاضافة إلى ذلك فقد ظهرت في نهاية هذه الفترة أمثلة عديدة من النوع المعرف **بالمدافن الحصيرية** (أي المفروشة بالحصير) كما في اربكية (Strommenger 1954) وعرف أيضا **تابوت**

خشبي ملفوف بقطعة من النسيج عثر عليه في أور. يعتبر هذا المثال أقدم تابوت من نوعه، الا أنه بدأت تظهر فيما بعد توابيت من الفخار، كتلك التي وجدت في أور، تل العبيد، فارة وخفاجي (Strommenger RLA III, 584; Delongaz Hill Lloyd 1967). تقع مدافن أور في عصر جمدة نصر تحت الجزء الجنوبي الغربي من المدافن الملكية لأسرة أور الأولى (Woolley 1933).

نلاحظ في المرحلة الانتقالية لعصر ميسالم ظهور بيوت الدفن من الطوب، لبعضها سقف معقود. وجدت مثل هذه المدافن في كيش (Strommenger 1954)، بعض مدافن كيش فردية وضع الميت فيها بشكل قرفصائي ولفت حوله قطعة من القماش. ووجدت في مدافن كيش أيضا بقايا خشبية غالبا ما تتبع توابيت الدفن.

عادات الدفن في عصر ميسالم ممثلة من خلال **المدافن الحصيرية والبيوت الطابوقية** التي عثر عليها في فاره (Schmidt 1931)، خفاجي حيث وجد أيضا تابوت فخاري وتل بيلا (Strommenger 1954).

عصر سلالة أور الأولى

يعتبر موقع أور أغنى المواقع الممثلة لهذه المرحلة التي يلاحظ معها تطور ملحوظ في عادات الدفن. فبالاضافة إلى **المدافن الأرضية، الحصيرية والصندوقية** التي عثر عليها في مواقع عديدة لفترة سلالة أور الأولى (مثل أور، العبيد، لاجاش، كيش، خفاجي، ماري، شاغار بازار، تل اربيت) فقد عثر في أور على **بيوت مستطيلة بفتحة رأسية** مقصورة بالطين وأرضياتها مغطاة بالحصير. تظهر المدافن المستطيلة بأشكال وأحجام مختلفة في كل من أور والعبيد. كما تتنوع **المدافن الفخارية** التي تأخذ شكل حوض، فبعضها أملس ويتخلل البعض الآخر حزوزا متوازية تغطي سطح المدفن من الخارج. وجدت غالبية المدافن الفخارية مقلوبة على وجهها.

تقع مدافن أور جزئيا تحت منطقة المعابد البابلية الحديثة، ويتوسطها ستة عشر مدفنا مميزة من خلال شكلها ومحتوياتها، وهي المعروفة بالمدافن الملكية. وتختلف المدافن الملكية عن غيرها في هذا الحقل بأن غرفها بنيت من الحجر أو الطابوق على نمط المعابد وزواياها باتجاه الجهات الأربع. إستعملت بعض المدافن مرة واحدة، بينما تضمنت الأخرى أكثر من هيكل عظمي لنساء ورجال. هذه المدافن غنية بمكتشفاتها وتتضمن أنواعا مختلفة من الحلي، أدوات الزينة، اختاما، أسلحة، أدوات موسيقية وأدوات التسلية، بالاضافة إلى المواد الغذائية وبعض الحيوانات ونماذج العربات، كما وجدت هياكل عظمية للخدم داخل بعض المدافن. ويعتبر وولي المقابر الملكية أقدم من المدافن الأخرى التي بنيت حولها المخصصة لأناس عاديين.

العصر الأكـــــادي

لم يطرأ تغير حاسم على عادات الدفن في جنوبي العراق خلال العصر الأكادي، الا أنه من الملاحظ أن استعمال **التوابيت المحززة المقلوبة** أصبح على نطاق أوسع عما كان عليه في عصر سلالة أور الأولى، كما هو الحال في أور. ووجد حقل المدافن الأكادية في أور في منطقة المقابر الملكية الا أنها مفصولة من خلال طبقات ردم يتراوح ارتفاعها من 1 ـ 3 م. وتتواجد معها **مقابر بفوهات** رأسية استعملت لأغراض الدفن الجماعي. استمر استعمال **المدافن الأرضية والحصيرية والتوابيت الفخارية البسيطة**، كما استعملت **أوعية الدفن** للأطفال كتلك التي وجدت في تل براك.

هذا في الوقت الذي تنتشر فيه **المدافن الصندوقية** في شمالي سوريا وشرقي الأناضول، ومثال ذلك تل برسيب، كركميش وغيرها.

أسرة أور الثالثة والعهد البابلي القديم

انه لمن الصعب التعرف على نوع المقابر في فترة أسرة أور الثالثة مع العلم بأن تطورا ملحوظا قد طرأ على أنواع المدافن التي عرفت في المراحل السابقة مثل **القبور الأرضية، جرار المدافن، التوابيت الفخارية، المدافن الصندوقية**. المقابر المعروفة لدينا من هذه الفترة عبارة عن وحدة معمارية متكاملة ومتناظرة في الزاوية الشمالية من المقابر الملكية. تتكون هذه الوحدة من ثلاثة أجزاء يتوسطها بناء متميز يتفرع عنه بناءان جانبيان، يعلو هذا المقابر بناء سكني يتوسطه فناء كبير وتتخلله حنايا متناظرة، يتصل البناء العلوي بالمقابر بواسطة سلم رئيسي وسلالم جانبية. لم يعثر المنقب على مرفقات جنائزية داخل المدافن اذ غالبا ما سرقت في فترة قديمة. ثم سقف مجموعة المقابر بواسطة عقود مركبة من الآجر (Woolley & Strommenger 1954 : 117).

عثر أيضا في لارسا على مقابر تحت أرضيات البيوت. استعملت هذه القبور لمرحلة طويلة تمتد من فترة سلالة أور الثالث وحتى نهاية العصر البابلي الحديث. وقد تمكن بارو من حصر أنواع القبور لتشمل **القبور الأرضية، توابيت فخارية، جرار الدفن المقلوبة، القبور الفخارية المزدوجة وصحون الدفن** التي استخدمت للأطفال، بالاضافة إلى **قبور بعقود متقاطعة**. وقد سيطرت وضعية القرفصاء على غالبية الهياكل العظمية، ووجدت معها مرفقات جنائزية بما في ذلك أوان فخارية وأدوات برونزية وحلي (Parrot 1933: 169-182; 1968: 205-239).

مثل هذه المدافن وجدت في موقع تل الهبة (لاجاش) التي عثر فيها أيضا على **مدافن مزدوجة** ـ أي بهيكلين عظميين بالقبر الواحد ـ، الا أنه لم تظهر فيه **المقابر الطابوقية**، وكشف في قاره عن **بناء دائري** الشكل من الطبقة الثانية وأعيد استعماله في الطبقة الثالثة كمدفن جماعي لبالغين وأطفال بغير انتظام (Schmidt 1931). مدافن هذه المرحلة وجدت أيضا في موقع تل أبو حطب، ماري، آشور، تل براك، تل الحمام (Strommenger 1954: 119-122).

يتكرر وجود مثل هذه المدافن بغالبية أنواعها في فترة أسين ـ لارسا الممثلة جيدا في أور أيضا حيث ظهرت **مقابر خاصة تحت بيوت** ما يسمى بمستوطن أسين ـ لارسا. والجدير بالذكر أن مقابر هذا النوع مستطيلة الشكل بأرضيات مقصورة، ووجد بداخلها ما يشبه المذبح الصغير، وأحيانا عمود صغير كتلك التي استعملت في العصر الكاشي كقاعدة للكودورو (حجارة الحدود). وغالبا ما وجد بمحاذاة المذبح قبر فخاري لطفل (Strommenger 1954: 122).

من الصعب تمييز طرق جديدة للدفن في العصر البابلي القديم، باستثناء بعض القبور من الطين أو الآجر التي ظهرت بشكل غير واضح في بابل واستمر استعمالها حتى نهاية العصر الكاشي (Reuther 1968: 151ff).

العصر الكاشي والآشور الوسيط

رغم كثرة المدافن التي عثر عليها من النصف الثاني للألف الثاني ق.م، فإنه في الحقيقة لم تطرأ عادات دفن جديدة، والذي يمكن ملاحظته هو تطوير **القبور الفخارية المزدوجة** التي أصبحت لا تظهر عليها الاضلاع ـ كما هو الحال في الفترات السابقة وإنما غدت ملساء واحتوت على فتحات دائرية صغيرة عند القاعدة كما في تل اللحم (Safar 1949: 154-164, P.1 V6). تتميز بابل باعداد كبيرة من المدافن بأنواعها المختلفة التي ظهرت في منطقة المركز. هذا وقد عثر على القبور في انقاض الطبقات التي سبقت هذه الفترة، كما وجدت قبور أخرى في الشوارع وتحت البيوت (Reuther 1968). كشف عن المقابر في العهد الكاشي في كثير من المواقع الوافدية الأخرى بما في ذلك أور، اريدو، نفر، كيش، تل الضباعي، نوزي، اشور، تل براك وغيرها.

العصر الآشوري والبابلي الحديث

استمر في هذين العصرين استخدام غالبية القبور التي سبق ذكرها في العصور السابقة وهي القبور الأرضية، الحصيرية. الفخارية المزدوجة، قبور الكسر الفخارية وكذلك الفخارية التي كانت تحتوي الجثة بوضع القرفصاء. كما عثر على توابيت فخارية ذات قاعدة مستطيلة الشكل تعود للألف الأول وذلك في آشور وحلف (Oppenheim)، كما عثر في تل اللحم (Safar: 1949)، أور، بابل (Ruther: 1968) وآشور (Haller: 1954) على قبور تضم غطاء خشبيا أو طينيا مغلفا. أما بالنسبة إلى القبور المبنية فقد عادت القبور الآجرية إلى الظهور مرة ثانية.

وأهم ظاهرة ميزت مدافن هذه الفترة هي القبور الفخارية الصغيرة والتي تحتوي رماد الجثة في داخلها.

أما أمكنة الدفن فكانت كالمعتاد تحت مباني المستوطنات والبيوت وتجد في مناطق سوريا مقابر كبيرة تعود إلى هذه الفترة وقد بدت لنا ظاهرة جديدة لمكان الدفن وهي اقترابها من البوابات من المداخل الكبيرة للمدينة.

أنواع القبور الرئيسية ومراحل ظهورها في بلاد ما بين النهرين

الفترة الأخمينية السلوقية

الآشوري الوسيط/ البابلي الحديث والآشوري الحديث

الفترة الكاشية والميتانية

العصر البابلي والآشوري القديم

فترة ايسن لارسا

سلاسة أور الثالثة

الفترة الأكدية

فجر السلالات وسلالة أور الأولى

جمدة نصر

الوركاء تبه كورا

العبيد/أريدو حجي محمد

حلـــــف

سامراء/حسونة III - IV

حسونة Ia-c/II

العصر الحجري الحديث ق ف

1) القبور الأرضية
البسيطة
الحصيرية
المحفورة

2) القبور المغطاة بكسر الفخار

3) القبور الفخارية
الواقفة/الملقاة
المقلوبة
المزدوجة

4) القبور المشيدة/المبنية
المسورة
الحجرية
الطابوقية
المقباة

5) القبـــور الصندوقيـــة

الخليج العربي

يعتبر الخليج العربي من المناطق التي سكنها الانسان منذ أقدم العصور، فقد قامت بعثات أثرية عربية ودنمركية وفرنسية بالتنقيب في كل من شبه جزيرة قطر والبحرين وتم العثور على كميات كبيرة من مخلفات العصور الحجرية.

والرغم من العثور على مخلفات العصور الحجرية الا أنه لم يعثر على مدافن تعود إلى هذه العصور. ويعتبر أقدم ما عثر عليه من مدافن يمكن أن يعود إلى عصر جمدة نصر كالمدافن التي عثرت عليها البعثة الدنماركية في بديع بنت سعود بين مدينة العين ودبي في الامارات العربية المتحدة (Archaeology UAE 1975, 45-51; Archaeology UAE,I 11-12).

مدافن الألف الثالث ق.م

مدافن بديع بنت سعود : اكتشفت بالصدفة عام 1970 وقد اكتشف بها حوالي 40 مدفنا تعود إلى فترات زمنية مختلفة، ويعتبر المدفن رقم (20) أقدم ما عثر عليه في هذا الموقع ويعود إلى عصر جمدة نصر، وهو عبارة عن كوم مخروطي الشكل قطره الخارجي ثمانية أمتار وارتفاعه متران، يحتوي على غرفة دفن واحدة دائرية الشكل قطرها من الأسفل 2م ومن الأعلى 1,5م. ويؤدي إلى هذه الحجرة ممر باتجاه الجنوب بعرض معدله 43 سم.

عثر في هذا المدفن على جرة فخارية واخدة مع ثلاث كسر صغيرة لعظم مهشم، فالبرغم من كونها غير ملونة الا أنها مشابهة لجرار جمدة نصر المكتشفة في مدافن جبل حفيت والتي تعود إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد.

مدافن جبل حفيت : (Archaeology UAE 1975, 16-21, Archaeology UAE أو 12-21)

يقع جبل حفيت جنوبي واحة البريمي حيث تقع مدينة العين، عثر فيه على مجموعة من المدافن والتي تعود إلى عصر جمدة نصر نهاية الألف الرابع قبل الميلاد (3200 ـ 3000 ق.م) ويقدر عدد المدافن الموجودة على هذا الجبل بحوالي 200 مدفن.

قامت البعثة الدنماركية بالتنقيب في حوالي 25 مدفنا. لقد استعملت الحجارة المحلية غير المهندمة في بناء المدافن وقد رتبت بشكل صفوف الواحدة تلو الأخرى حول فراغ دائري أو بيضوي يعتبر بمثابة غرفة الدفن. هذه المدافن بنيت فوق سطح الأرض مباشرة دون الحفر فيه ويؤدي ممر ضيق من جهة الجنوب إلى حجرة الدفن.

يتراوح قطر المدافن قبل التنقيب من 7 ـ 11 م أما الارتفاع من 3 ـ 5 م وأقصى قطر إلى غرفة الدفن من الداخل هو 2 م.

أما مكتشفات هذه المدافن فهي سهام وخناجر وسيوف وأوان برونزية وأوان فخارية مخروطية الشكل وخرز. وقد عثر على العديد من هذه المدافن خالية تماما مما يدل على أنها تعرضت للسرقة والعبث في فترة من الفترات.

المدافن في جزيرة أم النار

أم النار جزيرة صغيرة تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لجزيرة أبو ظبي العاصمة بدأت بعثة الآثار الدنمركية عام 1960 بالتنقيب فيها حيث تم اكتشاف عدد من المقابر تميزت بطراز معماري خاص وكثرة المخلفات الأثرية بداخلها

(Archaeology UAE 1975: 22-28; Al-Hashimi 1980. 137-142)

جميع قبور أم النار دائرية الشكل استخدمت في تشييد الجدار الخارجي الدائري منها حجارة مهندمة صقيلة تستند إلى بعضها البعض دون استخدام مادة ملاطية روعي في بعضها أن تكون منحنية لتناسب البناء الدائري. ويميل الجدار الخارجي نحو الداخل تدريجيا كلما ارتفع كما أن الحجارة تأخذ شكلا أصغر كلما ارتفع الجدار. يستند الصف الأول من الجدار الخارجي على قاعدة شيدت من قطع حجرية كبيرة يبلغ ارتفاع الواحد منها حوالي 20 سم تكون بمثابة أساس لهذا الجدار. أما ارتفاع الجدران الدائرية فيبلغ 70 ــ 140 سم فوق القاعدة ويبلغ عدد مداميكه في أقصى الحالات عشرة مداميك يوجد في كل جدار دائري لكل قبر فتحة كبيرة تؤدي إلى نهاية الممر الأوسط الذي يفصل حجرات الدفن. وقد نحتت حجارة المداخل بشكل دقيق وزخرفت بصور حيوانات كالثيران والغزلان والماعز والمها والجمال والثعابين وصور الآلهة.

قسمت هذه المدافن من الداخل إلى قسمين متساويين يفصلهما ممر ويعاد تقسيم كل منهما إلى قسمين آخرين متساويين بجدار يمتد من الجدار الدائري إلى جدار الممر الأوسط ثم يعاد تقسيم هذه الأقسام الأربعة إلى قسمين لكل منهما جدران منحنية مكونة حجر الدفن. أما سقوفها فهي عبارة عن مساطب كبيرة عثر على احداها في وضعها الأصلي.

عثر في كثير من هذه المدافن على بقايا هياكل عظمية الا أنه لم يستدل على طريقة معينة للدفن بسبب العبث الذي حصل بها.

اتضح ان هذه المدافن كان يعاد استعمالها بسبب تكديس الهياكل في ناحية معينة من حجر الدفن وقد عثر في احداها على بقايا 15 هيكلا عظميا.

ومن الأمور الملفتة للانتباه هو العثور على هياكل عظمية بشرية خارج جدار المدافن الخارجية الأمر الذي قد يؤدي إلى الاعتقاد بتقديم الضحايا الآدمية وقد يكون تفسير ذلك ان يصاحب الميت خدمه أو زوجاته بعد موته كما هو الحال في بعض الحضارات القديمة.

عثر في هذه المدافن على كميات كبيرة من الخرز والأواني الفخارية بعضها مزخرفة وملونة وعليها رسومات هندسية وصور حيوانات، كما عثر على خناجر برونزية ونحاسية وأوان رخامية وأدوات غزل نصف كروية مصنوعة من العظم.

مدافن هيلي : (Archaeology UAE 1975. 29-37; Al-Hashimi 1980. 143-147)

تبعد قرية هيلي مسافة 10 كم شمال مدينة العين وتتشابه مع أم النار في حضارتها وقبورها بشكل خاص. أخذت دائرة الآثار والسياحة بدولة الامارات العربية المتحدة على عاتقها مهمة التنقيب وكشفت عن مجموعة من القبور.

جميع قبور هيلي المكتشفة دائرية الشكل محاطة بجدار خارجي ومقسمة من الداخل بواسطة جدران فاصلة مشكّلة حجر الدفن فيما بينها.

يعتبر قبر هيلي الكبير نموذجا رائعا للمدافن في الخليج العربي وهذا المدفن دائري الشكل ويبلغ قطره حوالي 12 م وارتفاعه 3,85 م يقسم في الداخل إلى قسمين يفصل بينهما ممر وسطي ثم يقسم كل نصف إلى قسمين آخرين بحيث يكوّن أربع غرف بالاضافة إلى الممر الوسطي.

بني الجدار الدائري الخارجي من ثلاثة مداميك من الحجارة الضخمة. يبلغ ارتفاع حجارة المدماك الأول 1,5 م عدا حجارة المدخلين والذي تبلغ اطوالهما 3,27م و2,80 م وأما حجارة المدماك الثاني فيبلغ ارتفاعها من 90 ـ 120 سم والمدماك الثالث من 40 ـ 60 سم وهكذا يقل حجم الحجارة كلما ارتفع الجدار ويحتوي الجدار الدائري على فتحات دائرية يتراوح قطرها فيما بين 25 ـ 30 سم لغرض الاضاءة والتهوية.

لهذا المدفن مدخلان نحتا على شكل مثلث في احد حجارة الجدار الخارجي ويتميز المدخلان بصغرهما وارتفاعهما عن مستوى سطح الأرض مسافة 92 سم. وزينت الواجهة التي تضم المدخل بصور حيوانية وآدمية نحتت بشكل بارز.

وقد عثر في مدافن هيلي على أوان فخارية مشابهة لتلك التي عثر عليها في أم النار. كما عثر على أوان مصنوعة من حجر «الستياتايت» (Steatite). وقد أمكن من خلال دراسة أشكال الأواني وزخرفتها في مدافن هيلي وأم النار ومقارنتها مع أوان ممثالة عثر عليها في أور وتل عقرب من مواقع ديالى تاريخها ما بين 2900 ـ 2370 ق.م.

مدافن بات (Al-Hashimi 1980, 147-150; Frifelt EW 1975. 383-384)

تقع بالقرب من قرية بات والتي تبعد 25 كم شرق مدينة عبري شمال غرب جبال عمان وتضم هذه المنطقة ما يزيد على مائة مدفن من النوع الدائري يتراوح قطرها من 5 ـ 10 أمتار وارتفاعها الأصلي من 3 ـ 4 أمتار.

استخدم في بناء بعضها حجارة غير مهندمة والبعض الآخر حجارة مصقولة مهندمة محدبة من الخارج تتناسب مع شكل البناء الخارجي.

بني جدار القبر الخارجي على قاعدة صخرية. ولهذه المدافن مداخل على شكل مثلث ويؤدي المدخل إلى ممر داخلي، أرضية. الممر وغرف الدفن مرصوفة بحجارة كبيرة.

مدافن البحرين «الألف الثالث»

تعتبر مدافن البحرين من أكبر حقول المدافن في الشرق القديم. تعتبر غالبية المدافن من النوع المعروف بتلال المدافن (Tumili) التي تبرز فوق سطح الأرض وقد شاع استعمال هذه التلال ابتداء من الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الفترة الهللينية مع اختلاف أحجامها وطرز بنائها والدفن فيها.

لقد لفت عدد هذه التلال الضخم والذي يربو على مائة ألف نظر الهواة والدارسين للبحث عن أسرارها منذ النصف الثاني للقرن|التاسع|عشر (Bent 1890; Bobby 1954; 1970; Durand 1879; Glob 1954; Mackay 1929; Brideaux 1912) وقد قامت البعثة العربية للتنقيب عن الآثار في البحرين في الأعوام (1977–1979) بإجراء تنقيبات موسعة في منطقة سار/الجسر ونتائج هذه الحفريات قيد النشر (Ibrahim 1982).

مدافن عالي : سميت بمدافن عالي نسبة إلى قرية عالي الواقعة غربي مدينة عيسى وتتميز بعض هذه المدافن بالضخامة اذ يبلغ ارتفاع بعضها حوالي 30 مترا ويزيد قطرها عن 40 مترا، بعض هذه المدافن العملاقة يتضمن حجرتين للدفن الواحدة فوق الأخرى بحيث يشكل سقف الحجرة السفلى أرضية الحجرة العليا وقد استخدم الملاط لتسوية جدران غرف الدفن من الداخل. وتقع حجرتا الدفن في وسط التلة ويحيط بهما جدار يصل ارتفاعه أحيانا إلى مترين. وجميع عناصر التلة مغطاة بطبقات الطمم.

مدافن الحجر : تقع هذه المدافن قرب قرية الحجر بمحاذاة الطريق الساحلي الشمالي الواصل بين المنامة والبديع. وقد تم الكشف عنها بطريق الصدفة وتختلف مدافن الألف الثالث في الحجر عن جميع مدافن هذه الفترة التي كشف عنها حتى الآن في البحرين اذ أنها جميعها محفورة في الصخر بعمق يتراوح 1 ـ 1,5 م وطول يتراوح 2 ـ 2,5 م والعرض من 70 ـ 100 سم كما تميزت هذه المدافن باعادة واستمرار استعمالها في الفترة الكاشية، والآشورية، والعهد البابلي الجديد، حتى الفترة الهللينية. وقد تعرضت هذه المدافن لتغييرات نتيجة استعمالها في فترات ما بعد الألف الثالث قبل الميلاد (Rice 1976; Tarawneh 1970) كما أن الهياكل العظمية التي تعود إلى هذه الفترة وجدت مشوشة بالرغم من وجود لقى جنائزية عبارة عن أوان فخارية وأوان مصنوعة من حجر الستياتايت (Steatite) والخرز والأختام المستديرة المنبسطة المصنوعة من حجر الستياتايت المعروفة (بالأختام الدلمونية).

مدافن سار ـ الجسر : (Ibrahim 1982) تقع هذه المدافن بالقرب من قرية سار وتشكل حقلا يحتوي على عدة آلاف من تلال المدافن. اقتصر التنقيب على المنطقة التي سيمر من فوقها الجسر الواصل بين السعودية والبحرين، وقد تم على موسمين الأول عام 1977 م والموسم الثاني 1978/1979 حيث تمكنت بعثة التنقيب من الكشف عن 61 تلا مختلفة الأحجام احتوى بعضها على مدفن واحد والبعض الآخر على مدفن رئيسي ومدافن جانبية تراوح بعضها من 1 ـ 9 مدافن، كما تم اكتشاف حقل هام من المدافن المترابطة في الجهة الشرقية تم التنقيب في 200 مدفن ومن المحتمل أن يتراوح عدد المدافن في هذا الحقل من 700 ـ 1000 مدفن قياسا بالمدافن المكتشفة والمنطقة التي مازالت بدون اكتشاف.

يظهر من دراسة المدافن في سار بأنها كانت تعد مسبقا على نطاق واسع، كما يبدو ذلك من كيفية بنائها وتجانس اعداد كبيرة منها ووجود العديد من المدافن السليمة خالية من الهياكل العظمية.

وبعد الانتهاء من أعمال التنقيب تم تقسيمها إلى خمس مجموعات رئيسية :

1) **تل بمدفن واحد فوق سطح الأرض** ويمثل هذا الطراز غالبية مدافن البحرين من الألف الثالث يتراوح قطرها عند القاعدة من 14 ـ 16 م وارتفاعها من 30 سم إلى 2,30م، مكونة من جدار دائري غير منتظم وغرفة الدفن مستطيلة الشكل باتجاه شرق ـ غرب تقريبا تتصل احيانا بحجرة صغيرة في نهايتها الشرقية (Alcove) أو حجرتين. وحجرة الدفن مغطاة ببلاطات حجرية كبيرة تتراوح بين 2 ـ 5 بلاطات تحتوي غرفة الدفن على هيكل عظمي رأسه في الناحية الشرقية، جميع مرافق المدفن مغطاة بالطمم.

2) **تل بمدفن واحد مقطوع في الصخر :** يشبه هذا النوع من التلال النوع الأول الا أن غرفة الدفن فيه مقطوعة كليا أو جزئيا في الصخر بحيث يتم بناء جدران بداخل الحفرة لتشكل جدران غرفة الدفن.

3) **تل بمدفن رئيسي يتصل بمدافن جانبية :** ما يميز هذا النوع هو ارتباط مدفن رئيسي أو أكثر بأخرى جانبية يتراوح عددها من 1 ـ 10 مدافن.

لقد ظهر هذا النوع من المدافن في مناطق أخرى في البحرين منها أم جدر، (Cleuziov, S. 1981) كما ظهرت في منطقة كرزكان (Tarawneh 1978).

4) **تل بمدفن رئيسي يتصل بباحة :** تتميز هذه التلال بضخامة حجمها اذ بلغ قطر احداها 26م وارتفاعه 3,25م عن سطح الأرض. وهذه التلال تحتوي على مدفن رئيسي يتصل اعلاه بباحة تبدأ من أعلى التل ومتصلة بالمدفن في الأسفل تبدو أحيانا على شكل بئر باستثناء نموذج تشكل فيه الباحة ممرا يتصل بالجدار الدائري والمدفن الرئيسي محاط بجدار دائري يبلغ ارتفاعه أحيانا 2 م وفي جميع حالات هذا النوع الحقت مدافن جانبية مرتكزة على الجدار الدائري للمدفن الرئيسي.

5) **المدافن المترابطة :** كشف عن حقل من هذه المدافن في الجهة الشرقية لمسار الجسر ومن المتوقع أن يضم حوالي 1000 مدفن وهي عبارة عن غرف دفن محصورة في وسط الاطار الخارجي باتجاه شرق ـ غرب ومحاطة بجدار دائري قوسي ,يشكل أحيانا انصاف دوائر وترتكز على بعضها البعض يصل ارتفاع هذه الجدران أحيانا إلى 130 سم وترتفع غرفة الدفن من 85 ـ 100 سم ويبلغ طول غالبية غرف الدفن 160 ـ 180 سم وعرضها في الأسفل 80 ـ 90 سم يتصل بغرفة الدفن في معظم الأحيان حجيرة جانبية (Alcove).

يرتبط وجود هذه المدافن بمدفن رئيسي غير ملفت للنظر يحيط به جدار كامل الاستدارة وتحافظ هذه المدافن على نمط معماري معين لتعطي في النهاية شكل حراشف السمكة تبدأ كبيرة عند اتصالها بالمدفن الرئيسي في الوسط، بينما تصبح صغيرة الحجم على الأطراف مما يدل على أن الأخيرة استعملت أو خصصت لدفن الأطفال، كما يوجد حقل آخر للأطفال على بعد 25 م إلى الشرق من حقل المدافن الرئيسية وقد وجدت خالية من العظام بينما عثر على عدد من المرفقات الجنائزية بداخلها.

عثر في عدد من المدافن سابقة الذكر على هياكل عظمية كاملة يكون فيها الرأس في الجهة الشرق وباتجاه حجيرة المدفن (Alcove) وغالبا ما يكون الهيكل على الجانب ويداه باتجاه الوجه وأرجله في وضعية القرفصاء الا أن معظم المدافن تعرضت للسرقة من قبل لصوص المقابر. وبالرغم من السرقات فقد احتوى العديد منها على لقى اثرية تضمنت أوان فخارية وأوان حجرية (استياتايت Steatite) وأدوات برونزية وأختام مستديرة منبسطة بعضها صنع من الأصداف والبعض الآخر من الحجر الصابوني (Steatite).

بعد دراسة الأنماط الخمسة سالفة الذكر اتضح أنها تتبع فترة زمنية رئيسية واحدة، لكنه من المحتمل أن كل مجموعة أو أكثر تمثل مرحلة ضمن حقبة زمنية طويلة.

أما بالنسبة لمدافن الألف الثالث في مناطق الخليج الأخرى فقد عثر في موقع الخور بقطر على بضعة مدافن تشبه تلال المدافن في مواقع الخليج المختلفة لكنها قليلة الارتفاع وهي أشبه بالمدافن المدببة. المكتشفات التي وجدت بداخلها قليلة ولا تسمح بتأريخ دقيق لها ولكنها غالبا ما تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد (Midant-Reynes 1978).

كما وجدت عدة حقول لتلال المدافن في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية جنوب مطار الظهران اذ لا يزال ما يزيد على 1500 منها قائما (Potts et al 1978) وقد عثر في بعض هذه المدافن على فخار «باربار» الذي استخدم على نطاق واسع في مدافن البحرين في الألف الثالث كما عثر فيها على مجموعات متنوعة من الخرز، وعثر على مدافن مشابهة لمدافن الظهران في كل من منطقة ابقيق وتاروت وتشبه هذه المدافن مدافن البحرين المعاصرة لها (Bibby 1968).

والجدير بالذكر انه لم يعثر حتى الآن على أي من المدافن المشار إليها في الكويت رغم وجود المستوطنات اعتبارا من الألف الثالث وحتى الألف الأول قبل الميلاد وقد يعزى ذلك إلى قلة الدراسات الميدانية في تلك المنطقة.

مدافن الخليج العربي «الألف الثاني»

كان يعتقد حتى فترة قريبة بأن هناك فجوة في التسلسل التاريخي للمدافن، فبالرغم من وجود مدافن الألف الثالث بكثرة وفي مناطق متعددة من الخليج الا أن مدافن الألف الثاني لم يشكف عنها الا عام 1970 بمنطقة الحجر في البحرين. اذ تعود هذه المدافن إلى العصر الكاشي (Tarawneh 1970).

ومن أهم مميزات مدافن هذا العصر أنها محفورة في الصخر بعمق يزيد أو يقل قليلا عن 1,5 م ويتراوح طولها بين 3 ــ 5 م وعرضها من 1 ــ 1,5 م وقد استعمل الملاط والحجارة الصغيرة لعمل مدماك لا يزيد ارتفاعه عن 30 سم لترتكز عليه حجارة الأغطية. وقد أعدت هذه المدافن ليعاد استعمالها وزودت أحيانا بدرجة أو درجتين لتسهيل عملية النزول والخروج منها.

لم يعثر في أي من مدافن هذه الفترة على هياكل عظمية كاملة أو في وضعها الطبيعي الا أن كميات كبيرة من العظام وجدت بداخلها ممزوجة مع الأدوات الجنائزية وهذا الوضع ينتج لسبب اعادة استعمالها في عصرها وكذلك في العصور اللاحقة.

عثر في هذه المدافن على كميات كبيرة من الأواني الفخارية، وأوان مصنوعة من الحجر الصابوني (Steatite) وكميات كبيرة من الخرز والأختام الاسطوانية لتحل محل الأختام الدلمونية المنبسطة.

مدافن الخليج العربي «الألف الأول»

عثر على مدافن هذا العصر في البحرين بمنطقة الحجر والمدافن التي عثر عليها محفورة في الصخر ومتنوعة الأشكال فبعضها مكون من حجرة دفن واحدة وأخرى من حجرتين وصلتا بمدخل واحد أو ثلاث حجر على شكل حرف (E) أو على شكل حرف (F) وفي احد المدافن وصلت حجرتا الدفن بواسطة بوابة مشكلة ما يشبه حرف (H) ويتراوح عمقها ما بين 1 ــ 1,5 م وعرضها 1 م تقريبا ويتراوح طولها من 2 ــ 5 م وقد استعمل الملاط (القصارة) لتسوية سطوح المدافن الداخلية وكذلك الأرضيات وبعض هذه المدافن تؤدي إليه درجة أو اثنتان أو ثلاث حسب عمق المدفن وفي نهاية الدرجات توجد بوابة عثر على بعض الحجارة الكبيرة بجوارها مما يشير إلى أنها كانت تستعمل لاغلاق المدفن وفتحه عند الحاجة.

جميع المدافن التي عثر عليها مدافن جماعية وقد كانت تستعمل على مدى حقبة طويلة من الزمن وقد كان يعمد إلى تكديس مرافق الدفن القديمة في احدى زوايا أو في احدى حجرات

الدفن في المدافن التي تحتوي على أكثر من حجرة. ولذلك لافساح المجال أمام الدفن الجديد. لم تكن هناك طريقة أو اتجاه معين للمدافن أو لوضعية الميت.

تميزت مدافن هذه الفترة بثرائها وكثرة وتنوع الموجودات الجنائزية فبالاضافة إلى الأواني الفخارية المتنوعة وبشكل خاص تلك التي تحتوي على مصبات عثر على مجموعات كبيرة من الأواني المصنوعة من الحجر الصابوني والتي تأخذ أشكالا متعددة، كما عثر على كميات كبيرة من الخرز وكذلك الأختام الاسطوانية والأختام المسماة (Stamp Beals) المعاصرة للعهد البابلي الجديد.

وفي منطقة كارزكان عثر على تابوت من الفخار يعود لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد. كما عثر في قلعة البحرين على تابوت مشابه ولكنه مطلي بمادة « القار » (Bibby 1977, 175, p. 1. 17).

مدافن القصيص : يقع موقع القصيص شمال شرقي مدينة دبي، حيث يتكون الموقع من مجموعة من التلال متوسطة الارتفاع وقد كشف في هذا الموقع عن مجموعة من القبور يعود تاريخها إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد (Archaeology UAE 1975: 62) وهذه المدافن مشابهة لمدافن الحجر حيث قطعت في الصخر واتخذت أشكالا متعددة وتم تغطيتها ببلاطات حجرية.

عثر في هذه المدافن على اعداد كبيرة من الأواني الفخارية والنحاسية ذات المصبات الطويلة. كما عثر فيها على أوان مصنوعة من الحجر الصابوني (Steatite) مشابهة إلى حد كبير لتلك التي عثر عليها في البحرين والتي تعود لنفس الفترة، كما احتوت هذه المدافن على كميات من الخرز ورؤوس السهام البرونزية.

ومن الجدير بالذكر أن موقع هيلي في الامارات العربية المتحدة يضم إلى جانب مدافن الألف الثالث ق.م مدافن تعود إلى الألف الأول ومشابهة لتلك التي وجدت في القصيص الا انه لم ينشر عنها شيء الا القليل حتى الآن.

BIBLIOGRAPHY

Abu Assaf, B **1967**	Der Friedhof von Yabroud. **Annales Archaeologiques de Syrie** 17: 55-68.
Abu Al-Soof, B. 1980	Tell es-Sawwan 1967. **Sumer** 24, 3-15.
Adami, K. 1980	Tell es-Sawwan 1965. **Sumer** 24, 57-94.
Albright, W. 1932	An Anthropoid Clay Coffin from Sahab in Transjordan, in **AJA 36,** 191-306.
1936/37	Tell Beit Mirsim II, in **AASOR 17.**
Al-Hashimi, R. 1980	Introduction to the Archaelogy of the Arab Gulf Areas (Arab.).
Amin, M.Al & Mallowan, M.E.L. 1950	Makhmur Plain Soundings. **Sumer** 6, 55-89.
Amiran, R. 1958	The Tumuli West of Jerusalem, **IEJ** 8, 205-227.
Anati, E. 1961	**Palestine before the Hebrews,** New York : Alfred A. Knopf, Inc.
Archaeology UAE 1975	Archaeology in the United Arab Emirates, **Dept. of Archaeology & Tourism** (Arab.).
Archaeology UAE 1976-1977	Archaeology in the United Arab Emirates, **Dept. of Archaeology & Tourism** (Arab.).
Avigad, N. 1965	The Architecture of Jerusalem in the Second Temple Period, in **Jerusalem Revealed,** edited by Y. Yadin.
Baramki, D.C. 1969	The Art and Architecture of Ancient Pelestine, a survey of the Archaeology of Palestine from the Earliest Times to the Ottoman Conquest. **Palestine Books,** N°. 23. Beirut, Palestine Liberation Organization Research Center.

Barkay, G, & Kloner, A. 1976 — Burial Caves North of Damascus Gate, Jerusalem, in **IEJ** 26, 55-57.

Bent, T. 1980 — The Bahrain Island, in the Persian Gulf. **Proceedings of the Royal Geographical Society.** Vol. XII, 1-19, Edward Stanford, London.

Berghe, L. Vanden 1968 — La necropole de Bani Surmah. **Archeologia. 24:** 52-62.

1970 — Luristan: prospection archeologique dans le région de Badr. **Archeologia** 36: 10-21.

Bibby, T.G. 1954 — Fem of Bahrains Hundred Tusinde Gravhoje, **Kuml.** pp. 166-141.

1968 — **Preliminary Survey in East Arabia.**

1977 — Dilmun, die Entdeckung der Vergessenen Hochkultur.

Biran, A. & Gophna, R. 1970 — An Iron Age Burial Cave at Tel Halif, in **IEJ** 20, 151-169.

Bottero, J. 1980 — La mythologie de la mort en Mesopotamie ancienne pp. 25-43 in **Çopenhagen Studies in Assyriology,** Vol. 8, Papers Read at the XXVIe Rencontre assyriologique, edit. by Bendt Alster. Copenhagen Akademisk Forlag.

Bounni, A. — Tagrir awali an Al-tangib fi al-abd wa'annab al-safinat 1971-1972. **Annales Archeologiques Arabs Syrienns 24:** 53-73.

Braidwood, R. — Matarra, **JENS 11,** 1-75, Taf. XII, 22.

Braidwood, R.J. & Howe, B. 1960 — Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan. **SAOC** 31, Chicago, The University of Chicago Press.

Braidwood, R. & Braidwood, L. 1950 — Jarmo, **Antiquity** 24, 189-95.

Buhl, M.L 1964 — Anfang, Verbreitung und Dauer der phönikischen anthropoiden Steinsarkophage, in **Acta Archaeologica** 35, 61-80.

Cauvin, J. 1972 — Nouvelles fouilles à Tell Mureybet (Syria) 1971-1972. **Annales Archeologiques Arabes Syriennes:** 105-115.

Chéhab, M. 1970/71 — Observations au sujet du sarcophage d'Ahiram, in **MUSJ** 46, 105-117.

Clevoziov, S. 1981 — **Fouilles a Umm Jidr** (Bahrain). Edition A.D.P.F., Paris.

de Contenson, H. — Sondage à Tell Ramad en 1963. **AAAS** XIV: 109-124.

de Contenson, H. & W.J. Van Liere. 1963 — Sondage à Tell Ramad,1963.**Annales Archeologiques Arabes Syriennes 14**: 109ff.

de Contenson, H. 1966 — Les trois premières Campagnes de Fouilles à Tell Ramad (Syrie). **Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles Letters**, 66.

1970 — Septième campagne de fouilles à Tell Ramad en 1970. Rapport preliminaire. **Annales Archéologiques Arabes Syriennes** 20, 77-80.

Courbin, P. 1977/78 — Rapport sur la sixième campagne de fouille (1976) à Rar el Bassit (Syrie). **Les Annales Archéologiques Arabes Syriennes** XXVII-XXVIII: 29-41.

Dajani, R. 1966a — Jabal Nuzha Tomb at Amman, **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** II, 48-49.

1966b — Fourth Iron Age Tombs from Irbed, **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** II, 88-101.

1970 — A late Bronze-Iron Age Tomb Excavated at Sahab, 1968. **Annual of the Department of Antiquities of Jordan** 15, 29-43.

Delougaz, P. & Hill,H.D. & Lloyd,s 1967 — **Houses and Graves in Diyala Region.**

Dornemann, R. 1977 — Tell Hadidi, An Important Center of the Mitannian Period & Earlier. Le Moyen Euphrate Zone de contacts et d'échanges, Actes du College de Strassbourg 10-12 Mars 1977.

Dothan, M. 1960 — Azor. **IEJ** 10, 259-260.

1961 — Excavations at Azor, 1960. IEJ II, 171-175.

Dothan, T. 1967 — **The Philistines and their Material Culture,** 211-146 (Hebr.)

1972 — Anthropide Clay Coffins from a Late Bronze Age Cemetery near Deir el-Balah (Preliminary Report) **IEJ** 22: 65-72.

1973 — Anthropide Clay Coffins from a Late Bronze Age Cemetery near Deir el-Balah (Preliminary Report II) **IEJ** 23: 129-146.

1978 — Excavations at the Cemetry of Deir el-Balah **Qedem** 10.

Durand, E.L. 1978 — Notes on the Island of Bahrain and Antiquities Buschire Seat 1st May 1978 by Political Resident, **Buschire to Foreign Department, Government of India.**

Dunand, M. 1939 — **Fouilles de Beyblos I.** Paris.

1950 — Chronologie des plus anciennes installations de Byblos. **Revue Biblique** 59.

1956 — Byblos, son histoire, ses ruines, ses légendes. **BMB: 81-86**

1964 — Byblos, son histoire, ses ruines, ses légendes. **BMB:** 21-35.

Frifelt, K. 1975 — On Prehistoric Settlement and Chronology of the Oman Peninsula. **East West** 25. 359ff.

Frohlich, B. & D. Ortner 1982 — Excavations of the Early Bronze Age Cemetery at Bab edh-Dhra Jordan, 1981, A Preliminary Report. **ADAJ** (forthcoming).

Fugmann, E. 1958 — **Hama, fouilles et Recherches de la fondation carlsberg, l'Architecture des Périodes Pré-Hellenistiques.** Kobenhaven: Nationalmuseet.

Garrod, D.A.E & D.M.A. Bate 1937 — **The Stone Age fo Mount Carmel: Excavations at the Wady el-Mughara.** Oxford.

Garstang, J. 1932 — Jericho City and Necropolis I, Late Stone Age II. Early Bronze Age III. Middle Bronze Age: **LAAA XIX.** 3-22.

1933 — Jericho: City and Necropolis, **AAA** 20, 3-42.

1934 — Jericho: City and Necropolis, Fourth Report VI. The Palace Area (Continued). Palace and Stone Rooms. M.B.ii. Pottery and Houses. L.B.i. Upper Stone Building. E.I.i. **LAAA XXI.** 99-136.

1935 — Jericho: City and Necropolis, Fifth Report, VII, General Report for 1935, The Early Bronze Age. **LAAA XXII.** 143-168.

1936 — Jericho: City and Necropolis, Report for Sixth and Concluding Session, 1936, I, General Survey and Special Features. **LAA XXIII.** 67-76.

Glob, P.V. — Oen med de hundred tusinde Gravhoje. **Kuml,** 92-105.

Guy, P.L.O 1938 — Megiddo Tombs. **OIP** 33. Chicago: University of Chicago.

Hachmann, R. 1967 — Das Königsgrab V von Jebeil (Byblos): Untersuchungen zur Zeitstellung des Sogen. Ahiram — Brabes, **Istanbuler Mitteilungen** 17, 93-114.

Haller, A. 1954 — Die Gräber und die Grüfte aus Assur, **WVDOG** 65.

Helms, S. 1981 — **Jawa, Lost City of the Black Desert.** London, Methuen.

Henessy, B. 1967 — **The Foreign Relations of Palestine During the Early Bronze Age.** London.

Henessy, J.B. 1969 — Preliminary Report on a First Session of Excavation at Teleilat Ghassul. **Levant** 1, 1-25.

Herzfeld, E. 1933 — **AMI** 5, 29.

Hrouda, B. 1977 — **Vorderasiens** I, '51ff.

Ibrahim, M. 1972 — Archaeological Excavations at Sahab, 1972. **ADAJ** b **XVII.** 23-36.

1978 — The collared-rim Jar of the Early Iron Ages, pp. 116-126, in **Archaeology in the Levant, Essays for Kathleen Kenyon.** Edited by P.R.S. Moorey and P.J. Parr.

1982 — Siegel und Siegelabdrücke aus **Sahab, Zeitschrift des Deutschen Palästina Vereins** (forthcoming).

1982 — **Excavations of the Arab Expedition at Sar-El JISR** (Bahrain).

Jacobsen, Th. — Death in Ancient Mesopotamia, pp. 19-24 in **Copenhagen Studies in Assyriology,** Vol.8, Papers read at the XXVIe Rencontre Assyriologique. Edit. by Bendt Alster, Copenhagen, Akademisk Forlag.

Kafafi, Z. 1977 — **The Late Bronze Age Pottery in Jordan (East Bank)** Unpublished M.A. Thesis submitted to the Dept. of Archaeology at the University of Jordan.

Kaplan, J. 1963 — The Skin-Bag and its Immitation in Pottery. **BIES** 27, 260ff.

Kenyon, K. 1957 — **Digging up Jericho.** London.

1960 — **Archaeology in the Holy Land.** London.

1965 — **Jericho II.** London.

1966 — **Amorites and Canaanites.**

1971 — Syria and Palestine c. 2160-1780 B.C. CAH 1,2,3rd ed., 567-94.

Kirkbride, D. 1960 | The Excavation of a Neolithic Village at Seyl Aglat, Beidha near Petra. **Palestine Exploration Quarterly** 92, 136-145.

1966 | Beidha, an Early Neolithic Village in Jordan, **Archaeology** 19.

Kuschke, A. 1977 | Grab, **Biblisches Reallixikon** von Kurt Galling, 122-129

Lapp, P. 1966 | The Cemetry at Bab ed-Dra, Jordan **Archaeology** 19-2 104ff.

1968 | Bab ed-Dra'Tomb A 76 and the Early Bronze I in Palestine. **BASOR** 189. 12ff.

1970 | The Cemetry at Bab ed-Dra', Jordan. **Archaeological Discoveries in the Holy Land.** New York: The Archaeological Institute of America.

Leonard, 1981 | Kataret Es-Samra: A Late Bronze Cemetry in Transjordan. **ADAJ** XXV.

Lloyd, S. 1940 | Iraq Government, Sounding in Singar. **Iraq** 7.

Lloyd, S. & Safar, F. 1954 | Tell Hassune Excavations 1943-1944. **JNES** 4, 255-89.

Lofferd, S. 1968 | Typological Sequence of Iron Age Rock-Cut Tombs in Palestine. **LA** 18, 244-287.

van Loon, M. 1966 | First Results of the 1965 Excavations at Mureybet near Meskene. **Annels Archeologiques Arabes Syriennes** 16.2: 211-217.

Mackay, E. | Bahrain and Hamamieh. **Brit. Sch. of Arch. In Egypt. Vol. XLVIII:** 1-35. University College London.

Maislet, B. & Stekelis, M. 1952 | The Excavations at Beth Yerah (Khirbet el-Kerak) **IEJ**, 2, 165ff, 218ff.

Mallon, A. and Koeppeland, R. and Neuville, R. 1934 — **Teleilat el-Ghassul I.** Compte rendue des fouilles de l'Institut Biblique Pontifical 1929-1932. Rome.

Mallon, A. and Köppel, R. and Neuville, R. 1940 — **Tuleilat-Ghassul** 2 Vols. Rome: Potificium Institutum Biblicum.

Mallowan, M.E.L. 1933 — Prehistoric Sounding of Nineveh. **AAA XX.**

Mallowan, M.E.L. 1935 — Chagar Bazar and Survey of Habur Region. **Iraq** 3, fig. 23,6.

Mallowan, M.E.L. and Rose, J.C. 1935 — Arpachixxah. **Iraq** 2, 42ff.

Mesnil du Buisson 1948 — **Baghouz, l'ancienne Corsote,** Leiden.

Midant-Reynes, B. 1978 — Fouilles de Tumulus a Akhor, in **recherches anthropologique au proche et moyen-Orient,** r.c.p. 476, 158-164.

Mortensen, P. 1963 — Ali Ghosh. **Acta Archaeologica,** 34, 112ff Abb 13.

Muheisen, M. 1981 — Unpublished. Report on the Excavations of Kharraneh flint site.

Naumann, R. 1950 — **Tell Halaf** II, die Bauwerke.

Neuville, R. **et al** 1951 — Le Paleolithique et le Mesolithique du désert de Judee. **Archives de l'Institut de Paleontologie Humaine, Mémoire** 24. Paris.

North, R. 1961 — Ghassul 1960 Excavation Report. **Biblica** 14. Rome.

Orthmann, W. 1977 — Burial Customs of the 3rd Millennium B.C. in the Euphrates Valley. Le Moyen Euphrate Zone de Contacts et d'échanges, **Actes du Colloque de Strasbourg** 10-12 Mars 1977, edit. J.Cl. Margueron.

Ortner, Q.J. 1981 — A Preliminary Report on the human remains from the Bab edh-Dra Cemetery. In: the Southwestern Dead Sea Plain Expedition. An Interim Report of the 1977 session. **AASOR** 47 : 1-5.

Ory, J. 1946 — A Chalcolithic Necropolis at Benei Baraq. **QDAP** 12: 43ff.

Parrot, A. 1933 — Tello at Senkereh-Larsa Campagne, in **RA** 30, 169-182.

Parrot, A. 1948 — **Tello, Vingt campagnes de fouilles** (1877-1933). Paris.

Parrot, A. 1968 — Fouilles de Larsa 1967, 8 in **Syria** 45, 205-239.

Perkins, A.C. — **SAOS** 25: 104ff.

Perrot, J. 1938

Perrot, J. 1961 — Une tombe a ossuaires du IVe millenaire à Azor, près de Tel Aviv: rapport preliminaire **Afigot** 3.

Perrot, J. 1979 — **Syria-Palestine I, from the Origins to the Bronze Age.** Geneva: Nagel publishers.

Petrie, F. 1930 — **Beth-Pelet I.** (Tell Fara).

Petrie, F. 1932 — **Ancient Gaza** II, Tell el-Ajjul. London: British School of Archaeology.

Porada, E. 1980 — The Iconography of Death in Mesopotamia in the Early Second Millenium B.C. pp. 259-270 in **Copenhagen Studies in Assyriology**, Vol. 8, Papers read at the XXVIe recontre assyriologique, edit. Bendt Alster, Copenhagen Akademisk Forlag.

Potts, D. et al 1978 — Comprehensive Archaeological Survey Program, Preliminary Report on the Second Phase of the Eastern Province Survey 1397/1977. **Atlalz.** 7-29.

Prideaux, F.B. 1912 — The Sepulchral Tumuli of Bahrain. **Annual Report 1908-9, Archaeological Survey of India**, pp. 60-78.

Pritchard, J. 1958 — The Excavations at Herodian Jericho, 1951. **AASOR** 32.

Pritchard, J. 1963 — **The Bronze Age Cemetery at Gibeon.** Museum Monographs. Pennsylvania: The University Museum.

Pritchard, J. 1980 — The Cemetry at Tell es-Sa'idiyeh, Jordan. **University Museum Monograph 41.** The University Museum, Philadelphia.

Rast, W. and Shaub, R.T. 1978 — A Preliminary Report of Excavations at Bab edu-Dhra, 1975. Ed. D.N. Freadman. **AASOR** 43, 1-32.

Rast, W. and Shaub, R.T. 1980 — Preliminary Report of the 1979 Expedition to the Dead Sea Plain, Jordan. **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 240: 21-63.

Reed, W. 1958 — The Excavation at Dibon (Dhiban) in Moab, II: The Second Campaign, 1952 in **AASOR** 37, 57-60.

Reuther, O. 1926 — Die Innenstadt von Babylon. **WVDOG** 47.

Rice, M. 1976 — The Grave complex at Al-Hajjar, Bahrain, **Proc. of the Sem. for Arab. St.** I: 66-75.

Riis, P.J. 1948 — **Hama II3, Les cimetière à Cremation.**

Rollefson, G. 1982 — Personal communication.

Safar, F. 1949 — Tell el-Laham, in **Sumer** 5, 154-164.

Schachermeyr, F. 1945-51 — Ausgrabungen und Forschungsreisen. **AFO** 16, 137-39.

Schaeffer, C.F.A. 1931 — Les fouilles de Minet el-Beidha et de Ras Shamra, Deuxième campagne (printemps 1930). **Syria** 12: 1-14.

Schaeffer, C.F.A. 1932 — **Syria** 13, 16f.

Schaeffer, C.F.A. 1933 — **Syria** 14, 109ff.

Schaeffer, C.F.A. 1934 — **Syria** 15, 123.

Schaeffer, C.F.A. 1938 — **Syria** 19, 197ff.

Schmidt, E. 1931 — Fara, 1931, in **MJ** 22, 193-245.

Seger, Joe D. 1972 — Tomb offerings from Gezer. **The Rockefeller Museum, Cat. no. 94.** Jerusalem, Central Press.

Sellin, E. and Watzinger, C. 1913 — **Jericho, die Ergebnisse der Ausgrabungen.** Leipzig.

Smith, R. — Pella of the Decapolis.

Starkey, J. and Harding, L. 1932 — **Beth-Pelet** II.

Starr, R.F.S. 1939 — **NUZI.**

Stern, E. 1971 — Phoenician Anthropoid Coffins from **Eretz-Israel. Qadmoniot** 4, 27-28 (Hebr.).

Stern, Z. 1973 — **The Material Culture of the Land of the Bible in the Persian Period 538-332 B.C.** (Hebr.).

Strommenger, E. 1954 — **Grabformen und Bestattungssitten im Zweistromland und in Syrien von der Vorgeschichte bis zur Mitte des I. Jahrtausends v. Chr.** (unpublished dissertation).

Sukenik, E.L. 1937 — A Chalcolithic Necropolis at Hedrea. **JPOS** XVIII.

Tarawneh, F. 1970 — **Excavations at Al-Hajjar, Bahrain.** Unpublished Report. (Arab.).

Tarawneh, F. 1978 — **Excavations at Karzakkan,** First Session. Unpublished Report. (Arab.).

Thureau-Dangin, F. and Dunand, M. 1936 — **Til Barsib.** Paris.

Tobler, A.J. 1950 — **Excavations at Tepe Gawra 2.**

Tsukimoto, A. 1980 — Aspekte von Kispu (m) als «Totenbeigabe». pp. 129-138 in **Copenhagen Studies in Assyriology.** Vol. 8, papaers read at the XXVIe Recontre assyriologique edit. by Bendt Alster.

Tufnell, O 1958 — **Lachish** IV.

de Vaux, R. 1948 — La Seconde Campagne de Fouilles à Tell el-Farah, pres Noplous, **Revue Biblique** 55, 544-580.

de Vaux, R. 1951 — Les Fouilles de tell El-Far'ah, **Revue Biblique.** 58: 566ff.

de Vaux, R. 1952 — Les Fouilles de Tell El-Far'ah Revue **Biblique 59**: 511ff.

de Vaux, R. 1955 — Les Fouilles de Tell El-Far'ah, pres Noplous, Cinquième Campagne. Rapport Preliminaire **Revue Biblique** 62: 541-589.

de Vaux, R. 1966 — Palestine during the Neolithic and Chalcolithic periods. pp. 3-43 in Vols. I and II fascile 47 of the **Cambridge Ancient History.** Cambridge: the Cambridge University Press.

de Vaux, R. 1970 — Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods. pp. 499-538 in **Cambridge Ancient History,** 3rd ed., Vol.I, part I.

Wailly, F. and Abu-Al-Soof 1965 — Tell es-Sawwan Ist Report. **Sumer** 21, 17-32.

Weippert, M. 1977 — Sarkophag, Urne, Ossuar, in **Biblishes Reallexikon** von Kurt Galling, 269-276.

Williams, P. 1977 **The Tombs of the Middle Bronze Age II period from the 500' Century at Tell Fara** (south) Institute ofArchaeology, Occasional Publication No.I. London: Institute of Archaeology.

Woolley, C.L. 1927 **Ur Excavation Vol. I.** 149ff 214ff.

Woolley, C.L. 1929-30 Excavation at Ur. **AJ** 10, fig. XLIVb.

Woolley, C.L. 1933 Excavations at Ur,1932-33,**The Antiquities Journal** 13, 355-378.

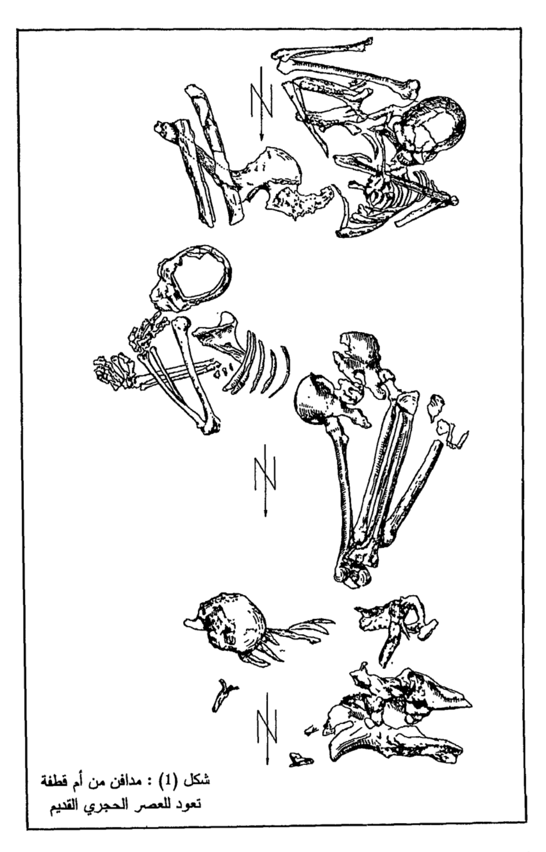
Woolley, C.L 1934 **Ur Excavations,** Vol. II.

Woolley, C.L 1952 **Carchamcsh,** Part III. London.

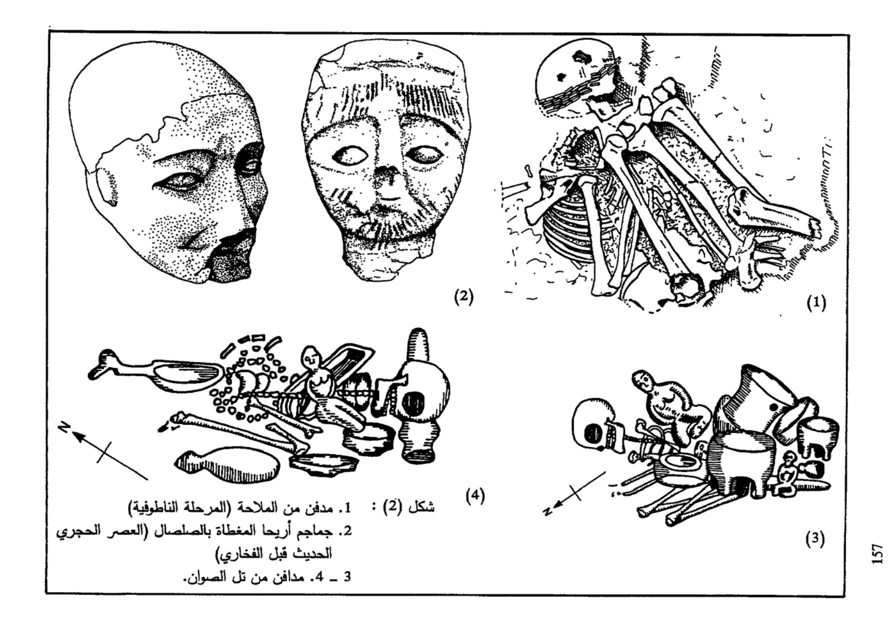
Woolley, C.L 1958 The problem of the Transition Between the Chalcolithic and Bronze Ages. **Eretz-Israel** 5: 37ff.

Yadin, Y. 1975 **Hazor, the Rediscovery of a Great Citadel of the Bible.** London: Weidenfeld and Nicolson.

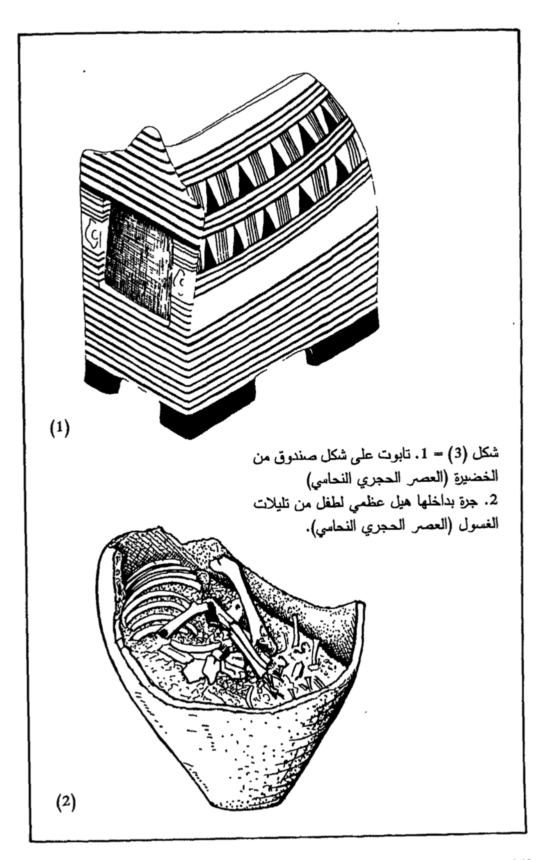
Yassine, Kh. N. 1975 Anthropoid Coffins From Raghdan Royal Palace Tomb in Amman, in **ADAJ** 20, 57-68.



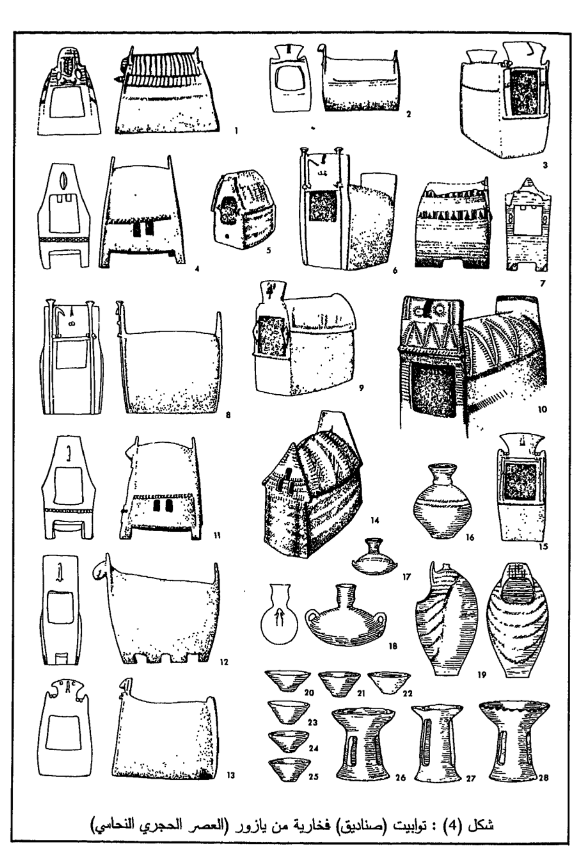
شكل (1) : مدافن من أم قطفة تعود للعصر الحجري القديم



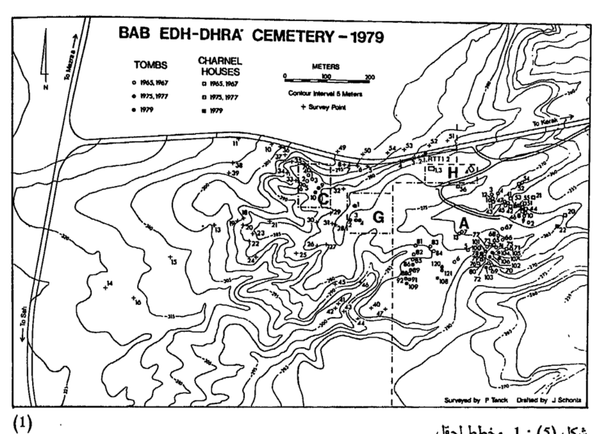
شكل (2) : 1. مدفن من الملاحة (المرحلة الناطوفية)
2. جماجم أريحا المغطاة بالصلصال (العصر الحجري الحديث قبل الفخاري)
3 ـ 4. مدافن من تل الصوان.



شكل (3) = 1. تابوت على شكل صندوق من الخضيرة (العصر الحجري النحاسي)
2. جرة بداخلها هيل عظمي لطفل من تليلات الغسول (العصر الحجري النحاسي).

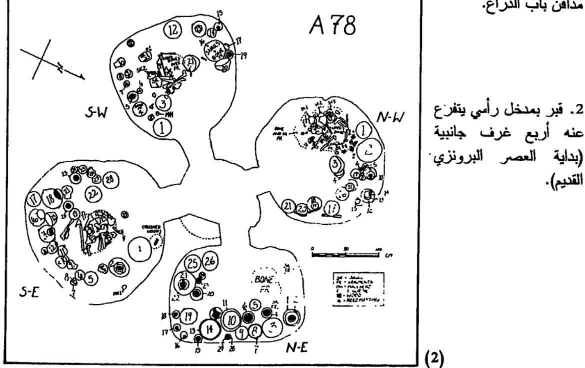


شكل (4) : توابيت (صناديق) فخارية من يازور (العصر الحجري النحاسي)



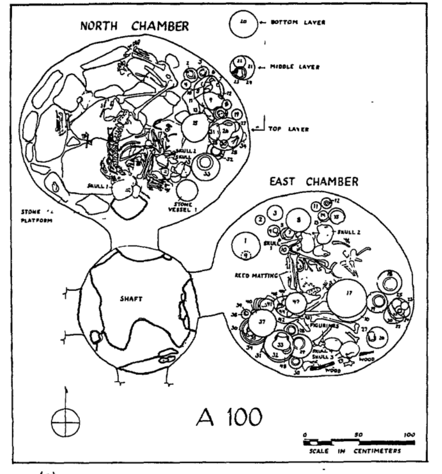
(1)

شكل (5) : 1. مخطط لحقل مدافن باب الذراع.



2. قبر بمدخل رأسي يتفرع عنه أربع غرف جانبية (بداية العصر البرونزي القديم).

(2)



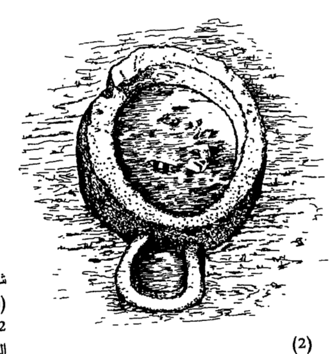
(1)

(2)

A-110-NE
MN

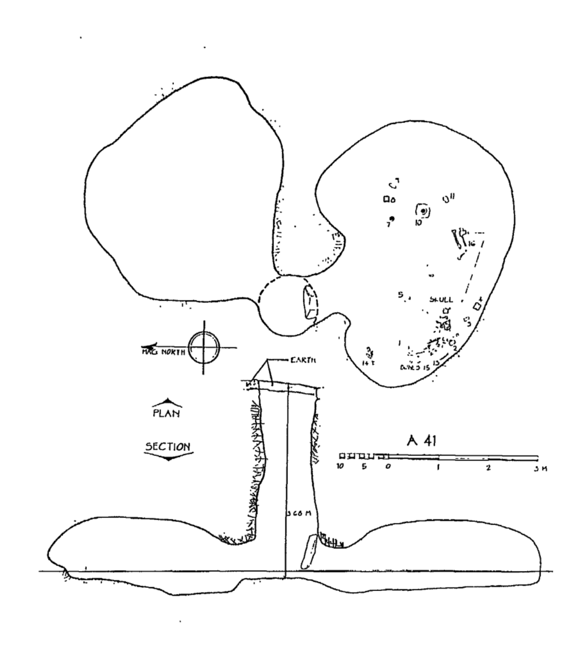
شكل (6) : 1. قبر بمدخل رأسي من باب الذراع.
2. غرفة دفن مفروشة بالحصير لقبر بمدخل رأي من باب الذراع.

(1)

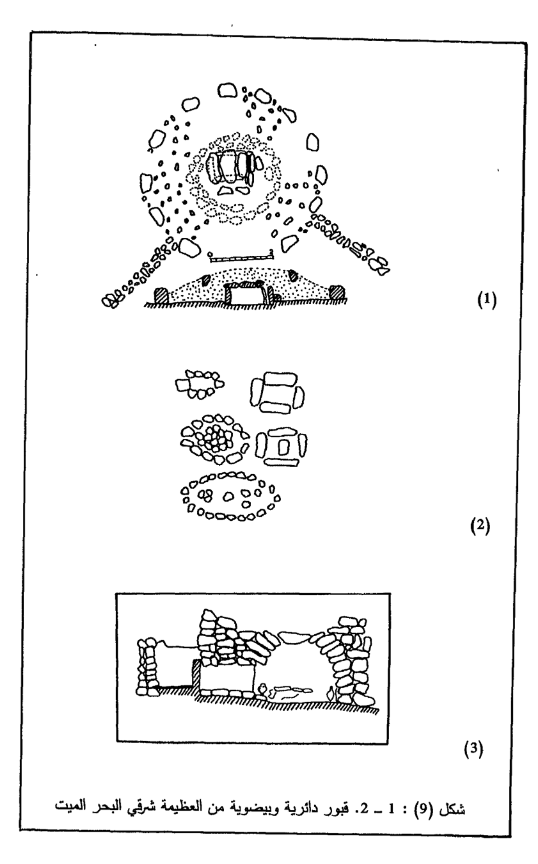


(2)

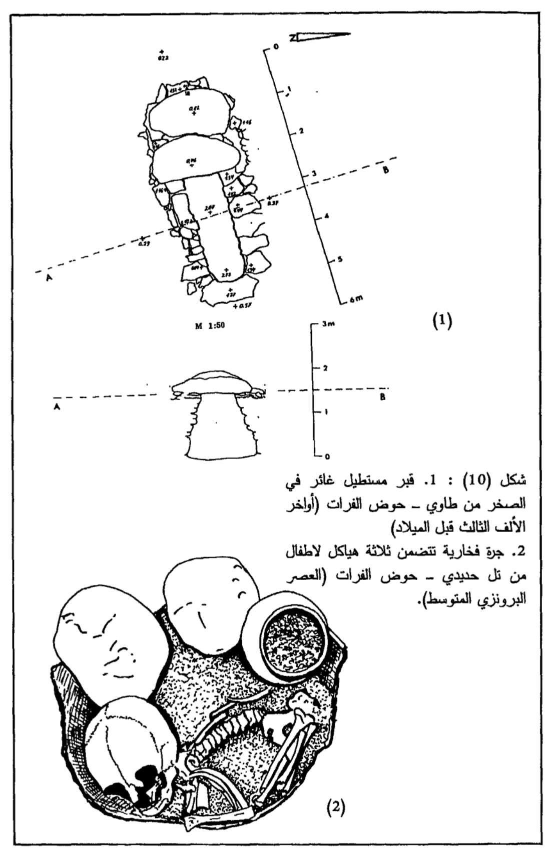
شكل (7) : 1. قبر مستطيل من باب الذراع (العصر البرونزوي القديم).
2. قبر مستدير من باب الذراع (العصر البرونزي القديم).



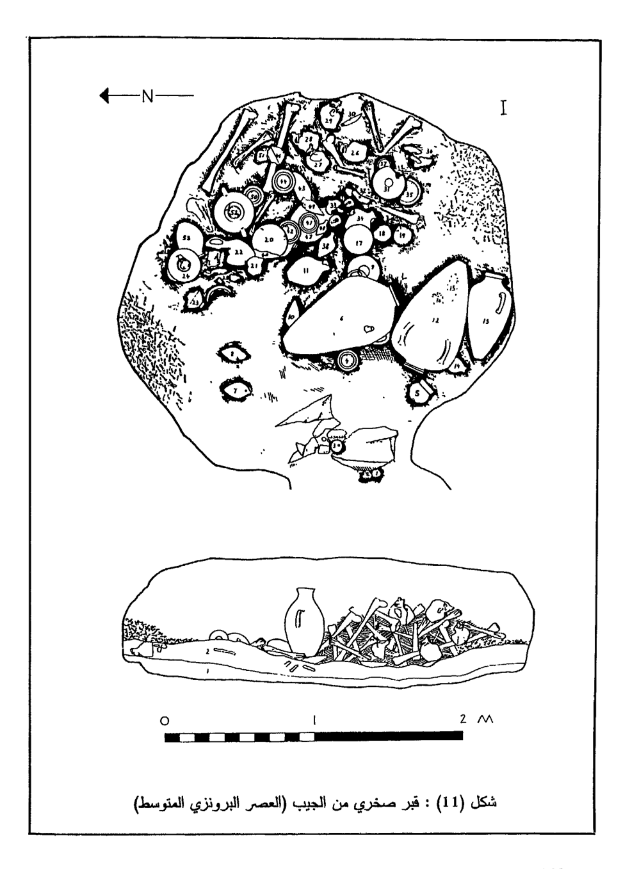
شكل (8) : قبر صخري من النوع المذبب من ظهر مرزبانة
(أواخر الألف الثالث ق.م.)



شكل (9) : 1 ـ 2. قبور دائرية وبيضوية من العظيمة شرقي البحر الميت



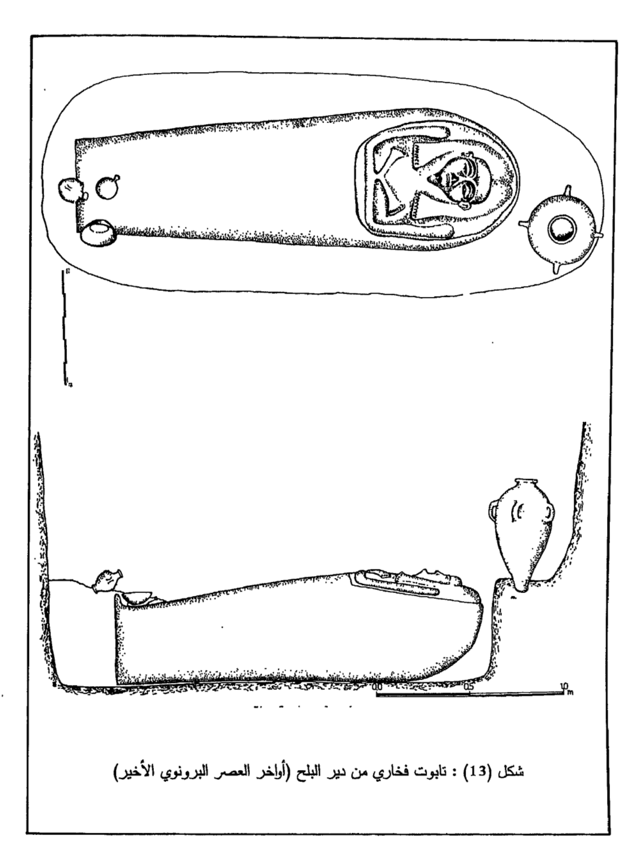
شكل (10) : 1. قبر مستطيل غائر في الصخر من طاوي ـ حوض الفرات (أواخر الألف الثالث قبل الميلاد)
2. جرة فخارية تتضمن ثلاثة هياكل لاطفال من تل حديدي ـ حوض الفرات (العصر البرونزي المتوسط).



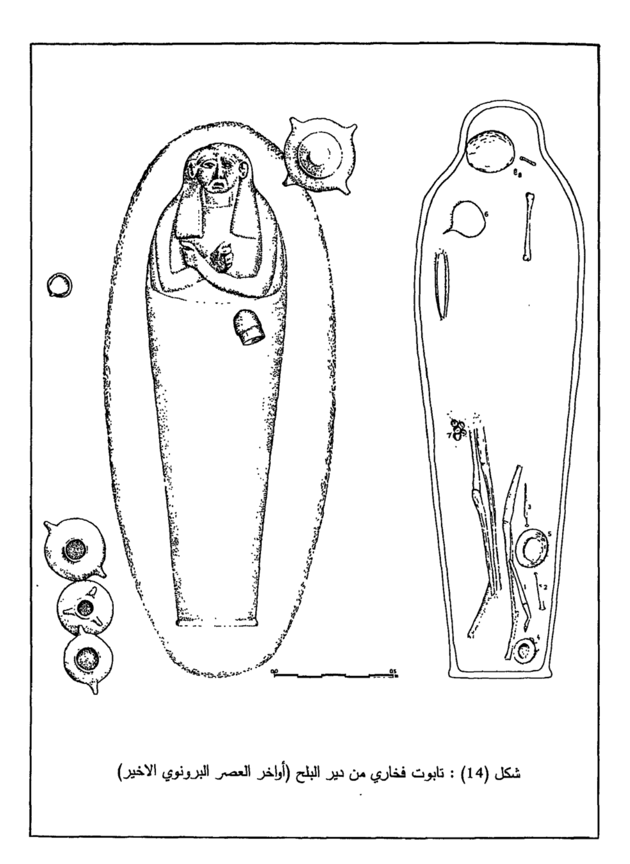
شكل (11) : قبر صخري من الجيب (العصر البرونزي المتوسط)



شكل (12) : قبر صخري من أريحا (العصر البرونزي المتوسط)

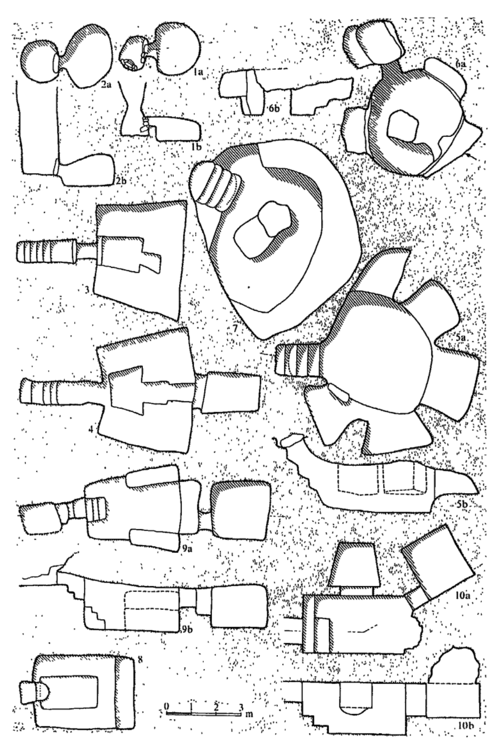


شكل (13) : تابوت فخاري من دير البلح (أواخر العصر البرونوي الأخير)

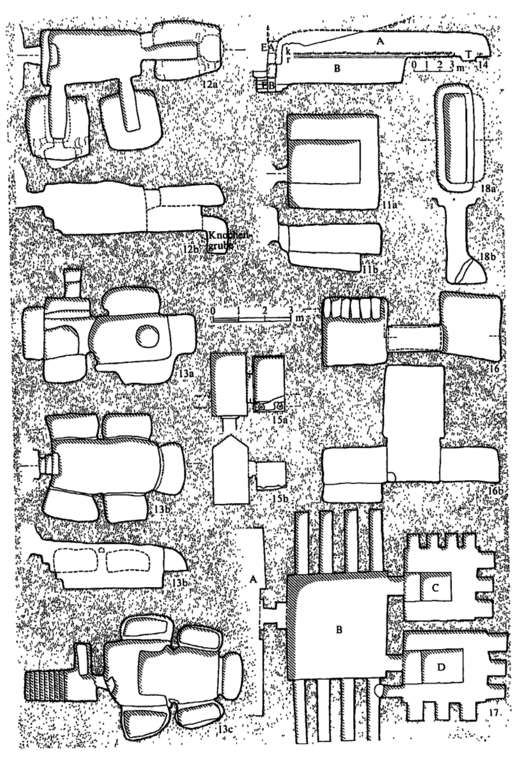


شكل (14) : تابوت فخاري من دير البلح (أواخر العصر البرونوي الاخير)

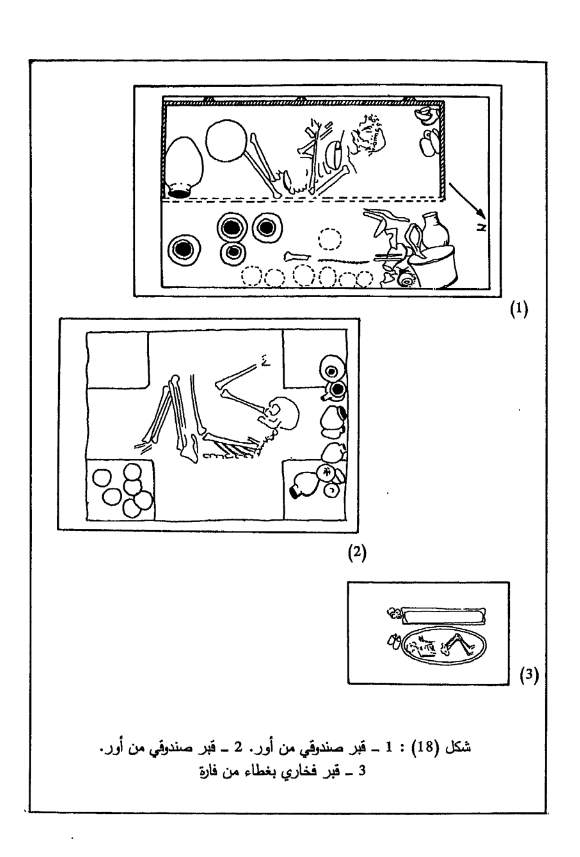
(شكل (15) : قبر صخري من سحاب (العصر الحديدي الأول)



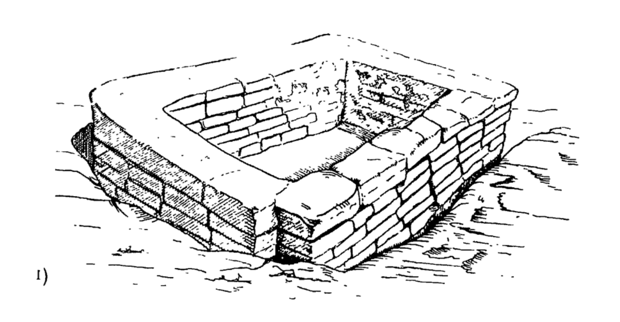
شكل (16) : قبور صخرية من فلسطين، 1 ـ 2 من العصر البرونزي،
3 ـ 10 من العصر الحديدي

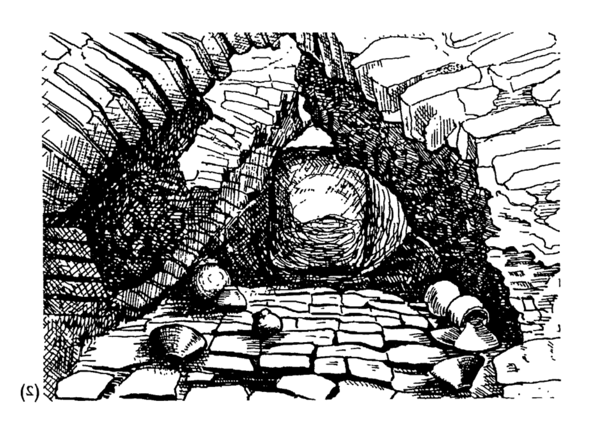


شكل (17) : قبور صخرية من فلسطين من العصر الحديدي وحتى العصر الروماني

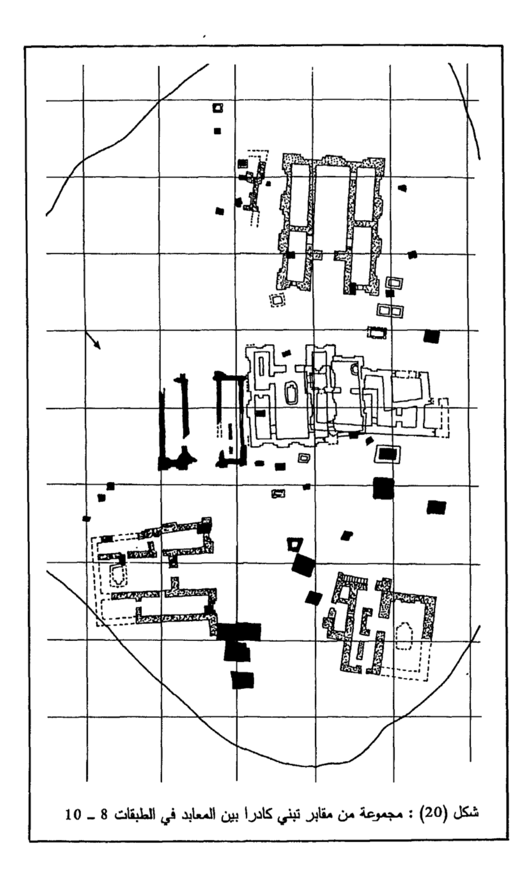


شكل (18) : 1 ـ قبر صندوقي من أور. 2 ـ قبر صندوقي من أور.
3 ـ قبر فخاري بغطاء من فارة

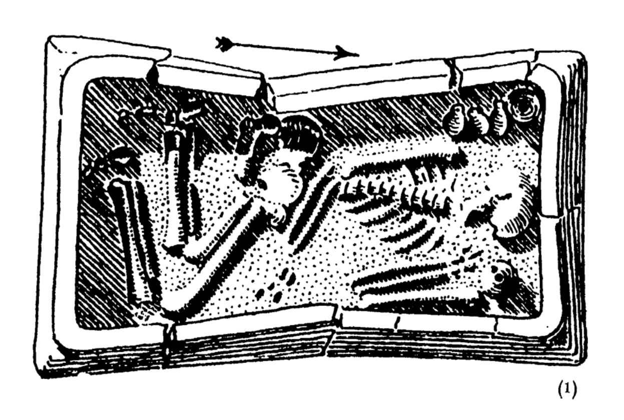




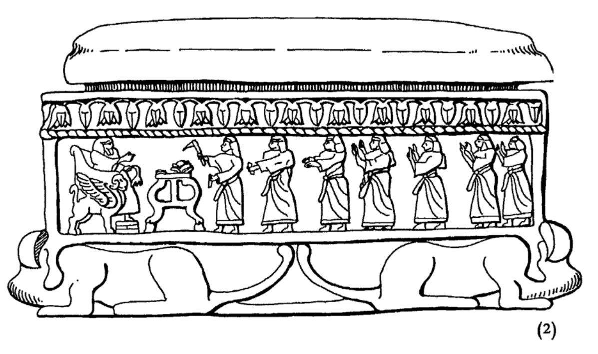
شكل (19) : 1 ـ قبر طابوقي مستطيل من تبني كادرا (الطبقة التاسعة)
2 ـ قبر قوسي من خفاجي (الألف الثالث قبل الميلاد).



شكل (20) : مجموعة من مقابر تبني كادرا بين المعابد في الطبقات 8 ـ 10

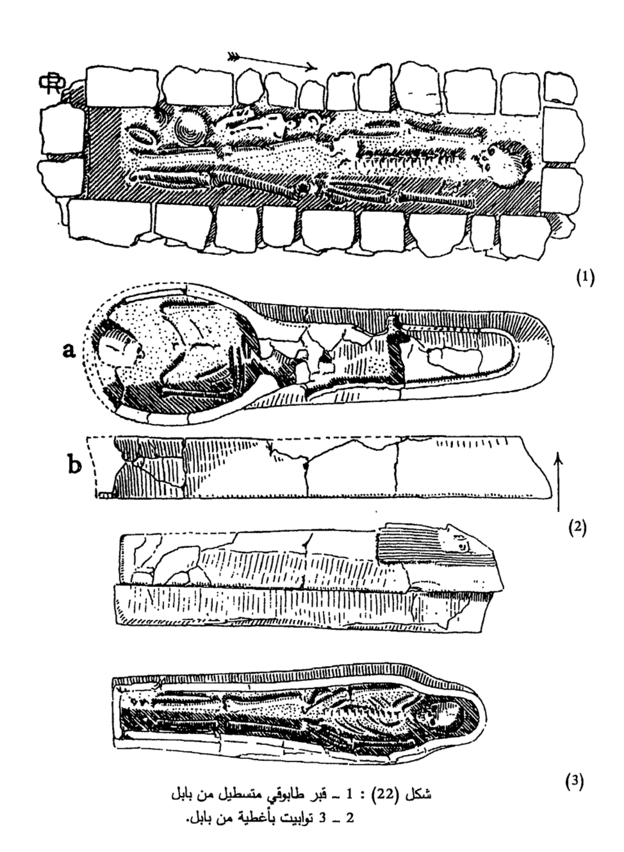


(1)

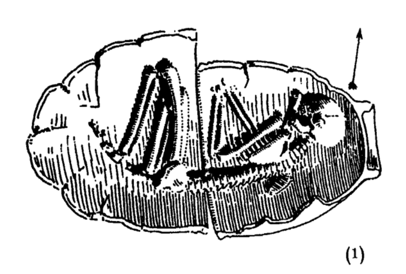


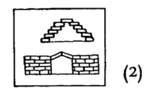
(2)

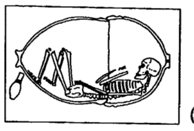
شكل (21) : 1 ـ قبر صندوقي من بابل
2 ـ تابوت حجري للحاكم احيرام من جبيل.



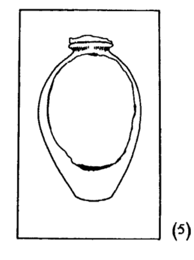
شكل (22) : 1 ـ قبر طابوقي متسطيل من بابل
2 ـ 3 توابيت بأغطية من بابل.

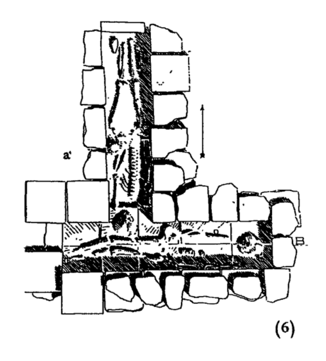


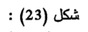




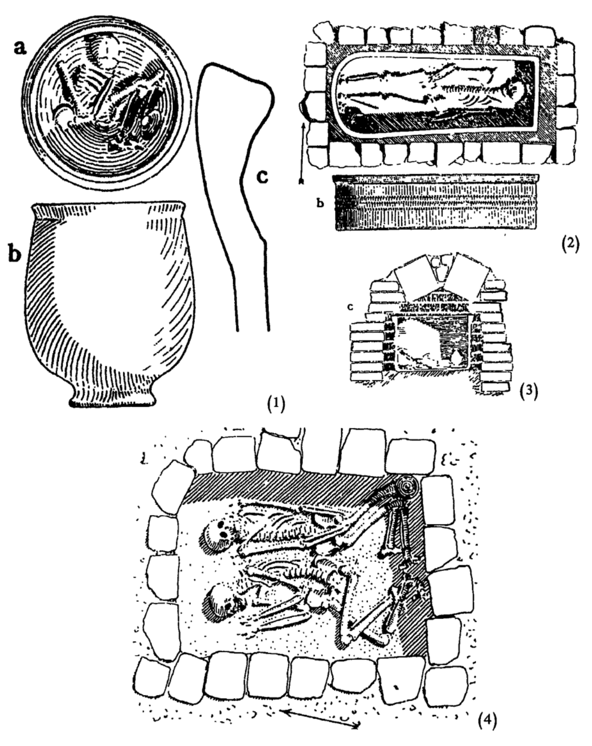




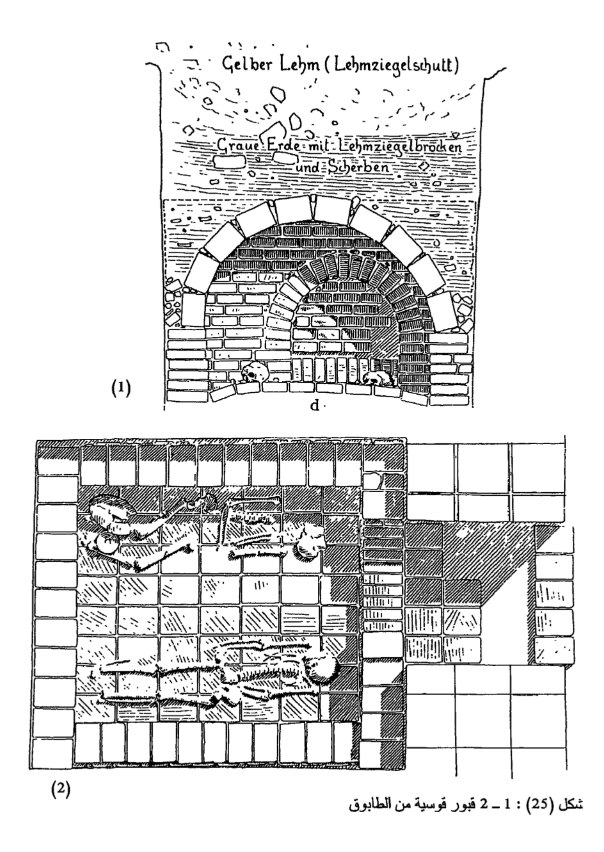



شكل (23) :

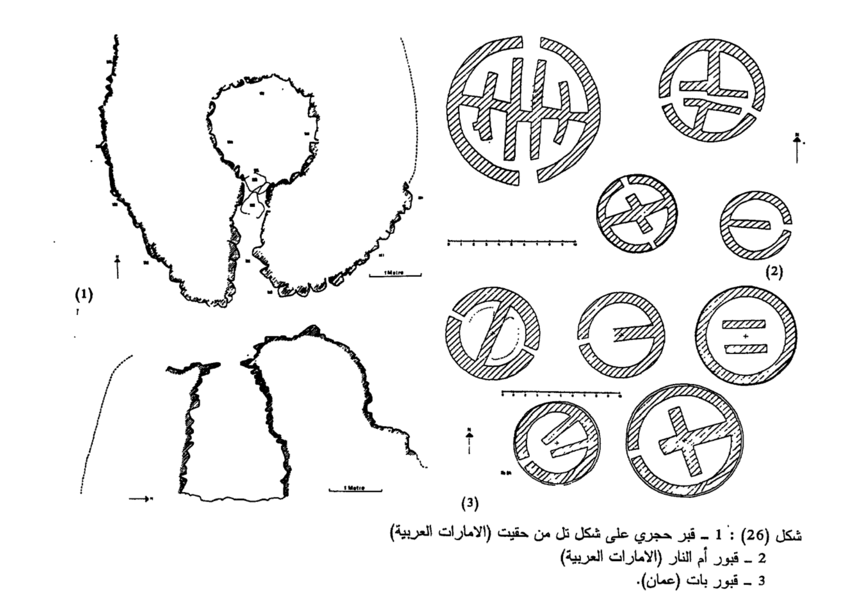
1 ـ قبر فخاري مزدوج من بابل
2 ـ قبر طابوقي من سيبار
3 ـ قبر فخاري مزدوج من تل لحم
4 ـ تابوت فخاري على شكل وعاء
5 ـ جرة دفن من جبيل
6 ـ قبر طابوقي من بابل.



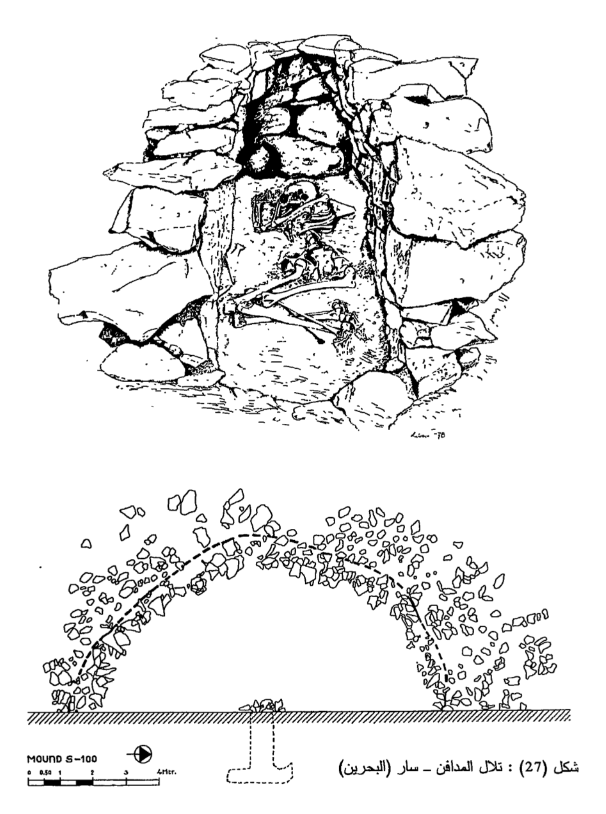
شكل (24) : 1 ـ قبر فخاري من بابل. 2 ـ تابوت فخاري من بابل
3 ـ تابوت مغطي بالطابوق. 4 ـ قبر طابوقي متسطيل من بابل



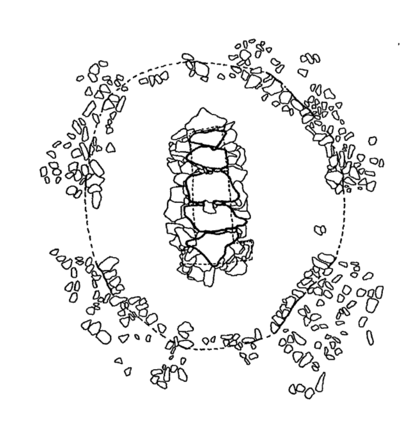
شكل (25) : 1 ـ 2 قبور قوسية من الطابوق

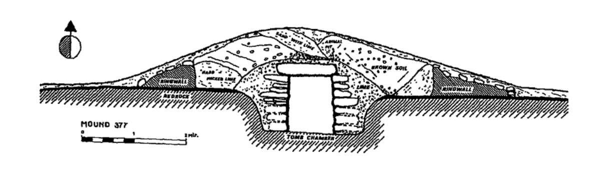


شكل (26) : 1 ـ قبر حجري على شكل تل من حقيت (الامارات العربية)
2 ـ قبور أم النار (الامارات العربية)
3 ـ قبور بات (عمان).

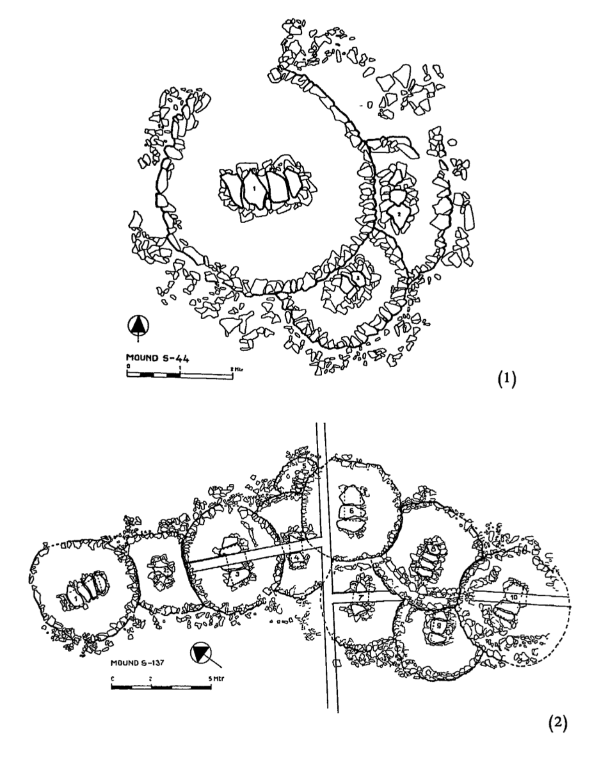


شكل (27) : تلال المدافن ـ سار (البحرين)

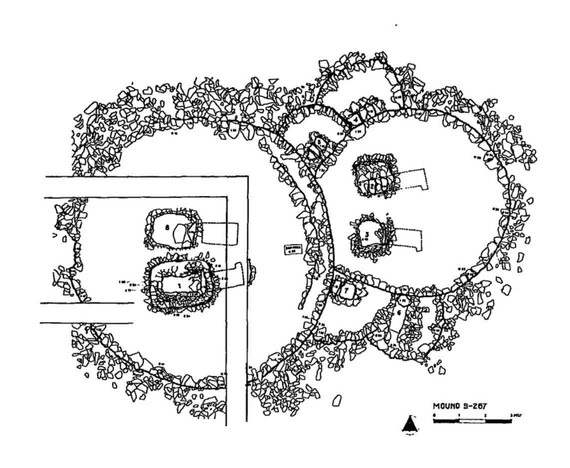




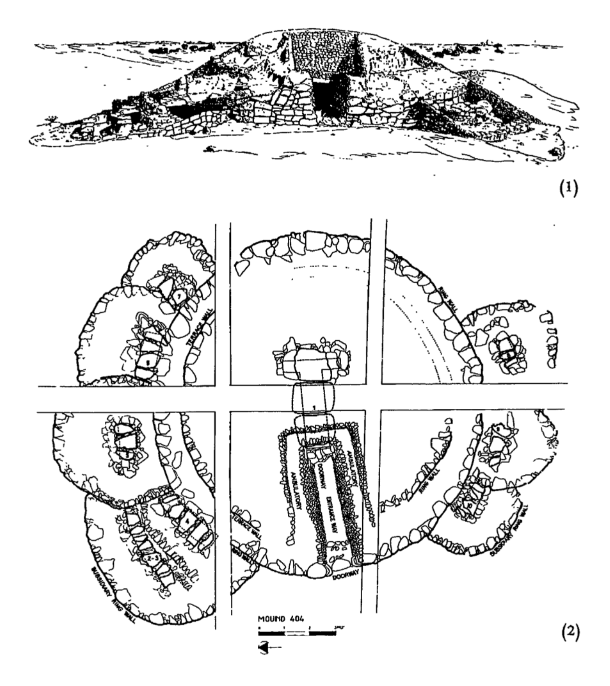
شكل (28) : تل بمدفن محفور في الصخر ـ سار (البحرين)



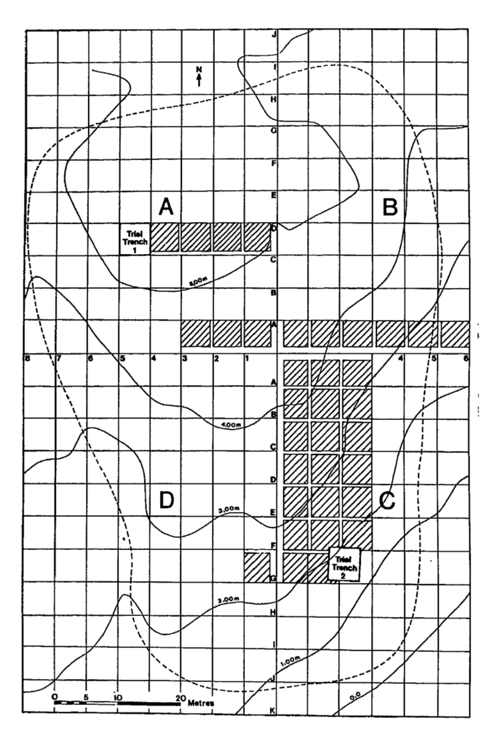
شكل (29) : 1 ـ 2 تل بمدفن رئيسي يتصل بمدافن جانبية ـ سار (البحرين)



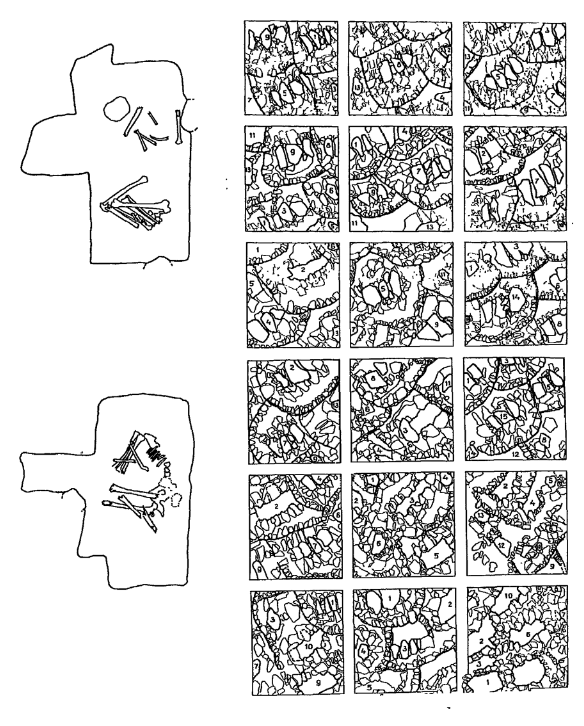
شكل (30) : تل بمدفن رئيسي يتصل بباحة - سار (البحرين)



شكل (31) : تل بمدفن رئيسي يتصل بباحة على شكل ممر ـ سار (البحرين)



شكل (32) : حقل المدافن المترابطة سار **BURIAL COMPLEX**
(البحرين)



شكل (33) : المدافن المترابطة ـ سار (البحرين)

المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني

الدكتور محمد حسين فنطر

بدأ الانسان عامة يفكر في دفن الميت منذ أواسط العصر الحجري القديم فلقد عثر على أطلال أشولية تثبت أن انسان نييندرتال ادرك مستوى جعله يفكر في دفن الميت : يحفر خندقا يواري فيه الميت واضعا حوله أثاثا جنائزيا وكأنه يشير إلى حياة أخرى يعيشها الميت في القبر أو خارجه في عالم ذي ملامح تختلف عن ملامح عالم المادة.

واصل الانسان تجربة الحياة وعاش التطور في هيكله الآدمي وفي المحيط الذي يتحرك فيه حتى كان البدو وكان الحضر وكانت القبائل والمجتمعات وكانت القرى والأرياف والمدن الصغيرة والكبيرة. ومعلوم ان البيوت على اختلافها تحتضن الانسان حيا وتحتضنه ميتا فهناك بيوت الأحياء وتوجد في مدن الأحياء وهناك بيوت الأموات وتوجد في مدن الأموات تلك التي نسميها مقابر[1] أو مدافن وفي بعض اللهجات العربية في المغرب نسيمها جبابن ومفردها جبانة.

ان الهدف من هذه الدراسة الوجيزة باعتبار كثافة المادة المتوفرة وباعتبار طول الفترة الزمنية التي نريد تغطيتها عرض المدافن التي عرفتها بلاد المغرب الكبير من فجر التاريخ إلى فجر العصر الوسيط أي من أقدم مظاهر الحضور البشري في المغرب الكبير إلى بداية الفتح العربي الاسلامي فيمكن أن نحدد هذا الجزء الكبير من تاريخ المغرب فيما بين الألف الثانية قبل الميلاد إلى منتصف القرن السابع ميلاديا أي إلى غزوة العبادلة ومعركة سبيطلة سنة 647 ميلاديا.

انها والحق يقال مجازفة ولا أستطيع ادعاء تغطية هذه الحقبة الطويلة من هذه القرون العديدة في ظرف ساعة أو بعض ساعة بل سأحاول المرور سريعا بأهم المحطات مكتفيا بتقديم الملامح العامة دون ما دخول في التفاصيل. فالمدافن في مغربنا عديدة وقد لا نستطيع احصاءها عددا ولا نستطيع الاحاطة بمختلف أشكالها وزخارفها وقد تزداد القضية عسرا وتعقيدا اذا ما أراد الباحث التوقف عند الطقوس الجنائزية والتعرف إلى الأثاث الجنائزي واستنطاقه استنطاق المؤرخ الباحث عن ماضي الانسان بأبعاده المادية والغير المادية ذلك أن

الأثاث الجنائزي شديد الاتصال بالطقوس والمعتقدات الماورائية وشديد الاتصال بشؤون الآخرة وكذلك تراه يحدثنا عن نشاط الانسان في الحياة من صناعة وتجارة وفنون وغيرها مما يمثل حياة الانسان فردا ومجموعة فوق الأرض.

ترتيب المدافن أو المقابر :

يمكن ترتيب المدافن على أساس أشكالها أو هندستها أو على أساس التعاقب الزمني الحضاري مع اعتبار التفاعل بين الأقوام عرقا وحضارة ذلك ان الامتزاج والانصهار يكون على مختلف المستويات والأبعاد أو لا يكون. فالانصهار العرقي يتضمن انصهارا حضاريا والانصهار الحضاري يتضمن كذلك انصهارا عرقيا فالقضية خاضعة لجدلية حتمية. والانصهار والتمازج تلوح مظاهره في كل حركة وفي كل موقف فلا غرو أن تتأثر المدافن المغربية بالتفاعلات العرقية والحضارية التي عاشها المغرب الكبير عبر تاريخه الطويل فهذه شعوب وردت عليه من الجنوب عبر الصحاري وهذه شعوب أخرى أقبلت عليه من الشمال عبر البحر وأخرى من الشرق أو من الغرب. تعاقبت هذه الشعوب المختلفة أو تزامنت فالثابت أنها تفاعلت وتداخلت حتى كانت انصهارها عرقيا وحضاريا[2].

ودون ما دخول في تفاصيل الأحداث التاريخية وثناياها تجدر الاشارة إلى الطينة البشرية الأصلية وتتمثل في من أطلقت عليهم النصوص القديمة اسم اللوبيين. ظهر هذا العلم العرقي في نصوص الفراعنة في مصر القديمة منذ أقدم العصور ولعل بعضها يعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد تلك التي تستخدم لفظ ليو أو ربو مشيرة إلى الشعوب المتواجدة غربي نهر النيل[3]. وكان اللبويون شعوبا وقبائل ورد ذكرها في نصوص القدماء من يونان[4] ورومان[5] كما ورد اسم اللوبيين في بعض النقائش اليونية[6] والبونية الحديثة[7].

ومن بين الشعوب التي دخلت المغرب الكبير لابد من ذكر الكنعانيين الذين أقبلوا عبر البحر من الشرق فسقوا المغرب بمياه الحضارات السامية العتيقة عامة وبمياه الحضارة الكنعانية على وجه الخصوص تلك التي أنجبت قرطاج وقبل قرطاج أوتيكة ومدنا أخرى عديدة على طول السواحل المغربية على طول سواحل المغرب الكبير. ومعلوم أن مياه الحضارة الكنعانية سقت ربوع المغرب وكانت مثقلة بتجارب الحضارة المتوسطية على تعددها واختلافها وتكاملها من مصر الفراعنة إلى المدن اليونانية فضلا عن تجارب الشعوب المتوسطية الأخرى نعرفها أو لا نعرفها تلك التي تتواجد في الربوع الايطالية أو في الربوع الاسبانية أو في الجزر كصقلية وسردانيا وجزر البلجار. وازدادت الصلة بين المغرب الكبير والعالم المتوسطي متانة بعد الغزو الروماني وكان التفاعل على شكل ومستوى جعل من مغربنا عنصرا فعالا في سبك الرومنة أي أن المغرب الكبير لم يرض بمرتبة المغلوب الخاضع المتقبل لكل ما يتقدم به الغازي أو يريد فرضه بل لم يمض زمن طويل حتى أصبح المغرب يشع باسهاماته الحضارية في مختلف الميادين السياسية والعسكرية والادارية

والاقتصادية والثقافية مستفيدا من رصيده الحضاري الذاتي ومستفيدا بتجارب الآخرين فكانت الحضارة الرومانية الافريقية[8] : ترومن الأفارقة دون ما ذوبان[9] في الآخرين، أخذوا واعطوا راسمين بصماتهم على الحضارة الرومانية التي لا تدين للرومان الا بجزء قد يكون ضئيلا. الرومنة انشاء حضاري جماعي ساهمت في اقامته وبنائه المجموعة المتوسطية فاذا تحدثت عن الرّومنة فلا تنس مصر ولا تنس المشرق السامي القديم ولا تنس قرطاج والمغرب الكبير. ان دارس تاريخ المغرب الكبير وحضارته يلتقي بعناصر ثلاثة بارزة كل البروز حتى كأنها المسيطرة ولعلها تخفي على غير المتبصر عناصر أخرى عديدة مختلفة وهذه العناصر الثلاثة هي التالية : العنصر اللّوبي، العنصر الكنعاني البوني، ثم العنصر الروماني؛ على أن كلا من العنصرين البوني والروماني يمثل في الواقع نتيجة لقاء العنصر اللوبي الأصلي بما ورد عليه من عناصر عرقية وحضارية عن طريق التعاون واللقاء السلمي أو عن طريق الحروب واللقاء العنيف؛ فلقد تكنعن الأفارقة وترومنوا. جاء في رسالة خطها أوغستنوس الافريقي أن أهل الريف في ضواحي عنابة اذا سئلوا من أنتم رأيتهم يجيبون باللغة البونية أنهم من بني كنعان. أما الأديب الفيلسوف ابوليوس الذي كان فخورا بمعرفته للغتين اليونانية واللاتينية فكان يعتز بانتسابه إلى القبائل النوميدية والقبائل الجدالية فلا غرو أن تظهر هذه التفاعلات الحضارية في مختلف أشكال الحضارة وتساهم في رسمها وتلوينها على عنصر من العناصر الثلاثة له شكله ومميزاته الحضارية بقطع النظر عن التأثرات والتفاعلات التي كنا أشرنا إليها ولكل عنصر من العناصر الثلاثة معماره ورؤيته للحياة وللكون فماذا عن المدافن.

ا ـ المدافن اللّوبية

لقد عثر المنقبون الاثاريون عن عديد المدافن اللّوبية وظهرت بعض الدراسات حول ترتيبها باعتبار المكان والزمان وتبين أنها تختلف من حيث الشكل والتهيئة والزخرفة والحجم اختلافا أساسه المكان والزمان مع وجود بعض العناصر الوحدوية أو قُل بعض العناصر التي تمكن من الوقوف على ما يوحّد بينها أو على ما يجعل منها وحدة حضارية فالمدافن التي تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد تختلف عن المدافن التي شاعت خلال القرون الأخيرة من الألف الأولى قبل الميلاد والمدافن المتواجدة في الصحراء لا تشبه تماما تلك التي عثر عليها في جبال خمير وجبال مقعد بالبلاد التونسية بل ترى المدافن تتخذ أشكالا مختلفة في نفس المكان مع التزامن. ان المدافن اللّوبية شديدة التنوع ولعل التنوع من أهم مميزاتها ولكم بعض الأمثلة للتدعيم والتوضيح.

(أ) البزينــــــة

كلمة أخذت من لغة البربر المتواجدين في المغرب الكبير وهم السكان الأصليون الذين

تكنعنوا وترومنوا وتعربوا. تفرعت لغة البربر إلى لهجات عديدة مختلفة منها لهجة الدويرات بتونس ولهجة المزاب بالجزائر ولهجة الريف بالمغرب الأقصى وغير هذه اللهجات كثيرة.

أما لفظة «البزينة» فلقد اصطفاها بعض علماء الآثار من الفرنسيين العاملين بالجزائر للاشارة إلى نوع من القبور تعلوه بنايات مستديرة الشكل عامة وقد تكون مدرّجة كأنها تتكون من دائرات متتالية افقيا مع تقلص القطر حتى تظهر في شكل حلزوني.

وفي الجبّ الذي يختلف شكلا وتهيئة تجد البيوت الجنائزية أو الخنادق التي تحتضن وفات الميت وكل ما دفن معه طبقا للتقاليد والمعتقدات والطقوس.

توجد البزائن في كل أقطار المغرب الكبير ولقد عاينها الآثاريون وعرّفوا بها ولعل من أثمن مالدينا الآن في خصوص البزائن فصل من كتاب ألفه الفرنسي جبرائيل كمبس عنوانه «في أصول بلاد البربر : معالم وطقوس جنائزية من فجر التاريخ» صدر بباريس سنة 1961. ففي هذا الفصل الذي أفرده كمبس للبزائن نجد وصفا دقيقا لها وتحليلا عميقا مبينا الثوابت والمتغيرات راجعا إلى مختلف النشريات والدراسات والتقارير الاثرية مقتبسا منها مواصفات البزينة الثابتة منها والمتغيرة حسب الزمان وحسب المكان. فقد يطول هنا سرد قائمة البزائن التي تم الكشف عنها في مختلف أقطار المغرب الكبير ومعلوم أن بعضها عثر عليه في منتصف القرن التاسع عشر. ومهما يكن من أمر فالبزينة تعتبر من المدافن المميزة للّوبيين على اختلاف القبائل والشعوب وبقيت متواجدة إلى ما بعد الغزو الروماني. ومن أقدم الدراسات التي تناولت البزائن الجزائرية تجدر الاشارة إلى دراستين نشرت كلتاهما بمجلة قسنطينة . ومن المناطق التي عرفت بوفرة البزائن فيها لابد من ذكر ربوع الاوراس وربوع الحضنة لكن غالبها تم نبشها ونهبها قبل وقوف الاثاريين عليها فقَلّ ما عثروا على بزينة سالمة كالتي تم كشف الغطاء عنها بمنطقة شمتو على الحدود التونسية الجزائرية من قبل فريق تونسي ألماني. ومازال الفريق يواصل اعمال الكشف والتنقيب على أسرار هذه البزينة المهمة وسيتولى أعضاء البعثة التونسية الألمانية نشر نتائج هذه الحفرية الطريفة ومما يزيد هذا الاكتشاف طرافة أن البزينة النوميدية التي تعود إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حسب ما أدلى به بعض أعضاء هذه البعثة وصلتنا سالمة لأن الجالية الرومانية التي استوطنت المدينة النوميدية عمدت إلى تسطيح المكان واقامة الفوروم مكان المقبرة أي أن الفوروم غطى البزينة وماكانوا ليعثروا عليها لو لم يقوموا باسبار قصد معرفة ما تحتفظ به الأرض تحت أديم الفوروم.

البزائن المتطورة

إلى جانب البزائن البسيطة توجد بزائن متطورة من حيث طرق بنائها ومن حيث زخرفتها ومن هذه البزائن المتطورة نذكر المدغاسن ويعتبر من روائع العمارة النوميدية بل هي بزينة من حيث شكلها العام لكنها ازدانت بما تمتاز به العمارة البونية بعناصرها العديدة المختلفة وبكل ما اخذت من الحضارات المتوسطية كالمصرية واليونانية وغيرهما.

يوجد المدغاسن على مقربة من مدينة باطنة شمال غربي الاوراس على متن هضبة مما جعله يتراءى من بعد يتوسط مقبرة فهو كزاوية الولي الصالح في القرى والأرياف التونسية وكأن الذين دفنوا في القبور التي تحيط به كلهم ينتمون إلى دفينة بالقرابة أو بالتبعية ومعلوم أن مدغيس من أجداد البربر ذكر ابن خلدون اسمه ولعل في مدغاسن جمع مدغيس اشارة إلى ملك نوميدي أو أمير أقام هذا الضريح لرفاته ورفات أبنائه وأحفاده.

فالمدغاسن اذن ضريح يعود إلى فصيلة البزائن شكله مستدير وقطر دائرته يمتد على 59 مترا وارتفاعه 4 أمتار ونصف المتر. تتحلى جوانبه بستين سارية مدموجة وهي من الطراز الدوري ذات العمود الأملس لا تجعد فيه وتعلو تلك السواري الدورية دعائم ملساء تعلوها قرنيزة مجوفة على شكل القرنيزة المصرية تُعرف بالقرنيزة ذات الحلق المصري «Corniche à gorge égyptienne» وينتهي الضريح على شكل جذع مخروط مدرّج يعد 24 درجة يبلغ طول جميعها 18 مترا ونجد في القمة مسطحا فسيحا علّه كان قاعدة لبعض الزخارف الهندسية أو لبعض النحوت. أو لعله هُيِّءَ ليساعد على القيام ببعض العبادات الجنائزية أو الدينية.

قامت جمعية الاثاريين بقسنطينة بالكشف عن خبايا داخل المدغاسن وقد تبين أن المدخل يوجد في الجهة الشرقية في سفح المخروط بين الدرجة الثالثة والدرجة الرابعة وكان موصدا بواسطة صفيحة من حجر تتحرك عموديا في غرغار حُفِرَ في الخدين المتناظرين.

وبرفع هذا الستار الحجري تلج معبرا طويلا ضيقا بني بحجارة منجورة قرب المدخل وبالدبش وراء ذلك. أما سقف المعبر فهو من صفائح حجرية ثم نجد مدرجا منحدرا حتى نصل غرفة ضيقة طولها 3,30 أمتار وعرضها 1,50 متر أقيمت جدرانها بالحجر المنجور وسقفت بصفائح حجرية وقد تحلى ضلعاها الطويلان بمصطبة عرضها 20 سنتم وارتفاعها 30 سنتم. وقد طليت الأرضية في المعبر والغرفة وكذلك بالنسبة إلى المصطبة بطلاء أحمر اللون الجنائزي.

لاشك أن هذه الغرفة الضيقة هي التي كانت تضمّ رفات الميت لكن لم يجد الاثاريون شيئا في الغرفة. وثابت أن هواة البحث عن الكنوز الدفينة عرفوا المدغاسن وزاروا الغرفة الجنائزية قبل أن يتعرف إليها الباحثون على الآثار.

فالمدغاسن اذن بزينة نوميدية ونعتها بالنوميدية لوجودها في ربوع القبائل النوميدية بل قل في ربوع المملكة النوميدية. وتثبت هذه البزينة مدى تأثير الحضارة البونية على دنيا النوميديين فالسواري الدورية الملساء والقرنيزة ذات المصري وطرق البناء بالحجر المنجور والدبش كلها تشهد أن العمارة النوميدية كانت مفتوحة أمام التيارات البونية التي كانت هي الأخرى تمتاز بانفتاحها على مختلف الحضارات والفنون المتوسطية.

أما في خصوص مؤارخة هذا المعلم الجنائزي فلقد انكب جبرائيل كمبس على هذه القضية مستندا إلى تحاليل مخبرية أساسها الفحم 14 فجاءت النتائج توصي بتحديد تاريخ بناء المدغاسن فيما بين أواخر القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد.

ب) الأضرحة الجلمودية أو الدّلامِن جمع دُلْمان

الضريح الجلمودي أو الدلمان ضريح يُشيد بواسطة جلاميد صخرية كأنها من نحت العمالقة تتميز بأحجامها وأوزانها فجلمود واحد يكفي لاقامة جدار من جدران الضريح وكثيرا ما يكتفي البناء بجملود واحد لتسقيف الضريح ويتركب الضريح الجلمودي من عناصر عديدة متداخلة حسب تركيبة عمرانية لوبية وهي التركيبة المتداخلة أو التركيبة المنضودة. وهنا نلاحظ العقبات التي يجدها الاثاري العربي من حيث الوصف والتعبير عن الواقع الأثري تعبيرا مخلصا لا يترك مجالا للغموض والتدحرج فغالبا تكون عناصر الضريح الجلمودي متتابعة خطا واحدا يطلق عليها في اللغة الفرنسية «Construction en enfilade» ويبدو أن البنية المتداخلة أو المتتابعة خطا واحد أو المنضودة من مميزات العمارة اللوبية وكثيرا ما يتركب الضريح الجلمودي من بهو يتلوه معبر أو غرفة أولى إلى غرفة ثانية. وقد تجد في البهو أو في المعبر مصطبات كانت تعرض فوقها القرابين والهدايا. وقد تَتَحلّى الغرف الجنائزية بكوى أو مشاكي توضع فيها القناديل للتنوير أو توضع فيها بعض الهدايا أو القرابين.

شُخِّصَت اضرحة جلمودية في عديد المناطق بالمغرب الكبير وخاصة بتونس والجزائر. لقد حاول جبرائيل كمبس وضع خريطة الأضرحة الجلمودية نذكر منها تلك التي عثر عليها بمكثر وبالقرى والأرياف المجاورة لها.

ج) الجـــــــدار

الجدار بناية جنائزية من فصيلة توجد في الربوع الفاصلة بين المسطحات العليا أو السهول العليا والتل ومن أروعها جدران ثلاثة على مرتفعات من جبل الأخضر في ضواحي مدينة تيرت «Tiaret» قرب عين كانت تسمى عين القبور نسبة إلى وظيفة الجدران المتواجدة هناك. فمن حيث الشكل يبدو «الجدار» في صورةِ مَوْشَر يعلوه مخروط مدرّج يحتوي على معابر وغرف مداخلها موصدة بصفائح حجرية تتحرك عموديا في غراغر.

مازلنا نترقّب الدراسة التي قامت بها الآنسة فاطمة خضراء حول الجدران كعمارة جنائزية متميزة. والملاحظ أن هذه البنايات تحمل في أضلعها وطياتها موادَّ عليها بعض ملامح العمارة الرومانية وفي زخارفها عناصر تحاكي الزخرفة الرومانية في عهدها المتأخر بل شخصوا بعض العناصر المعروفة في الزخرفة المسيحية العتيقة وعلى هذا الأساس يرجح ان الجدران من العمارة الجنائزية التي ظهرت في دنيا اللوبيين والنوميديين في عهد متأخر نسبيا وبقيت مستعملة حتى القرن الخامس ولعلها عاصرت من حيث استعمالها من قبل أصحابها

الفتح العربي الاسلامي يبدو أنها من تشييد ملوك وأمراء وشيوخ قبائل لكن مازلنا نجهل عنها الكثير ولاشك أننا سنجد الجديد في دراسة الزميلة فاطمة خضراء.

د) الحوانـــــــت

«الحانوت» تسمية اصطلاحيا تشير إلى قبور منقورة أفقيا في جوانب الهضاب والصخور الكبيرة وتوجد هذه الحوانت في مختلف أقطار المغرب الكبير من الجماهيرية إلى المغرب الأقصى ولعل معظمها يوجد في تونس والجزائر وفي المناطق الساحلية بالخصوص. فبالنسبة إلى تونس نجد الحوانت بالوطن القبلي في ضواحي مدينة قليبية في مكان يسمى الحادوري وتوجد في جبال خمير ومقعد بالشمال الغربي.

ويتركب الحانوت من عنصر واحد أو عنصرين : غرفة وقد يتقدمها بهو أو معبر صغير وتكون هذه الحوانت متتابعة عموديا كما هو الشأن في المكان المسمى بالغريفات أو أفقيا كما هو الشأن في الحادوري أو في بعض جبال مقعد قرب مدينة سجنان مثلا.

وتختلف هذه الحوانت شكلا وأبعادا وزخرفة فضلا عن المكملات كالمشاكي والمصطبات والدوابيت والزخرفة مقوشة كانت أو مرسومة. فمن الحوانت المعروفة نذكر حانوت كاف البليدة. يوجد هذا الحانوت في الغابة المتواجدة بين وشتاتة وعين زاقة في مكان يعرف بالفرش. لقد عثر عليه في بداية هذا القرن اذ أشير إليه في تقارير الأكاديمية الفرنسية سنة 1901 ونشرت حوله أول دراسة مفصلة مع أخطاء في الوصف والتفسير سنة 1928. ومما تمتاز به غرفة هذا الحانوت زخرفة تمثل صورة مركب يحمل 8 رجال مدججين بأسلحة هجومية ودفاعية كالسيوف والرماح والاتراس وقد تقلنسوا خوذا ثم نرى على جؤجؤ السفينة رجلا الحى يلوح مهددا بفاس ذي حدين وفي الماء شخص آخر يسبح وقد سيطر عليه الرعب ونلاحظ على رأسه طرطورا أو عرفا يحكي عرف الديك أو قرون الأيل.

وتتحلى الغرفة بصور أخرى نباتية وهندسية منها افريز سعيفات وافريز معينات كلها مرسومة باللون الأحمر ان لم تحتفظ بلون الصخر.

فلا شك أن لهذه الزخرفة أبعادا مختلفة منها مالا يتعدى حدود الزخرفة ومنها ما يشير إلى معتقدات أو إلى بعض الأساطير الدينية الميثولوجية.

II ـ المدافن البونية

أقبل الكنعانيون إلى ربوع المغرب الكبير وباتوا يترددون عليها منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد وأسسوا على شواطئها المصارف والمحطات طبقا لمقتضيات تجارتهم اذ ذاك. ثم انتقلوا من سياسة المصارف والمحطات الوقتية إلى سياسة الاستيطان وتأسيس المدن والمراكز

القارة من ذلك تأسيس قرطاج. أصبحت الجاليات الكنعانية تعيش بالمغرب الكبير وشدتهم مصالحهم إليه فنشأت المدن وامتدت حولها المدافن.

وإلى جانب المؤسسات الكنعانية الصريحة كما هو الشأن بالنسبة لمدينة قرطاج انتشرت الحضارة الكنعانية في مختلف أقطار المغرب الكبير فأصبح السكان يتخاطبون باللغة الكنعانية وتبنوا العادات والتقاليد الكنعانية واعتنقوا الديانة الكنعانية فاصطبغت المدن والقرى الساحلية منها والداخلية بألوان الحضارة الكنعانية دون ما قضاء على ألوان الحضارة اللوبية الأصلية بل تمت عملية انصهار بعد تعايش وتمازج في مختلف الساحات ففي المدن البونية عناصر كنعانية وعناصر محلية حاول بعض الدارسين المختصين عزل بعضها عن بعض عن طريق التحليل و ذلك قصد معرة دقيقة تعطي الكنعانيين ما يعود إليهم وتعطي اللوبيين الأفارقة ما قد يعود إليهم.

توجد المدافن البونية في مختلف أقطار المغرب الكبير من قرطاج إلى طنجة وتزداد رقعتها كثافة على السواحل منها مدافن قرطاج ومدافن تبازة (تيفاش) ومدافن طنجة وغيرها كثيرة.

لا يتسع المجال لتقديم كل المدافن البونية المتواجدة في المغرب الكبير لذلك سأقتصر على عرض وجيز لمقبرة بونية كشف عنها الغطاء في السنوات الأخيرة وتوجد هذه المقبرة بالوطن القبلي في ضواحي مدينة منزل تميم ومعلوم أن شبه جزيرة الوطن القبلي تعج بالمدافن البونية مما يشهد بكثافة العمران فيه قبل الغزو الروماني ومن بين المدن البونية التي تحلى بها الوطن القبلي تجدر الاشارة إلى مدينة كركوان.

اهتم مركز الدراسات البونية اللوبية طيلة السنين الأخيرة بارتياد ربوع الوطن القبلي ارتيادا نظاميا هدفه التعرف إلى كل مخلفات الانسان على اختلافها نوعا ووظيفة وحضارة وزمنا على أن المخلفات البونية اللوبية تحظى عندنا بالامتياز والأولوية باعتبار اختصاص المؤسسة التي نعمل ضمنها لكن ارتيادا نظاميا يستوجب اطارا وتجهيزات قد لا تتوفر حسب الحاجة.

مدفنة منزل تميم

ان مدينة منزل تميم تحتل موقعا له ماض عريق في الحضارة والعمران ولا شك أن المدينة المعاصرة خلفت مدينة أزلية، حسب تعبير المؤرخين والجغرافيين العرب القدامى كالبكري، لم يبق من هذه المدينة الأزلية الا مدافنها أو قل مقبرتها.

وتوجد هذه المقبرة في بطن هضبة تشرف على مدينة منزل تميم وتشرف على البحر وقد اصطفاها الولي سيدي سالم مقرا له ومازال مقامه شامخا بقبابه البيضاء يُلَوِّح لكل من يحتاج شيئا من الراحة الدينية الوجدانية ويتردد عليه كل الذين آمنوا بنجاعة التيمن به والتوسل إليه

عند الحاجة فهذه عائلة تزوره مساء يوم جمعة وتذبح كبشا أو جديا أو ديكا وتكون «الزردة» وهذه امرأة تقصده وترجوه شفاء طفلها الصغير وهذه عائلة أخرى تأتيه وتزوره وتقدم ذبيحة تعبيرا عن امتنانها للولي الصالح لما أغدق عليها من بركته حيث شفى ربّ العائلة من مرضه وعاد إلى عمله يرتزق.

ففي أضلع الهضبة التي تتوجها قباب زاوية سيدي سالم عثر على مجموعة من القبور البونية نبش بعضها منذ قديم ولم نتمكن من ضبط تاريخ نبشها ونهبها. والغريب ان الاثاريين الفرنسيين الذين كانوا يرتادون هذه الجهة ولا شك أنهم عرفوا المقبرة وإطلعوا على بعض قبورها المنبوشة لم يشيروا ولو اشارة عابرة إليها بل لم نجد في الكتب والدراسات العديدة التي خصصت للوطن القبلي ما قد يعود إلى مقبرة سيدي سالم حمام ولم يأت ذكرها في الأطلس الاثاري.

أما فريقنا فلقد وقف صدفة عندما كنا اذ ذاك نبحث عن أطلال بونية نعرضها على طلبتنا ضمن دروس تطبيقية في الحفر أو في كشف الغطاء عن الأطلال وفي الوصف وكذلك في تصنيف المعطيات الموضوعية وترتيبها في ملفات علمية تغطي المشاغل التي تتمحور أبحاثنا حولها كالعمارة بصرفها ونحوها وتقنياتها وكالمسائل الاقتصادية والدينية وغيرها.

اكتشاف مقبرة سيدي سالم حمام

خلال سنة 1976 كنا نرتاد الهضاب المشرفة على مدينة منزل تميم فاذا بنا نقف عند قبور من طراز بوني معروضة إلى أشعة الشمس تظللها بعض الأشجار من تين وكلاتوس لم يكن من العسير علينا تشخيصها ذلك أنها كانت واضحة كل الوضوح بمدارجها ومعابرها وغرفها الجنائزية.

فلم نتردد في اختيارها لتكون موضوع دروسنا التطبيقية باعتبارها قبورا منبوشة لا يشكل العمل فيها أي خطر بل قد يستفيد البحث من تعريتها والتعرف إلى مختلف عناصرها المعمارية وكنا نغذي أمل العثور على بعض المخلفات عند غربلة الأتربة المتراكمة في الغرف الجنائزية.

نام المشروع على رفوف مكاتبنا سنتين أو ثلاثا ثم عدنا إليه عندما توفرت لدينا امكانات الانجاز وبدأنا العمل بالمعول والرفش وسرعان ما فاقت الحصيلة حدود ما كنا نتمناه وتجاوزت الأهداف المرسومة. فلم ينصرم الأسبوع الأول حتى ظهرت لنا جليا قيمة القبور المتواجدة في أضلع هذه الربوة من حيث هندستها ومن حيث أشكالها وتنوعها ونموذجيتها وكذلك من حيث ما قد يمدنا به الغربال من بقايا الأثاث الجنائزي فالذين نبشوا هذه القبور البونية خلفوا البعض من محتواها عن قصد أو غير قصد فالباحث عن الكنوز لا يعطي قيمة لبعض اخراز وتمائم ولا للفخاريات أما نحن الأثاريين فقد نكتفي حتى ببعض الكسرات الفخارية التي تكن معلومات عديدة مختلفة لا سيما في خصوص ضبط الحدود التاريخية أي الزمنية فضلا عن معلومات

أخرى حول أصل الآنية التي تنتمي إليها الكسرة أو الكسرات فبتعريتنا لهذه القبور من جديد وتنظيفها وغربلة ما تراكم فيها من أتربة تمكنا من الحصول على مجموعة ثرية من الفخار العادي والفخار المطلي بالطلاء الأسود اللماع ومن النقود البرونزية وأخرجنا من التراب كذلك بعض الأدوات المعدنية في حالة جيدة أحيانا.

وتجدر الاشارة إلى بعض الحلي الذهبية وإلى معلق من برونز ساعدتنا مؤسسة فرنسية على ترميمه فبعد تعرية المعلق من كل الأدوات التي التصقت به طيلة القرون المتتالية ظهرت زخرفة عليها مسحة مصرية قديمة فللمحلق شفرة مقوسة وينتهي برأس تَمٍّ أنيق. وعلى جانبي المحلق حفرت الزخارف فهذا حصان يرعى عشبا أو قل يفتش بفيه عن عشب يقتاته له ذيل طويل وعرف جميل ونشاهد أمام الحيوان زهرة وسعفة. أما الجانب الثاني فلقد تحلى بصورة آدمية. رجل أو عله اله ارتدى ثوبا يشبه الأزياء المصرية وتقلنس قبعة اسطوانية الشكل ورفع يده اليمنى تبركا أو لمنح البركة وأمسك بيده اليسرى سعفة رمز الخصب والرخاء كما نشاهد في أسفل الصورة سعفة أخرى تعلوها زهرة اللوطس.

وما دمنا مع الروائع التي اكتشفناها في قبور منبوشة منهوبة منذ عهد بعيد لا بد من ذكر ابريق برونزي مازال يترقب بعض الأسعاف ليصبح مِمَّا قد تتباهى به المتاحف.

ان القبور التي تمت تعريتها سنتي 1980 و1981 عديدة وكان من حظنا العثور على البعض منها مختوما لم تمسه يد النابشين العابثين بالتراث وتنقسم هذه القبور إلى صنفين اثنين.

(1) ـ الخنـــــادق

تبدو بعض هذه القبور على شكل خندق مستطيل قد لا يتجاوز طوله 2,50 م وعرضه 1,20 م ولا يتجاوز عمقه 1,50 م وتحيط بجوانبه غالبا شفة علها هيئت لحمل حجارة الغطاء وقد تشاهد على الشفة حفائر مستطيلة الشكل كأنها حفرت لايواء أعمدة خشبية تساعد على بسط الغطاء.

(2) ـ القبر الثلاثـــي

يتركب القبر الثلاثي من عناصر ثلاثة : مدرجة ومعبر وغرفة جنائزية وهو المثال الأكثر شيوعا في مختلف المقابر البونية خاصة في الساحل التونسي والوطن القبلي. ومعلوم أن العناصر الثلاثة تنحت نحتا في الحجر وكثيرا ما تكون الربوة المختارة لتهيئة مدينة الأموات من الحجر الرملي الهش نسبيا لا يصمد طويلا أمام دقات المعول وضربات المقص.

على أن القبور الثلاثية تتنوع من حيث عناصرها الثنوية كالمشاكي والمصطبات والأحواض وكذلك من حيث زخرفتها المتفاوتة قيمة فنية ووظيفة. وقد تتميز بعض القبور

بسقوفها أو بمداخلها فهذه غرفة جنائزية سقفها مسطح وأخرى سقفها مثنى يحاكي ظهر الحمار وهذه غرفة جنائزية مدخلها في قطب المعبر وأخرى مدخلها يتعاضد وقطب المعبر إلى غير ذلك من أوجه التنوع.

منشأ القبـــــر

ينغرس القبر عامة في بطن الهضبة ويغطي رباعيا متطاولا فلنأخذ على سبيل المثال القبر عدد 2 : يغطي هذا القبر رباعيا طوله 3,80 م وعرضه يتراوح بين 89 و 92 سنتم في حين أن الرباعي الذي يحتله القبر عدد 5 طوله 4,60 م وعرضه متر واحد ولا فائدة في سرد أمثلة عديدة فثابت أن القبور الثلاثية التي كشف عنها الغطاء في هضبة سيدي سالم حمام تحتل مساحات مختلفة الحجم ولا شك أن عوامل عديدة تُملِي حجم المساحة واقتناء الأرض، تصورا لوظيفة القبر ولعدد الأموات الذين ستوضع رفاتهم فيه والأثاث الجنائزي وطرق الدفن. وهذه العوامل لها صلة بالمنزلة الاجتماعية الاقتصادية لمسدد نفقات حفر القبر فيكون المعدَّل حوالي 3 م طولا و1 م عرضا ولا يتجاوز معدَّل المساحة 4 متر مربع.

واذا كنت داخل القبر تراه على شكل «تاء» اليونانية حيث يتركب من رباعين متعامدين فالعارضة الأفقية تمثل الغرفة الجزائزية والعارضة العمودية تمثل الجب وفيه يهيأ مدرج الدخول والمعبر.

(أ) ـ المـــــدرج

يهيأ المدرج غالبا في الجب ويستند الجدار الذي يواجه الغرفة الجنائزية. والملاحظ أننا لم نجد في مقبرة سيدي سالم المدرج الجانبي وهو معروف في بعض المقابر البونية كمقبرة رأس الديماس بالساحل التونسي وتختلف الدرجات من حيث أبعادها ومن حيث تقنية نحتها وكذلك من حيث عددها. ففي القبر عدد 25 يحتوي المدرج على 9 درجات طول الواحدة منها يتراوح بين 90 و95 سنتم ونتوؤها يتراوح بين 20 و25 سنتم ولا يتعدى ارتفاعها 25 سنتم أما نحتها فلا يخلو من نقص واضح كأن النحات لم يعرها قيمة بل اكتفى بتنجيرها لتكون قادرة على القيام بوظيفتها.

اما اذا أخذت القبر عدد 21 فمدرجه يعد 13 درجة يبلغ طول الواحدة مترا كاملا أحيانا ولا يتجاوز النتوء 25 سنتم أما الارتفاع فهو يتراوح بين 25 سنتم و30 سنتم.

فواضح أن المدارج في هذه المقبرة تختلف من قبر إلى قبر في أبعادها وعدد درجاتها وحسن نحتها.

(ب) ـ المعبـــــــر

المعبر هو الفضاء المتواجد بين أسفل المدرج والغرفة الجنائزية وتختلف أبعاد هذا المعبر من قبر إلى قبر لكنه غالبا، يرتدي شكل الرباعي المتطاول فبالنسبة للقبر عدد 26 طول المعبر يتجاوز المترين وعرضه يتراوح بين المتر الواحد ودون المتر بقليل والملاحظ أن للمعبر مساحة تستوعب شخصين بما تستوجب حركتهما من نزول وصعود والقيام ببعض الأعمال الجنائزية.

(ج) ـ الغرفة الجنائزية

تتعامل الغرفة الجنائزية والجب بمدرجه ومعبره وتحتل غالبا رباعيا مختلف الأبعاد ففي القبر عدد 31 يمتد طول الغرفة 2,55 م ويمتد عرضها 2 م فتمسح اذا ما ينيف عن 2,5 متر مربع. اما ارتفاعها فيتراوح بين 1,80 م و1,90 م سقفها ثنائي على شكل ظهر الحمار والملاحظ أن هذه الطريقة للتسقيف منتشرة في مدافن الوطن القبلي كما هي معروفة في الساحل ويرجح أن السقف الثنائي كان مرغوبا فيه لدى اللوبيين. وترى في الجهة اليسرى من هذه الغرفة الجنائزية حزات اربعة رتبت مثنى متناظرة تفصل بين الحزتين مسافة 20 سنتم عرضا و1,40 م طولا. فكانها حفرت في الأرض لتكون مستقرا لركائز خشبية ومهما يكن من أمر فلقد عثرنا أثناء العمل داخل الغرفة الجنائزية على كميات وافرة من بقايا الخشب المتعفن أو المسحوق.

وكثيرا ما يكون مستوى الغرفة الجنائزية دون مستوى المعبر مما يفرض نحت درجة تقرب الشقة بينهما أما مدخل الغرفة فهو على شكل مستطيل أو رباعي متطاول في قطب المعبر.

ومما يزيد الغرف الجنائزية تنوعا وخصوصية مكملات عديدة مختلفة منها المشاكي والمصطبات والتوابيت المنقورة وغيرها. ولا شك أنها كانت تختلف من حيث الأثاث الجنائزي حيث يكون ثريا في هذه الغرفة وفقيرا في غرفة أخرى ومن العوامل المؤثرة في هذا الصدد قدرات أصحاب القبر ومعتقداتهم وعاداتهم.

الزخرفـــــــة

لاحظنا أن بعض القبور تحلت بزخارف داخل الغرفة الجنائزية وحتى خارجها وتكون هذه الزخارف محفورة أو مرسومة بطلاء أحمر وتبدو هذه الزخرفة غالبا في شكل خطوط تمتد على جدران الغرفة الأربعة وكأنها تسعى إلى تقسيمها مأطورات وكثيرا ما يمر اللون الأحمر على الخط الرابط بين ضلعي السقف ان كان من النوع الثنائي.

وفي بعض الحالات الممتازة ترتدي الزخرفة أشكالا هندسية أو معمارية أو حتى آدمية فضلا عن بعض الرموز الدينية ففي القبر عدد 32 تحلت جوانب الغرفة الجنائزية من الداخل

بافريزين متحاملين ويتركب الافريز من معينات مصطفة ويفصل بين المعين والآخر مثلثان متقابلان وقد ازدان أحدهما باللون الأحمر والآخر باللون الرمادي وقد احتفظت المعينات بلون الصخر. وترى تحت افريز المعينات ثلاثة أشرطة متتابعة متلاصقة على عرض 10 سنتم فمن أعلى إلى الأسفل شريط اكتفى بلون الصخر عرضه 2 سنتم وشريط ثان ازدان باللون الأحمر عرضه 37 سنتم ثم يأتي الشريط الثالث لونه رمادي وعرضه 4,3 سنتم وعلى الجدار المقابل للمدخل نشاهد رمزا من رموز المعتقدات البونية المعروف باسم «علامة تانيت» رسم هذا الرمز بالطلاء الأحمر داخل مأطورة قمتها ثلاثية. فللصورة ارتفاع يبلغ 14,5 سنتم وتمتد قاعدتها على 11 سنتم.

وعلى جدارة الغرفة الأمامي بقايا رسم باللون الأحمر كان يمثل على ما يبدو وجها آدميا فما زالت صورة العينين والحاجبين والفم كما يلاحظ خط مقوس عله كان يمثل الشعر وعلى كل فالصورة تحاكي بعض الأقنعة المرسومة على قشر بيض النعامة.

ونجد في القبر عدد 49 زخرفة أكثر تطورا ودقة تتمثل في صورة طائر يشبه الديك لكن نيله الكثيف يقربه من التدرج ولا بد في هذا الصدد من الاشارة إلى صورة الديك المتواجدة في القبر عدد 10 من مدفنة جبل ملزة قرب مدينة كركوان.

ومعلوم أن الطائر في قديم المعتقدات السامية يرمز إلى الروح فلعل هذا الطائر يمثل الهامة أو الصدى المعروف عند العرب قبل الاسلام كما ورد ذلك في لسان العرب لابن منظور.

ذاك تقديم موجز لمقبرة سيدي سالم حمام بمدينة منزل تميم المتواجدة كما قلت في الوطن القبلي بين مدينتي قربة وقليبية. مازالت هذه المقابر تحت الدرس من حيث العمارة ومن حيث الأثاث الجنائزي ولا شك أننا سنتجاوز الوصف والتصنيف وندرك مرحلة «التفسير» فسوف لا نكتفي بتقديم «الوثيقة» وضبط ملامحها وصبها في الملف المناسب الوعيب بل سنحاول النفاذ إلى ما تحتضنه من معلومات لمعرفة الذين شيدوا القبر أو دفنوا فيه من حيث حياتهم اليومية فوق الأرض على مختلف أبعادها ومن حيث معتقداتهم الماورائية ذلك ان المدافن تمدنا غالبا بمعلومات تخص عالم الأحياء ومعلومات أخرى تخص عالم الأموات وعالم الآلهة.

اما فيما يتعلق بمؤارخة هذه المدينة فيعسر ضبط الزمن بكل دقة وتحديد، ما لم نقم بدراسة كل المعطيات المتوفرة وعلى كل فهي مدفنة بونية تعود إلى ما قبل الغزو الروماني لقرطاج أي إلى ما قبل سنة 146 قبل الميلاد ومن بين الأدوات والأواني الفخارية التي عثرنا عليها في بعض القبور يمكن الصعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد تلك بعض الأوتاد نرسمها ريثما ننتهي من دراسة الملفات جميعها.

ومن بين النتائج التي يمكن التصريح بها مسبقا أن مقبرة كالتي قدمناها أو حاولنا تقديمها تفرض التفكير في المدينة التي إليها تنتمي وتمدنا ببعض المعلومات حول ملامحها وملامح

المجموعة التي كانت تسكنها. لعلّ هذه المدينة توجد انقاضها تحت بنايات مدينة منزل تميم أو على مقربة منها في المكان المسمى اليوم «هنشير تافخسيت» ولعل المدينة البونية كانت تحمل اسم «تافخسيت» وقد يكون عُوِّض في زمن يعسر ضبطه باسم «منزل تميم».

لا أريد مواصلة درس ملف هذه المدفنة فهو ثري جدا ويستوجب وقتا طويلا فهي على كل تمثل نموذجا من المدافن البونية المنتشرة في مختلف بلاد المغرب الكبير وتتميز هذه المدفنة عن مدافن قرطاج حيث لا نجد القبر الثلاثي بل أن القبور القرطاجية تتركب من جب ومن غرفة أو غرف جنائزية تحفر في جوانب الجب وقد تكون الغرف متناظرة أو متعامدة أو متتالية عموديا. ووجد هذا النوع من القبور في مدينة سوسة المعروفة قديما بحضرموت تعريبا «لهدروميتوم» اللاتينية وفي رأيي أنها كانت تسمى هدريم «كلمة كنعانية» تعني «الديار».

الأضرحة البونية المشيدة

وإلى جانب القبور البونية المنقورة في الصخر في جوانب الهضاب أو في بطن الأرض لابد من ذكر الأضرحة التي تفنن البونيون في تشييدها حتى كانت معالم تساعد على معرفة المستوى التقني والفني الذي ادركته العمارة البونية عامة : من هذه الأضرحة تجدر الاشارة إلى ضريح دقة وضريح الخروب قرب مدينة قسنطينة وضريح سبراطة بالجماهيرية الليبية وضريح جربة المتواجد بالمكان المعروف بهنشير بورقو. وكذلك ضريح بني غنان الكائن قرب مدينة سيجة.

لا أريد الدخول في تفاصيل هذا النوع من العمارة البونية الضخمة اذ ليس لدينا الوقت الكافي لدرسها دراسة دقيقة عميقة واستخراج كل ما قد يستفيد به دارس الحضارة البونية عامة والعمارة بالخصوص.

تلك لوحة عريضة الخطوط للمدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني ولا شك ان ما قدمته يشكو نقصا كبيرا من حيث المعطيات الموضوعية ومن حيث وصف ما ذكرته ومن حيث التعليق والتفسير.

ومهما يكن من الأمر فللمدافن في المغرب الكبير مميزاتها وخصوصيتها تختلف باختلاف الحضارات وباختلاف الزمن ضمن الحضارة الواحدة وفضلا عن المعلومات العديدة المختلفة التي يستخرجها الاثاري المؤرخ من دراسة هذه المدافن فهي تترجم عن مدى تفاعل الذين أقبلوا على مغربنا عبر العصور مع السكان الأصليين. ففي المدافن اللوبية عناصر عديدة اعتارها اللوبيون من الكنعانيين مباشرة أو عن طريق الكنعانيين الذين عرفوا بتفتحهم أمام الحضارات وفي المدافن البونية نلمس الحضور اللوبي وليس ذلك بالأمر الغريب اذ سلمنا أن البونيين هم نتيجة انصهار عرقي وحضاري فالبونيون أفارقة تكنعنوا دون ما تفريط في رصيدهم الحضاري الأصلي.

المراجـــــع

1) ـ انظر 1915 O. Bates, The Eastern Libyan, London 1915 pp. 46-48

2) ـ من بين هؤلاء المؤرخين اليونان تجدر الاشارة إلى هيرودوتس، **التاريخ**/الجزء الرابع.

3) ـ تحدث عديد من الكتاب الرومان عن الأفارقة القدامى نذكر من بينهم فرجليوس (VIRGILE) وصلوستيوس (SALLUSTE) وتيتوس ليوس (TITE-LIVE) توجد هذه المصادر في غالب الكتب التي تناولت تاريخ المغرب الكبير في العصور القديمة.

4) ـ انظر سجل **النقائش السامية** الجزء الثالث عدد 1162 ـ 2172 ـ 4523 وغيرها كثرة غالبها أسماء.

5) ـ نقيشة لوبية حديثة عثر عليها في خرائب مدينة مكثر ورد فيها «بشد لوبييم» ومعناها «بربوع اللوبيين» انظر **Karthage XII 119 1965**.

6) ـ G. Ch. Picard, la **Civilisation de l'Afrique romaine**, Paris 1959

7) ـ ان دارس الحضارة الرومانية في أفريقية يقف عند عناصر تعود إلى عهد ما قبل الرومان بونية كانت أو لوبية.

8) ـ كنا نقول «البونيقي» ولا شك أن الصحيح «البوني».

9) ـ من الدراسات العلمية يمكن للدارس أن يعود إلى كتاب كتبه عالم مختص G. Camps, **aux origines de la Berberie, Monuments et Rites Funiraires protohistoriques, Paris, 1961.**

المدافن في المغرب الكبير
قبل الفتح العربي الاسلامي

1 ـ مقابر = جمع قبر والقبر كلمة سامية توجد في عديد اللغات السامية القديمة فالنصوص البونية كثيرا ما نجدها مسطورة ضمن النقائش الجنائزية أنظر **معجم النقائش السامية الغربية** تحت لفظ «قبر» عنوانه باللغة الفرنسية **Dictionnaire des inscriptions sématiques de l'Ouest.**

2 ـ اذا رمت التعرف إلى قضية سكان المغرب الكبير وسبك مالهم راجع كتاب **شمال افريقية في العصور القديمة** لفرنسوا دكري ومحمد فنطر. نشر بباريس سنة 1981 ص 14 ـ 38 وهذا عنوانه باللغة الفرنسية F. Decret de M. Fantar, **l'Afrique du Nord dans l'antiquité** pp. 14-38.

12 ـ البزينة = كلمة بربرية معروفة في اللهجات الجزائرية وتوجد في البلاد التونسية قرية ريفية تسمى بزينة أما حول القبور التي لها شكل البزينة فيمكن الرجوع إلى كتاب G. Camps الآنف الذكر ص. 158 ـ 173. اعطى المؤلف أمثلة عديدة مختلفة من حيث المكان والزمان وحاول ضبط الأشكال والأحجام مشيرا إلى الحركة التطورية التي عرفتها البزينة.

13 ـ انظر المرجع السابق.

14 ـ L. Féraud, **Les monuments dites celtiques de la province de constantine,** Rec. Not et mém de la société archéologique de constantine, t. VIII, 1864 pp. 108-132.

15 ـ كرست دراسات عديدة لهذا المعلم الجنائزي نذكر منها S. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, t, VI pp. 263-268

ولعل أحدث الدراسات التي تناولت هذا الضريح هي التي نشرها G. Camps في **مجلة الأكاديمية الفرنسية للنقائش** انظر CRAI, 19

16 ـ انظر المرجع السابق.

17 ـ فيما يتعلق بالدلامن انظر G. Camps, **aux origines de la Bergerie, Monuments et rites funéraires prothistorique** pp. 115-152.

18 ـ حول الجدار والجدارة انظر المصدر السابق ص. 205.

19 ـ انظر محمد فنطر، «الفرق بين الفنيقيين والبونيين» مجلة **الفكر** السنة 15 العدد 9 جوان 1970 ص. 42 ـ 43.

20 ـ تشهد على ذلك المدافن البونية التي تم تشخيصها بهذه الربوع وخاصة بين منزل تميم وقليبية والهوارية وسليمان وقربة حيث عثر على اطلال تعود إلى الحقبة البونية أي إلى ما قبل سقوط قرطاج سنة 146 ق.م.

21 ـ حول مدينة كركوان انظر محمد فنطر : كركوان مدينة بونية بالوطن القبلي ـ **مجلة الفكر** السنة 9 العدد 8 ماي 1964 ـ ص. 36 ـ 43.

22 ـ توجد زهرة اللوطس على الأنصاب البونية انظر :

Mme Hours Micdan, **cahiers de Byrra 5, 1951 pp. 47-48.**

ولا شك انها من العناصر الزخرفية التي وردت من أرض كنعان ومعلوم أنها من أصل مصري دخلت أرض كنعان منذ أقدم العصور.

23 ـ انظر محمد فنطر La Cité Punique de Thapsus, **Actes du IIe Congrés international d'Etudes. des Cultures de la Méditerranée occidentale,** Alger 1978 pp. 59-70.

المدافن شواهد حضارية لتاريخ ما قبل الاسلام

بالمنطقة الشرقية

من المملكة العربية السعودية

علي صالح المغنم

محتويات البحث :

تمهيـــــد :

البحث عبارة عن تقرير وصفي وحصري للمدافن بالمنطقة الشرقية ودراسة ميدانية للحفريات التي أجريت بجنوب مطار الظهران وأبقيق عام 1975 ـ 1976 والقاء الضوء على جانب مما عثر عليه من مواقع الألف الثالث ق.م بالمنطقة وعرض نماذج من الفخار وأدوات الزينة كالخرز بأنواعه والأدوات البرونزية ومقارنتها بموجودات حضارة جمدة نصر ومدافن البحرين.

ويتطرق البحث للأعمال الأثرية التي قامت بها الادارة والأعمال التي قام بها المهتمون بعلم الآثار للمناطق التي ستكون مجال البحث كمواقع حقول المدافن بالظهران وأبقيق ويهدف البحث إلى إبراز الصلات التاريخية بين المراكز الحضارية على الخليج وشمولية مملكة دلمون لبعض الأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية بالاضافة إلى علاقاتها بمركز حضاري في المنطقة الشرقية وهو جزيرة تاروت.

محاولة تفسير ظاهرة وجود اعداد هائلة من المدافن دون العثور على دلائل قيام استيطان بشري وارجاع ذلك لمكانة مملكة دلمون في الآداب السومرية على أنها طريق الخلود.

تفسير ظاهرة الاختلافات في أنماط المدافن بالجزء الشرقي من المملكة لأهميته الاستراتيجية ووقوع المنطقة على خطوط التجارة القديمة ودور هذا الجزء التجاري بين بلاد الرافدين وحضارة مكان وبلاد السند وجنوب الجزيرة العربية ويحتوي البحث على ثبت بالمواقع التي تمّ تحديدها وتحتوي على المدافن أو مقابر ترجع لفترة ما قبل الاسلام ودراسة لبعض النماذج كمدفن الموقع 208/95 وبعض النماذج من حقل المقابر بأبقيق.

اعطاء فكرة واضحة عن نماذج من المدافن بالمنطقة ومقارنة تلك المدافن بنماذج عثر عليها بالمملكة العربية السعودية وربط بعض تلك النماذج بمثيلاتها بالبحرين ودول الخليج العربي وجنوب الجزيرة والتنويه عن الارتباط التاريخي والحضاري لجزيرة البحرين و(جزيرة أوال) ومنطقة الساحل غربها (المنطقة الشرقية بالمملكة).

والبحث بشكل عام يركّز على ما يلي :ـ

- مدافن جنوب مطار الظهران بالمنطقة الشرقية
- مقابر أبقيق (جنوب مدينة أبقيق)
- مدفن جاوان كنموذج فريد للمدافن بالمنطقة
- مقابر بلد مثاج وشواهد القبور بها
- التماثل في أسلوب العمارة لبعض المدافن بالمنطقة وأجزاء مختلفة من المملكة
- التماثل في أسلوب العمارة بين مدافن الظهران ومدافن دولة البحرين.

أولا : المقدمـة

الوحدة الجغرافية وأثرها في التفاعل الحضاري :

الخليج العربي يعتبر ذراعا بحريا للمحيط الهندي تحيط به الأراضي الساحلية من حدود الباكستان من اقليم مكران ويشمل سواحل بلوخستان وهو ساحل ضيق والساحل الايراني والساحل العربي للخليج ومسقط وعمان، وعلى ذلك فهو وحده جغرافية واحدة وتكثر به أشباه الجزر التي كان لأغلبها دوز هام عبر التاريخ مثل جزيرة جودارا (Gwadar) وشاه باهار (Chahbahar) وجزيرة البحرين وجزيرة أم النار وجزيرة تاروت وأشباه الجزر في أجزاء كثيرة من الخليج ومنها الجزء الشرقي من المملكة، وقد كانت الجزر وأشباه الجزر مكانا آمنا لقوارب الصيد والسفن التجارية.

أما الزراعة في الخليج فتنحصر في عدد قليل من الواحات وسواحل الخليج تعتبر بداية مملكة النخيل الشاسعة.

والخليج كوحدة جغرافية يشمل خليج عمان كذلك وعلى ذلك فقد دفعت ظروف الحياة سكان المنطقة إلى التجارة وعملوا بالملاحة وركوب البحر وعاشوا على صيد الأسماك ولهذا نشأت مراكز تجارية منذ القدم، وساعدت مياهه الدافئة وسواحله الرملية على ازدهار التجارة التي كانت وسائلها السفن الصغيرة ووسائل الركوب في التجارة البرية، ووجود موارد الرزق البحري ساعد على تيسير الحياة التجارية.

وسهول بلاد الرافدين تعتبر امتدادا طبيعيا لحوض الخليج العربي وسواحله المحيطة وقد شهد سهل العراق انبثاق الحضارة الانسانية وعلى ذلك فان المراسي البحرية الملائمة للسفن وقلة الأراضي الزراعية في كثير من أجزاء الخليج مهدت لظهور نشاط تجاري بالاضافة إلى كونه بحيرة بين مراكز حضارية هامة.

والجزء العربي من سواحل الخليج من الكويت حتى الشارقة بدولة الامارات العربية يعتبر وحدة ساحلية واحدة، ويتميز بعرضه الشاسع ولا يتوفر الماء في كثير من أجزائه وتخلو المنطقة من العوائق أو الحوائط الجبلية ووجودُ واحتين كبيرتين بهذا الساحل.. واحة الاحساء وواحة القطيف ساهم إلى حد كبير في تدعيم التجارة البحرية والبرية بالاضافة إلى أن المنطقة

الشرقية تجاور الجزء الشمالي من شط اللؤلؤ العظيم الذي يمتد من جزيرة أبو علي شمال الجبيل إلى حدود إمارة الشارقة بدولة الامارات العربية واشتهرت بعض مناطق الشرقية بصيد اللؤلؤ... والتجارة البحرية والبرية والصناعات القديمة كصناعة الأدوات النحاسية والبرونزية بالاحساء وصيد اللؤلؤ بتاروت والقطيف.

والمنطقة الشرقية مقابلة لجزر البحرين التي ترتكز على شط اللؤلؤ والتي كانت مركزا للتجارة الدولية ولازالت الأهمية الاستراتيجية تعطي البحرين مكانة عظيمة في التجارة الدولية حتى الآن.

لذا فقد كان لتاريخ شرق الجزيرة أهمية بالغة في التاريخ وهناك مراكز حضارية لازالت تخلد ذلك الماضي المجيد مما جعل المنطقة محط أنظار علماء الآثار لتمركز هذا الجزء بين مناطق حضارات العالم القديم.

واكتشفت مواقع أثرية بالمنطقة ترجع لفترة عصور ما قبل السلالات (Proto-Historic) أي قبل نشوء الأسر الحاكمة خلال فترة الانتقال من العصر الحجري الحديث إلى بداية العصور التاريخية (5000 ـ 2600 ق.م) كما اكتشفت مواقع أثرية ترجع لفترة الانتقال للحضارة الراقية كعصر العبيد وعصر الوركاء وقد ارجع بعض العلماء الأثريين أصول حضارة سومر إلى عصر العبيد (د. عبد الله مصري 1974) كما أن حضارة سومر تتضمن عصر جمدة نصر وعصور فجر السلالات (Early Dynastic).

والمعروف أن السومريين كانوا يقطنون القسم الجنوبي من العراق والجزء الشرقي من المملكة يقع ضمن منطقة شرق الجزيرة العربية التي لعبت دورا هاما في التاريخ القديم، فوقوع منطقة الخليج العربي جنوب منطقة تمتلك أوسع وأعظم حضارة في العالم القديم مكّنها من أن تلعب دورا هاما في التجارة القديمة.

وهذا البحث يعرض لجانب من مخلفات الماضي ويلقي الضوء على نماذج من المدافن بالمنطقة الشرقية في فترة ما قبل الاسلام ومقارنة تلك المقابر والمدافن بمثيلاتها في البلاد المجاورة ومحاولة القاء الضوء على الروابط التجارية والتماثل الحضاري بمنطقة الخليج ويحاول ابراز الدور التجاري في التمازج الحضاري.

وبشرق المملكة مدن عرفت منذ القدم بكونها مراكز تجارية لتجارة البر والبحر كجزيرة تاروت والجرهاء وهذه المراكز لها ارتباطات بالتجارة العالمية خلال حقب تاريخية مختلفة منذ الألف الثالث ق.م حتى ظهور الاسلام وذلك لقربها من الشريط الساحلي الطريق التجاري البري ومناطق الاستيطان الزراعي بالاحساء والقطيف. (ملحق رقم 1 خارطة مواقع المدافن بالشرقية).

والمخلفات السومرية بمدن المنطقة تدعم نظرية الاتساع التجاري السومري في الخليج ونشوء اعتراض ضد هذا الاتساع التجاري في أواخر عصر الوركاء في مناطق المستعمرات السومرية في الخليج كما أشار إلى ذلك ميلارت (Mellart) وقد أثبت البحث الذي قام به الدكتور عبد الله مصري مواقع عصر العبيد وهذا يوضح علاقة بلاد الرافدين بالمنطقة منذ عصور موغلة في القدم، وزاد من أهمية المنطقة تواجد موارد النحاس الخام في بلاد عمان لوقوعها على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد سومر ومن المعروف لدى علماء الآثار أن دلمون كانت واسطة التجارة بين ماكان وملوخا وبلاد سومر.. لذا كانت ذات ثراء وإنتعاش اقتصادي منذ ظهور مملكة دلمون ونفوذها في تجارة الخليج حيث تمر ببلاد الدلمونيين قبل تصديرها لبلاد سومر.

قامت ادارة الآثار بالمملكة بمشاريع عدة بالمنطقة الشرقية لتعيين المواقع الأثرية منها مشروع المسح لمواقع الألف الثالث خلال فصلين من عامي 1975 ـ 1976 وشملت أعمال المسح منطقة جنوب الظهران وأبقيق والرفيعة بتاروت وشمال الهفوف بمدينة العيون بموقع يقال له أم الرماد وواحة بيرين بتل أم النصي وسنتعرض بشكل مفصل لحقل مدافن الظهران وأبقيق وأشير إلى أن هناك منطقة أثرية كبيرة يرجح كونها مستوطنة قديمة تقع جنوب مطار الظهران ويظهر الفخار المنتشر بتلك المستوطنة أنه يعود للعصر البابلوني وحتى العصر الاسلامي المبكر وجمعت ملتقطات سطحية كثيرة من حقل المدافن بأبقيق لدى ادارة الآثار بالرياض تحتاج للدراسة.

وهذه الدراسة المتواضعة توضح جانبا اقتصاديا مهما عاشته المنطقة الشرقية كجزء من منطقة الخليج العربي التي تحتل موقعا استراتيجيا تجاريا هاما بين الهند والصين وأقطار الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط.

وتوضح صلة هذا الجزء ببلاد الرافدين لارتباطهما الجغرافي ودور الخليج في التقارب بين أقطار العالم القديم ويدعم ذلك تواجد المخلفات الحضارية بالمدافن التي تعتبر شواهد حضارية كتاريخ المنطقة لفترة ما قبل الاسلام... بالمنطقة وتمركز الجزء الشرقي من المملكة بين مراكز الخليج التجارية أوجد تمازجا حضاريا متماثلا بين مناطق الخليج ولهذا الدور الفريد كان سكان بلاد الرافدين ينظرون إلى السواحل الشرقية للجزيرة على أنها لا تتجزأ من بلاد الرافدين وقد ذكرت في الأساطير السومرية القديمة.

ولهذا أسهموا في تأسيس المراكز التجارية لتأمين تجارتهم في تجارة الخليج خلال الألف الثالث ق.م.

وعلى ذلك كانت بلاد الخليج شريان الحياة النابض لحضارات العالم القديم.

2/أ ـ التفاعل الحضاري وأثره في تعدد أنماط الدفن بالمملكة :

فكرة الغياب الأزلي والاعتقاد بالحياة الأخرى أسهمت في ظهور نماذج للمدافن وما يتطرق لذهن الانسان عن الدافع إلى الاهتمام ببناء وعمارة المدافن هو الاعتقاد بالحياة الثانية فقد كان القدماء يدفنون موتاهم ويدفنون مع الميت أدواته وألعابه وأسلحته وحليه كما أن بعضهم يضع معه طعاما لاعتقادهم بالبعث والعودة إلى الحياة الثانية وقد اكتشف ذلك في قبور الكريتيين في جزر بحر ايجه (الحضارة الكريتية 3500 ـ 3000 ق.م) على أن الكريتون لم يشيدوا القبور الفخمة وشاع لديهم الدفن في جرار كبيرة وفي أحيان في نواويس مزينة بالرسوم والأشخاص المهمين، وسادت طريقة الدفن في الكهوف بمنطقة شمال العراق. (منكرات في تاريخ اليونان والرومان ص 35).

ويشير الدكتور الأمين إلى اهتمام الاغريق بمستقبل الانسان بعد الموت وشبهوا الموت بالغياب الأزلي حيث يتفسخ الجسم ويذوب في القبر ولكن نفس الانسان وروحه لا تضمحل فتبقى في القبر تأكل وتشرب وتلبس الألبسة والحلي وتستعمل الأدوات وتزاول الأعمال التي زاولها الانسان في الحياة الدنيا ويلزم أقرباء الميت بتقديم القرابين للروح في مواسم الأفراح والأعياد واستمرت هذه العادة لديهم حتى بعد الدخول في النصرانية.

وانطلاقا من هذا الاعتقاد ظهر فن عمارة القبور والتي تعدّ نوعا من أنواع العمارة لدى الأقدمين ومما يؤسف له أن الكثير من المؤرخين أغفل فن بناء المقابر أو المدافن أو الأضرحة علما أنه فن مرتبط بفن العمارة الأخرى فمثلا ظهور التجديد المعماري في المعابد في عصر جمدة نصر حيث بني المعبد فوق دكة أو مصطبة يرتقي إليه بواسطة سلم تبع ذلك وجود دكة في المدافن التي ترجع لهذا العصر في عمان.

وتأثرت بلاد شرق الجزيرة بالحضارات المجاورة لها، لذا ظهرت أنماط متعددة من أساليب الدفن وقد هضمت تلك الأساليب وظهرت أساليب تتوافق ومعطيات البيئة بالمنطقة والأسلوب الحضاري الذي كانت تعيشه.

هناك امتزاج حضاري بين أجزاء الخليج الغربية من وادي الرافدين حتى سلطنة عمان ومن ذلك التمازج السكاني بين أقطار المنطقة والتأثيرات الدينية والثقافية كتواجد آلهة مملكة دلمون في جنوب العراق الآلهة (انزاك .Inzak) ووجود اشارات إلى العرب في النصوص الآشورية، ويشير د/جواد علي إلى أنه مع ضآلة المعلومات التي لدينا الا أنه لا يمكن الحكم بعدم وجود صلات وثيقة بين سكان الخليج وسكان العراق ولا سيما القسم الجنوبي منه في أيام السومريين وقبل أيامهم ويعلل ذلك إلى أن العراق امتداد طبيعي لتربة ساحل الخليج وهو جزء طبيعي من جزيرة العرب ومن ثم لا يمكن أن يكون بمعزل عن الساحل وبقية أرض جزيرة العرب... ولعل الملتقطات التي تم الحصول عليها من مدافن المنطقة تلقي الضوء على ذلك التقارب والتلاحم الحضاري.

والمدافن تختلف من ناحية البساطة والتعقيد باختلاف الطبقات الاجتماعية مثلها مثل المساكن فهناك المدافن البسيطة في معظمها وهناك الفخمة للأمراء والحكام والتجار وبالجزء الشرقي من المملكة يظهر هذا التباين الاجتماعي فهناك مقابر بسيطة تمثل طبقة العامة وهناك مقابر مبنية متميزة تمثل طبقة الأمراء أو الطبقات الحاكمة والمقابر الأسرية ويظهر ذلك في مدافن الظهران وأبقيق وهناك أنماط بالمملكة في مدائن صالح يتماثل ومدافن الأتروسكيين الرومان الذين استخدموا المقابر المنحوتة في الصخر كمقابر خاصة بالأسر الارستقراطية رفيعة المستوى والمقابر المنحوتة في جدران الحجر تمثل غرف القاعات الجنائزية بمدافن صالح.

وفي الخرج مقابر تتماثل والمقابر الرومانية التي تتكون من غرف تحت الأرض، مغطاة بقبو نصف اسطواني وفوقها طابق آخر يعلو الطابق الأول وتظهر تخطيطا شبيها بمقدمة المعبد والبناء من الطوب ومنه تهبط بواسطة درج إلى المقبرة كما يوجد في حيطانها من الدخل صفوف من الحنايا تعرف بالعيون (Loculi) تحفر في جدران المقبرة وتحتوي عيونا كثيرة في صفوف متراصة تعلو بعضها البعض والغرض من هذه الحنايا وضع الأواني الجنائزية المحتوية على رماد وأمثلة هذه المقابر منتشرة في أنحاء الدولة الرومانية في القدس وسوريا وتدمر والبتراء والاسكندرية (مدارس الفن القديم ص 357).

وربما تتماثل ومقابر الفاو ـ حاضرة دولة كندة ـ وما جاء في وصف المقابر الرومانية.

وسادت عادة وضع الشواهد على القبور في منطقة ثاج على غرار ما هو سائد في بلاد العالم القديم كبلاد الاغريق والرومان وهذه الشواهد عملت على التعريف بالكتابة اللاتينية وهي من الرخام أو الحجر الجيري ونعرض بعض من هذه الشواهد التي وجدت بهجرة ثاج وقد استمرت هذه العادة حتى بعد ظهور الاسلام مع وجود أحاديث عن رسول الله (ﷺ) بعدم البناء على القبور وعدم وضع علامات عليها ويعني هذا الموقف من الدين الاسلامي وجود أساليب لبناء القبور والمدافن في الجزيرة قبل الاسلام ووضع الشواهد عليها وهذا ما أثبتته الحفريات وعمليات المسح الأثري وقد عرض الاستاذ/عبد الرحمن الكباوي نماذج من المدافن بالمملكة ويمكن ذكر الشائع منها بالمنطقة :

1/ الرجوم الدائرية ومبان شريطية مذيلة وأمثلة هذا النموذج في المنطقة الوسطى وهناك ما يماثلها في بيرين بالمنطقة الشرقية.

2/ الركامات الحجرية على هيئة سلاسل من المباني يحكمها مبنى أكبر وهذا النوع ينتشر في أجزاء كبيرة من المملكة ويظهر في منطقة أبقيق في الجنوب والشمال.

3/ النموذج الثالث بناء حجري يتماثل والنموذج الثاني الّا أنه يحتوي على شاهد للمدفن وظهر هذا النوع في جنوب غرب المملكة والأجزاء الشمالية الشرقية ببلدة ثاج (الحرس الوطني العدد الرابع فبراير 1981).

وأضيف إلى أن هناك في المملكة بعض لأنواع المدافن البرجية وهي عبارة عن برج مكون من عدة أدوار ومزخرفة بزخارف كلاسيكية على الطراز اليوناني وتحته حجرة تحت الأرض وحجرة الدفن مغطاة بقبة اسطوانية. (Elevated Cirkophagus) وهو عبارة عن مصطبة يعلوها تابوت يترك في الهواء الطلق وقد يكون بهذه المصطبة حجرة دفن... وربما يتوافق هذا النمط وما اكتشف بوادي ثرج بالموقع 217/140 ولكنه نمط غير متقدم ويقع شمال أبها (مركز المسح الأثري ملاحظات حقلية (لـ Juris Zarins 1980 م).

وفي المنطقة الوسطى في عين الرأس بمنطقة العيون بالافلاج الموقع 212/64 اكتشف حقل من المدافن ويلاحظ أن البناء تحت الأرض وهي مختلفة الأشكال منها الدائري والمستطيل وأشكال مختلفة أخرى وتشير الدلائل الأثرية إلى أنها ترجع للفترة الهلسنية أو أبعد من ذلك.

والموقع 212/66أ به فخار يتشابه وفخار ثاج وجاوان كما أشار إلى ذلك خبير الآثار جورس زارنس واعتقد أن عيون الأفلاج كانت مركزا للقوافل التجارية الداخلية التي تتجه صوب اليمامة ومدن المنطقة الشرقية عبر طريق الكنهورى إلى ثاج ومن ثم لبلاد العراق وهذه المقابر قرب واحة تسمى عين السيح (التقرير الأثري للمنطقة الوسطى 1978 م) واكتشفت بعثة الآثار سنة 1978م حقل مدافن كبير يحتوي على أكثر من 500 مدفن (الموقع 207/20) على حافة وادى الخرج بمساحة تقارب 10 كم وهي من نوع القبور الدائرية الشكل (Circular Tumulus.......) وقبور مستديرة الأطراف (Circular Shaped) تتشابه وقبور الفاو وهناك مثيلاتها في جبل طويق والسليل وليلى والخرج وغرفة أو ضريح الدفن مستطيل الشكل مبني من صفائح الحجارة الجيرية وبعضها تحتوي على ضريحين أو أكثر والملتقطات تتشابه وملتقطات مدافن المنطقة الشرقية بجنوب أبقيق وموقع القنوات المائية على طريق العقير ومقابر شمال أبقيق وثاج لتشابه النمط والملتقطات الفخارية كما وجد بأحد المقابر خرزة من العقيق تتشابه وخرز موجودات مدافن أبقيق (تقرير مسح الجزء الجنوبي من المنطقة الوسطى عام 1978 م).

ب ـ أنماط المدافن بالمنطقة الشرقية :

معظم الأثريين الذين شاهدوا أو بحثوا في مقابر بالجزيرة العربية وخاصة مقابر الجزء الشرقي من الجزيرة أبعد تاريخ أشاروا إليه العصر البرونزي وقد أشار الدكتور/جواد علي أن البعثة الدانمركية عام 1959 م عثرت على أربع مقابر تبين من فحصها أنها تعود إلى العصور الحجرية (تاريخ العرب قبل الاسلام ج1 ص 54) وتوجد بالجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية أنماط متعددة للتباين الحضاري والتدرج الزمني وهناك بيرين على مشارف الربع الخالي جنوب حرض على بعد (116) كم جنوب غرب الهفوف دلائل أثرية تشير إلى أن الاستيطان بهذه المنطقة يرجع لفترة الألف الثاني والأول ق.م أي الدور البرونزي والدور

الحديدي وهذه القبور تتكون من غرفة واحدة مربعة الشكل وبداخلها رؤوس دبابيس من البرونز وحراب تعود للفترة البرونزية وفي الاحساء ذكر/بي بي كارنوال P.B.) Carnwal....) أنه توجد مدافن مماثلة لمدافن البحرين ترجع لفترة الدلمونيين (Dilmun) ويرجح أنها تعود لفترة العصر البرونزي المتأخر (Late Chalcolithic).

وفي العقير ميناء واحة الاحساء تلال أثرية تشكل مقابر تعود لفترة ما قبل الاسلام وعثرت البعثة الدانمركية على عشرين تل أثري استعملت كمقابر قرب موقع القنوات المائية والعقير من المناطق التي زارتها البعثة الدانمركية وجمعوا أدوات حجرية وسكاكين لها علاقة بحضارة قطر، وهناك قطع فخارية ترجع إلى العصر الكلاسيكي البارثي المتأخر وفخار العقير يتماثل وفخار بلدة ثاج.

وبالقرب من بلدة الدغيمية وعلى امتداد حوالي 25 كم جنوب وجنوب غرب على مساحة مرتفعة من الصخور الجيرية توجد مدافن قديمة وهي عبارة عن أكوام حجرية ويتخلل الموقع الكثبان الرملية التي تغطي المناطق المنخفضة من الموقع وتعتبر هذه المواقع من المواقع الأثرية الهامة موقع جنوب الظهران ويبعد حوالي 6 كم ومساحته 4 كم × 4 كم تقريبا والمنطقة بها الكثير من المقابر القديمة التي تشبه المقابر التي اكتشفت في البحرين ويبدو أن هذه المدافن لها علاقة بموقع المستوطنة قرب عين السيح والمواقع المنتشرة في منطقة الساحل ومدينة الخبر والراكة 6 كم شمال الخبر.

وبمدينة الدمام جنوب مدينة العمال على سلسلة جبلية تعرف باسم المريكبات وجدت مقاطع وفجوات منحوتة على شكل توابيت مكشوفة وربما كانت تمثل قبورا على الطراز الفارسي وتعرض هذه التوابيت أجسام الموتى للوحوش الضارية وقد ثبت تاريخيا أن الملك الساساني شابور الثاني قد بسط نفوذه على منطقة البحرين سنة 320 م واتجاه الأضرحة إلى جهة الشرق والغرب يوحي بعلاقة الشروق والغروب وأهمية ذلك لدى الأقدميين.

ومدفن جاوان الذي يعتبر نموذجا فريدا في عمارة القبور بالمنطقة ويقع على بعد 6 كم شمال مدينة صفوى وتنحصر المنطقة الأثرية في الرقعة الأرضية المحصورة بين الطريق المؤدي إلى الجبيل والطريق المؤدي إلى رأس تنورة وقد عثر على قبور مبنية بالحجارة وقطع فخارية تعود للفترة الهلينسية بالجزيرة العربية وعثر على حلقات ذهبية وسيف حديدي له مقبض من العاج ومجموعة من التماثيل الصغيرة أما البناء المعماري للمدفن فهو على شكل صليب يحتوي على أربعة جيوب عبارة عن مواضع للدفن وهو مشيد بالحجر المهذب والمونة.

وبالجبيل التي تعتبر من المواقع الأثرية الهامة في المنطقة وبها موقع أبو شريف على الطريق الفرعي الخارجي ومن الجبيل والمتجه إلى الجنوب الغربي وهو عبارة عن أرض مستوية وصخرية واتضح وجود بقايا أربعة قبور دائرية الشكل مختلفة الأحجام الا أن معدل حجمها يبلغ 2,5 ـ 3 م من حيث القطر ويتكون كل قبر من مبنى مستدير وقد تمّ جمعُ عيّنات

فخارية، وقبور أبو شريف تتشابه وقبور جزيرة أم النار وعرف هذا النوع في بلوجستان وتعود لفترة الألف الثالث ق.م.

ولعل المقابر التي بمنطقة الظهران وأبقيق تستحق الدراسة المستفيضة التي من خلالها يمكن اثبات وجود صلات وروابط فكرية والتعرف على الطقوس والعقائد الدينية لسكان المنطقة وسيكون للبحث الدقيق والحفريات المنتظمة دور هام في استكشاف أدلة مادية أكثر احتوتها تلك المدافن تسهم في التعرف على هوية أولئك الأقوام.

أ/مدافن الظهران ونماذج من محتوياتها :

بعثت ادارة الآثار فرقة من العاملين بها إلى حقل المدافن بالظهران ومن ضمن أعضائها كاتب هذا البحث في 3 نوفمبر/1976 وهذه المنطقة الأثرية تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المطار وغرب مدينة الثقبة على بعد 1,5 كم وهي عبارة عن مرتفعات على هيئة ربوات متفاوتة الارتفاع تتراوح بين 2 ـ 3 ـ 4 م وفي بعض الأحيان تصل إلى 5 م على أرض مستوية صلبة وبعض الأجزاء من الموقع تغطى بطبقة رملية وبالموقع آثار مستوطنة قديمة تكثر بها الكسر الفخارية المختلفة الاشكال والتي تنتمي إلى فترات حضارية مختلفة بدءا بالعصر الدلموني الألف الثالث ق.م وحتى العصور الاسلامية.

وكان من أهداف البعثة التحقق من المعلومات عن شمولية مملكة دلمون للساحل المقابل والواقع ضمن أراضي المملكة وجمع ما يمكن جمعه من العينات والأدلة الأثرية، وعينت البعثة عدة مواقع جديدة للمدافن بالمنطقة كمجموعة المقابر شمال أبقيق على مشارف سبخة الحمامات والملتقطات بهذه المنطقة ترجع لفترة الألف الثالث ق.م Third Millineium BC وعملنا مسحا للتكوينات المرتفعة حول المدرج الشمالي، والمدافن القليلة الارتفاع... متماثلة في تكويناتها مع ما هو معروف بنمط مقابر أبقيق، وعملنا مسحا لعين السيح والمنطقة الملاصقة لها الملتقطات توحي بأنها هلنسية الطابع وبعض الفخار المبكر وأغلب الملتقطات اسلامي وتمت زيارة موقع على حافة السبخة يحتوي على فخار يرجع لفترة الألف الثالث ق.م كما تمّ زيارة موقع غرب الظهران يدعى (حيبوفرى بي بي البحث عن دلمون) (The Basket impressed site west of Dahran) وطينة فخار هذا الموقع مختلطة بالأصداف البحرية ومصنع بالعجلة الدولاب الدوارة وتماثل وفخار ثاج وعلى هذا أجملنا القول أن الموقع يعود للفترة السلجوقية والدلائل التي تبرهن على كونه أقدم من ذلك قليلة.

وبالمنطقة الملاصقة للمطار وجدنا أنواعا من الفخار على السطح يعود لفترات فجر السلالات بوادي الرافدين وتتدرج حتى العصور الاسلامية ومن خلال عملية المسح وجدنا بطريق الصدفة مدفن قد فتح حديثا وقطع من الفخار المماثل لفخار أم النار مع فخار يرجع لفجر السلالات وقرر الفريق اتمام حفرية المدفن واستغرقت العملية ثلاثة أيام واكتشفت

حفريتين مختلفتي الاتجاه مما يوحي بتعرض المدفن لعملية تعدي سابق.. ووجدنا بالمدفن محتويات قبر يرجع للفترة الهلنسية.

- آنية فخارية مزججة ذات مقبضين
- دورقين من الزجاج
- خرز زجاجي
- قطع فخارية اغريقية الطابع

ووجدنا دلائل تعود لابعد من الفترة الآنفة الذكر.

- خرز ملمع
- قطع من آنية الحجر الصابوني ودبابيس نحاسية
- قطعتين من الفخار تعود لعصر أم النار
- خرز من الصدف الصغير وخرز من الأحجار الكريمة

ويبدو أن هذه المدافن بنيت منذ فجر السلالات واستعملت خلال حقب تاريخية لاحقة كالدلمونية والبابلونية والاغريقية بما في ذلك السلجوقي والبارثي وفترة قبيل الاسلام. ملحق رقم (2) (أ، ب، ج، د، هـ، و)*.

ووجود مواقع لعصر العبيد بالجزء الشرقي يعطينا تأكيدا بوجود فترات لاحقة وخاصة بعد العثور على أدوات صوانية من الشفرات والحراب والقطع المختلفة من الحجر الصابوني الأخضر والسادة في أعمال المسح التي قامت بها ادارة الآثار جعلتنا نؤكد بوجود فترات من فجر السلالات وخاصة التأثيرات السومرية الكثيرة في عدة مواقع على الخليج خلال فترة الألف الثالث ق.م وحتى بزوغ فجر الاسلام..

وعثر على حقل من المدافن شمال الموقع 31 (موقع العبيد) هلنسية الطابع ومن بين الموجودات حصلنا على عدد كبير من القطع الفخرية المشابهة لفخار ثاج.

ونلاحظ من الحفريات التي أجريت بالظهران أن القدماء استفادوا من الساحل الغربي للخليج كمركز تجاري داخلي وكمنفذ بحري. (ملحق رقم (3)*.

وأوضحت المدافن النشاط البشري كأعمال الصيد والزراعة والتجارة والرعي وقرب منطقة المقابر بالظهران من جزء البحرين أوجد التماثل بهذه المنطقة على الساحل الغربي للخليج أكثر من أي منطقة أخرى بالشرقية.

ومحتويات المدافن بالظهران تتماثل مع ما عثر عليه بعمان والتي تتماثل بدورها مع ما عثر عليه ببلاد الرافدين وخاصة ما له علاقة بحضارة جمدة نصر بالمقبرة الجنائزية باور (Mrs. Karen Friefelt.....) ووحدة الموجودات بالمدافن بين البحرين والظهران بعكس

الترابط الوثيق بين جزيرة أوال والساحل المقابل لها وطريقة عمارة المدافن تعكس معطيات الطبيعة البحرية فبعض المدافن مبنية من الصخور المرجانية والفروش والأحجار الجيرية التي تكثر بمنطقة الخليج الغربية.. وعثر على قطع فخارية مزخرفة بألوان متعددة تعود لحضارة جمدة نصر.. ووجدت أختام تتماثل مع أختام بالبحرين في مدفن بقرية الحجار ـ في الجزء الشمالي من جزيرة البحرين ـ التي تحتوي على مرتفعات أثرية أعطت بعض الحفريات التي أجريت بها أن هذه المدافن ترجع لفترات سابقة للعصر السلوقي (فايز الطرواني 1970 م).

وفي شهر نوفمبر 1977 تمت زيارة الموقع مع فريق من هارفرد وتمّ تحديد مواقع بالمنطقة الأثرية على سبيل المثال الموقع 208/91 الذي عثر فيه على قطع فخارية تعود للعصر الدلموني بالاضافة إلى عدد كبير من القطع الفخارية الاسلامية وعثر على رأس سهم من البرونز المتأكسد إلى جانب الكسر الفخارية المزججة بالألوان الأخضر والزيتوني والفيروزي والموقع 208/93 عبارة عن مرتفع صغير عملت به حفرية أو مجس 1 × 6 ولم نعثر الا على عدد قليل من الفخار يعود بعضه لفترة ما قبل الاسلام. (ملحق رقم 4)*.

والموقع 208/95 الذي يعتبر نموذجا جديدا لمدافن الظهران.

الأبعاد الاحداثية : 15″ 14′ 26° شمالا

ـ 8′ 50° جنوبا

عبارة عن مدفن كبير على شكل حرف T بداخل تل مرتفع يبلغ خمسة أمتار ارتفاعا وقد أزيلت أجزاء من التل من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية حيث الواجهة الشمالية للمدفن وبدأت الحفرية من الجهة المكشوفة ووجد أن هذا المدفن هو عبارة عن مستودع لرفاة الموتى ويصعب تحديد طريقة الدفن وربما أن هذا النموذج يتماثل مع عدة نماذج أخرى بالموقع حيث تتواجد تلال مرتفعة كثيرة ومن ناحية الأبعاد والشكل أنظر مخطط الموقع (ملحق رقم 5)*.

ومحتويات المدفن :

الطبقة الأولى : عثر بداخلها على :

أ ـ قطع صغيرة من البرونز المتأكسد

ب ـ عدد من الخواتم النحاسية إلى جانب عدد (2) أحدهما بفص أحمر يحتمل أن يكون من العقيق والآخر بدون.

ج ـ كسر زجاجية عبارة عن أجزاء من دوارق وتمثل عنق وفوهة أحدهما له مقبضان أحدهما مكسور من الزجاج الشفاف المائل للاخضرار إلى جانب قطعة أخرى من الزجاج الشفاف المائل للاصفرار.

د/ إناء من الحجر الصابوني الرمادي اللون.

هـ/ عدد من الخرز المتنوع منه الزجاجي والحجري.

و/ عدد من كسر الفخار الأبيض السميك.

ز/ قطع نحاسية.

الطبقة الثانية : عثر بداخلها على :

1 / بعض كسر الفخار المزجج بالأبيض والأخضر إلى جانب الفخار الأبيض الغير مدهون الخشن السميك.

2 / قطع صغيرة من البرونز بقايا أدوات وعدد من الخواتم النحاسية.

3 / عدد من الخرز الزجاجي والصدفي وغيره من الخرز المصنوع من الخشب المستدير المثقوب في الوسط.

4 / اسورة صغيرة من النحاس المتأكسد.

5 / قارورة صغيرة مكتملة من الزجاج الرقيق الشفاف الأبيض المزخرف بزخارف هندسية عبارة عن معينيات باللون الأزرق ـ ولها مقبض صغير ورقبة وفوهة بشفة بارزة.

6 / بقايا أدوات من الحديد إلى جانب عدد (2) معضد (زنديات).

7 / ثلاثة أوعية فخارية باللون الأخضر مهشمة وبجوارها جماجم آدمية إلى جانب مجموعة من الكسر الفخارية المزججة باللون الأخضر الفاتح والأبيض من الداخل والخارج إلى جانب عدة كسر من الفخار الأبيض والأحمر الرقيق والخشن.

8 / إناء صغير من المرمر (الااليستر) مفقود جزء من بدنه وهو رقيق ودقيق الصنعة وعليه زخارف محفورة وبارزة من جهة يقابلها نفس الزخارف المتبقى جزء بسيط منها.

9 / أربع قطع حديدية ثلاث منها عبارة عن نصل لخنجر وواحدة تمثل المتبقى.

10/ قطعتان من البرونز أحدهما عبارة عن خاتم صغير معلق به قطعة صغيرة من البرونز والثانية جزء من خاتم.

وقد أعطى فريق المسح لعام 1977 م بعض الاحتمالات من خلال ما عثر عليه بالمدفن ومطابقته من حيث البناء لمدافن البحرين :

1 / ان هذه المقبرة واحدة من عدة مقابر بهذا الموقع واحتمال أن تكون على نمطين مدافن صغيرة ومدافن كبيرة.

2 أنها بنيت في عصور سابقة للفترة الاغريقية أو السلوقية وربما امتدت في القدم لحضارة بربار – ودلمون وربما تتماثل ومدافن حضارة **جمدة نصر** في أور أو أنها نمط يتماثل مع نمط مدافن عمان.

3 / ان هذه المدافن تتماثل وما عثر عليه في البحرين التي تعود للعصر الدلموني.

4 / ان هذه المقبرة أعيد استخدامها لعدة فترات تاريخية لتواجد عدة طبقات في داخلها ولكن متفاوتة العصور والأزمنة.

5 / ان المدخل الرئيسي لهذه المقبرة الجهة الغربية حيث كان مسدودا وتمّ رفع الأحجار وتبين أن لها ممر صغير بطول 2,77م.

وملاحظة على بوابة المدفن فقد أشار/د/ جواد علي إلى أن أبواب مقابر البحرين وضعت في الجهة الغربية وهذا يعطي احتمالا على أن لهذا الوضع صنة بدين القوم الذين تعود إليهم تلك المقابر (جواد علي ص. 54 ح1) ولم يذكر كيف تكون هذه الصلة كما أشار أن ما عثر عليه في مقابر البحرين تشبه المواد والأدوات التي عثر عليها في المقابر الأخرى في جزيرة العرب.. وأورد أن عهد تلك المقابر يرجع 3000 – 1500 ق.م.

والمدافن بالجزء الشرقي من المملكة تعرضت لعوامل طبيعية أثرت في محتوياتها وخاصة المناطق المنخفضة الرطبة كالقطيف وتاروت وأجزاء من سواحل مدينة الخبر وأعتقد جازما أن الدفن على المرتفعات كان في المقام الأول لحفظ الجسد من عوامل الاندثار والتفتت لذا كان اختيار المواقع المرتفعة الصلدة والانعزال الصحراوي والحماية الطبيعية ساهما في حفظ البعض منها الذي لم تصل إليه أيدي الطامعين بما تحتويه من أشياء ثمينة وأعتقد أن البناء المعماري ساهم أيضا في حفظ ما تحتوي المدافن الكبيرة. وفي القطيف وتاروت أصاب أجداث الموتى التلف وكذلك محتويات قبورهم كما حدث في جزيرة تاروت وأعتقد أن المثل المتداول القائل (القبر دار) يعكس خلفية ثقافية حضارية لدى سكان جزيرة العرب، فقد اعتنى القدماء بموتاهم فتمّ الدفن بمدافن جماعية لحفظ الرفاة العظمية فبعد تآكل الجثة يتم وضعها في المدفن الجماعي للأسرة أو العائلة وربما يكون ذلك مصاحبا لطقوس دينية معينة يقومون بها أثناء وضع الرفاة في مدفن الأسرة الجماعي وربما يكون الدفن الجماعي سبب عامل عارض كالحرب أو المرض وتكون هذه المقابر معدة مسبقا لمثل هذه الحالات خاصة وأن المجتمع القديم افتقر في كثير من الأحيان لعنصر الأمن ووجود بوابة للمدفن تزحزح وقت الحاجة يوحي بأن هذه المدافن الكبيرة عبارة عن مستودعات للرفاة العظمية وهذا ما أوحته لنا الحفرية التي أجريت بالموقع 208/95 حيث أن الهياكل العظمية غير منتظمة وفي وضع متناثر وأحيانا ركام على هيئة كوم.. وربما كان الأمر خلاف ذلك حيث يتم الدفن في المدفن الكبير وتزاح الرفاة لتوضع الجثة الميتة حديثا.

ب ـ مدافن أبقيق ونماذج من محتوياتها :

كما أن المواقع الحجرية والمواقع المبكرة لحضارة بلاد الرافدين اكتشفت بالجزء الشرقي من المملكة عثر على مدافن من الركام الحجري قرب منجم الملح 17 كم جنوب مدينة أبقيق وبنيت هذه الركامات الحجرية من الحجر المحلي المنتشر بغزارة على المرتفعات بين مدينة العيون شمال الهفوف ومدينة أبقيق.

وهذه المدافن عبارة عن تلال حجرية تتخللها الأتربة التي تراكمت عليها بفعل الرياح وبحقل المدافن تكثر المخلفات الأثرية التي تشير إلى قدم وأثرية هذا الموقع والدلائل ترجع إلى فترة الألف الثالث ق.م وتتشابه المدافن ومدافن عمان التي ثبت اتصالها الحضاري بمدافن جمدة نصر في أور بوادي الرافدي وتنوع الفخار يشير إلى امتداد استخدام تلك المدافن لفترات لاحقة من الزمن تماما كما حصل ذلك لقبور عمان (ص 59 من دراسات عمان ج1 1975). وتتراوح أقطارها من 4م ـ 6م والارتفاع من 2م ـ 2,5م وموجودات المدافن تحتوي على خرز وحلي من الأحجار الكريمة والذهبية وخرز أقل قيمة من العظام والحجر وتتشابه في بعض موجوداتها والموجودات التي تمّ العثور عليها من قبور تيماء (بشير السباعي ص16).

وعملت بعثة الآثار لمنطقة مدافن أبقيق مسحا للمنطقة المجاورة لموقع المدافن أملا في العثور على مواقع استيطان لأصحاب تلك المدافن ونقّب في أربعة عشر قبرا، واكتشف بحقل المدافن بأبقيق جرار من النوع المستخدم في التخزين وذات مقابض على غرار الجرار التي اكتشفت جنوب ايران يموقع تب يحيى (TVC) الطبقة الرابعة المستوى الثالث وتتقارب وفترة جمدة نصر وأرخت ما بين 3400 ـ 3000 ق.م.

ويمكن التساؤل حول مقابر أبقيق هل هذه القبور ذات نمط قائم بذاته أم أنها متشابهة والأنماط السائدة في مناطق الخليج كمقابر جفيت وعبرى بدولة الامارات العربية الذي ثبت تشابه بينها وبين قبور حضارة جمدة نصر بمدينة أور بالعراق.

وأعتقد أنه بتوفر المادة الكافية لايجاد مقارنة أوسع من ذلك ستلقى أضواء على جوانب مبهمة لدى الكثير، وأعتقد جازما أن قبور جنوب أبقيق ذات علاقة كبيرة بالحركة التجارية البرية والبحرية فهي واقعة على الطريق البري من عمان والطريق البحري الذي جعل من مدينة الجرهاء القديمة مركزا تجاريا هاما على الخليج العربي فوجود هذه المقابر له علاقة كبيرة بحركة التجارة والأهمية الاستراتيجية لتلك المنطقة.

ووجود تفاوت في المخلفات الأثرية يوضح التدرج التاريخي فهناك موجودات العصر الحديدي قبور ترجع للألف الأول ق.م إلى قبور ترجع لعصر الألف الثالث ق.م وقبور تتماثل في موجوداتها وقبور حضارة جمدة نصر وهذا يبرز دور هذا الجزء في التاريخ منذ القدم. ملحق رقم (6) ـ (أ، ب، ج، د، هـ).

وتمّ العثور على قطع من حجر الصلصال الرمادي اللون بالقبر رقم (8) وخرزة ذات لون قرنفلي (CARNALIAN BEAD.... ...) بالقبر رقم (6) كما عثر على قطع تنتمي إلى فخار جزيرة أم النار القبر رقم (13) من داخل الغرفة وعثر على قطع تتماثل وفخار أم النار.

من القبر رقم (5) وعدد من خرز الصدف المخروق من الوسط استخدم في الزينة وعثر على مغزل حلزوني من الصلصال وتمر يابس وعثر بداخل القبر رقم (7) على خرز اسطواني من الصدف أبيض اللون وحجر رمادي من الصلصال.

والمقابر بأبقيق بالجهة الداخلية على طول الطريق التجاري الداخلي والموجودات من جميع القبور تشكل تشابها كبيرا والاختلاف بينها بسيط والفخار مدبب الطرفين والحافة عمودية مطوية للداخل أو الخارج (Biconical...) وغالبا تتميز بعلامات.. خطوط تشكيلية حول عنق الآنية (نمط ينتمي لفخار جمدة نصر).

والقبور تنتشر في منطقة مرتفعة من الصخور الجيرية على طول الطريق الداخلي من واحة الهفوف شمالا وحتى مدينة أبقيق وهناك اعداد متفرقة على المرتفعات حول الطريق المتجه مباشرة إلى ثاج مارا بعين دار، ولم يعثر على أي أثر لمستوطنة وربما تكون مغمورة تحت رمال الصحراء (صحراء الجافورة) والمقابر بسيطة التركيب البنائي فهي عبارة عن غرفة مستطيلة مبنية بالحجر الغير مهذب ومحاطة بجدار دائري من الحجر بعضها تحتوي لحدا واحدا والبعض الآخر يحتوي عدة غرف للدفن تصل إلى أربعة ومثل ذلك المدفن رقم 13 بحقل المدافن بأبقيق والكثير من المدافن شمالا تتشابه وما اكتشف بالبحرين والتي تنتمي للفترة السلجوقية.

ج ـ التماثل الحضاري بين موجودات مدافن المنطقة ومدافن أخرى :

ومن الموجودات التي عثر عليها ما يتماثل وموجودات المدافن في كل من دولة الامارات العربية والبحرين ومنها ما يتوغل في القدم كفخار عصر العبيد الذي اكتشف في مواقع من المنطقة الشرقية قريبة من حقول المدافن بأبقيق والظهران ومناطق أخرى وهذا الفخار يمتاز ببساطة الزخارف التي تمثل خطوطا مستقيمة ومتموجة ومتكسرة وهو ملون بالأسود والأحمر والأسمر والطينة الخضراء الداكنة (د/عبد الله مصري 1984) وعثر على فخار يتشابه وفخار عصر الوركاء ذو اللون الأحمر أو البني أو الرمادي ويغطي اللون كل الجرة أو ا لآنية الفخارية وهو لماع ومصقول ومصنع بواسطة عجلة الدولاب وبعضه غير ملون مجزز بواسطة المشط ويكثر في حقول المدافن بالظهران وأبقيق كما توضحه المجموعة 4246 من داخل القبر رقم 2 بأبقيق والمجموعة 4277 من القبر رقم 3 والمجموعة 4331 القبر رقم 14.

وفخار عصر جمدة نصر الذي يتميز بتعدد الألوان الأحمر والقرمزي ومزخرف هندسيا وشكله شبه كروي والرقبة قصيرة والفوهة صغيرة مصنع بعجلة الدولاب عثر على هذا النمط من الفخاريات في مدافن الظهران وأبقيق كما عثر على حجر البازلت والأواني الحجرية التي تنتمي لهذا العصر كالمجموعات (4602، 4246) وينتشر فخار العصر الدلموني ويكثر في حقول مدافن جنوب الظهران وهو بني اللون ويتشابه وفخار جزيرة أم النار بأبي ظبي وتمثل هذا النوع المجموعات 4358، 4359، 4360، 4363، 4367، 4370.

وعثر على جرة صغيرة مغزلية الشكل بالمدفن رقم 5 بجنوب مطار الظهران وتتشابه والجرار التي اكتشفت في المدينة الثالثة (بقلعة البحرين) التي تعود للعصر الكيشي حوالي (1800 ـ 1200 ق.م) كما تمّ الحصول على أختام طينية في مقابر الظهران ولكنها تحتاج إلى دراسة لبيان نوعية النقوش والكتابات التي تحتويها واستكناه العلاقة بينها وبين الأختام التي عثر عليها بالبحرين في المدينة الثانية بالقلعة (فترة باريار حوالي 2200 ق.م). وربما تنتمي لأختام عصر حضارة العبيد أو حضارة الوركاء (الأختام المنبسطة والأختام الاسطوانية).

والمعثور عليه من النحاسيات عبارة عن مسامير من البرونز النحاسية ومخارز ومثاقب ذات حربتين من الطرفين تتماثل وما نشر من نماذج عثر عليها بعمان وعثر على اسورة نحاسية وخاتم نحاسي (......Rivet, Needles, Pins) المجموعة رقم 4385.

وجمعت أنواع من الفخار ترجع إلى الألف الثالث ق.م وهو ذو واجهة سوداء وفخار أحمر وبعضه مصنّع باليد ويبدو أن الفخار المستورد هو الفخار المصنّع بعجلة الدولاب مطلي بالأحمر والأسود وأنواع أخرى مطلي بالأسود وهذين النوعين معروفين بالمنطقة الشرقية ونرى أن هذين النوعين نمطان متقاربان مع فخار جزيرة أم النار بالامارات العربية أو أنهما سادا في حقبة زمنية واحدة وهناك نمط متميز بالمصب ويرى أنه صنع محليا.

وما عثر عليه بمدافن أبقيق من فخار وخرز يوحي بارتباط المنطقة بعصر الأسرات المبكر (Early Dynastic) وفخار أبقيق يتشابه والفخار العماني من حيث الشكل المدبب (..Biconical) وفخار الألف الثالث الذي تميزت به المنطقة فخار رملي أحمر مائل للسواد وجد بمنطقة الظهران وفخار وجد بالظهران ومنطقة الخبر الطينية المستعملة مخلوطة بالأصداف البحرية ومصنّعة بالعجلة الدوارة وهو أحمر من الأواني الفخارية المفتوحة وقد عرف هذا النمط بفخار موقع الجرهاء (جفرى بي بي) وتمثله المجموعة (4577، 4592).

وجمعت أنواع متعددة من أدوات الزينة الخرز الصغير على غرار ما عثر عليه بجبل حفيت وخاصة محتويات القبر رقم 1321 والذي عرف في وادى الرافدين ««عصر جمدة نصر»» منذ ما يقارب الألف الرابع ق.م (دراسات عمان ص 67) وأنواع من الخرز المفلطح عثر عليه بأبقيق يتشابه وما عثر عليه بحفيت ومعروف بشكل وفير في مقابر جزيرة أم النار بأبي ظبي وهو من الكرستال والرخام القرنفلي اللون وبشكل الخاتم The Ring Shaped —

Bead.... ـ ومن المعروف أن الحجارة الجيرية القرنفلية اللون كانت مألوفة الاستعمال في صناعة الآنية الحجرية والخرز في مقابر حضارة جمدة نصر في أور (دراسات عمان ص 67) ووجدت نماذج من تلك بمقابر أبقيق وتمثلها المجموعة (4681).

وتميزت المنطقة الشرقية بنوع منفرد من الفخار يكاد يكون نوعا واحدا ونسب إلى موقع ثاج وهو يتماثل وفخار موقع الجرهاء والذي أشار إليه جفري بي بي وهو فخار يرجع للفترة الاغريقية طراز الصحون الرقيقة ذات الشفاه العمودية يتشابه والفخار النبطي في فلسطين ولكنه أكثر دقة وقد ساد هذا النوع خلال القرن الأول والثاني الميلاديين (مجلة علم الآثار 15 ص. 239) وقد شاع هذا النوع من الفخار في عدة مواقع في العقير جنوبا حتى ثاج شمالا ووجد هذا النوع بجزيرة فيلكا بالكويت ودفن هذا النوع في عدة مقابر ترجع للفترة الاغريقية.

وتاريخ المنطقة الشرقية من المملكة جزء من الأجزاء الغربية من الخليج العربي فمثلا عثر على عينات من النحاس والخرز تتشابه وما عثر عليه في أور وتيلو وجمدة نصر من القلائد المتنوعة من الأصداف البحرية.

وبجزيرة تاروت عثر على جرار برتقالية اللون سادة مع حافة بارزة وهي تتشابه وما عثر عليه بحضارة جمدة نصر كما عثر بالجزيرة على أكواب من الكلوريت (Chlorite Cups) وسلطانية فخارية استخرجت من القبور الحجرية قرب الرفيعة والتي تتماثل وحضارة جمدة نصر في أور (Golding 1974; 26 Fig. 4).. تمّ جمع ملتقطات من حفرية الرفيعة بجزيرة تاروت التي أجريت في شهر مايو عام 1975 وتتشابه وما عثر عليه بدولة الامارات العربية كما تتشابه وما عثر عليه في أو وعثر على جوزين من الخرز من نصف الأحجار الكريمة (Lapislazuli) بالحفرية الأولى المستوى الأول وارجعت السيدة/فرفلت مثل هذين الجوزين إلى حضارة بداخشان في أفغانستان (Badakhshan in Afghanistan) وافترضت احتمال أن يكونا من حضارة حوض الهند (INDUS) أو من جنوب فارس وهذا يعكس الاتصال التجاري الوثيق بين أجزاء حضارية على الخليج العربي (المجموعة بقسم التسجيل وتحمل الرقم 4394) وأواني من الحجر الصابوني عثر عليها بالرفيعة من المستوى الأول، المجموعة 4479، 4481، 4480، وأواني من الحجر الصابوني المنقوش القطعة رقم 4390 وقطع من حجر الرخام الأبيض المصقول (Alabaster) المجموعات 4398 و4399، 4412 ـ ومن الحفرية الثانية خرز من نصف الأحجار الكريمة (Lapis-Lazuli).

كما أن جرار الألاباستر والأواني من حجر الاستيتايت تنتشر في معظم أجزاء الخليج وعثر عليها في أجزاء كثير بالمنطقة خارج جزيرة تاروت في المدافن بالظهران وأبقيق وثاج وقد جمع جفرى بي بي من التلال في الجنوب والجنوب الشرقي والغربي من الموقع ويعتقد أنه موضع المقبرة القديمة في ثاج.

وبالاضافة إلى ما تمّ عرضه نجد أنه من السهولة بمكان ايجاد مقارنة بين مناطق أثرية بساحل الخليج العربي فمثلا الفخار بمستوطنة هيلي بالامارات العربية صنفت إلى أربعة أنواع (الآثار في دولة الامارات العربية) :

أ ــ أوعية أنبوبية

ب ــ أوعية أنبوبية مفتوحة

ج ــ جرار أنبوبية

د ــ جرار كبيرة للتخزين.

وأغلب هذه الأنواع متواجدة بالمنطقة كما أن الأواني الحجرية التي اكتشفت بمواقع المدافن بالمنطقة تتشابه وقطع الاستيتايت الأبيض والمزخرف من الأوعية المفتوحة في دبا على الساحل الشرقي بعمان وتتشابه والأواني الحجرية بجرن بنت سعود بالامارات.

وأخيرا فكل ما سبق عرضه يلخص حقيقتين هاتين :

أولا : الترابط الحضاري بين أجزاء الخليج الغربية فهي وحدة حضارية متشابهة وترتبط ارتباطا حضاريا بوادي الرافدين والمراكز الحضارية في جنوب الجزيرة.

وهناك أدلة وشواهد تثبت العلاقات التجارية بين مناطق حضارية داخل الجزيرة العربية ففي موقع الحجار بن حميد بوادي بيحان عثر على تماثيل آدمية وحيوانية وهذه تكثر بموقع ثاج وأدوات الألاباستر والأدوات الحجرية التي استخرجت من مواقع المدافن بالمنطقة تتماثل وما عثر عليه بموقع الحجار بن حميد بجون الجزيرة ومداخل البخور (Incense Burners) جنوبية الطابع وجدت بمواقع ثاج.

ثانيا : الترابط التجاري والعلاقات التجارية التي ساهمت في التمازج الحضاري بين المراكز الحضارية في ايران وبلاد السند وأفغانستان يثبت النشاط التجاري الكبير الذي شهدته المنطقة فمثلا وجود رؤوس السهاما لبرونزية أو النحاسية العريضة في الوسط على شكل ورقة النبات بأجزاء كثيرة بالمنطقة وجدت في تب جوران بايران (Tape Guran) ويرجع تاريخ هذه الرؤوس البرونزية إلى القرن الثالث عشر ق.م حسب الكربون المشع (C 14) (الآثار دولة الامارات العربية ص 12).

الخاتمـــــة :

هناك علاقة وثيقة بين أجزاء ومراكز حضارية في جزيرة العرب وقد وطّد هذه العلاقة خطوط القوافل التجارية والأجزاء الشرقية من الجزيرة نالت النصيب الأوفى فقد سيطرت على التجارة من جنوب الجزيرة عن طريق اليمامة عبر المركز الداخلي لدولة كنده في الفاو وعن الطريق البري الساحلي من ظفار وعمان إلى مراكز التجارة في الأجزاء الشرقية من المملكة فعن طريق التجارة والتجار انتقلت مظاهر حضارية كالأدوات المستعملة في أنماط العمارة ومنها عمارة المدافن، والمنطقة الشرقية امتزجت فيها حضارات عدة من الشمال والجنوب ومثال ذلك العثور على كتابات جنوبية في عام 1911 في هجرة ثاج بواسطة شكسبير المعتمد البريطاني بالكويت وقد اعتبر دليلا ماديا على العلاقة التجارية والثقافية بين جنوب الجزيرة وشرقها ويورد الدكتور جواد على أن المقابر على المرتفعات مقابر الصيادين أو الرعاة أما المقابر في السهول فهي مقابر المزارعين. **(تاريخ العرب قبل الاسلام ج1 540 ـ 541).**

وأرى أن المقابر التي على المرتفعات هي مقابر للتجار الذين كانوا يحملون بضائعهم إلى بلاد سومر ودفن كذلك الصيادون والرعاة موتاهم وإلى ذلك يعزى وجود أنماط جيدة معتنى بها من المدافن ووجود أنماط ذات عناية قليلة علاوة على موجودات بعض المدافن فبعضها ثمين والبعض لا يحتوي على شيء أو يحتوي على أشياء رخيصة الثمن وهذا يعطي انطباعا عن وجود طبقات متفاوتة حضاريا في منطقة واحدة فسكان المدن التجارية أو الساحلية أو الزراعية على جانب حضاري أكثر من الرعاة (الحياة البدوية) وهذا الانقسام أوجد جذورا في التقسيم الاجتماعي (مجتمع بدوي وحضري وقروي) حتى الآن.

وعلى ذلك يمكننا التساؤل هل تلك القبور المتواجدة بأبقيق قبور التجار الذين كانوا يحملون تجارتهم من جنوب جزيرة العرب أو من بلاد عمان الذين يسلكون الطريق الساحلي مرورا بمدينة الجرهاء القديمة فيدفنون موتاهم على الطريقة التي اعتادوها أو تأثروا بها في بلاد الرافدين حيث أن هذه القبور تتماثل والقبور المكتشفة بدولة الامارات العربية فطريقة الدفن سادت بشكل يتشابه في شرق الجزيرة وجنوب بلاد الرافدين للصلات التجارية التي كانت سائدة وإلا فان مثل تلك القبور في منطقة خالية من مقومات الحياة الاستيطانية فانه من غير المجدي استخدام منطقة دفن بعيدا عن مدينة استيطان.

أما القبور الموجودة في تاروت وهي تتشابه في موجوداتها مع القبور في عمان وبلاد الرافدين فهي دليل على التماثل الحضاري الذي عاشته المنطقة في تلك الحقبة الزمنية ويدلل على أن سكان المنطقة لم يكونوا بمعزل عن التأثر والتأثير في حضارات مجاورة لهم.

وفي تاروت تحتل المستوطنات طبقات تحت الأرض لاستمرارية الاستيطان حتى الآن بتلك المنطقة.

ومن تتبع خط القوافل التجارية المحاذي للساحل من عمان والذي يتصل بجنوب الجزيرة العربية نجد أنه يمر بمناطق خصبة كواحة الاحساء ومنها بمحاذات الساحل إلى العقير وجنوب منطقة أبقيق إلى منطقة رأس القرية ومنها عبر الساحل إلى عين السيح جنوب الظهران حيث منطقة استيطان على الساحل في الخبر مواقع الظهران والخبر والدمام وحتى القطيف ومنها إلى الجبيل ورأس أبو علي حتى الكويت إلى بلاد سومر جنوب العراق ومن هذا نجد أن أهمية هذه المنطقة التجارية قد استمرت لفترات متعاقبة خلال التاريخ القديم ولهذا فليس من الغريب تواجد فترات عدة من المقابر بهذه المنطقة أو تباين في فترات من الألف الثالث تتماثل وقبور جمدة نصر بالعراق على غرار ما قامت به السيدة / Karen Frifelt في الامارات العربية وأعتقد أن تاريخ المنطقة سلسلة متصلة الحلقات.

الثراء الذي تميزت به المنطقة نتيجة حتمية لتعدد مجالات الرزق كأعمال الصيد في البر والبحر ومزارع النخيل في القطيف والاحساء ووقوع تلك المنطقة على خطوط التجارة البرية والبحرية من جنوب الجزيرة موطن اليخور وعمان حيث مناجم المعادن والأحجار الكريمة والحتمية الجغرافية التي ساهمت في انشاء مراكز تجارية بالجزء الشرقي للخليج ومن ضمن هذه المراكز ما يقع ضمن حدود المملكة العربية السعودية كجزيرة تاروت وجنة والمسلمية ومدينة الجرهاء.

وفي منطقة الظهران تلال تمثل مدافن جماعية وقد أشار د/جواب علي إلى أنه عثر على بقايا جماجم بشرية تبين من دراستها وفحصها على أنها من العصور (البرونزية) (جواد علي ج1).

والمعروف أن منطقة جنوب الظهران والخبر هي الجزء المقابل مباشرة لحضارة مملكة دلمون (جزر الأوال) وقد ذكرت هذه المملكة في السجلات السومرية والأساطير التي تكلمت عنها كبلد الخبر والنماء والسحر والجمال كما وصفتها الكتابات السومرية وعلى ذلك فربما كانت مقصد حجهم لانتمائهم إلى أرض الخلود وللاعتقاد بالحياة الأخرى (لا مبرج كارلوفسكي/الشرق الأدنى) ولقد دلت نتائج التنقيبات والأعمال الميدانية على أن قبس الحضارة السومرية منذ عصر الوركاء قد انتشر إلى أجزاء ومراكز في منطقة الخليج.

والمدفن الذي تمّ تنظيفه يتخذ شكل حرف (T) وربما كان لهذا الشكل دلالة دينية وارتباط حضاري في فترات ما قبل السلالات ببلاد العراق فقد أشار /د/صبحي أنور رشيد إلى أن الحفريات بمدينة الوركاء بالطبقات (6 ـ 4) من حفريات المدينة كشفت معبد مشيدا بحجارة كلسية وبداخله غرف وسطية بهيئة حرف التاء الانجليزي (T) وأن يكون هناك تفاوت في الأبعاد الا أن الشكل لا بدّ أن يكون له مدلول ديني لدى شعوب تلك المنطقة.

ويورد/جواد علي رواية أن سرجون الأكدي استولى في حوالي السنة (2300 ق.م) على البحرين وقطر (ص/545) وقد وجدت جرار فخارية كبيرة في منطقة جنوب أبقيق يحتمل أنها استعملت كمقابر وتعود في تاريخها إلى الألف الثالث ق.م تتشابه مع موجودات فخار العصر الأكدي.

وعلى ذلك فهناك شمولية حضارية في فترة العصر البرونزي لعدة مراكز حضارية كالمدافن التي اكتشفت في جزر البحرين ومدافن الظهران ومدافن عمان والامارات العربية وكل هذه الحضارات مرتبطة بحضارة بلاد النهرين.

والمدافن بحاجة إلى تحليل ودراسة مستفيضة بدراسة الأختام المعثور عليها بحقل مدافن لاعطائها تاريخا كما حصل في تاريخ الأختام الاسطوانية التي عثر عليها في عمان كما فعل بيرامت في دراسة أحد الأختام من مقابر جزيرة أم النار حيث أرجعه إلى عصر فجر السلالات الأول (Karen Frifelt) (E.D.1 ... Amiet 1975).

والعلاقات التجارية بين بلاد الرافدين وسواحل الخليج العربية كذلك اكتشاف المدافن التي تعود لفترات مختلفة يؤكد اتصال شرق الجزيرة حضاريا مع العالم الخارجي ابان حقب تاريخية وقد أوضحت السيدة/كبرن فرفلت أن قبور أم النار ربما كانت نمطا متقدما من قبور جمدة نصر ذات البناء البسيط الجديد. (دراسات عمان ص 67) وربما كان ذلك مطابقا لقبور الظهران فهي نموذج متقدم للقبور في أبقيق.

وبالرغم مما وصل إليه علم الآثار من اكتشافات هائلة في سبر أغوار علم الحضارات القديمة فان تلك الدراسات لازالت تكتشف آفاقا جديدة لحياة الانسان القديم وتحاول تفسير الأنظمة والقوانين التي كانت ترتكز عليها ولا زال هناك بعض السلوكيات في حياة أولئك القدماء غير معروفة وغير مدركة.

وأخيرا فالمدفن أو القبر هو منزل ومسكن الانسان بعد مفارقته الحياة وهذا ما حدا بالانسان منذ القدم إلى العناية بمقر جثمانه ومسكنه الذي سيمكث به مدة أطول بكثير من حياته على ظهر البسيطة وربما لدى أقوام مدى الحياة حسب الاعتقادات الثقافية والاجتماعية والأثري والمؤرخ يجب أن يعطي عناية كبيرة بمدفن الانسان القديم عناية لا تقل عن اهتمامه بمعالم الحياة في المدن والقرى والأحياء القديمة.

المراجــــع

أ/ المراجع العربية :

1 ـ الادارة العامة للآثار والمتاحف ـ مركز المسح الأثري ـ

أ) تقارير المسح الأثري للمنطقة الشرقية لعام 75، 76، 1977 م.

ب) تقرير المسح الأثري للجزء الجنوبي من المنطقة الوسطى 1978 م.

ج) تقرير المسح الأثري للمنطقة الجنوبية الغربية (وادي ترج) 1980 م./الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

2 ـ الادارة العامة للآثار والمتاحف ـ حولية الأطلال ـ

العدد الأول 1397 هـ ـ 1977 م.

العدد الثاني 1398 هـ ـ 1978 م.

الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

3 ـ دولة الامارات العربية (الآثار في دولة الامارات العربية).

4 ـ د. جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ (الجزء الأول ـ مكتبة النهضة ـ بغداد 1976 م).

5 ـ حسين الأمين ـ مذكرات في تاريخ اليونان والرومان ـ (مؤسسة الأنوار الرياض 1972 م).

6 ـ سليمان سعدون البدر ـ منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد الكويت 1974 م.

7 ـ د. صبحي أنور رشيد ـ موجز تاريخ العراق القديم ـ (جامعة الرياض كلية الآداب) مؤسسة الأنوار 1970 م).

8 ـ عبد الرحمن بكر الكباوى ـ مدافن العصور القديمة في المملكة العربية السعودية (الحرس الوطني العدد 3) الرياض 1981 م.

9 ـ د. عائدة سليمان عارف ـ مدارس الفن القديم ـ بيروت 1972 م.

10 ـ محمد سعيد المسلم ـ ساحل الذهب الأسود ـ دراسة تاريخية انسانية لمنطقة الخليج العربي ط1 ـ مكتبة الحياة/بيروت).

11 ـ د. محمد متولي ـ حوض الخليج العربي ج1 ـ مكتبة الأنجلو المصرية 1978 م.

12 ـ وزارة التربية والتعليم قسم الآثار (متحف البحرين الوطني) البحرين 1970، 1976 م.
وزارة التربية والتعليم جمعية تاريخ الآثار/البحرين.

ب/ المراجع الأجنبية :

Al-Tarawneh, Fayez. Translated into English by : A. Aziz Fakhroo. «A Report On Al-Hajjar Excavations-Mounno. (1) Season 1970.

Bibby, Geoffrey. 1 — Looking for Dilmum. 1973.
2 — Preliminary Survey In East Arabia 1968.

Buckley, D.G. In de Cardi
B. (ed.) Qatar Archaeological Report excavations, Oxford, 1978.

Caspers, E.G.L.D.
«The Bahrain Tumuli» Proceedings of Seminar for Arabian studies Institute of Archaeology, London, 1976.

Cornwall, P.B. Ancient Arabia : Explorations In Hasa 1940-41, p. 28-50.

De Gaury, G.
«A Burial Ground In Al-Khary» Geographical Journal — 106, 1954, p. 152 FF.

Engberg, M.
«Tombs of The Early Second Millennium from Baghouz on The Middle Euphrates». Basor, 87, 1942, p. 17 FF.

Goding, Marny.
Evedence for Pre-Seleucid Occupation of Eastern Arabia. SAS. V.4 London, 1974.

«Hajar Bin Humeid» Investigations at a Pre-Islamic Site in South Arabia.

Lamberg-Karlovsky, C.C. Dilmun, Gateway to Immortality. J.N.E.S. p. 45-50.

Parr, P.d., Harding, G.L.,
«Preliminary Survey In N.W. Arabia, 1968». Bia, London, No. 10, 1971-72, p. 25 FF.

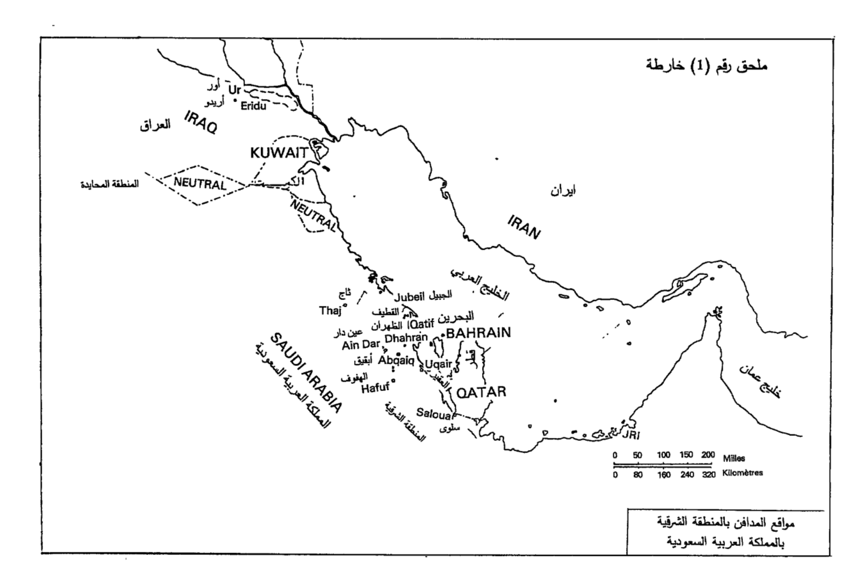
Potts, Daniel, The Jamdat Nasr Culture Complex
in The Arabian Gulf C. 3000 B.C. Riyad, 1979.

Murad, A.S. «Prehistory In The Arabian Peninsula».

Vidal, F.S. «The Jawan Chamber Tomb»
Dammam, December, 1953.

Thompson, G. Gaton. The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut).

Frifett, Karen. A possible Link between the Jemdet Nasr and the Umm an-Nar Graves of Oman. J.O.S. UI, 1975.



ملحق رقم (1) خارطة

مواقع المدافن بالمنطقة الشرقية
بالمملكة العربية السعودية

ملحق رقم (2) : ثبت بمحتويات مدافن جنوب مطار الظهران

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى.	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4279	فخار		المدفن رقم 4	من داخل المدفن	اغريقي	أجزاء من صحن أو صحيفة فخارية ذات قاعدة مستديرة مدهونة بطلاء أحمر.
4348	«		المدفن رقم 2	سطحية	«	جزء من آنية فخارية.
4355	«		المدفن رقم 3	من داخل المدفن	«	اغريقي من المستوى الأول من محتويات المدفن وجزء من آنية فخارية حمراء تحمل الرقم 4356.
4358	«		المدفن رقم 3	من داخل المدفن	«	فخار اغريقي وقطعة واحدة ذات حافة دلمونية النمط.
4359	«		المدفن رقم 2	سطحية	اغريقي/دلموني	قطعتين لامعتين دلموني النمط ومعظم القطع الاخرى اغريقية سلجوقي.
4360	«		المدفن رقم 3	من داخل المدفن	اغريقي	معظم الفخار بهذه المجموعة اغريقي وبعضه دلموني.
4361	«		المدفن رقم 4	من داخل المدفن	«	معظم الفخار بهذه المجموعة اغريقي وبعضه لم يستبأن بعد وكذلك لمجموعة رقم 4362.
4363	«		المدفن رقم 3	من داخل المدفن	الألف الثالث ق.م. فجر السلالات دلموني/اغريقي	(4) قطع دلموني، قطعتين يحتمل انها ترجع لفترة الألف الثالث ق.م. (فجر السلالات) والمجموعة رقم 4366 ثلاث قطع دلموني والبقية تبدو اغريقية والمجموعة 4367 من المستوى الثاني بالحفرية اغريقي واحدة احتمال أن تكون دلموني وثلاث قطع دلمونية الطابع.
4370	«		المدفن رقم 2	من داخل المدفن	اغريقي/دلموني	ثلاثة قطع دلموني والبقية اغريقي.
4371	«		المدفن رقم 4	من داخل المدفن	اغريقي	قطع فخارية اغريقية وكذلك المجموعة رقم 4372 وحلة بنية لامعة مطلية والطلاء نمط اغريقي.
4373	فخار		المدفن رقم 3	من داخل المدفن	اغريقي	قطع فخارية لزبدية اغريقية.
4374	«		القبر 2 ـ المرتفع 2	سطحية	الألف الثالث ق.م.	حافة نمط فجر السلالات.

موسى

تابع الظهران

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات فخارية	الملتقطات أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4376	»	زينة	المرتفع 4	»		اسورة صغير حديدية.
4380		»	»	»		خرزة صغيرة خضراء.
4383		»	المدفن 3 القبر 2	من داخل المدفن		اسورة من النحاس.
4384		»	المدفن 3 القبر 2	» »		خرزة زرقاء.
4385		»	المدفن 3 القبر 2	» »	نحاسي	خاتم نحاس مسطح.
4386		»	المدفن 3 القبر 2	» »		أدوات تجميل وخاتم.
4443	»		المرتفع رقم 7	سطحية	اسلامي/اغريقي	فخار اسلامي مبكر واغريقي وربما بعض القطع ترجع لفترة دلمون وكذلك المجموعة رقم 4444 فخار أحمر مطلي.
4352	»		المرتفع رقم 11	سطحية	اسلامي/اغريقي	قليل من الفخار الاسلامي ومعظم المجموعة من الفخار ويرجع لفترات أقدم كالألف الثاني مثلا.
4456	»		المرتفع رقم 16	»	اسلامي/اغريقي	معظم المجموعة اغريقي وبعض الفخار المزجج الاسلامي وبعض القطع الفخارية ترجع لأقدم من ذلك نمط دلموني.
4453	فخار		المرتفع رقم 3		بابلوني	مرتفع يرجع للفترة البابلونية وأرقام المجموعات من 4493 الى 4515 كلها من حفرية بهذا المرتفع بداخل غرفة طراز اسلامي مبنية فوق المرتفع ووجد بعض القطع الفخارية ترجع للعصر السلجوقي والبابلوني والاسلامي لفترات مختلفة.
4515		عظام	المرتفع رقم 3	سطحية	»	
4572	فخارية		المرتفع رقم 3		اغريقي/دلموني	واحدة دلموني والبقية اغريقي.

تابع الظهران

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات فخارية	الملتقطات أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4579	«		المرتفع رقم 64	«	الألف الثالث ق.م.	يتماثل وفخار أم النار وفخار فجر السلالات.
4587	«		المرتفع رقم 52	«	«	فخار مبكر ويتضمن فخار ذا طينة مخلوطة بالاصداف البحرية.
4590	«		المرتفع رقم 57	«	«	فخار ذو طينة سوداء أو طلاء بلون أحمر مائل للسواد.
4592	«		المرتفع رقم 54	«	قبل الاسلام	فخار مبكر يعود لفترة ما قبل الاسلام وقطعتين من الفخار المخلوط بالقواقع البحرية (محلي الطابع).
4602	«		المدفن 3 الحفرية 2	داخل المدفن في النهاية الجنوبية الغربية		قارورة فخارية صغيرة مفلطحة الشكل ذات قاعدة مدببة.
4603	«		المدفن 3	داخل المدفن في النهاية الشمالية الشرقية		اناء رخامي صغير ذا حافة دائرية صغيرة مفقود القسم الاسفل منه.
4604	«		المدفن 3 الحفرية 2	النهاية الجنوبية الغربية		جرة فخارية صغيرة ذات حافة دائرية الشكل ذات لون أسود محروق ولون زهري.
4609	«		المرتفع 25 الحفرية 1	من حفرية المستوى 1		مختلف الاشكال والانواع ويمكن تصنيفه الى الفترات التالية : اسلامي مبكر، اغريقي، بابلوني، وبعض القطع ترجع لا بعد من ذلك وكذلك المجموعات رقم 4610 و 4612 و 4613 و 4614 ومن المستوى الثالث المجموعات 4616 و 4618 و 4619 ومن المستوى الرابع المجموعتان رقم 4620 و 4622.
4611			المرتفع 25	المستوى 1		تمّ جمع عينات من الأحجار الصوانية والمجموعة متماثلة مع المجموعة رقم 4615 و 4617 و 4621 وكذلك المجموعة 4623.

موسى

تابع الظهران

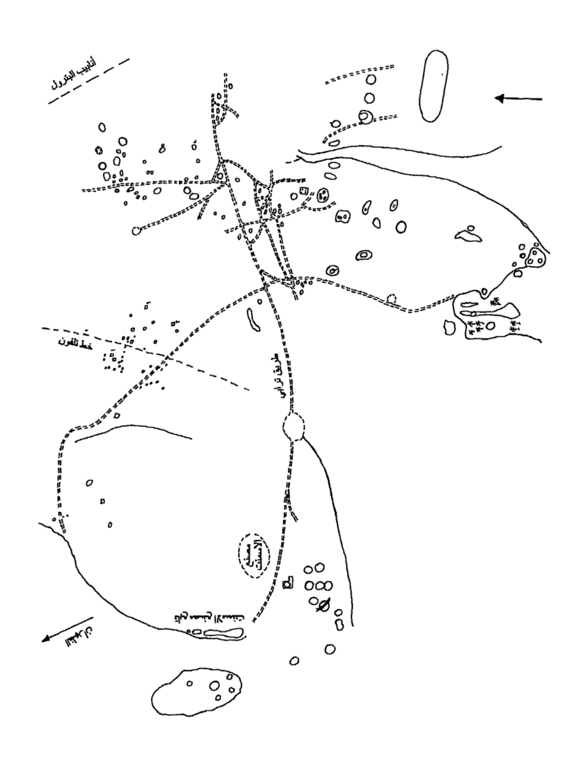
رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4665	»		المدفن رقم 5	سطحية	دلموني/فجر السلالات	قطع فخارية دلمونية وبعضها يتماثل مع فخار أم النار.
4666		خرز	المدفن رقم 5	خارج المدفن		خرزة من العقيق اسطوانية الشكل مطوق باللون البني والاسود والبرتقالي والأبيض.
4667		»	المدفن رقم 5	خارج المدفن		قطعة من حجر الدايوريت الأسود المنقوش.
4668	»		»	»		قطع فخارية متنوعة.
4669	»	عظام	المدفن رقم 5	»		عظام حيوانية.
4670		»	المدفن رقم 5	من داخل المدفن		عظام آدمية (Human bons) وكذلك المجموعة رقم 4671.
4680			جنوب المطار	سطحية	سلجوقي/دلموني	قطع تتماثل وفخار دلمون المعروف وقطع ترجع للفترة الاغريقية تتماثل وما عرف بالفترة السلجوقية من الفخار الانبوبي وفخار يتماثل وفخار وادي الرافدين فجر السلالات بني اللون.
4681		زينة	المدفن رقم 5	من داخل المدفن		1/ خرز من الحجر الجبري المختلط بمواد عضوية بحرية. 2/ خرز رخامي ارجواني اللون. 3/ خرزة صغيرة دائرية الشكل من الجشمت (حجر كريم) مخروطة مزدوجة. 4/ خرزة من حجر الدايوريت مفلطحة دائرية. 5/ خرزة برتقالية دائرية من الرخام. 6/ خرزة اسطوانية كبيرة من حجر الصلصال الرمادي.

موسى

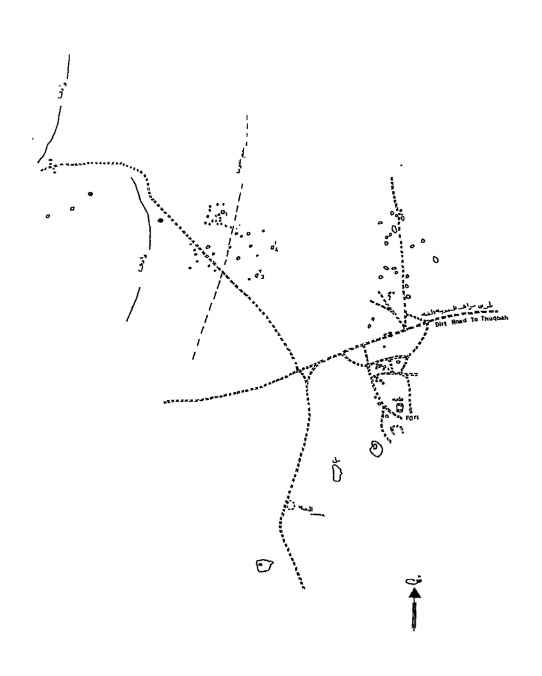
تابع الظهران

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4682		زينة	المدفن رقم 5	من داخل المدفن		خرزتان من طوق من العقيق، اسطوانيتان واحدة بنية وبيضاء لامعة والأخرى سوداء وبيضاء لامعة.
4683		زينة	»	»		عقد وجد فوق عظام آدمية داخل المدفن ويتكون من : – عدد (11) خرزة زجاجية بنية مائلة للسواد دائرية الشكل. – عدد (13) خرزة زجاجية بنية مائلة للسواد دائرية الشكل. – عدد (4) خرزات زجاجية سوداء دائرية الشكل وثلاث خرزات من هذا النوع مكسورة.
4684		زينة	»	»		عقد يتكون من عدد (13) خرزة دائرية الشكل من الصدف الابيض المسطح.
4685		زينة	»	»		عدد (3) من الخرز الزجاجي اللامع واحدة ذات مَفاصل واثنتان بشكل ثنائي مخروطي وكذلك للمجموعة رقم 4686.
4688		زينة	المدفن رقم 5	من داخل المدفن		خرزة كبيرة دائرية زجاجية بلون قوس قزح (متعددة الألوان براقة).
4689		»	المدفن رقم 5	من داخل المدفن		خرزتان صغيرتان مدحرجتان بلون أبيض لامع.
4690		زجاج	»	»		قارورة زجاجية.
4691		زينة	»	»		عدد (18) خرزة صغيرة دائرية مختلفة الألوان لامعة وبعضها مهترئ.
4692		عظام	»	»		عظام آدمية.
4693	فخار		من قبر شمال الخبر	سطحية	الألف الثالث ق.م. + اغريقي	عدد (6) قطع بنية اللون تتماثل مع فخار فجر السلالات وقطع آخر تتماثل والعصر السلجوقي.
4694	»		»	»	أغريقي	يتماثل والفخار السلجوقي.
من 4703 الى 4730	»	صوان	المواقع من الموقع 65 – 91		مختلفة	قطع فخارية تنتمي لفترات مختلفة لما قبل الاسلام وبعضها يحتوي على فخار اسلامي كالموقع 80 و 81 والمواقع 83 و 88 و 91 تحتوي على أدوات صوانية أيضا.

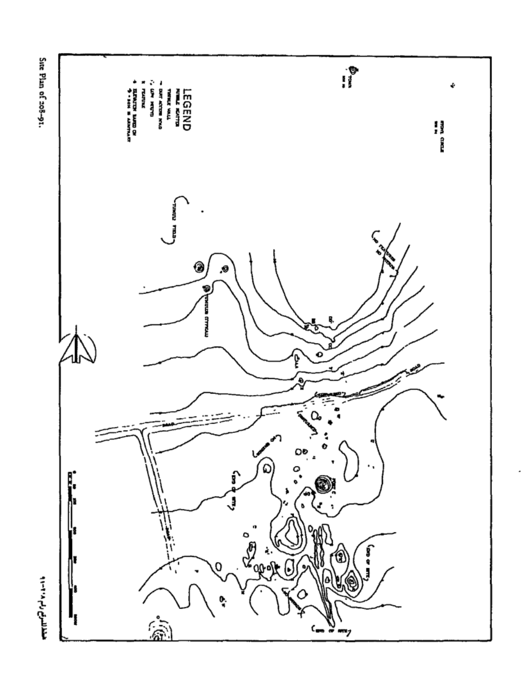
موسى



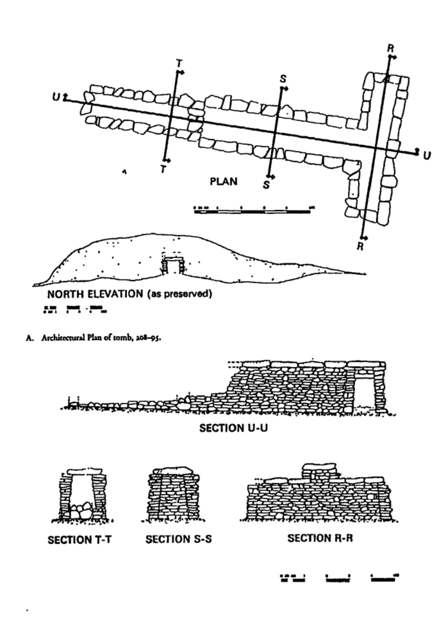
ملحق رقم (3) : مخطط مساحي يظهر جميع المدافن .
التي تمّ تعيينها أثناء عملية مسح المنطقة الشرقية بما في ذلك المدافن الصغيرة



ملحق رقم (3 ب) : مخطط مساحي يظهر مواقع المدافن التي عمل بها محسات من 1 الى 7
وهي مدافن جماعية بحقل المدافن جنوب مطار الظهران



ملحق رقم (4) : مخطط عن حولية الآثار العربية السعودية العدد الثاني 1398 هـ ـ 1978 م



ملحق رقم (5) : مخطط عن حولية الآثار العربية بالسعودية العدد الثاني 1398 هـ 1978 م

ملحق رقم (6) : ثبت بمحتويات مدافن جنوب أبقيق (منجم الملح)

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4246	فخار		القبر رقم 2	من داخل القبر		ـ جرة فخارية متوسطة الحجم غير كاملة مخروطية الشكل.
4277	»		القبر رقم 3	من داخل القبر جنوب شرقي		ـ جرة فخارية صغيرة غير كاملة متآكل بعض أجزائها ذات لون بني.
4278	»		القبر رقم 13			اناء فخاري على شكل ابريق ذو حافة واسعة وله مصب.
4280	»		القبر رقم 10		اسلامي/سلجوقي	
4303	»		حقل المدافن	سطحية		
4304	»		»	»		
4305	»		»			جزء من آنية فخارية.
4319	»		المدفن رقم 1			
4320	»		حقل المدافن شمال غرب	سطحية		فجر السلالات حافة قنينة فخارية.
4321	»		القبر رقم 5			جرة ذات مصب.
4322	»		القبر رقم 5			قاعدة لآنية حمراء.
4323		زينة	القبر رقم 8			عدد (43) قطعة من حجر الصلصال الرمادي اللون والابيض وعدد 12 صدف بحري.
4324	»		القبر رقم 6			قاعدة + حافة + قطع لبدن حلة تعود لفجر السلالات.
4325	»		حقل المدافن	سطحية		فخار ترجع لفجر السلالات.
4326	»		القبر رقم 5			أداة رمادية. إناء رمادي من الفخار.

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4327		زينة	القبر رقم 6			خرزة صغيرة ذات لون قرنفلي.
4328	»		حقل المدافن	»		حافة + أكتاف لآنية رمادية ذاكنة لامعة.
4329	»		القبر رقم 12	»		
4330	فخار		القبر رقم 13			قطعة كبيرة مدورة أما أن تكون من كتف أو قاعدة.
4331	»		القبر رقم 14			قطع من الفخار الصلب الرمادي الداكن وذو الملمس الناعم في الداخل أو الخارج.
4332	»		القبر رقم 11			
4333						قطع بنية لقدر يعود لفجر السلالات.
4334						المجموعة 4334 تتضمن فوهة سوداء ممسوحة وحافة حمراء وقطعة من قاعدة.
4335	»		القبر رقم 10			قطعة من أعلى كتف جرة قرنفلي لمصب ترجع لعصر السلالات.
4336			القبر رقم 13			قطع تتضمن قطعا مستديرة حمراء مدورة سوداء السطح.
4337	»		»	من داخل الغرفة (د)		جزء من كتف أو بدون لقدر فخاري بني / فجر السلالات.
4338	»		»			قطع تحتوي على فخار من عصر حضارة جزيرة أم النار.
4339	»		»			قاعدة دائرية لمصب وعاء بني اللون.
4349	»		القبر رقم 8			قطع فخارية لبدن قدر فخاري أحمر.
4350	»		القبر رقم 2			حافة قرنفلية اللون من كتف ـ وقاعدة دائرية.

موسى

تابع أبقيق

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4351	»		القبر رقم 13	من غرفة الدفن (د)		قطع فخارية بنية.
4352	»		القبر رقم 6			قطع فخارية بنية اللون.
4353	»		القبر رقم 1			حافات آنية فخارية.
4354	»		القبر رقم 4			قدر كامل وقاعدة دائرية بنية اللون.
4357	»		القبر رقم 5			قدر يتماثل وفخار أم النار.
4372		عظام	القبر رقم 13			كسر من العظام المهترية وخرزة صغيرة جدا دائرية.
4377	فخار		القبر رقم 8			قاعدة فخارية من أم النار وقطع فخارية حمراء لقدر فخاري.
4378	»		القبر رقم 9			قطعة من عنق قدر يعود لعصر أم النار.
4379	»		حقل المدافن	سطحية		خرزة صغيرة قرنفلية اللون.
4381			القبر رقم 7			عدد (3) قطع حمراء لون المغرة الصفراء.
4382	»		القبر رقم 7			خرزة من الصدف دائرية الشكل مخروقة في وسطها.
4387			القبر رقم 7			مغزل حلزوني من الصلصال وتمر يابس.
4388			القبر رقم 14			عظام.
4389		زينة	القبر رقم 7			خرز اسطواني من الصدف ابيض اللون ـ حجر رمادي من الصلصال.
4593	»		القبر رقم 23	من غرفة الدفن 2		
4594	»		القبر رقم 8			
4595			القبر رقم 5	من الجهة الجنوبية الشرقية		جزء من ابريق فخارية من مصب.

موسى

تابع أبقيق

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
4596	«		القبر رقم 9	الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية		جزء من القسم الأوسط لاناء فخاري ناعم مدهون بطلاء أحمر اللون في بعض أجزائه.
4597	«		القبر رقم 11	الجهة الجنوبية الشرقية		جزء من القسم الأعلى لاناء فخاري.
4598	«		حقل المدافن	سطحية		الجزء الاعلى لاناء فخاري ذا حافة مستديرة ورقبة قصيرة.
4599	«		القبر رقم 8	الجزء الشمالي		جرة فخارية صغيرة غير كاملة مفقودة بعض اجزائها.
4600	«		القبر رقم 12	الجنوبية الغربية		جرة فخارية مكسورة ومفقود بعض من اجزائها.
4601	فخار		القبر رقم 4			جرة فخارية كبيرة مكسورة ومرممة مفقود بعض أجزائها.
4607	«		حقل المدافن			أجزاء من اناء فخاري تشتمل على أجزاء من الحافة وبدون الاناء.
4629	«		القبر رقم 5	الجنوب الشرقي		اجزاء من اناء فخاري تشتمل على القاعدة وأجزاء بدن وحافة الاناء.
4630	«		حقل المدافن			فخار 1 اغلبة اسلامي وعدد 1 فجر السلالات حمراء اللون.
4631	«		«			عدد 1 فجر السلالات أحمر اللون.
4632	«		«			ـ وتظهر المجموعات من : 4632 ـ 4646 ثمانية أشكال من فخار فجر السلالات بوادي الرافدين : 1/ فخار أحمر 2/ 3/ طبقة سوداء بداخل الآنية والفخار أحمر ذو طبقة سوداء وهناك نمط أيضا الطبقة السوداء في الخارج.

موسى

تابع أبقيق

رقم القطعة أو المجموعة	الملتقطات: فخارية	الملتقطات: أخرى	المصدر	المكان	الفترة التقريبية	وصف القطعة أو المجموعات
						وفخار أحمر سادة ـ ومنه أيضا بطبقة سوداء داخلية وخارجية. 5/ واجهة سوداء وفخار أحمر. 6/ فخار أم النار. 7/ فخار أحمر مطلي من الداخل. 8/ أسود أحمر الواجهة.
4872	فخار		حقل المدافن	سطحية		ـ أحمر رمادي وطبقة كريمية اللون، كسر فخارية برتقالية ـ فخار بلون الفحم النباتي رمادي اللون وأحمر مائل للبني مطلي. وفخارية بني ذو طبقة سوداء وقطعة من الستيتيت ـ الحجر الصابوني قطع فخارية مزججة.
4875	»		حقل المدافن	سطحية		فخار متنوع.

موسى

ملحق رقم (7) : قائمة بصور بنماذج من موجودات مدافن أبقيق والظهران

رقم القطعة	التعريف بها
4594	فخار من أبقيق المدفن رقم (8) عام 1975 م.
4593	فخار من أبقيق من المدافن رقم (13 جـ) عام 1975 م.
4595	ابريق فخاري مع مصب من ابقيق المدفن رقم 5 الجهة الجنوبية الشرقية من الموقع عام 1975 م.
4596	اناء فخاري مفقود بعض اجزائه ناعم، مدهون بطلاء أحمر اللون في بعض أجزائه. عام 1975 م ابقيق القبر رقم (9) الجزء الجنوبي الشرقي.
4597	ملتقطات سطحية / جزء من جرة اسطوانية الشكل وتظهر فيها عنق الجرة العلوية. من حقل المدافن المرتفع (قبر رقم (1) ابقيق عام 1975 .م
4598	الجزء الاعلى لاناء فخاري بحافة مستديرة ورفيعة وقصيرة / ابقيق من حقل المدافن المدفن رقم (15) عام 1975 م.
4599	جرة فخارية صغيرة غير كاملة مفقود بعض أجزائها / ابقيق القبر رقم (8) الجزء الشمالي عام 1975 م.
4600	جرة فخارية مكسورة ومرممة ومفقود بعض اجزائها. من تل القبر رقم (12) ملتقطات سطحية الجزء الجنوبي الغربي من الموقع ابقيق عام 1975 م.
4622	قطع فخارية من المرتفع 25 الظهران 1975 م.
4626	قطع فخارية مختلفة الظهران مرتفع 25 المدفن رقم 25 المستوى الخامس عام 1975 م.
4629	أجزاء من اناء فخاري تشتمل على القاعدة واجزاء من بدن وحافة الاناء / ابقيق مرتفع رقم (5) الجزء الجنوبي الشرقي عام 1975 م.
4666	الظهران / القبر رقم (5) ملتقطات سطحية خارج الضريح خرزة اسطوانية من العقيق. عام 1975 م.
4667	المدفن رقم (5) خارج المدفن قطعة من حجر الدايوريت الاسود النقوش وقد ساد هذا خلال عصر حمدة نصر عام 1975 م.
4681	الظهران / المدفن رقم (5) خرز من الحجر الجيري المخلوط بمواد عضوية بحرية ومخروق الوسط باستخدامه كعقد / الظهران. 1976 م.
4682	الظهران / خرزتان من طوق من العقيق / اسطوانيتان واحدة بنية وبيضاء لامعة والأخرى سوداء وبيضاء لامعة من داخل المدفن رقم (5). عام 1975 م.
4683	الظهران / المدفن رقم (5) من داخل المدفن / عقد وجد فوق عظام آدمية ويتكون من عدد (11).خرزة زجاجية بنية مائلة للسواد دائرية الشكل. عدد (13) خرزة زجاجية بنية مائلة للسود دائرية الشكل وعدد (4) خرزات زجاجية سوداء دائرية. وثلاث (3) خرزات من نفس النوع مكسورة. عام 1975 م.

تابع ملحق رقم (7)

رقم القطعة	التعريف بها
4684	الظهران / المدفن رقم (5) من الداخل. عقد يتكون من عدد (13) خرزة دائرية الشكل من الصدف الابيض المسطح عام 1975 م.
4685	الظهران / المدفن رقم (5) من داخل المدفن عدد (45) من الخرز الزجاجي اللامع، ذو مقاطع حادة. عام 1975 م.
4686	الظهران / عدد (3) ثلاث من الخرز الزجاجي اللامع. واحدة ذات مفاصل واثنتان مخروطتا الشكل. عام 1975 م.
4688	الظهران / المدفن رقم (5) خرزة كبيرة دائرية زجاجية بلون قوس قزح (متعددة الالوان) عام 1975 م.
4689	الظهران / المدفن رقم (5) من الداخل. خرزتان صغيرتان بلون أبيض لامع. عام 1975 م.
4690	الظهران / المدفن رقم (5) من الداخل أجزاء من قوارير زجاجية. عام 1975 م.
4691	الظهران / المدفن رقم (5) من داخل المدفن. عدد (17) خرزة صغيرة دائرية مختلفة الالوان لامعة وبعضها مهتري عام 1975 م.
4761	أم الرماد / شمال الهفوف ملتقطات سطحية مجموعة من الصدف البحري استخدمت كعقد زينة عام 1976 م.
4753	أم الرماد : شمال الهفوف ملتقطات سطحية خرزتان احداهما اسطوانية طويلة بشكل انبوب وأخرى مخروطية الشكل وهما من نوع الحجر النصف ثمين.

ملحق رقم (8) :

تعريفـات

*** بلاد البحرين :**

هي اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان وقيل هجر قصبة البحرين، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة ويعد بعضهم اليمامة من أعمالها، ويورد الحموي رواية ابن عباس أن البحرين من أعمال العراق في أيام بني أمية، وقيل أن البحرين هي الخط والقطيف والآرة وهجر بيبونة والزارة، وجواثا والسابور ودارين والغابة، وأما فتحها فانها كانت في مملكة الفرس وكان بها خلق من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم مقيمين في باديتها وكان فيها من قبل الفرس المنذر بن ساوي فلما كانت سنة ثمان للهجرة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله الحضرمي لدعوة أهلها للاسلام وكتب معه الى المنذر بن ساوي والي سبيخت مرزبان هجر يدعوهما الى الاسلام أو الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم، وقال سعيد بن المسيب أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر ... (معجم البلدان الجزء الأول ص 346 ـ 349).

*** ثــاج :**

هجرة قبيلة العوازم تقع على بعد 150 كلم شمال غرب الظهران بين خطي عرض 56/52/5° شمالا وخط طول 48/42/9° شرقا وتقع بها آثار مستوطنة قديمة وهي مركز لخطوط القوافل التجارية تقع على طريق الكنهوري الذي كان يربط مدن شرق الجزيرة بالمدن في الجنوب والوسط، وتقع على هذا الطريق المدن العربية التي تتزامن والعهد الهلنسي ـ الاغريقي وثاج بالجيم قال الفوري «يهمز ولا يهمز» عين من البحرين على ليال، وقال محمد بن ادريس اليمامي : ثاج قرية بالبحرين، قال ومرّ تميم بن أبي بن مقبل العجلاني بثاج على امرأتين فاستسقاهما فأخرجتا اليه لبنا، فلما رأتاه أعور أبتا أن تسقياه فقال : يا جارتي، على ثاج سبيلكما سيرا شديداء، ألما تعلما خبري أني أقيّد بالمأثور ... راحلتي ولا أبالي ولو كنا على سفر فلما سمع أبوهما قوله قال : ارجع معي اليهما فرجع معه فأخرجهما اليه وقال : خذ بيد أيتهما شئت، فاختار أحدهما فزوجه منها ثم قال له : أقم عندي الى العشى، فلما وردت ابله قسمها نصفين فقال خذ أي النصفين شئت فاختار ابن مقبل أحد النصفين فذهب الى أهله. (ياقوت الحموي معجم البلدان الجزء الثاني (ص 70).

*** واحة يبرين :**

تقع جنوب منطقة حرض على بعد 116 كلم جنوب غرب الهفوف سكنت هذه المنطقة منذ القدم وقد اكتشف بها مواقع للعصور الحجرية القديمة بمختلف الفترات وفخار يرجع لعصر ما قبل الأسرات الألف الرابع ق.م كما وجدت بها دلائل الألف الثاني والأول ق.م. الدور

البرونزي الحديدي أما المقابر التي بهذه المنطقة فتتكون من غرفة واحدة مربعة الشكل وتحتوي على أدوات برونزية وطريقة الدفن في حالة جلوس مقابل الغرب وفي رأيي أن هذا يعني الانتظار للحياة الأخرى التي تعني ظهور الشمس من الغرب على خلال ما اعتاد عليه أولئك الأقوام في حياتهم الدنيا وربما يعني الموت لديهم الغروب فهو نهاية اليوم ونهاية عمر الانسان وهذا ما يحتاج للدراسة لتوضيحه.

*** العقيـــر :**

يقع هذا الميناء على بعد 73 كلم جنوب الظهران وقد قامت البعثة الدانمركية بعمل مسح أثري بالموقع وجمعوا أدوات حجرية وسكاكين لها علاقة بحضارة قطر (مصنوعة من الكوارتز) كما جمعت كميات من القطع الفخارية ترجع للعصر الهلنسي والبارثي وفخار هذا الموقع يعاصر فخار مدينة ثاج هذا بالاضافة الى أن البعثة عثرت على عشرين تل أثري استعملت كمقابر قرب الموقع.

* (الضريح) : المضروح وجمعه ضرائح والضريح هو القبر والشق في وسط القبر وجمعه ضرائح.

(المعجم الوسيط ـ الجزء الأول، ص 537)

*** عصر جمدة نصر :**

تسمية هذا العصر جاءت من اسم تل يقع في ضواحي بابل ظهر فيه فخار من نوع جديد يمتاز بتعدد الألوان التي استعملت في زخرفة الأواني الفخارية ولا سيما الاحمر القرمزي وقوام الزخرفة رسوم هندسية أما من حيث الشكل فيطغى الشكل شبه الكروي والرقبة قصيرة والفوهة صغيرة صنع الفخار بواسطة استعمال دولاب أو عجلة الخزاف السريع الدوران.

أما من حيث النحت فقد جاءت من هذا العصر قطع فنية راقية مثل : رأس فتاة الوركاء والاناء النذري من الوركاء الذي نحت سطحه بمشاهد دينية معينة ومسلة صيد الأسود المعمولة من حجر البازر (د/صبحي أنو رشيد ـ ص 11).

*** العصر السلجوقي :**

نسبة الى القائد الاغريقي سلوقس أحد قواد جيوش الاسكندر المقدوني فبعد موت الاسكندر 323 ق.م. اقتسمت امبراطوريته بين القائدين الشهيرين... سلوقس وبطليموس وكونا امبراطوريتين الامبراطورية السلوقية وامبراطورية البطالمة.

الكاشيون :

من الأقوام الآرية حكموا العراق بعد سقوط سلالة بابل الأولى وانسحاب الحيثيين الذين فتحوا العاصمة بابل سنة 1530 قبل الميلاد.

المظاهر المعمارية في انصاب شرشال (قيصرية)

محمد خير أورفة لي

لطالما خبرنا المؤرخون القدامى منهم والمحدثون عن قيصرية عاصمة مملكة موريطانيا القيصرية وعن ازدهارها الفني والمعماري وخاصة ايام ملكها يوبا الثاني الذي اشتهر بعلمه ومعرفته وحبه للاداب وتذوقه للفنون واعجابه خاصة بالفن الاغريقي. فهل كانت عمارة قيصرية خلال هذا العصر نسخة من العمارة الاغريقية أو الرومانية ؟ وإن كان ذلك هل اقتصر على المستوى الشعبي ؟ لدينا هنا مجموعة من الوثائق التي تلقي الضوء على بعض من هذه الجوانب هي عدد من الانصاب التي وجدت في مدينة شرشال وضواحيها خلال اواخر القرن الماضي وقرننا الحالي. فتتصف انصاب شرشال هذه بوفرة عددها وتواجد الكتابة على معظمها وهي اما نذرية أو جنائزية. وتمتاز عن مثيلاتها المنتشرة في انحاء المغرب العربي بمادتها الرخامية الجميلة البيضاء المموجة بالعروق الزرقاء، وبرقة سماكتها وصغر ابعادها التي تتراوح في معظمها بين 0,50 و 0,70 في الارتفاع، وفي رشاقتها وجمالها وفي معالجتها بالنحت النافر الذي لا يبرز عن ارضيته الا بقليل انها ذات شكل مستطيل متوج في اعلاه بقمة افقية مستوية أو مثلثية أو مقوسة فهاته الانصاب لم تكن الا شواهد قيمة تعبر بشكل ما عن تفكير ذلك الانسان الذي عاصرها ومعتقداته ورغباته سواء في الحياة الدنيا أو الاخرة.

وتظهر اهميتها الخاصة في كونها تمثل الطبقات الشعبية على انواعها هذا وقد حاول الفنان ان يبرز براعته فيها رغم القيود المفروضة عليه في معالجتها سواء في الموضوع أو الشكل أو الابعاد حتى انه يمكن تصنيف عدد لا بأس به منها في عداد الاعمال الفنية للمنحوتات.

ولشد ما يثير الانتباه في هذه الانصاب هو ذلك المظهر المعماري المتميز عليها في هيئة واجهة امامية لمعبد أو مصلى بعناصره الاساسية من المدخل والنضد والجبهة. فمنها ما يشغل وجه النصب بكامله بحيث يأخذ شكله الخارجي (الاشكال 1، 2، 4، 5، 6، 7، 8، اللوحات أ2، أ3، أ4، ب5، ب6، ب7، ج9، ج11، د14، د15)، ومنها ما يشغل جزءا من وجه النصب فقط (الشكل ·5، اللوحات أ1، أ4، ج11، د13، د16).

فمدخل المصلي غالبا ما هو ممثل بشكل مشكاة مقوسة أو افقية مستوية مجنحة احيانا من الجانبين بعمودين. هذا وكثيرا ما قدم امام المدخل الشخص المتوفي أو الناذر رجلا كان أم امرأة (اللوحات أ4، ب6، ب7، ج10، ج11، د14).

اما النضد الذي يعلو مدخل المصلي فغالبا ما تشغله الكتابة المنقوشة المكرسة للمتوفي أو النذر المقدم للالهة (الاشكال 4، 5، 6، 7، 8 اللوحات ب5، ب6، ب7، ج9، ج10، د14، د15، د16، هـ 17) الا ان عددا منها يقدم نضدا معماريا كاملا بارشيطرافة وافريزة وكورنيشة (الاشكال 2، 3، اللوحات أ1، أ2، أ4، ب8).

اخيرا الجبهة المتوجة للنضد تأخذ شكل مثلث بسيط (الاشكال 1، 2، 3، 5، 6، اللوحات أ2، أ3، أ4، ب5، ب7، ج9، ج10، د13، د14) أو مقرن من الجانبين باكروتيرين (الاشكال 4، 7، 8، اللوحات أ1، ب6، د15، د16، هـ 17).

احيانا تكون فارغة واخرى يشغل وسطها الرموز الفلكية من هلال أو قرص شمسي أو نجمة أو وردة مؤسلبة.

هذا ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الاشكال المعمارية :

1) واجهة معبد مكون من عدة طوابق (اللوحة أ1) : وهي ممثلة هنا في نصب وحيد نذري ذي شخصية بونية متأخرة[3] وتتكون واجهة المصلي هنا من طابقين :

ففي الطابق السفلي قد قدم في الوسط الرمز المدعو (تانيت) وعلى طرفيه صولجانان، بينما يضم المجموع من الجانبين عمودان من طراز يشبه الدوري (؟) ويظهر الرمز المدعو (تانيت) مع الصولجانين وكأنهم يسندون النضد الذي يفصلهم عن الطابق العلوي، هذا النضد مزين بثلاث سبحات : واحدة من اللالىء والقريصات وأخرى من الاهلة والقريصات وثالثة من القلوب والاسهم.

أما الطابق العلوي فيقدم لنا مشهد تضحية في شخص يلبس رداء واسعا يسوق أمامه ثورا الى المذبح والمجموع مجنح بعمودين مخددين ويحملان نضدا يملأ مساحته قرص مجنحة ويعلوه جبهة مثلثة فيها يد باصابعها الخمسة مجنحة بطرفيها بوردتين.

يبقى هذا النصب ذو شخصية فريدة في تركيبه العام رغم تواجد امكانية مقارنته الى حد ما بعدد من انصاب قرطاجة[4].

2) واجهة مصلى مدخله مجنح بعمودين (الاشكال 1، 2، 3، 4، 5، اللوحات أ1، أ2، أ3، أ4، ب5، ب6، ب7، ب8، ج9، ج10، ج11، ج12) ويلاحظ هنا عدد من الطرز في الاعمدة أو النضد بحيث يمكن تمييز النماذج التالية :

- النموذج الأول (الشكل 2، اللوحة أ2) : يتمثل في واجهة مصلى[5] يجنح مدخله من الجانبين عمودان كل منهما محدد يعلوه تاج كورنثي يحمل نضدا كاملا يعلوه جبهة مثلثية.

- النموذج الثاني (الشكل 1، اللوحة أ3) : يتمثل في واجهة مصلى[6] ذي مدخل مقوس مجنح من جانبيه بعمودين يعلو كل منهما تاج كورنثي يحمل جبهة مثلثية مباشرة بدون نضد وقد زين وسط الجبهة بوردة سداسية الوريقات.

- النموذج الثالث (الشكل 3، اللوحة 4) : يتمثل في واجهة مصلى[7] مدخله مجنح من الجانبين بعمودين كل منهما ذي قاعدة اتيكية محمولة على نعل. ويعلو كل من العمودين تاج ذي سلة عارية. اما النضد فهو من الطراز التوسكاني بارشيطرافه وافريزة وكورنيشة. ويعلوه جبهة مثلثية في داخلها قدم هلال[8].

- النموذج الرابع (اللوحة ب5) : يتمثل في واجهة مصلى[9] مدخله مجنح بعمودين يعلو كل منهما تاج من نوه ذي السلة العارية. بينما شغلت الكتابة كامل النضد[10] أما الجبهة فهي مثلثية بسيطة وعارية.

- النموذج الخامس (الشكل 4، اللوحة ب6) : يتعلق بنصب يقدم واجهة مصلى[11] قمة مدخله مقوسة يجنحه من الجانبين عمودان كل منهما ذي قاعدة اتيكية ويعلوه تاج بشكل زهرة اللوتس، أما النضد فيشغله اطار الكتابة المحدد من الجانبين بشكل تعشيقة السنونو[12] بينما الجبهة فهي مثلثية الشكل مقرنة من الجانبين باكروتيرين وقدم في الوسط هلال.

- النموذج السادس (اللوحة ب7) : يتمثل في واجهة مصلى[13] مدخله مجنح بعمودين يعلوهما تاجان شكلهما يشبه زهرة اللوتس[14]. اما النضد فهو مشغول باطار الكتابة[15] وهو محدد من جانبيه بشكل تعشيقة السنونو ويعلوه جبهة مثلثية بسيطة زين وسطها بهلال يعلوه وردة سداسية الوريقات، بينما قدم على جانبيها وردتان من ذوات رباعية الوريقات.

- النموذج السابع (اللوحة ب8) : يتمثل في واجهة مصلى[16] يجنح مدخله من كل جانب عماد يعلوه تاج بشكل زهرة اللوتس ويحمل نضدا كاملا وهذا الاخير متوج بجبهةٍ مثلثية في داخله هلال[17].

- النموذج الثامن (الشكل 5، اللوحة ج9) : يتمثل في واجهة مصلى[18] مدخله مقوس مجنح بعمودين كل منهما ذي قاعدة اتيكية محمولة بنعل ويعلوه تاج مزخرف بعصابة مما يشبه البيضيات والقريصات، وهذا يحمل نضدا مشغولا بنص الكتابة المحدد باطار يأخذ جانباه شكل تعشيقة السنونو[19]. أما الجبهة فهي مثلثية في وسطها قرص شمسية[20].

- النموذج التاسع (اللوحة أ11) : وتتمثل في مدخل مصلى مجنح من الجانبين بعمودين مبرومين كل منهما محمول على قاعدة ونعل يعلوه تاج يحمل قوسا، وقد قدم امام مدخل المصلى جندي واقف يحمل بيده اليمنى رمحا وباليسرى درعا، أما الكتابة فقد شغلت الجانب الايمن من النصب[21].

3) انصاب تقدم واجهة معبد أو مصلى مدخله غير مجنح بالاعمدة (الاشكال 6، 8، اللوحات د13، د14، د15، د16، هـ 17) : وهذا ما يظهر على معظم انصاب شرشال[22] ويميز فيها النماذج التالية :

- النموذج الأول (الشكل 6، اللوحات د13، د14) : يتمثل في واجهة مصلى ذي مدخل قمته مقوسة يعلوه نضد مشغول بالنص الكتابي. بينما تأخذ الجبهة شكل مثلث في وسطه هلال[23].

- النموذج الثاني (الشكل 8، اللوحات د15، د16) : ويتمثل في واجهة مصلى مدخله ذي قمة مقوسة يعلوه نضد يحمل عادة نص الكتابة، أما الجبهة فهي مثلثية يقرنها من الجانبين اكروتيران[24].

- النموذج الثالث (الشكل 7، اللوحة هـ 17) : لدينا منه نموذج واحد فقط[25]، هذا ولم ينجز منه الا الجبهة والنضد بينما ترك مكان المصلى فارغا، فالجبهة مثلثية مقرنة من الجانبين والرأس بثلاث اكروتيرات، أما اكروتير الرأي فيأخذ شكل ثلثي الدائرة[26] ووسط الجبهة يقدم هلالا مرتكزا على قاعدة، بينما شغل النضد بالنص الكتابي المزين من الجانبين بشكل تعشيقة السنونو.

العناصر المعمارية :

يلاحظ من النماذج السابقة بانواعها، صعوبة تصنيف طراز هاته الواجهات المعمارية في انظمة معينة من الطرازات المعروفة لدينا من اغريقية أو رومانية أو بونية أو شرقية فهي تتميز بالتركيب والخلط في عناصرها المعمارية المتنوعة.

1) الجبهة :

وجد من النماذج السابقة بان شكل الجبهة مثلثي الشكل وسطه مزين غالبا بالرموز الفلكية من قرص شمسية أو هلال أو وردة أو الهلال مجموع مع القرص أو الوردة وهناك بعض الحالات التي بقيت فيها الجبهة فارغة. هذا ويميز في شكل الجبهة نوعان :

- الجبهة التي تأخذ شكل مثلث بسيط (الاشكال 1، 2، 3، 5، 6، اللوحات أ2، أ3، أ4، ب5، ب7، ج9، ج10، د13، د14).

- الجبهة المثلثية والمقرنة من الجانبين باكروتيرين (الاشكال 4، 7، 8، اللوحات أ1، ب6، د15، د16).
- الجبهة المثلثية والمقرنة بثلاث اكروتيرات (الشكل 7، اللوحة هـ 17).

هذا وتعود اصول هاته الجبهة المثلثية بانواعها الثلاثة الى العمارة الاغريقية، فقد كانت عنصرا اساسيا في مبانيهم العامة وخاصة منها المعابد وقد دخلت فيما بعد في العمارة اليونية كما اتخذها الرومان كذلك في عمارتهم[27].

2) **النضد :**

وهو القسم الفاصل بين الجبهة والمدخل، ويتميز فيه نوعان :

- نضد حافظ على مظهره المعماري بارشيطرافة وافريزة وكورنيشة (الاشكال 2، 3، اللوحات أ1، أ2، أ4، ب4) هذا ومن الصعب تحديد طراز هذا النضد، فغالبا الطراز التوسكاني (الشكل 3 اللوحة أ4).
- نضد مشغول بنص الكتابة المنقوشة سواء جنائزية أو نذرية. ومنها ما هو محدد باطار بسيط أو مزين من الجانبين بشكل تعشيقة السنونو (الاشكال 4، 5، 6، 7، 8، اللوحات ب5، ب6، ب7، ج9، ج10، د13، د14، د15، د16، هـ 17).

3) **الاعمدة :**

تتميز الاعمدة بتنوعها سواء في الجذع أو القاعدة أو التاج ومن الصعب تحديد طرازها جميعا.

فجذوع الاعمدة منها ما هي ملساء (الاشكال 1، 3، 4، 5، اللوحات أ3، أ4، ب5، ب6، ب7، ب8، ج9، ج12) ومنها المخددة (الشكل 2 اللوحات أ1، أ2) وواحد فقط من النوع المبروم (اللوحة ج11). كما ان هناك صعوبة تحديد نوعيتها ان كانت اعمدة ام عمادات، فالنحت البارز لا يظهر ذلك التمييز دائما.

بينما القاعدة فعدد منها من النوع الاتيكي المحلاة بقولبين طوقيين (الاشكال 3، 4، 5، اللوحات أ4، ب6) بينما يصعب تحديد طراز العدد منها ايضا هذا ويلاحظ تزويد بعض القواعد بنعل.

أما التاج فيميز فيه عدة طرز :

ففيها تيجان من الطراز الكورنثي (الاشكال 1، 2، اللوحات أ2، أ3).

وفيها من النوع المشابه للتاج ذي شكل السلة العارية (الشكل 3، 9، 10، 13، اللوحات أ4، ب5)[29].

ونوع يشبه في شكله السلة ايضا ومحلى بزهرة اللوتس المؤسلبة (الاشكال 4، 11، 12، اللوحات ب6، ب7، ب8)[30].

وهناك نموذج فريد يحمل تاجه شكل عصابة مزخرفة بالبيضيات والقريصات (الشكل 5، اللوحة ج9).

ما كانت هذه الانصاب الا انعكاسا لاذواق تلك الطبقة الشعبية الممثلة لها والتي يظهر هنا جانب منها في العمارة وخاصة خلال عصر مملكة موريطانيا القيصرية، فمعظم هاته الانصاب تؤرخ الى عصر الاحتلال الروماني[31]، وتأتي أهميتها من كون شرشال الحديثة قد بنيت فوق موقعها القديم، وهذا ما يمنع فيها حفريات على نطاق واسع تمكن من القاء الاضواء على هذا الجانب من عمارتها.

فبعد هذه النظرة لهذه الوثائق المعمارية يمكن استخلاص النتائج التالية :

- عدم اتباع هذه المباني لطراز معماري معين من اغريقي أو روماني أو شرقي بل هي مزيج مركب يحمل شخصية أخرى متميزة.
- التأثيرت الهلنستية واضحة وغالبة سواء في المظهر العام للمباني ذات السطوح المسنمة أو العناصر المعمارية من تيجان وأعمدة ونضد وجبهات واكروتيرات.

ففي التيجان لوحظ تواجد طراز واحد فقط اغريقي هو الكورنثي بينما الايوني والدوري فمفقودان تماما[32].

والقاعدة الاتيكية متمثلة في عدد من النماذج[33].

أما طراز النضد التوسكاني فهو روماني.

- والتأثيرات الشرقية تظهر في تلك التيجان المشابهة لذات شكل السلة العارية فهي بدون شك ذات أصول مصرية حيث انها، كما لوحظ، تشبه الى حد كبير التاج الناقوسي الشكل والنخيلي الشكل.

بينما التيجان ذات شكل السلة المزينة بزهرة اللوتس فاصولها تعود بدون شك الى التيجان ذات الوريقات الممثلة لزهرة اللوتس، والتي هي من الطابع البوني، وعلى كل تشبه في شكلها الخارجي ذلك التاج الناقوسي الشكل[34].

فمن اين جاءت كل هذه التأثيرات الخارجية ؟ وهل كانت عن طريق مباشر أم لا ؟ فهنا يظهر المشكل في صعوبة تحديد الوسائط التي وصلت عن طريقها هاته التأثيرات، وخاصة منها الهلنستية، الى شرشال. فهل كانت مباشرة من العالم الاغريقي أم عن طريق البونيين أم الرومان ؟ من الصعب تحديد ذلك، فالشعوب المعاصرة والمجاورة للعالم الاغريقي كانت قد تأثرت كلها بالهلنستية، والرومان كانوا قد اتخذوا به في عمارتهم، وعلى كل فمن الارجح ان التأثيرات الكبرى كانت قد تغلغلت في شخصية هذه العمارة خلال عصر ازدهار قيصرية من القرنين الأول والثاني. أما التأثيرات ذات الاصول المصرية فهي بدون شك قد وصلت عن طريق البونيين، فقيصرية كانت محطة تجارية ومرفا بونيا، والبونيون عرفوا بحبهم للمزج والتركيب في الفن وبأنفتاحهم وتأثرهم بالامم المجاورة والمعاصرة الشرقية منها والاغريقية(35)، وكذلك بقيت قيصرية منفتحة على العالم القديم الاغريقي والروماني والشرقي خلال عصر الاحتلال الروماني(36) وخاصة عهد اتخاذها كعاصمة للمملكة موريطانيا القيصرية(37) وكل ذلك كانت عوامل مساعدة على تواجد تلك الشخصية المتميزة.

الهـوامــش :

(1) وقد أكد ذلك الاكتشافات الاثرية التي جرت خلال أواخر القرن التاسع عشر وقرننا الحالي وخاصة لتلك المجموعة الهامة للتماثيل الرخامية التي تمثل في معظمها آلهة اغريقية ورومانية.

(2) احصيت منها حوالي 200 نصب منها مازال بتمامه ومنها ما تبقى منه الكسر.

(3) نصب نذري ذو كتابة بونية متأخرة ابعاده (0,90 / 0,33 / 0,10 م) من الحجر الكلسي القوقعي الاحمر، محفوظ حاليا في متحف شرشال :

DE VOGUE, C.R.A.I. 1888, p. 194, V. WALLIE, DE CAESAREA MONUMENTIS QUAE SEPERSUNT, Thèse latine, Alger, 1891, p. 83, pl. 36, P. GAUCKLER Musée de Cherchel, Paris, 1895, p. 83 et pl. II 4; J. WIERSEJSKI, Catalogue de Musée de Cherchel, Alger, 1902, N° 200; St. CSELL, Cherchel, Iol-Caesarea, p. 65, n° &% et fig. 64; M. LEGLAY, Saturne africain, Monuments, t. II, Paris, 1961, p. 315.

(4) هناك ما يقارب العشرة من الانصاب موجودة في متحف باردو بتونس تشابه في تركيبها العام لهذا النصب حيث تقدم لنا واجهة معبد ومنظر تقديم الاضاحي بالاضافة الى الرمز المدعو (تانيت) فرغم تخالف هذه الانصاب فيما بينها فهي تتشابه بحشو جميع اجزاء النصب وتعدد المناظر وكثرة الرموز بالاضافة الى مناظر واجهة المعبد أو المصلي :

C. PICARD, Catalogue du Musée Alaoui, t.1, Tunis : pl. CII (Cb-963), CIII (Cb-965, Cb-966) CIV (Cb-967, Cb-969), CVI (Cb-970, Cb-971), CVII (Cb-972, Cb-973), CVIII (Cb-974).

(5) قسم علوي من نصب ابعاده الحالية (0,33 / 0,13 / 0,04) محفوظ حاليا في متحف شرشال.

(6) قسم علوي من نصب مجهول المكان حاليا ولم يبق لدينا منه الا نسخة مقولبة :

Ph. LEVEAU, Nouvelles inscriptions de Cherchel, B.A.A., t.VI, 1975-76, p. 155, fuf. 122.

(7) نصب جنائزي ابعاده (0,68 / 0,04) مصنوع من الرخام ، محفوظ حاليا في متحف اثار الجزائر (جرد رقم 175) :

A. BERBRUGGER, Bibliothèque — Musée d'Alger, Alger, 1860, n° 85 B.R. afr. t.4, p. 226; L. RENIER ? Inscriptions romaines de l'Algérie, Paris, 1855, N° 3944; C.I.L., VIII, n° 9430; G. MARYE, et J. WIERZEJSKI, Musée national des Antiquités algériennes, Catalogue, Alger, 1899, n° 175.

(8) قدمت الكتابة في اسفل النصب، تحت واجهة المصلي :

Saburrio antae vi/triari et Paulas f(ilius) vix & it menses sex, dulcis; h(ic) s(itus) e(st).

(9) نصب جنائزي ابعاده (0,84 / 0,35 / 0,10) من الرخام محفوظ حاليا في متحف شرشال :

A. SCHMITTER, Inscriptions inédites de Cherchell, B.E.G., t.II, p. 192, n° XVII.

(10) نص الكتابة : Ave; Olymphia; dulcis obribta/mihi Gara coninx vita, ter (r) a (m) / tibi levem, vixit n(nus) / Secundio co (n) iugi fecit pro meritis; hic sita est.

(11) نصب نذري ابعاده (0,59 / 0,31 / 0,09) من الرخام، محفوظ حاليا في متحف اثار الجزائر (جرد رقم 177) :

A. VERBRUGGER, Bibliothèque — Musée ..., n° 81 B.R. afr., t.4, p. 224; C.I.L., VIII, 9505; L. RENIER, op. cit.; n° 3988; MARYE et WIERSEJSKI; op. cit. n° 177.

(12) نص الكتابة : Neritus Trophimi / vicarius vixit annos / XXIIX. Qoud monumentum / fecit, conjunx pia Iucunda.

(13) نصب جنائزي ابعاده (0,39 / 0,37 / 0,03) من الرخام محفوظ حاليا في متحف شرشال :
Ph. LEVEAU; op. cit., p. 133, n° 77.

(14) حيث عولجت الاعمدة بالنقش بينما الباقي فبالنحت النافر.

(15) نص الكتابة : Magelo f(ilio) suo fecit/hic sut(u)s est, vixit/annos II et menses II

(16) قسم علوي من نصب جنائزي ابعاده (0,25 / 0,23 / 0,25) يتواجد حاليا في متحف شرشال.

(17) شغل مدخل المتحف باطار الكتابة : Iulia Iucunda, / vixit annis XXVIII. / Filium reliquit an (nis)
XI / filiam reliquit bimam / et menses sexs.

(18) نصب جنائزي ابعاده (ع : 0,62) من الرخام، محفوظ حاليا لدى احد الخاصة :
Ph. LEVEAU, op. cit., p. 130, n° 72 et fig. 74.

(19) نص الكتابة : Iustus Vartia / nus / Myen; hic situs es/t/ /vixit annis XX

(20) من نموذج جبهة المثلثية وفي وسطها القرص يتواجد معبد الوسيس ELeusis (اتيكا) مبنى بعد عام 50 م
بقليل : WARD-PERKINS, Roman Architecture, New York, 1977, p. 252; fig. 368.

(21) نصب جنائزي لجندي من فرقة الفرسان البريتورية، ابعاده (0,36 / 0,50 / 0,05) محفوظ حاليا في متحف شرشال (جرد رقم 127) نصه الكتابي :

D (is) m (anibus) s (acrum) / Aurelius Vincentius, / miles cohortis / teriae, / Centuria Maxiiminii annis V/in praetoria annis/XI, vixit annis XL/; Civis T(h) rax Memoria / m / fecerunt / cives de rebus / ispius, bene/merenti.

A. SCHMITTER, B.E.G. t.IV, p. 64, n° CXXXIX; P. GAUCKLER, op. cit. pp. 33-35, 96-97; et pl. III, 6; J. WIERZEJSKI, Catalogue, n° 295; C.I.L. VIII, 21021; E.E., V. 985.

(22) يتواجد منها 82 من المجموع.

(23) ونذكر هنا مثلين على نموذجه :

ـ الأول نصب جنائزي ابعاده (0,72 / 0,39) من الرخام، نصه الكتابي :

Iulia Maxima / Perentua C. Iuli Ludi/ixor vixit an(n)is XXVIII.

محفوظ حاليا في متحف شرشال (جرد رقم 168) :

A. SCHMITTER, B.E.G., III, p. 44, n° XLV; C.I.L., VIII, 21246, J. WIERZEJSKI, Catalogue, n° 387.

ـ الثاني نصب جنائزي ابعاده (0,54 / 0,30 / 0,05) من الرخام نصه الكتابي :

Filoxenus Ian (uarii filius ?) / v(ixit) an (nis) XXV.

محفوظ حاليا في متحف شرشال (جرد رقم 649) :

Ph. LEVEAU, op. cit., p. 135, n° 135, n° 81 et fig. 83.

(24) ونضع هنا مثلين على نموذجه :

ـ الأول نصب جنائزي ابعاده (0,46 / 0,23 / 0,04) مصنوع من الرخام، نصه الكتابي :

Subsac meter/eutic cubuclari, /h(ic) s (itus) e (st).

محفوظ حاليا في متحف اثار الجزائر (جرد رقم 181)

A. BERBRUGGER, Bibliothèque — Musée ..., n° 139; R. afr., t.4, p. 460; C.I.L., VIII 9431; MARYE et WIERZEJSKI, Catalogue..., n° 181.

ـ الثاني نصب جنائزي ابعاده (0,53 / 0,26) مصنوع من الرخام نصه الكتابي :

Pudens et Recepta Phoeb/ani/Fausto Puero; h(ic) s(itus) e(st).

محفوظ حاليا في متحف شرشال (جرد رقم 112) :

A. SCHMITTER, B.E.G., II, p. 193, n° XXVI; WALLIE et GAUCKLER, Inscriptions inédites de Cherchel, R. arch., t.17, 1891, p. 148; C.I.L., / VIII, 21292; WIERZEJSKI, Catalogue, n° 415.

(25) نصب جنائزي ابعاده (0,60 / 0,30) من الرخام، نصه الكتابي :
Donatus Kamali Damarionis 1 (iberti) 1 (ibertus); h(ic) s (itus) est : Sit tibi t (erra) 1 (evis), vixit annis/L.

محفوظ حاليا في متحف شرشال (جرد رقم 132) :
A. SCHMITTER, B.E.G., III, p. 45, N° LII, C.I.L., VIII, 21183.

(26) تأتي اهمية هذا النصب بشبه شكله بالمعابد الاغريقية ذات الجبهة المثلثية والمتوج رأسها باكروتير والممثلة كذلك على كثير من الانصاب الاغريقية سواء من العصر الكلاسيكي أو الهلنستي :
G.V. KALLIPOLITIS, Le Musée national, Athènes, Paris, 1973, pp. 80-81, n° 74 (inv. n° 739); p. 100, n° 104 (inv. n° 3624); p. 104, n° 112 (inv. n° 718), n° 114 (inv. n° 724).
هناك نموذج من هذا النوع لنصب بنوني من سولسيس Sulsis محفوظ حاليا في المتحف الوطني للاثار في مدينة كاعليار : A. PARROT, M.H. Ch., et S.M. Les phéniciens, Carthage, Paris, 1975, p. 227, fig. 251.

(27) الامثلة من العمارة الاغريقية كثيرة مثل معبد أيجين Egine في النبراثون :
M. COLLIGNON, Manuel d'archéologie grecque, Paris, 1881, p. 68, fig. 18.
وكذلك الامثلة من العمارة الرومانية كثيرة مثل المعبد المستطيل في فوروم بوارايام Boariam في روما :
WARD-PERKINS, op. cit. p. 206, fig. 233, p. 243, fig. 275.
أما العمارة البونية فامثلتها في عدد من المعابد مثلا :
A. IEZINE, Architecture punique, recueil de documents, Tunis, p. 31 et pl. II fig. 65.

(29) يشبه الى حد كبير التيجان ذوات الطابع المصري مثل التاج الناقوسي الشكل والى حد ما النخيلي الشكل والمتواجدة على الترتيب في معبدي الكرنك وادفو (الشكل 14).
Ch. DESROCHES-NOBLCOURT, L'art egyptien, Paris, 1962, p. 55, 116.

(30) يشبه هذا التاج الى حد كبير تاجا من الطابع البوني ذي الوريقات الممثلة لزهرة اللوتس، ومن امثلة هذا الاخير نموذج وجد في اوتيكا (تونس) (الشكل 15) وآخر في سكيكدة :
A.IEZINE, op. cit., p. 74; fig. 37, B. et pl. X 84; St. GSELL, Catalogue de Musée de Philipville, pl. XI, 8.

(31) يستثني من نماذجنا المقدمة، نموذج النوع الأول الذي يمكن تاريخه الى العصر البوني المتأخر.

(32) على خلاف مدينة تيبازة المجاورة لها مثلا، حيث توجد فيها كثير من الانصاب التي تحمل واجهات معمارية تيجانها ايونية وكورنثية.

(33) لقد كان استعمال القاعدة الاتيكية في كثير من الطرز المعمارية لدى الاغريق والرومان وخاصة النظام الايوني وكورنثي وكذلك لدى البونيين والنوميديين بالنسبة للبونيين نراها مثلا في مصلي توبوريو ماجوس :
A. LEZINE, op. cit., pp. 93-96 et fig. 50; C. PICARD, op. cit. pl. XXVII (Cb-1082).
ولدى النوميديين مثلا في اضرحة قبور كليب وسيقا :
F. LEZINE, op. cit., pp. 93-96 et fig. 50; C. PICARD, op. cit., pl.
F. RAKOB, Numidische Konigsarchtkter in Nordafrika, (Die Numider, Bonn, 1979) figs. 44, 77.

(34) انظر اعلاه الهامش رقم 30.

(35) م.خ. أورفة لي، خصائص العمارة الفينيقية في المغرب القديم خلال الالف الأول ق.م. دبلوم دراسات معمقة، جامعة الجزائر 76/1975 غير منشور، ص 198 ـ 201.

(36) فقد كانت زوجة يوبا الثاني (كليوباترة سيليني) ابنة ملكة مصر كليوباترة السابعة.

(37) فقد كانت في شرشال خلال هذه الفترة جالية من الصناع الاغريق اكدته اسماؤهم المتواجدة خاصة فوق الانصاب وغيرها من المعالم الجنائزية.

المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية
ودورها الحضاري اثناء الفترة الاسلامية

الدكتور ناصر الدين سعيدوني

يعود السبب في اختيار الموضوع الى عدة اعتبارات منها الرغبة في التعريف بهذه المنطقة في العهد الاسلامي (من القرن الثاني الى القرن الثامن من الهجرة ومن القرن الثامن الى القرن الرابع عشر للميلاد) وابراز دورها الحضاري الذي طالما حاول بعض الكتاب الفرنسيين طمسه أو تشويهه بالترويج لفكرة مفادها ان الفترة الاسلامية ارتبطت خاصة بتقهقر العمران وانعدام الامن وكثرة الثورات ولا سيما في مناطق العبور كالهضاب العليا القسنطينية مثلاء وهذا ما نفرضه اعتمادا على النصوص والوثائق التاريخية. أما الدافع الثاني على هذا البحث فهو محاولة ربط اهتمامات المؤرخ والاثري بمجهودات التنمية الحالية بالجزائر وذلك بالعمل على توفير الخلفية التاريخية لمشاريع النهوض بالارياف، مع العلم بان منطقة الهضاب العليا ـ موضوع هذا البحث ـ اصبحت لها ـ حسبما تنص على ذلك برامج التنمية الوطنية مكانة ودور مهم في تطور جزائر المستقبل : ولهذا اصبح من الضروري معرفة الغطاء النباتي للمنطقة وتتبع مسالكها ودروبها ومراكزها الحضارية ومحاولة فهم عوامل ازدهارها واسباب انحطاطها في الوقت الذي بدأ فيه وجه المنطقة يتغير بانتشار العمران وتطور شبكة المواصلات لتنفيذ السد الاخضر.

وهناك دافع اخر على هذا البحث يعود الى الاهمية القصوى لهذه المنطقة في تاريخ المغرب العربي في اغلب عهوده، فقد تأثرت هذه المنطقة الى حد ما بالنفوذ القرطاجي وكانت ممرا لجحافل الرومان وفرسان الوندال وفيالق البيزنطيين وكتائب العرب المسلمين وفرق محلة اليولداش من الترك والكراغلة قبل ان تجتاحها جيوش الفرنسيين، وعند تخوم هذه المنطقة انحسر نفوذ الرستميين وتحددت معالم الدولة الاغلبية، وعند حافتها الشمالية تكونت النواة الأولى لدولة الفاطميين وفي نطاقها تميزت الدولة الحمادية بالقلعة وبجاية عن شقيقتها الدولة الزيرية بافريقيا.

وعبرها احتدم الصراع واشتد النزاع بين القبائل الصنهاجية والزناتية، وفي ربوعها امتزجت العشائر الهلالية بالقبائل الزناتية والصنهاجية، ولقد عبر الجغرافي الفرنسي مارك كوت عن هذه الاحداث والتفاعلات الحضارية عندما وصف الهضاب العليا القسنطينية : (بانها عبارة عن

منزل من الزجاج تركت عليه الاحداث بصماتها، فهي تقرأ فيه كما تقرأ في كتاب مفتوح، فان كان من السهل معرفتها فان من الصعب محاولة فهمها وتحليلها).

هذا وقد يتطلب التعرف على المسالك والدروب بمنطقة الهضاب العليا القسنطينية وتأكيد أهميتها الحضارية وتحديد دورها في تعميق الانتساب الاسلامي العربي لشعوب المغرب العربي، يتطلب كل ذلك الاشارة الى ان منطقة الهضاب كانت من حيث وضعها الجغرافي وطبيعة تضاريسها ومواصفات مناخها تعتبر بحق منطقة عبور وانتقال طبيعي بين اقليم افريقيا وعاصمته القيروان واقاليم المغرب الاوسط والاقصى وحواضره الكبرى كتاهرت وتلمسان وفاس وسجلماسة، كما كانت تشكل محور مواصلات بين سواحل البحر المتوسط والنواحي الجنوبية المتاخمة للصحراء الكبرى.

فالهضاب العليا القسنطينية بموقعها هذا كانت عبارة عن سهل واسع تنتشر به بعض الجبال وتحيط به السلاسل الجبلية من الشمال (جبال مجردة - نومديا - البابور والقرقور) ومن الجنوب : (جبال تبسة والنمامشة والاوراس والحضنة) ويتميز خاصة بقلة غاباته وكثرة مراعيه وتوفر نقاط الماء في اغلب جهاته وبتربته الخفيفة الخصبة التي تسهل خدمتها بالمحراث البسيط ولا تتطلب زراعتها سوى جهد بسيط عكس الجهات الساحلية الرطبة والنواحي الصحراوية الجافة، فضلا على ملاءمة الاحوال المناخية والصحية لاستقرار السكان وانتشار العمران.

ولعل هذه الشروط الطبيعية والمناخية التي جعلت من منطقة الهضاب منطقة تستقطب طرق المواصلات، وتتحكم في حركة التبادل التجاري بين افريقيا وبلاد المغرب الاقصى، هي التي حدت من اهمية طريق الساحل وطريق تخوم الصحراء الواقعين خارج نطاق الهضاب العليا القسنطينية، فطريق الساحل الذي كان يصل موانيء مرسى الخزر (القالة) (عنابة) وجيجل وبونة، وبجاية ومرسى بني جناد ومرسى الدجاج وجزائر بني مزغناي واشرشال (شرشال) بيراس برشك وتنس قصر الفلوس ووهران وارجكوك (ارشقول)[1] كان يتجنبه المسافرون لصعوبة مسالكه وانقطاعه في بعض الجهات الامر الذي يضطر كثيرا من التجار والمسافرين الى استعمال السفن للانتقال من مرسى الى آخر اما طريق الصحراء الذي وصفه كثير من الرحالة والجغرافيين العرب وذكروا اهم محطاته : كبنطيوس وبسكرة وتهودة وباديس وقيطون[2] فهو من الصعب اجتيازه لشدة حرارته وقلة مائه وانعدام الامن به في كثير من الاحيان، وهذا ما جعل استعماله يقتصر عادة على بعض القوافل المتوجهة الى الجديد وطرابلس والتي كان ينضم اليها الحجاج الراغبون في التوجه الى المشرق امثال العياشي والورثلاني اللذين وصفا هذا الطريق في تقاليدهما التي تعود الى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد[3]. هذا وقد اشتهر من مسالك الهضاب العليا طيلة العهد الاسلامي طريقان يتوجهان من الشرق الى الغرب : احداهما شمالي والاخر جنوبي، ينطلق كلاهما من قاعدة افريقيا (القيروان) ويصلانها بقلعة بني حماد والمسيلة واشيروتاهرت وتصل هذين الطريقين مسالك ودروب فرعية اهمها طريق الاربس - مسكيانة، وطريق مجانة - مرمجانة - تيجس المار على نوبة والذي ينتهي عند قسنطينة وميلة وطريق باغاي تيجس المار بمسكيانة والذي

يسلكه المسافرون الى قسنطينة وطريق سطيف ـ المسيلة والذي يتفرع منه في مدينة الغدير، طريق يتوجه الى طبنة[4] عاصمة الزيبان.

ونظرا لعدم اهمية هذه الطرق الثانوية، فسوف نركز في بحثنا هذا على الطريقين الرئيسيين للهضاب وهما طريق الشمال وطريق الجنوب.

أ) **طريق الهضاب الشمالي :** ذكره أغلب الجغرافيين والرحالة العرب وعددوا محطاته ووصفوا المراكز العمرانية الواقعة عليه، مثل ابن الفقيه الهمداني[5] الذي يعود كتابه (البلدان) إلى أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن العاشر الميلادي (290 هـ/930 م) فقد ذكر ان الفترة التي يستغرقها السفر عبر هذا الطريق : (بين افريقيا وتاهرت هي مسيرة شهر بالابل)؟ وكذلك الاصطخرى الذي يعود كتابه (المسالك والممالك) إلى أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي (322 هـ/934 م) اذ ذكر أن مراحل هذا الطريق من القيروان إلى سطيف ست عشر مرحلة ومثلها بين سطيف وتاهرت[6] وفي نهاية القرن الرابع الهجري وأواخر القرن العاشر الميلادي نجد أن المقدسي يتعرض بدوره إلى محطات هذا الطريق في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وذلك بعد ما زار المغرب حوالي سنة 375 هـ/985 م فذكر من هذه المحطات (تجيس ـ مدينة المهريّن ـ تامسنت ـ دكما ـ قصر الافريقي وأركوني)[7].

ولم ينتصف القرن الخامس للهجرة ـ الحادي عشر للميلاد، حتى يتمكن البكرى من التوسع في وصف المراكز العمرانية بهذا الطريق اعتمادا على معلومات وتقايد محمد بن يوسف الوراق التي تعود إلى عام (3/363 ـ 974 م) فحدد البكري مراحل هذا الطريق بين القيروان وسطيف بعشر مراحل فقط وذكر في كتابه (المسالك) الذي فرغ من تحريره عام 460 هـ / 1067 م، المحطات التالية ابتداء من القيروان : أبّة بالقرب من الاربس ـ فحص بل على وادي مـلاق ـ تامديت تيفاش الظالمة (أوتيباز القديمة) قصر الافريقي المعروف بقصر الصبيحي (Gadiavfala) الرومانية واد الدنانير ـ مدينة تيجس (Tigisii الرومانية) المحاطة ببربر نفزة ـ توبوت من بلاد كتامة ـ مدينة تابسلكي أوتابسلكي عند جبل انف النسر (جنوب عين مليلة) فحص النهريين تامسلت ـ دكمة ـ الغدير ومنها إلى قلعة ابي طويل المعروفة بقلعة بني حماد[8]. أما ابن حوقل النصيبي المعاصر للبكرى، والذي شجعه الاصطخرى على اصلاح خريطته عندما التقى به عام 340 هـ ـ 951 م، فانه ذكر هذه المراحل والمراكز العمرانية مع شيء من الاختلاف وربما يكون أقرب إلى الواقع وأعرف بحقائق الأمور ولا سيما وانه تعرف على بلاد المغرب اثر القضاء على ثورة صاحب الحمار، و قد جاء ترتيبه لمحطات طريق الهضاب الشمالي على هذا النحو: القيروان ـ جلوه ـ اجر طافنجة ـ الابرس (لاراس الرومانية) ـ تامديت ـ تيفاش قصر الافريقي اركوا تيجس ـ نمروان ـ مهريين ـ تاسنت ـ دكمة أو سجيت ـ المسيلة[9] وأغلب هذه المراكز العمرانية يثبتها الادريسي بدوره في وصفة الذي يعود إلى فترة متأخرة نسبيا أي إلى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد (548 ـ 1154 م) مثل تيفاش وقصر الافريقي وقرى اركو والبرداوين والنهرين وتامسيت ودكمة وأوجسيت والمسيلة[10] ومما يلاحظ ان الجزء الشرقي من

هذا الطريق الواقع ما بين الابس وتوبوت والمعروف عند البكري بالجناح الأخضر لكثرة اشجاره وغنى مزارعه[11] لم يطرأ عليه أي تعديل ولم يتحول عن موقعه طيلة الفترة الاسلامية بينما الجزء الغربي الممتد ما بين توبوت وسطيف أصبح يتشكل من مسلكين متوازيين احدهما يمر على المحطات التي سبق ذكره عند الرحالة المسلمين والآخر أصبح يعرج على مدينتي قسنطينة وميلة ونواحي تازولت قبل أن يصل سطيف ومنها يتحول إلى قلعة بني حماد عن طريق مدينة الغدير، وهذا ما نستنتجه من رواية المقدسي وأوصاف الادريسي الذي ذكر أن المسافة بين قسنطينة وسطيف أربع مراحل[12] وقد اكتسى هذا المسلك الشمالي أهمية متزايدة في فترة متأخرة فسلك جزءا منه العبدرى البلنسي في سفرة من بجاية إلى بونة حيث مر بمواطن بني وارار وبميلة وقسنطينة عام 688 هـ[13].

وفضله الشيخ الورثلاني عند عودته من الحج اذ مر بالكاف وقسنطينة وبئر البقرات وأولاد الحاج قبل أن يصل إلى زمورة ويحط رحاله ببني ورتلان عام 1181 هـ/7 ـ 1786 م[14]. وكذلك الزياني في الترجمانة الكبرى (1233 هـ/1818 م) وقد ورد في التقارير الأولى لضباط جيش الاحتلال الفرنسي ما يدل على بقاء هذين المسلكين مستعملين حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، فحسب لوحة المؤسسات الفرنسية ومعلومات بربروجي أن الطريق بين قسنطينة وسطيف يتكون من مسلكين أحدهما يمر بمرتفعات التل (الصراوات) ويصل ميلة وفج مزالة بسطيف والآخر يخترق الهضاب العليا مباشرة حيث تقيم قبيلة أولاد عبد النور.

هذا وقد ظل طريق الهضاب الشمالي ـ رغم وجود مسلك آخر له مارا بقسنطينة وميلة محافظا على أهميته تعبره القوافل التجارية ويسلكه المسافرون والحجاج، ولعل أهم حدث تاريخي عرفه هذا الطريق هو اصطدام جموع الهلاليين واحلافهم من أمراء صنهاجة بجيوش الموحدين المتوجهة إلى افريقيا بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي، ووقوع معركة رهيبة دامت ثلاثة أيام أسفرت عن قتل الكثير من فرسان الهلاليين وأسر العديد من نسائهم وأطفالهم والاستحواذ على أغلب متاعهم.

ولاخذ مثال عن تطور عمران مراكز هذا الطريق الشمالي للهضاب القسنطينية نتعرض إلى الأحداث التي عرفتها مدينة سطيف في الفترة الاسلامية باعتبارها محطة رئيسية على هذا الطريق، فسطيف التي أصابها الاضمحلال في نهاية الحكم البيزنطي وبداية الفتح الاسلامي ما لبثت أن تطور عمرانها وازداد عدد سكانها، فوصفها الاصطخرى في أوائل القرن الرابع بأنها (مدينة كبيرة بين تاهرت والقيروان)[15] وذكرها ابن حوقل بهذه العبارة (مدينة سطيف كثيرة الخير تقارب ميلة والمسيلة وتصاقب القسطنطينية (أي قسنطينة)[16] وعقب عليها البكرى بقوله : (مدينة كبيرة جليلة أولية، وهي اليوم بدون سور لكنها عامرة جامعة كثيرة الأسواق)[17] أما صاحب الاستبصار فيعرفها بقولها : (مدينة قديمة أزلية كان عليها سور ضخم رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه والثمار)[18] وحتى في فترة متأخرة ظلت سطيف تحافظ على ازدهارها، وهذا ما يفهم من وصف أبي الفداء صاحب حمادة لها في الربع الأول من القرن الثامن للهجرة (721 هـ)، اذ ينعتها بقوله : (بأنها مدينة كبيرة)[19].

ومما يلفت الانتباه ان سطيف استطاعت أن تتغلب على الآثار المدمرة لأعمال التخريب التي تعرضت لها، وان تظل مركزا عمرانيا ومحطة تجارية رئيسية بمنطقة الهضاب، فلم يؤثر عليها كثيرا حصار عبد الله الشيعي لها مع جموع كتامة المناصرين له، والذين بادروا بعد مقتل واليها الأغلبي علي بن جعفر المعروف بابن عسلجة وأخيه جبيب من قبيلة أسد بن خزيمة إلى دك أسوارها وهدم مبانيها عام 904 م وكان الدافع إلى ذلك حسب قول البكرى رغبة كتامة في الانتقام : (وذلك ان سطيف كانت لكتامة ثم غلبتهم عليها العرب فكانوا يعشرونهم اذا دخلوها)[20] ولعل عدم تجديد أسوار سطيف وبقاءها مصرا مفتوحا معرضا للتهديد في الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين صنهاجة وزناتة وأصبحت العشائر الهلالية تتحكم في الجهات القريبة من سطيف، اثر على عمران مدينة سطيف وادى إلى اضمحلالها بدليل ان الادريسي في القرن الثاني عشر للميلاد لم يعد يعتبرها مدينة وانما يصفها (بانها حصن كثير الخلق كالمدينة)[21] وان ياقوت الحموى في أوائل القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلاد يقول عنها بانها (مدينة صغيرة)[22] كما أن الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي الذي مر بسطيف في طريقه من فاس إلى تونس قبل أن يقع في الأسر عام 1520 م ويتنصر على يد البابا، ذكر ماضي سطيف الحافل وعقب عليه (بان أحوالها ضعفت وعمرانها تلاشى ولم يبق منها قائما سوى مائة منزل آهلة بالسكان) وبذلك اختفت سطيف كمدينة ولم تعد طيلة العهد العثماني سوى محطة للفرق التركية في انتقالها بين مدينتي الجزائر وقسنطينة. ونفس الازدهار الذي عرفته سطيف في الفترة الاسلامية الأولى إلى غاية القرن الحادي عشر للميلاد اشتهرت به أيضا أغلب الجهات التي يمر بها طريق الهضاب الشمالي ولا سيما نواحي سطيف فوصفها الاصطخرى (بأنها عبارة عن كورة تشتمل على قرى كثيرة متصلة يقطنها افراد قبيلة كتامة[23] وقال عنها البكرى بانها تنتج كثيرا من الفواكه وحولها بساتين جيدة السقي تنتج الفواكه الكثيرة لا سيما اللوز الجيد الذي يحمل منها)[24] ونعتها صاحب الاستبصار (بأنها كثيرة الفواكه والثمار غزيرة المياه والأنهار والبساتين والأشجار)[25] ونفس الأوصاف التي تدل على خصب وغنى الأرياف القريبة من سطيف أوردها كل من أبي الفداء صاحب حماه[26] وياقوت الحموى[27] والادريسي[28] فياقوت الحموى ذكر بأنها ذات مزارع وعشب عظيم) والادريسي وصفها (بأنها كثيرة المياه والشجر المثمر بضروب الفواكه ومنها يحمل الجوز لكثرته بها إلى سائر الاقطار. وهو بالغ الطيب حيث يباع بها أي سطيف رخيصا.

وعلى الطريق من سطيف إلى القلعة توجد المزارع الغنية والحقول الخصبة لناحية الغدير وفحص عجيسة الذي قال عنه صاحب الاستبصار بأنه (كثير الزرع والضرع الا أنه شديد البرد والثلج)[29] وقد أسهب الادريسي بدوره في وصف خصب نواحي برج الغدير اذ يقول أن أهالي الغدير (لهم مزارع وأرض مباركة والحرث بها قائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات في معاملاتهم كثيرة)[30]، وحتى البكرى الذي أطلق على الغدير اسم (غدير يروا وراء ذكر انه (رخيص الطعام واللحم وجميع الثمار، قنطار العنب بها بدرهم)[31] وإلى عهد متأخر ظلت هذه الناحية تشتهر بخصبها فذكر عنها الورثلاني في رحلته عندما مر بها في طريقه للحج عامي 1166 و1179 (وان قصر الطير بادية وهو من أحسن الأوطان وأكرمها قل ان لا يكون فيه الخصب وعشبه أخضر ولو في الصيف والخريف)[32].

ب) طريق الهضاب الجنوبي : يربط ما بين القيروان والمسيلة ويصل مباشرة القيروان بقلعة بني حماد وتاهرت، فهو يخترق جهات ثمود بالظهر التونسي ويجتاز سبيبة ويصل تبسة عبر مضيق ـ مجانة ـ مسكيانة، ليحاذى بعد ذلك السفوح الجنوبية لجبال الحضنة، وأهم مراحل هذا الطريق اعتمادا على كل من المقدسي والبكرى وابن حوقل والادريسي(33) هي : سبيبة مجانة ـ تبسة ـ نرمجانة على وادى ملاق مسكيانة ـ باغاى ـ فاساس ـ قبر مادغوس (مدراسن الحالية) ـ سوق بن خلف ـ توفانة ـ عين العصافير ـ دار ملول ـ مدينة اللوز ـ بلزمة ـ نقاوس ـ طبنة ـ مقرة ـ المسيلة ـ قلعة بني حماد ومنها تتفرع طرق بجاية واشير وتنس وتلمسان وتاهرت ويستنتج من المعلومات المتعلقة بهذا الطريق والاختلاف في ذكر محطاته والاشارة إلى بعضها دون الآخر في كتب المسالك والممالك(34) ان هذا الطريق كان يتحول موقعه في فصل الشتاء نحو الشمال ليقترب من منطقة الشطوط الحالية (السباخ) حيث تنتشر المراعي ويسود جوّ دافيء نسبيا فيمر الطريق على عين العصافير وفاساس وقبر مادغوس، بينما ينتقل في الصيف مكان هذا الطريق إلى الجهات الجنوبية المرتفعة والتي تؤلف سفوح جبال تبسة والأوراس وبلزمة الشمالية حيث يوجد الماء ويعتدل الجو وتتوفر المراعي الصيفية الواقعة بالقرب من مجانة وتبسة ودو وفانة وسوق بن خلف ودار ملول.

ومما يلاحظ على هذا الطريق انه اقصر السبل وأسهل المسالك بين القيروان وتاهرت وهو يساير في أغلب مراحله الطريق الروماني الشهير الذي كانت تتوزع عليه القلاع والتحصينات والخنادق التي كانت تشكل خط اللمس ابتداء من تيفاست (تبسة) وحتى طبنة القديمة ومرورا على كل من مسكولا ؟ (خنشلة) وباغاى وتيمغاد ولمبيز (تازولت) حيث مقر قيادة الجيش الثالث الروماني المعسكر بافريقيا(35)، هذا وقد شهد هذا الطريق الجنوبي للهضاب أحداثا عسكرية حاسمة كان لها تأثير على مقدرات المغرب العربي فبفضل التحصينات المقامة عليه تمكنت جيوش القائد البيزنطي صولومون من التصدي للزعيم الأوراسي الثائر ياداس الذي كان في مقدوره أن يجند ضد البيزنطيين الفي فارس وثلاثين ألفا من المشاة، وبذلك لم يتمكن من مواجهة القوة البيزنطية واضطر أخير إلى الالتحاق باقليم موريطانيا (الهضاب الغربية) عام 539 م لمواصلة ثورته على البيزنطيين(36).

كما أن هذا الطريق عرف الفاتحين العرب الأوائل فمر منه عقبة بن نافع الفهري (ض) في حملته على المغرب الأوسط والأقصى، وحسب المصادر الاسلامية أن عقبة بعد ان ترك بالقيروان زهير بن قيس البلوى قطع هذا الطريق بسرعة وهاجم باغى ثم واجه مقاومة لمبسة (تازولت) حيث دارت معركة انتصر فيها حسبما يفهم من رواية النويرى، بعدها تابع سيره على هذا الطريق حتى منطقة الزاب ونواحي طبنة حيث تقيم قبيلة اوربة وزعيمها كسيلة.

وبالقرب من هذا الطريق هزم حسان بن النعمان على يد الكاهنة زعيمة الاوراس في معركة البلاء (واد نيني) بين مسكيانة وباغاى عام 69 هـ 688 ـ 689 م وقد استتب الأمر للكاهنة اثر هذه المعركة لتحكم اقليم افريقيا خمس سنوات متتالية(37).

ومن أهم المراكز العمرانية الواقعة على هذا الطريق نذكر المحطات التالية مع اثبات الأوصاف التي خصها بها الرحالة والجغرافيون العرب :

1 ـ مجانة : ذكرها البكرى بقوله (مجانة المطاحن... بها مقطع حجارة الأرحني ليس على الأرض مثله)[38]

2 ـ تبسة : قال عنها البكرى ـ (وهي مدينة أولية كثيرة الثمار والأشجار)[39]

3 ـ مرجانة : وصفها المقدسي بأنها مدينة كبيرة من عمل رستاق تبسة كثيرة الفواكه[40] وقال عنها ابن حوقل (بان لها أسواقا حسنة)[41]

4 ـ مسكيانة : أشار إليها ابن حوقل بقوله (انها قرية قديمة كثيرة المياه والزرع وعليها سور وماؤها جار من عيون فيها الحوت الكثير الرخيص[42].

5 ـ باغاى : اشتهرت منذ عهد جستنيان واستقرت بها الأفارق وجماعات البربر وعائلات الجند العربي في أوائل الفتح الاسلامي ونقل إليه المنصور الفاطمي غالبية سكان ميلة عام 378 هـ، 988 م وظلت محافظة على مكانها فنكرها المقدسي بقوله مدينة كبيرة مسورة[43] وأشار إليها البكرى بأنها (مدينة جليلة أولية)[44]، وقال عنها ابن حوقل (وهي كبيرة وعليها سور أزلي من حجارة ولها ربض عليه سور وأسواق به وكانت الأسواق قديما في المدينة فنقلت)[45] وذكرها صاحب الاستبصار بقوله : (باغاية وهي مدينة عظيمة فيها اثار للاوائل[46]، أما الادريسي فقد وصفها قبل مداهمة الاعراب لها بقوله (باغاى مدينة كبيرة عليها سوران من حجر وربض وعليه سور وكانت الأسواق فيه)[47].

ومن العلماء المشهورين الذين ينتسبون إليها نذكر المقرىء الشهير أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي (345 ـ 401 هـ) غادر مسقط رأسه باغاى ليتولى الاقراء بجامع قرطبة، وقد ذكر عنه ياقوت الحموى بان (المؤيد بالله هشام بن الحكم رقاه إلى خطة الشورى بقرطبة) ووصفه بانه (كان من أهل العلم والفهم والذكاء وكان لا نظير له في علوم القرآن والفقه على مذهب مالك[48].

6 ـ دار ملول : وصفها الادريسي بأنها كانت مدينة عامرة وأسواقها قائمة وفيها حصن مطار فيه مرصد من البلد ينظر إلى مجال العرب وبلادهم)[49].

7 ـ بلزمة : قال عنها ابن حوقل بأنها (حصن لطيف فيها رجال جلد)[50] وذكر البكرى بانها (حصن أولي)[51] واعتبرها الادريسي (حصن لطيف وفي أهله عز ومنعة ولها ربض وسوق وبناؤه الحجارة الكبار القديمة) ووصف هذا السور فقال عنه : بأن الرائين من الخارج يرونه عاليا والمدينة ذاتها مردومة بالتراب والأحجار فاذا نظر الناظر لسور من خارج المدينة رأى سورا كاملا واذا دخل المدينة لم يجد لها سورا لأن

أرض الحصن وهي مردومة كما ذكر وهذا غريب في البناء[52] ومن الأحداث التي اثرت على عمران حصن بلزمة ان ابراهيم بن أحمد بن الأغلب استدرج رجاله واستقدمهم إلى رقادة واسكنهم وامنهم ثم اخذ ارزاقهم وقتلهم على اخرهم عام (280 هـ[53]).

8 ـ نقاوس : وصفها المقدسي بهذه العبارة : (باردة بلدا الجوز والثمار الجبلية)[54] ونعتها ابن حوقل بانها (مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزلية)[55] وأشار اليها صاحب الاستبصار بأنها (مدينة كثيرة الانهار)[56] وذكرها الادريسي بقوله : (سوق قائمة ومعايش كثيرة)[64] وأعجب بها الحسن الوزان فذكر ان سكانها أغنياء يشتهرون بالكرم والأناقة مما جعل ملابسم تشبه ملابس حضر بجاية من حيث الجودة والجمال : وقد قصدهم الغرباء ووجدوا المأوى والطعام واللباس وقد خصصت لاقامتهم احدى مدارس المدينة وهذا ما جعل كثيرا من المسافرين والرحالة ياسفون لمغادرة نقاوس والارتحال عنها نظرا لخصال الكرم وحسن الاستقبال والضيافة التي اشتهر بها سكان نقاوس، ولم يفت حسن الوزان أن يشيد بجمال مسجدها وحسن هندسة منازلها المحاطة بحدائق الأزهار والورود، كما أشار أيضا إلى جمال نسائها اللاتي كن يتميزن ببياض البشرة وسواد الشعر[57].

9 ـ طبنة : بالقرب من واد بيطام المعروف اليوم بواد بريكة ظلت تعتبر من حواضر منطقة الزاب رغم انتقال مقر السلطة منها إلى مدينة المسيلة (المحمدية) في أوائل القرن الرابع الهجري بدليل أن أبا الفداء وصفها في تقويم البلدان بانها (مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والأهل والزروع)[58].

10 ـ المسيلة والقلعة : كلاهما من المدن المستحدثة كما سبقت الاشارة إلى ذلك فالمسيلة انشئت على وادى نهر والخصب (وادي القصب) وسط منازل بني زروال وبني زنداج وهوارة وعجيسة وقلعة بني حماد المعروفة بقلعة أبي طويل اقيمت على سفح جبل تفريست وهذا ما أكسبها موقعا حصينا ومناخا صحيا فقد قال عنها صاحب الاستبصار انها : (حصينة منيعة... على نظر عظيم)[59] وذكر ياقوت الحموى[60] (ان لاهلها صحة مزاج ليس لغيرها).

هذا وقد ارتبط ازدهار هذه المراكز العمرانية الواقعة على مسالك الهضاب بتطور الاقتصاد وانتشار البساتين وكثرة الانتاج الفلاحي فنواحي باغاى كان يجلب لها الماء من جبل اوراس حسب رواية المقدسي[61] فانتشرت بها البساتين لمسافة مرحلة من المدينة وان كان سكانها يعتمدون في معاشهم على انتاج القمح والشعير، وهذا ما جعل البكرى يصف جهات باغاى بأنها ذات أنهار ومزارع ومسارح)[62] ونفس الوصف كرره صاحب الاستبصار اذ قال : (بان لها انهارا عامرة وعيونا ومزارع ومسارح)[63]، واذا تحولنا إلى الشرق من باغاى نجد البكرى يصف تبسة بانها كثيرة الثمار والأشجار[64] بينما صاحب الاستبصار يقول عن

ارياضها بان لها : (بساتين كثيرة وفواكه عجيبة ويجود فيها الجوز حتى يضرب به المثل بافريقيا) وحتى عهد متأخر يعود إلى أوائل القرن السادس ظلت تبسة منتجة رغم قلة خصب اراضيها حسب رواية حسن الوزان وعلى كل فان تبسة كانت تنتشر حولها الغابات على بعد أربعة أو خمسة أميال وتحاصرها الحدائق والبساتين من كل جهة أما اذا انتقلنا إلى الجهات الغربية للطريق الجنوبي فاننا نجد فحص بلزمة يسقى بالمياه الجارية الأمر الذي جعل بلزمة تشتهر بالرخص وكثرة المواشي حسب رواية ابن حوقل[65] ونفس هذه الصورة يثبتها البكرى عندما يذكر نواحي بلزمة بانها (كثيرة الأنهار والثمار والمزارع والقرى)[66] وإلى الغرب من بلزمة فحوص نقاوس التي وصفها ابن حوقل بان : (بها مياه كثيرة وأجنة عظيمة وبها جميع الفواكه والجوز وزرعهم غزير كثير[67] وظلت نقاوس محافظة على هذا الازدهار الزراعي إلى عهد متأخر اذ أشار الادريسي إلى نواحيها بانها تشتهر بكثرة البساتين والأشجار المثمرة كالجوز الذي يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار)[68] ونفس الخبر أورده صاحب الاستبصار عندما أورد أن مدينة نقاوس (كثيرة الأنهار والثمار والمزارع كثيرة شجر اللوز منها يحمل الجوز إلى قلعة بني حماد وإلى بجاية وإلى أكثر البلدان[69].

بعد التعرف على طبيعة العمران وحالة الاقتصاد في الحواضر والجهات المتاخمة لطريقي الهضاب الشمالي والجنوبي، يجدر بنا أن نحاول التعرف على العوامل التي ساعدت على ازدهار منطقة الهضاب العليا في الفترة الاسلامية الأولى أي من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر للميلاد وعلى الأسباب التي أدت إلى اضمحلالها في الفترة المتأخرة لا سيما بعد القرن الثاني عشر للميلاد فمن الظروف المساعدة على تطور الزراعة ونمو الحواضر في الفترة الاسلامية الأولى لا سيما القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد : استقرار الحكم العربي بالقيروان في عهد بني أمية بعد أن تمكن يزيد بن حاتم من تجديد بناء القيروان عام 772 م واثر التغلب على حركة الخوارج وتمكن الدولة الأغلبية بعد ذلك من بسط نفوذها واقرار سلطتها على اقليمي افريقيا والزاب، وقد صاحب هذا الاستقرار السياسي الذي أصبحت بفضله القيروان قاعدة للاقاليم الاسلامية الواقعة إلى الغرب من ولاية مصر تزايد السكان نتيجة النمو الديمغرافي المتسارع[70].

ونشاط المبادلات التجارية بين اقاليم المغرب ويضاف إلى هذه العوامل الايجابية ظهور حواضر اسلامية وانشاء عواصم محلية ارتبطت بطرق المواصلات بكل من تاهرت عاصمة الرتمين 761 ـ 908 وفاس التي أسست عام 193 هـ والمسيلة التي خطها علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي عام 313 هـ 927 م أوش من أبي القاسم ابن عبيد الله الفاطمي وأشير التي شيدها زيرى بن مناد عام 935 م، وبناء القلعة من طرف حماد بن بلكين عام 1007 لتكون عاصمة للدولة الحمادية قبل ان ينتقل مقرها إلى بجاية عام 1067 م.

وهذا ما شجع الفلاحين بمنطقة العضاب العليا القسنطينية على ممارسة الزراعة وتحسين الانتاج الفلاحي والنهوض بعدة صناعات ومهن ارتبطت خاصة بانتاج الأرض فاشتهرت مقرة

والمسيلة بانتاج الكتان وطبنة والمسيلة بانتاج القطن. كما تميزت مقرة وطبنة بغابات النخيل وسطيف وبلزمة ونقاوس وتبسة بانتاج كميات كبيرة من الجوز واللوز حسبما تفيدنا به تقايد الرحالة والمسافرين[71] في الوقت الذي أصبحت فيه قلعة بني حماد مركزا مهما لسك العملة وصناعات النسيج والفخار والزجاج، قد ذكر أي ياقوت الحموى (ان قلعة بني حماد بها الاكسية الضفيقة النسيج الحسنة المطرزة بالذهب ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الابرسيم)[72].

بعد هذه الفترة من الازدهار بدأت أوضاع الهضاب العليا القسنطينية تسوء مع نهاية القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي، ولم يأت القرن السادس الهجري ـ الثاني عشر للميلاد حتى اختلفت طرق المواصلات ولم يعد للقيروان مركز الصادر، وأصبح المغرب الأقصى يعيش اقتصادا مكتفيا بنفسه، بعد أن تخلى بولوغين عن فاس عام 986 م وتقوقعت الدولتان الحمادية والزيرية في الجزء الشرقي من المغرب العربي، ومن ذلك الوقت انعدمت الوحدة الاقتصادية لأقطار المغرب العربي ولم يستطع الموحدون ان يوحدوا المغرب العربي اقتصاديا رغم تمكنهم من توحيده سياسيا ودينيا.

وقد انعكس هذا الوضع المتردي على منطقة الهضاب العليا خاصة، فاختفت كثير من المراكز العمرانية وأصبح من الصعب تحديد مكانها على الخريطة مثل مجانة ومرجانة وعين العصافير وسوق بن خلف ودار ملول ومدينة اللوز وتادميت وتابلسكي والنهروين واجسيت ودكمة وتوبوت والبردوين وغيرها، ولم تعد المدن الكبرى بالاقليم كسطيف وتبسة وباغاى وبلزمة ونقاوس تذكر في كتب الرحالة والجغرافيين الا عرضا.

وصاحب هذا الاضمحلال انتشار الحياة البدوية بالهضاب فاختفت الحقول والبساتين الغنية لتحل محلها المراعي، لا سيما في الجهات الشرقية والجنوبية من الهضاب وقد كان خراب المسيلة عام 324 هـ، ثم انتقال العاصمة الحمادية من القلعة إلى بجاية سنة (1067) ثم تدمير القلعة من طرف عبد الله بن عبد المؤتمن الكومي وقتل كثير من سكانها 547 هـ/52 ـ 1153 م قدرهم ابن خلدون[73] بحوالي ثمانية عشر ألف شخص، كل ذلك كان مؤشرا واضحا ودليلا قاطعا على اضمحلال الحياة العمرانية بالهضاب وانقطاع طرق المواصلات بها.

ويكفي الباحث أن يعود إلى رحلة العبدرى التي ترجع إلى نهاية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي ويتصفح ما كتبه الحسن الوزان في مطلع القرن السادس عشر حتى يتلمس مظاهر اختلال الحياة العمرانية والاقتصادية بالهضاب العليا القسنطينية التي تحولت إلى منطقة عازلة تنحدر إليها قبائل السفوح الشمالية والجنوبية لرعي قطعانها في فصل الشتاء والعودة إلى مواطنها بالمناطق الجبلية في فصل الصيف دون أن تحاول الاستقرار بها لانعدام الأمن وافتقارها إلى وسائل الدفاع، وفي هذه الظروف السيئة تخربت باغاى وأصبحت أريافها خالية من افساد العرب لها حسبما اورد الادريسي[74] وتحولت دار ملول إلى خرائب واختفت من مكانها وكانت قبل ذلك مدينة عامرة وأسواق قائمة حسب رواية ابن حوقل[75].

ولعل أوضح مثال على تردي الحياة العمرانية بالهضاب الحالية التي أصبحت عليها مدينة تبسة اذ لم يبق من عمرانها القديم سوى قصرها الذي تجمع به السكان وهذا ما دفع الادريسي إلى اهمال ذكرها وجعل ياقوت الحموى يقتصر في وصفها على القول بأنها (خراب الآن أكثرها ولم يبق بها الا مواضع يسكنها الصعاليك لحب الوطن لأن خيرها قليل)[76] وذلك بعد أن حل بنواحيها بنو هلال منذ عام 1056 ووجدوا بها ملجأ آمنا اثر هزيمتهم على يد عبد المؤمن الموحدي سنة 1152.

ومما زاد أوضاع تبسة سوءا محاولة ابن غانية وضع يده عليها عام 1202 ثم اضطراره إلى الانسحاب منها بعد هزيمته بنواحي عين شابرو الواقعة إلى الشمال الغربي من تبسة على بعد احد عشر كيلو مترا وكذلك تعرضها إلى نقمة حاكم تونس الذي كان يتجول داخل البلاد عام 915 هـ/1509 م) بسبب امتناعها عليه، ولو لم يبادر بايات قسنطينة إلى تنصيب حاكم عليها (قايد) واقرار حماية بها مؤلفة من حوالي 140 انكشاريا لاستخلاص الضرائب وحماية القوافل المتوجهة إلى تونس لاندثرت تبسة وتحولت إلى خرائب أثناء ثورتي الحنانشة عامي 1637 و1729 م.

اما أسباب هذا الانحطاط الذي أصبحت تعيشه الهضاب العليا القسنطينية فيعود إلى احداث سياسية واضطرابات اجتماعية وأزمات اقتصادية، منها ما يعود إلى الفترة السابقة للاسلام ومنها ما بدأت اعراضه في الفترة الاسلامية الأولى ولم تظهر نتائجه الا منذ القرن الخامس الهجري، ومن أهم هذه الأحداث والأزمات التي أضرت بالهضاب العليا نذكر :

1 ـ **أسلوب الادارة الرومانية**، الرامي إلى توسيع الأراضي الصالحة للزراعة بالهضاب العليا على حساب مجال الرعي ولو بطرد الأهالي إلى ما وراء خط التحصينات الشهير باللمس مما أحدث ضغطا بشريا متزايدا على حدود الامبراطورية في الوقت الذي اضرت بها الانقسامات المذهبية والثورات المحلية، ومما زاد هذا الوضع سوءا اندلاع الثورة الدوناتية في القرن الرابع الميلادي ثم فشل البيزنطيين بعد ذلك في الحد من تحركات البدو بمنطقة الهضاب التي أصبحت مجالا تنقل القبائل الرحل من زناتة وبذلك انحصرت السلطة البيزنطية في رقعة ضيقة من الهضاب لم تتجاوز في أغلب الأحيان الجهات المتاخمة لطرق المواصلات والمواقع الحصينة بين الجبال.

وهكذا لم تستطع الادارة البيزنطية ولا المتعاونون معها من سكان المدن الذين اصطبغوا بالصبغة اللاتينية إلى الحد من انحصار الحياة الزراعية المستقرة والحيلولة دونها وضعف التبادل التجاري الأمر الذي ادى إلى اتلاف حقول الزياتين ومزارع الكروم وإلى اختناق المدن وانعزالها داخل أسوارها تترقب زحف القبائل الرحل من لواته وغيرها وتتخوف من هجوم الثائرين امثال انتلان وكوتريناس ولو لم تبادر الادارة العربية الاسلامية بالقيروان اثر الفتح الاسلامي مباشرة بتشجيع المواصلات واقرار الامن، لكان لهذا الوضع آثار سلبية مباشرة في العهد الاسلامي الأول ولما تأخرت نتائجه إلى فترة لاحقة.

2 ـ أعمال التخريب التي تنسب إلى الكاهنة، والتي لا نأخذها على علاتها حسب ما وردت في الرواية المتداولة(77) والقائلة بان الكاهنة بعدما ملكت المغرب اثر هزيمة حسان بن نعمان (وجهت قومها إلى كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون) بل نرى من الضروري أخذ الموقع الاجتماعي وطبيعة العلاقة بين المدن والريف بعين الاعتبار، فالكاهنة بهذا المنظور تصبح رمزا لا أكثر ولا أقل لنمط الحياة البدوية الرافضة لكل سلطة قارة قد تعيق تحركها أو تحد من مجال انتقالها، وقد وجدت الكاهنة وقومها في أول الأمر ما يساعدها على تعزيز أسلوب الحياة البدوية في بقايا الادارة البيزنطية بالمدن، فتحالفت معهم مؤقتا قبل أن تناصبهم العداء اثر انتصارها على العرب، ويضطر الكثير منهم إلى مغادرة مدنهم، فقد جاء في نفس الرواية العربية التي أوردها ابن عذارى (ان كثيرا من النصارى والأفارقة خرجوا وتفرقوا على الاندلس والجزر البحرية) وعلى كل فان مقاومة الكاهنة وكسيلة تندرج في الصراع المستمر بين البداوة والحضارة وبين حياة الاستقرار والارتحال وقد ورد على لسان الكاهنة ما يؤكد ذلك : عندما حدثت قومها : (ان العرب انما يطلبون من افريقيا المدن والذهب والفضة والحق انما نريد منها المزارع والمراعي فلا نرى لكم الا خراب بلاد افريقيا كلها حتى ييأس منها العرب) ولهذا لا نستغرب ان تبادر الكاهنة حسب هذه الأقوال إلى تبني احد العرب وتشجيع ابنيها على الالتحاق بجيوش المسلمين عندما لمست مدى التقارب والتشابه بين قومها والعرب في نمط الحياة وطريقة العيش.

3 ـ حركة الخوارج، التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة ـ الثامن للميلاد، وكانت لها ميول وطنية وصبغة دينية، وتعبر عن ازمة اقتصادية تتمثل في اختلاف الأهداف وتضارب المصالح بين سياسة ولاة القيروان والرامية إلى تعزيز الحواضر وتدعيم حياة الاستقرار واقرار الحاميات في المدن والحصون وبين القبائل الزناتية التي رأت في هذه السياسة ما يتنافى وطبيعتها البدوية ويتعارض وسعيها في توسيع مجال الرعي في السهول الخصبة فأصبحت سهول باغاى أثناء انتفاضات الخوارج مجال رعي لبطون هوارة الأباضية كضريسة ومزاتة وتحول طريق الهضاب الجنوبي إلى مسلك مفصل تنطلق عبره جموع الثوار لمهاجمة القيروان فقد سلكه عكاشة الصفرى الخارجي في هجومه على القيروان قبل أن ينهزم في معركة القرن الشهيرة . والجدير بالملاحظة أن تراجع حركة الخوارج وارتباطها بالأقاليم الرعوية كسهل السرسور وجبل نفوسه ساعد على ابقاء منطقة الهضاب العليا خارج مجال الرعي الرئيسي رغم الآثار السلبية لهذه الحركة على تطور التجارة وازدهار الحواضر.

4 ـ ظروف قيام الدولة الفاطمية والنزاع المذهبي بين السنة والشيعة، فالدولة الفاطمية كما هو معروف استقرت بالمهدية بعد انتصارها على دولة الأغالبة قبل ان تنتقل إلى مصر، وقد عمل دعاتها منذ ابي عبد الله الشيعي إلى الترويج للمذهب الشيعي على حساب اراء أهل السنة التي كان لها أنصار ومدارس في الحواضر كالقيروان وطبنة. وقد انعكست الروح العدائية بين اتباع المذهبين في الاحداث الدموية التي انتهت بتقويض أركان الدولة الأغلبية،

وتضررت من جرائها مدن الآريس وباغاى ومرجانة وأصاب بعضها الآخر الدمار والتخريب كسطيف وبلزمة وتيجيس ودار ملول وغيرها بدليل ان ابن عذارى ذكر ان ابا عبد الله الشيعي تجول عام 298 هـ في بلاد البربر وحارب مدينة وزناتة وقتل الرجال واخذ الأموال وسبى الذرية وأحرق بعض المدن بالنار)[78]، واعقب ذلك بعد فترة ظهور روح معادية للحكم الفاطمي بافريقيا، وقد تزعم هذا التيار المعادي للمذهب الشيعي الثائر الشهير ابو يزيد مخلد بن كيداد الملقب بصاحب الحمار 332، ووجد التأييد والمساندة بمناطق الأوراس والجريد والحضنة الأمر الذي اضطر أبا القاسم الفاطمي إلى التحصن بالمهدية وكاد صاحب الحمار أن يضع حداً للحكم الفاطمي لولا مساندة القبائل الصنهاجية وتصديها للثائرين فأمكن وضع حد لهذه الثورة عام 336 هجري بتشتيت جموعها والتمثيل بزعيمها بعد القاء القبض عليه وقتله في معركة جبل الكيونة بنواحي قلعة بني حماد كما هو معروف.

هذا وقد تسببت هذه الثورة في الحاق اضرار بالغة بأرياف ومدن منطقة الهضاب خاصة، فقد ذهب الدرجيني إلى أن ما خربه صاحب الحمار ناهز 30 ألف قرية[79]، فرغم ما يلمس في هذا الخبر من مبالغة الا انه يعبر بصدق على مدى الأضرار التي أحدثتها هذه الثورة.

5 ـ **طبيعة النزاع العشائري بين القبائل الزناتية والصنهاجية**، الذي شجع عليه الوضع السياسي للمغرب العربي في القرن الرابع الهجري، والذي تميز خاصة بارتباط قبائل كتامة وصنهاجة بالدولة الفاطمية وموالاة قبائل زناتة للخلافة الأموية بالأندلس الأمر الذي ادى إلى نزاع مستمر وصدام دموي كان له اثار سلبية ونتائج مدمرة على اقاليم المغرب الأوسط ولا سيما منطقة الهضاب العليا كانت تلك الفترة تمثل خط الحدود التقريبي بين مجال زناتة الرعوية وصنهاجة الفلاحية والذي كان يتشكل من خط وهمي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي يبتدىء بمدينة تنس على الساحل وينتهي عند مدينة بسكرة بمنطقة الزيبان ' ففي الشرق من هذا الخط كانت تستقر بصفة عامة قبائل صنهاجة وحلفاؤها وإلى الغرب منه كانت تتجول في الغالب زناتة ومناصروها من القبائل الأخرى وكان لاختلاف أسلوب العيش والتفكير والنظرة دور في تعميق هذا النزاع بين المجموعتين حتى بعد الفاطميين إلى مصر وقدوم الاعراب الهلاليين إلى بلاد المغرب وبعد فشل صنهاجة في بسط نفوذها على الجهات الواقعة إلى الغرب من اشير بعد ان تمكنت من اقامة الدولة الزيرية والحمادية.

ونحن لا نبالغ اذا قلنا بان هذا الصدام الحضاري بين مجال الزراعة والرعي أو بين الفلاحين والرعاة قد تحكم إلى حد ما في مصر والمغرب الأوسط وكان سببا رئيسيا في اتلاف الزراعة في جزء كبير من منطقة الهضاب العليا، فهو بحق أخطر انقلاب عمراني وحضاري عرفته المنطقة في القرون الوسطى.

6 ـ **التغزية الهلالية**، تعتبر احدى العوامل الرئيسية في اضمحلال الحياة الزراعية والعمرانية بمنطقة الهضاب القسنطينية، لا سيما بعد ان نجحت جموع الهلاليين من بسط نفوذها على

مناطق الظهر التونسي والتقدم منه إلى جهات الهضاب العليا بعد سنة 444 هـ/1052 م وبعد أن تمكن فرسان رياح وزغبة وسليم من الحاق الهزيمة بجيش الناصر بن حماد الذي تراجع أمامهم بعد نهب أمواله ومضاربه وقتل أخيه القاسم بن غلناس عام 457 هـ[80]. ومما زاد في تدعيم نفوذ الهلاليين وتعاظم شأنهم، تحالفهم مع العديد من زعماء زناتة للاستحواذ على المراعي، فتحولت بعد فترة قصيرة مساحات شاسعة من الهضاب العليا إلى مراعي تجوبها القبائل الرحل وتنتقل فوقها قطعان الماشية والجمال، وقد لاحظ ذلك الادريسي بنواحي باغاى[81].

ومع اقرارنا بالأثر السلبي لزحف الهلاليين، فاننا لا نسلم بأي حال من الأحوال بالفكرة التي تقول ان مجيء الهلاليين ونمط حياتهم وأسلوب معيشتهم كان السبب الرئيسي في شيوع البداوة وتخريب الحواضر وتحول اقتصاد كثير من الجهات من اقتصاد فلاحي مزدهر إلى اقتصاد رعوي منكمش وذلك لابتعادها عن الواقع ومنافاتها للحقيقة ومن الكتاب والمؤرخين الذين روجوا لهذه الفكرة تذكر قولي الذي حاول في معرض عصوره المظلمة، تعليل اختفاء الفلاح الروماني وتلاشي الزراعة وتغلب البداوة بمجيء الهلاليين وكذلك الجغرافي دي يو الذي ألقى المسؤولية على الاعراب فيما آلت إليه أوضاع تخوم نوميديا الجنوبية ومثله بيار سلامة الذي حاول بدوره .تلمس آثار المسالك الرومانية وارجاع سبب تلاشيها إلى زحف الهلاليين وقد فات كل هؤلاء الكتاب أن تغلب الحياة البدوية على مناطق الهضاب والسهوب لغاية القرن التاسع عشر وان الهلاليين اقتصر دورهم على تعزيز جهود زناتة في زحفها المستمر نحو المناطق الشمالية الغربية بحثا عن المجال الحيوي للرعي مع العلم بأن العناصر العربية التي استقرت بافريقيا اثر الفتح وأثناء حكم الأغالبة لم يتجاوز عددها الخمسين ألف نسمة تعود أصولها إلى مصر. والشام والعراق وخراسان وكانت عنصر استقرار وعاملا مساعدا على الازدهار وبان الأثر الحقيقي للعشائر الهلالية التي بالغ الكثيرون في تقدير عدد أفرادها (رغم الأثر السلبي الذي لا ينكر والذي أشرنا إليه سابقا)، يكمن في تعزيز عملية التفاعل الحضاري والامتزاج الجنسي الذي أسفر على تبلور خصائص شعوب المغرب وإبراز طابعها الاسلامي العربي.

7 ـ الأحوال المناخية والظروف الصحية والمعاشية، في الوقت الذي كانت فيه أوربا تنعم بجو دافيء معتدل أثناء القرن العاشر للميلاد كانت ربوع المغرب العربي تتعرض لفترة جفاف غير عادية مما اضر بالعطاء النباتي وتسبب في حدوث المجاعات وانتشار الجراد وظهور الأوبئة. ومن أشهر هذه المجاعات والأوبئة التي أضرت باقليم المغرب العربي ومن ضمنها منطقة الهضاب العليا القسنطينية تلك التي وقعت في الأعوام التالية : 307، 317، و425، 444، 461، 483، 491، هذا ولم يأت القرن الثامن للهجرة الرابع عشر للميلاد حتى أصبحت مناطق الهضاب تعيش انهيارا ديمغرافيا مما أدى إلى تناقص السكان واضمحلال العمران حتى أن الادريسي مثلا ذكر في معرض حديثه عن كتامة انه لم يبق منها وقت تاليفه

لنزهة المشتاق (الا نحو أربعة آلاف رجل) وقد عقب على ذلك بقوله (وكانوا قبل ذلك عددا كبيرا وقبائل وشعوبا وزادت الحالة الصحية سوءا بانتقال عدوى الطاعون الأسود من أوربا إلى بلاد المغرب في القرن الثامن للهجرة الرابع عشر للميلاد.

وقد بقيت منطقة الهضاب تعاني نقصا سكانيا منذ ذلك الوقت حتى منتصف القرن التاسع عشر وقد ذكرت التقارير الفرنسية التي تعود إلى عام 1870 ان الكثافة السكانية في الجهات الغربية من الهضاب العليا لم تكن تتجاوز ما بين 20 و30 نسمة في الكيلو متر المربع وفي النواحي الوسطى لم تكن تزيد عن 10 إلى 20 نسمة في الكيلومتر المربع بينما القسم الشرقي من الهضاب كانت الكثافة السكانية به ما بين 5 و10 نسمة في الكيلومتر المربع وهذه النسبة في مجموعها كانت تقل بست مرات عن كثافة جهات التل ومنطقة الشمال القسنطيني.

وفي ختام هذا البحث نشير إلى ان هذا الانهيار الديمغرافي والتقهقر العمراني والجمود الاقتصادي ارتبط خاصة بتغير العناصر البشرية بالهضاب، وذلك بفعل هذه الغزوات وتأثير الظروف والأحداث فلم نعد نعرف أي شيء عن القبائل القديمة التي اشتهرت في القرن الثاني للميلاد كنوميدي وكواداموسي وطوبوكاى وخيثاو ولم نعد نسمع عن قبائل القرن الثاني للهجرة، القرن الثامن للميلاد مثل أوربة وجراوة وهوارة ونقرة وغيرها، كما لم يعد لأخلاف كتامة وصنهاجة وزناتة وجود ولو لم تنحدر إلى الهضاب عشائر الحراكنة وسلاوة والترارب وسدراته وجبال اوراس لانتهى كل اثر للاخلاف المغربية الكبرى في القرون الوسطى فضلا على أن بطون رياح كأولاد سباع وعسكر بن سلطان تلاشت بجهات الزاب ونقاوس والحضنة وفروع الانبج كدريد وعطية وأولاد سرور وتوبة انحلت عصبيتها وتفرق افرادها بنواحي قسنطينة وباغاى، ولم تبق سوى ذكريات غامضة من عياض وضحاك بجبال قلعة بني حماد (المعاضدية) وجيهات سور حمزة (البويرة) رغم الدور الذي لعبته بطون الأثيج وقامت به قبائل الدواودة من رياح والذي مكنها لمدة طويلة (من القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع عشر) من ان تكون لها السيادة على أقاليم الحضنة والزيبان ومجانة، بعد أن نجحت في تحالفها مع بقايا القبائل الزناتية بالمنطقة. كل تلك العناصر البشرية امتزجت في بوتقة حضارية واحدة وتفاعلت مع شروط البيئة وطبيعة الحياة، لتشكل انسان الهضاب العليا ذو الماضي الحضاري الحافل والأصالة العربية العريقة والقيم الاسلامية الخالدة وكذا انبثق عهد جديد لهذه المنطقة أهلها لأن تخرج من عزلتها وتتطور اقتصاديا لتعود محور اتصال وعقدة مواصلات وبوتقة انصهار وامتزاج للسكان كما كانت في عهدها الاسلامي الزاهر.

الهوامش والتعليقات :

1) البكرى أبو عبيد الله، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك نشر دوسلان، الجزائر 1857 ص 82 ـ 83 ابن حوقل ابو القاسم النصيبي، كتاب صورة الأرض والمسالك والممالك والمغاور والمهالك، وذكر الاقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان طبعة بيروت ـ مكتبة الحياة بدون تاريخ ص 76، 79 الادريسي، الشريف وصف افريقيا الشمالية، مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر هنري برس، الجزائر 1975 ص 61 و70 ـ 74.

2) راجع كلا من البكرى نفس المصدر ص 60
ابن حوقل نفس المصدر ص 84
الادريسي نفس المصدر ص 64.

3) العياشي، بوسليم عبد الله، ماء الموائد، طبعة فاس الحجرية، جزآن 1316 هـ / 1898 م، الجزء الأول، ص 46، 51.

- الورتلاني الحسين بن محمد نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والاخبار تحقيق ونشر محمد بن ابي شنب، الجزائر، مطبعة فونتانا 1908.

4) راجع البكرى نفس المصدر ص 96 ابن حوقل نفس المصدر ص 84 الادريسي نفس المصدر 64 وكذلك : 1927/53.

5) ابن الفقيه الهمذاني، القول في المغرب، نشر الحاج صادق، الجزائر 1949 ص 30.

6) الاصطخرى ابن سحاق ابراهيم المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال الحسين مراجعة محمد شفيق الغربال، سلسلة تراثنا، القاهرة 1961 ص 37.

7) المقدسي كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دى غوية، طبعة ليدن 1906 ص 217.

8) البكرى نفس المصدر ص 53 ـ 54.

9) ابن حوقل نفس المصدر ص 86 ـ 87.

10) الادريسي نفس المصدر ص 70.

11) البكرى نفس المصدر ص 54.

12) الادريسي نفس المصدر ص 70.

13) العبدرى، محمد البلنسي الرحلة المغربية ما سما اليه الناظر المطرق في غير الرحلة إلى بلاد المشرق، تحقيق أحمد بن جدو، منشورات كلية آداب الجزائر بدون تاريخ ص 23 ـ 33.

14) الورثلاني نفس المصدر ص 699 و700.
وكذلك أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق، الذي ذكرني اخبار المهدي ان الموحدين لاحقوا الهلاليين يوما وليلة راجع، أخبار المهدي للبيدق نشر وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر 1974 ص 136 ومن المصادر التي تعرضت لها : رحلة التجاني التي نشرها حسن حسني عبد الوهاب تونس 1958 م ص 344.

15) الاصطخرى نفس المصدر ص 34.

16) ابن حوقل نفس المصدر ص 93.

17) البكرى نفس المصدر ص 76.

18) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار نشر الفيرددي كريمر، طبعة فينا 1852 ص 54 سنشير إليه في البحث بصاحب الاستبصار.

19) ابو الفداء، اسماعيل صاحب حماه ذكر بلاد المغرب في كتاب ـ تقويم البلدان نشر سولفي، الجزائر 1839 ص 92.

20) البكرى، نفس المصدر ص 76.

21) الادريسي نفس المصدر ص 70.

22) ياقوت الحموى الرومي البغدادي كتاب معجم البلدان، مطبعة السعادة، القاهرة 1323 هـ 1906 الجزء الثالث ص 90.

23) الاصطخرى، نفس المصدر ص 34.

24) البكرى، نفس المصدر.

25) صاحب الاستبصار، نفس المصدر ص 54.

26) ابو الفداء، نفس المصدر ص 92.

27) ياقوت الحموى، نفس المصدر الجزء الثالث ص 903.

28) الادريسي، نفس المصدر ص 70.

29) صاحب الاستبصار، نفس المصدر ص 54.

30) الادريسي، نفس المصدر ص 64.

31) البكرى، نفس المصدر ص 59 و60.

32) الورتلاني، نفس المصدر، ص 83.

33) المقدسي، نفس المصدر، ص 217.

البكرى، نفس المصدر، ص 50.

ابن حوقل، نفس المصدر، ص 84، 85.

الادريسي، نفس المصدر، ص 60، 66، 74.

34) نفس المصادر السابقة.

35) راجع دراستنا : الانسان الأوراسي، بيئته الخاصة، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة الأوراس قبل وأثناء العهد العثماني مجلة الأصالة عدد 60 ـ 61 منه 1978.

36) اعتمادا على روايات المؤرخ بروكوب.

37) ابن عذارى المراكشي، البيان المعرب في أخبار المغرب، بيروت دار صادر 1948 ص 1950 الجزء الأول ص 26.

38) البكرى، نفس المصدر، ص 49.

39) المصدر السابق ص 49.

40) المقدسي، نفس المصدر، ص 217.

41) ابن حوقل، نفس المصدر، ص 84.

42) المصدر السابق ص 227.

43) المقدسي، نفس المصدر ص 227.

44) البكري، نفس المصدر ص 50.

45) ابن حوقل، نفس المصدر، ص 84.

46) صاحب الاستبصار، نفس المصدر، ص 54.

47) الادريسي، نفس المصدر ص 74.

48) ياقوت الحموى، نفس المصدر، الجزء الثاني ص 41.

49) الادريسي، نفس المصدر ص 66.

50) ابن حوقل، نفس المصدر، ص 91 ـ 92.

51) البكرى، نفس المصدر، ص 50.

52) الادريسي، نفس المصدر، ص 66.

53) ابن عذارى، نفس المصدر، الجزء الأول، ص 163.

54) المقدسي، نفس المصدر، ص 230.

55) ابن حوقل، نفس المصدر، ص 61.

56) صاحب الاستبصار، نفس المصدر، ص 60.

57) الادريسي، نفس المصدر، ص 66 و74.

58) أبو الفداء نقلا عن العزيز وابن سعيد، نفس المصدر ص 60.

59) صاحب الاستبصار، نفس المصدر، ص 55.

60) ياقوت الحموى، نفس المصدر الجزء، الرابع، ص 164.

61) المقدسي، نفس المصدر، ص 227.

62) البكرى، نفس المصدر، ص 50.

63) صاحب الاستبصار، نفس المصدر، ص 50.

64) البكري، نفس المصدر، ص 49.

65) ابن حوقل، نفس المصدر، ص 91 ـ 92.

66) البكري، نفس المصدر، ص 50.

67) ابن الحوقل، نفس المصدر، ص 91.

68) الادريسي، نفس المصدر، ص 66 و74.

69) صاحب الاستبصار، نفس المصدر، ص 60.

70) راجع دراسة الأستاذ محمد الطالبي.

71) أهم هذه المصادر البكري ـ ابن حوقل ـ الادريسي ـ صاحب الاستبصار اليعقوبي

72) ياقوت الحموي، الجزء الرابع، ص 164.

73) ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر صعيد بيروت 1958 الجزء السادس ص 491.

74) الادريسي، نفس المصدر، ص 74.

75) ابن حوقل، نفس المصدر، ص 85.

76) ياقوت الحموي، نفس المصدر، الجزء الأول ص 823.

77) نعتمد في ذلك على رواية ابن عذارى المراكشي نفس المصدر الجزء الثاني ص 35 إلى 38.

78) ابن عذارى، نفس المصدر، الجزء الأول ص 223.

79) اعتمادا على ما جاء في دراسة محمد الطالبي السابقة الذكر ص 55.

80) ابن عذارى، نفس المصدر، الجزء الأول ص 429.

81) الادريسي، نفس المصدر.

القسم الثاني

تقارير الدول والمنظمة

عما تم تنفيذه من توصيات المؤتمر التاسع للآثار صنعاء 1980

المملكة العربية السعودية

الادارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف

مركز المسح والابحاث الاثرية

قامت الادارة العامة للآثار والمتاحف بتنفيذ معظم ما أوصت به المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال انعقاد المؤتمر التاسع للآثار الذي عقد بصنعاء خلال شهر فبراير 1980 م للمحافظة على الممتلكات الثقافية وتوفير كل أسباب الرعاية الممكنة لها.

ففي مجال المسالك والدروب وأثرها الحضاري فقد شملت مشروع المسح الاثري الشامل في مراحله المختلفة، احياء وصيانة درب زبيدة وهو من اشهر الطرق البرية التي كانت تسلكه جموع الحجاج القادمة من الشرق في رحلتها الى الديار المقدسة فضلا عن الوقوف على محطات ومنازل دروب الحج المصرية والشامية القديمة وتسجيلها تسجيلا عاما كبداية لمشاريع اكثر شمولا بغرض توضيح دورها الحضاري.

وفي مجال الافلام العلمية الوثائقية تم انتاج ستة افلام عن آثار المملكة تتناول الموضوعات الآتية : جزيرة العرب عبر تعاقب الازمان، صور من الماضي السحيق في جزيرة العرب، المدن الأولى وطرق التجارة في جزيرة العرب، جزيرة العرب في العصر الكلاسيكي، معالم اسلامية في المملكة العربية السعودية، وتطور الحضارة، ويمكن الاستفادة من هذه الافلام كوسائل ايضاح لتدريس الآثار والحضارة فضلا عن عرضها بشكل منتظم في مختلف اجهزة الاعلام.

وفي مجال احياء التراث الشعبي، ساهمت الادارة في الاسبوع الثقافي العربي الاول لدول الخليج العربي والذي أقيم بمدينة باريس في مارس 1981 ببعض من قطع التراث الشعبي، كما اشتركت في معرض شعوب آسيا الذي اقيم بمتحف التاريخ الطبيعي بنيويورك في الفترة من 19 مايو الى نهاية 1981 م ببعض من قطع التراث الشعبي من واقع البيئة السعودية، كما شاركت الادارة مع الرئاسة العامة لرعاية الشباب السعودية في المعرض الفني الذي اقيم باسم المملكة في بون بجمهورية المانيا الاتحادية خلال الفترة من 19 مايو الى 8 يونيه 1981 م، وذلك بتقديم بعض القطع التراثية في المملكة، كما ساهمت الادارة في معرض الحرف اليدوية والريفية السعودية المقام في صالة الفنون التذكارية بجامعة روشتر الامريكية بتقديم شيك بمبلغ خمسة عشر ألف دولار امريكي كمساعدة مالية لطباعة كتيبات اعلامية عن هذا

المعرض كما أهدت الادارة مجموعة من مواد التراث الشعبي وبعض ا لكتب والصور الاعلامية من مطبوعات وزارتي الاعلام والمعارف الى جمعية اصدقاء المتحف الوطني للفن الشرقي بالارجنتين، كما اشتركت الادارة في المعرض العربي الذي أقيم بمطار فرانكفورت الدولي طوال شهر يونية 1981 م بمواد من التراث الشعبي التي تمثل البيئة السعودية وذلك استجابة لاقتراح جمعية الصداقة الالمانية العربية التي تقدمت الى مكتب الجامعة العربية لاقامة معرض يشتمل على المصنوعات اليدوية واللوحات الفنية والمخطوطات والقطع الاثرية والازياء الوطنية، كما تجدر الاشارة الى ان الادارة العامة للآثار والمتاحف تضم قسما خاصا للتراث الشعبي يقوم بمهمة حصر وتسجيل ودراسة مواد التراث الشعبي.

وفي مجال المسح الاثري، قامت الادارة بعمل مسح اثري شامل لجميع أراضي المملكة العربية السعودية تمهيدا للكشف عن آثار الحضارات القديمة بها عبر فترات التاريخ المختلفة، وذلك بعد تسجيل المواقع الاثرية تسجيلا دقيقا، وجاريا الآن تنفيذ المرحلة الأولى من الخطة الثانية للمشروع وهي تشمل مسحا اثريا ذا ثلاث مراحل لمواقع التعدين القديمة في غرب المملكة ويتم في المرحلة الأولى اجراء مسح للمنطقة الغربية حيث تتمركز مواقع التعدين وفي المرحلة الثانية يتم تحليل المواد الناتجة من المرحلة الأولى، ثم عمل حفريات في بعض هذه المواقع في المرحلة الثالثة لمعرفة الانوات القديمة التي استعملت في استخراج المعادن وكذلك تحليل بعض العينات من تربة هذه المواقع لعمل دراسات للبيئة المحيطة وطبقات الارض الى جانب اجراء مسح وحفريات علمية بعين الصرار بالمنطقة الشرقية والدواودسي بالمنطقة الوسطى ونجران بالمنطقة الجنوبية وحفر وتحديد بعض المواقع الاثرية بالمنطقة الشمالية، فضلا عن مسح دروب الحج المصرية والشامية.

وفي مجال المشاركة في المؤسسات الدولية فقد ابدت الادارة رغبتها في المشاركة في كل من المجلس الدولي للمتاحف (الايكوم) والمجلس الدولي للمعالم والمواقع الاثرية (ايكوموس).

وفي مجال التنسيق بين وزارات الأوقاف والهيئات العامة للآثار فهناك تنسيق تام بين وزارة الحج والاوقاف والادارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للتعاون معا في ترميم المساجد الاثرية وصيانتها، وذلك بوضع المقايسات اللازمة لاعمال الترميم، فضلا عن الاشراف الفني ضمانا للمحافظة على طابع هذه العمارة الدينية الاصيل وملامحها العمرانية والفنية فضلا عن ترحيب وزارة الحج والاوقاف باشراك المشرفين الفنيين بها في مؤتمرات الآثار.

وفي مجال تبادل الخبراء، فقد استفادت الادارة من الكفاءات والخبرات الاثرية العربية من مصر والعراق والاردن، وذلك للعمل جنبا الى جنب مع العناصر الوطنية العاملة في حقل الآثار والطلاب المبتعثين للحصول على شهادات الدراسات العليا بجامعات اوربا وامريكا، ويجري الآن تنسيق للاستفادة من الخبرات المغربية والتونسية في مجال الآثار والمتاحف والحرف والصناعات والنماذج.

كما استعانت الادارة باساتذة وعلماء في الآثار متخصصين في تاريخ الشرق القديم والجزيرة العربية ويعملون بجامعات اوربا وامريكا وذلك لاجراء الدراسات اللازمة وخصصت الادارة قسما خاصا بها وهو مركز الابحاث الاثرية للقيام بدراسة وترجمة التقارير الواردة من ميادين البحث الاثري والتنسيق مع الهيئات العلمية العربية والعالمية، وذلك على هيئة نشرات علمية في حولية الآثار السعودية (أطلال) التي تصدرها الادارة سنويا باللغتين العربية والانجليزية لنشر نتائج الاعمال الاثرية بالمملكة، ويحررها علماء متخصصون وطنيون وعرب واجانب.

اما بالنسبة لاتحاد الاثاريين العرب، فقد ارسلت الادارة الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ادارة الثقافة) بطاقات البيانات الاساسية اللازمة لسجل الآثاريين العرب فضلا عن بطاقات الخبراء للعمل في مشروعات التعاون (بطاقة رقم 3) والخاصة بمنسوبيها.

وفي مجال الاهتمام بالخط العربي ورعايته بصفته من اصول الفن الاسلامي يجري حاليا طباعة كتاب (الفن في الخط العربي) للدكتور يوسف محمود غلام على نفقة الادارة، كما تحرص الادارة على استخدام اللغة العربية في التقارير والبحوث التي تصدر عنها وتطبع في حوليتها.

وفي مجال تحسين مرافق الحياة في المدن التاريخية الاسلامية لدورها الاساسي في الحفاظ على تراث الحضارة العربية الاسلامية وتلافيا للعوامل الداخلية وجاذبية العمران العصري فلقد قامت الادارة بعدد من المشاريع الهامة التي تهدف الى صيانة هذه المدن واحيائها والمحافظة عليها فضلا عن تعاونها العربي والدولي في هذا المجال وما يشتمل عليه نظام الآثار لتأمين هذا التراث الخالد، من ذلك مشروع احياء مدينة الدرعية القديمة ومشروع تسجيل وترميم وصيانة قصور الاحساء ومساجدها بالمنطقة الشرقية والاحتفاظ بحي الديرة (العلا القديمة) تمهيدا لصيانته وترميمه، فضلا عن الابقاء وصيانة البلدة القديمة بدومة الجندل.

أما فيما يتعلق بمشروع قانون الآثار الموحد، فان الادارة العامة للآثار والمتاحف بعد دراساتها الشاملة لهذا المشروع، وبعد الرجوع الى نظام الآثار الصادر في المملكة بالمرسوم الملكي الكريم رقم م/26 بتاريخ 1392/6/23 قد وجدت أن مشروع قانون الاثار الموحد متمشيا مع روح نظام الآثار، ولا حاجة لنا في المملكة العربية السعودية لمنع الاتجار بالآثار منعا باتا اذ ان حظر الاتجار بالآثار لا بدّ وان يحول تلك التجارة الى تجارة سرية تمارس في الخفاء دون العلن كأي سلعة يمكن ان يؤدي منع الاتجار بها الى تسربها خارج المملكة لبيعها وفي ذلك خطر شديد على آثارها من الضياع، بل على العكس فان السماح بالاتجار في الآثار وفي الحدود التي يرسمها نظام الآثار في المملكة يجعلها تحت الرقابة الكاملة من قبل ادارة الآثار التي يحق لها بموجب المادة (44) من النظام الغاء أو عدم تجديد الترخيص الممنوح لتاجر الآثار اذا خالف احكام هذا النظام أو الشروط المنصوص عليها في المادة (41) منه أي أن نظام الآثار قد وضع كافة الضمانات اللازمة لحسن سير هذه التجارة.

كما أن منع اهداء الآثار والاستعاضة عنها بالاعارة ينسجم مع المادتين (27) (28) من نظام الآثار بالمملكة وهما المادتان اللتان نصتا بانه «لا يجوز بيع أو اهداء الآثار المنقولة ...» ويجوز تبادل الآثار المنقولة أو نماذج عنها ... وذلك بقرار وزاري وبعد موافقة المجلس الاعلى للآثار».

وبصفة عامة فان مشروع قانون الآثار الموحد في البلاد العربية يعتبر في خطوطه الاساسية والعامة متمشيا مع نظام الآثار في المملكة الا فيما يتعلق بمنع الاتجار بالآثار منعا باتا.

أما بخصوص العناية بالمخطوطات من حيث، حفظها وترميمها ودراستها وتسجيلها اثريا ودعوة المؤسسات التي تحتفظ بالمخطوط العربي ان تعمل بالتعاون فيما بينها على توفير الدراسات الخاصة بامراض المخطوط ووسائل علاجه وصيانته حتى يؤمن الجانب الاثري للمخطوطات العربية، فانه ليس بحوزة الادارة العامة للآثار والمتاحف حتى الآن أية مخطوطات اثرية وتأمل مراعاة ذلك عندما تتوفر لديها أية مخطوطات أثرية.

وبشأن اختيار تسميات للعصور الحضارية العربية بدلا من الاسماء الحالية التي اطلقها الغربيون على الفترات الحضارية، فان الادارة العامة للآثار والمتاحف تؤيد هذا المبدأ وترى انه يمكن تحقيق ذلك بناء على نتائج الحفائر التي تقوم بها دوائر الآثار بالدول العربية في المدن القديمة بها بدلا من التسمية الغربية المعاصرة للموقع، وبعد اقراره من قبل المنظمة يتم تعميمه على الدول العربية لاستعماله واشاعته بدلا من الاسم الغربي.

وفيما يتعلق بوضع قاموس حضاري معتمدا على كتب التراث مثل كتاب «المخصص» لابن سيده ليكون في متناول الدارسين والباحثين لمساعدتهم في اعمالهم، فعلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ان تبدأ في تشكيل لجنة متخصصة للمشروع في تنفيذ هذه الفكرة الجديدة حقا.

ومما تقدم، يتضح ان الادارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية قد حرصت كل الحرص على تحقيق معظم التوصيات التي أتخذت في المؤتمر التاسع للآثار بصنعاء.

الجمهورية العربية السورية

1 ـ اصدار سجل لعلماء الآثار والمتاحف وخبرائها :

- ارسلت السلطات الاثرية البطاقات المتعلقة بالاثريين السوريين في الموعد المحدد.

2 ـ أما بالنسبة للتوصيات المتعلقة بالترميم وخاصة ترميم المساجد الاثرية القديمة بالتعاون والتنسيق بين وزارات الاوقاف والهيئات العامة للاثار.

نفيدكم بان المديرية العامة للآثار والمتاحف تقوم بترميم المساجد الاثرية القديمة المسجلة العائدة لوزارة الاوقاف والهيئات الدينية مناصفة وذلك تمشيا مع نص المادة (22) من المرسوم التشريعي رقم (222) لعام 1963 المتضمن قانون الآثار والتي ورد فيها ما يلي :

مادة 22 : السلطات الاثرية وحدها تقوم بصيانة وترميم الآثار الثابتة المسجلة للمحافظة عليها والابقاء على معالمها وزخارفها ولا يحق للمالك أو المتصرف الاعتراض على ذلك.

اما الاصلاحات والترميمات الناشئة عن الاشغال فيقوم بها المالك أو المتصرف بموافقة السلطات الاثرية وتحت اشرافها على ان يتحمل نفقاتها.

وتنفق السلطات الاثرية من ميزانيتها على ترميم واصلاح المناطق الاثرية والمباني التاريخية المسجلة على أن تتحمل وزارة الاوقاف والهيئات الدينية نصف تكاليف ترميم واصلاح الابنية الاثرية المسجلة العائدة لها.

ولا بدّ من الاشارة الى ان المديرية العامة للآثار والمتاحف تعقد سنويا في مطلع كل عام مؤتمرا لرؤساء دوائر الآثار في محافظات القطر لبحث شؤون الترميم والشؤون الاثرية الاخرى ويشارك في المؤتمر ممثلون وفنيون من وزارة الاوقاف لوضع خطة لترميم المساجد الاثرية في كافة انحاء القطر مع المباني الوقفية الاثرية الاخرى.

هذا وقد قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بمشاريع ضخمة لصيانة المباني والمواقع الاثرية الاسلامية في كافة انحاء القطر (خان اسعد باشا ـ قلعة جعبر الواقعة في وسط بحيرة الاسد ـ قلعة نجم المشرفة على نهر الفرات ـ نقل مئذنتي مسكنة وأبي هريرة من منطقة غمر الفرات ـ ترميم عشرات المساجد والمدارس والترب والقلاع الاسلامية في كافة انحاء القطر).

3 ـ عملية المسح الاثري في البلاد العربية لاعداد خارطة اثرية لكل قطر :

ـ قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بعملية مسح شاملة لكافة المباني الاثرية والتاريخية وقامت بتسجيلها في سجل المباني الاثرية، كما تم مسح وتسجيل كافة التلال الاثرية في القطر ويقوم الفنيون بوضعها على خرائط اصولية.

4 ـ الاهتمام بالمخطوطات العربية :

ـ تبذل المديرية العامة للآثار والمتاحف جهودا كبيرة للحفاظ على المخطوطات والوثائق التاريخية ويتبع المديرية مركز للوثائق التاريخية تحفظ فيه :

1 ـ قسم الوثائق الدولية
2 ـ القسم الخاص
3 ـ قسم الوثائق العثمانية
4 ـ القسم الصحفي
5 ـ قسم الامم المتحدة
6 ـ المكتبة التاريخية
7 ـ المحاكم المختلطة
8 ـ قسم التصوير.

5 ـ المشاركة في المؤسسات الدولية :

ـ تشترك المديرية العامة للآثار والمتاحف باجتماعات المجلس الدولي للمتاحف (الايكوم) والمجلس الدولي للمعالم والمواقع الاثرية (ايكوموس).

6 ـ اعداد مدونة تضم اسماء جميع المواقع والمدن والقرى :

ـ قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بتأسيس لجان وطنية محلية لاعداد خارطة عملية دقيقة تضم الاسماء الاصلية لجميع المواقع والمدن والقرى. وسترسل نسخة منها عند الانتهاء من وضعها.

دولــة قطـــر

1 ـ محافظة وصيانة التراث الاسلامي :

قامت ادارة السياحة والاثار باجراء مسح شامل للابنية الاثرية والتي تعتبر بمجملها من التراث العربي الاسلامي وقد اعتمدت المبالغ اللازمة للحفاظ عليها وصيانتها ضمن خطة متعددة السنوات ومن ثم تحويلها الى مراكز للنشاط الثقافي.

وقد شملت عمليات المسح التي قامت بها ادارة السياحة والآثار في سبيل المحافظة على التراث الاسلامي المناطق التالية :

منطقة الدوحة :

حي البدع، حي البحارنة، حي الجسرة، حي الخليفات، حي الرميلة، حي السلطة، حي المرقاب، حي النجادة.

المناطق الأخرى :

مدينة الوكرة ـ أم اطلال محمد، أم اطلال علي، الريان القديم، الخور والذخيرة والقرى المحيطة بهما.

وقد تضمن هذا المسح حصر المنشآت الاثرية وتصويرها وحصر ما أمكن من المقتنيات الاثرية.

2 ـ المساجد :

ضمن خطتها للحفاظ على التراث تقوم الادارة بالتنسيق مع ادارة الأوقاف والتركات برئاسة المحاكم الشرعية بترميم المساجد الاثرية وإعادة استعمالها.

3 ـ استخدام اللغة العربية :

تحرص الادارة على نشر التقارير والبحوث والدراسات الاثرية أما باللغة العربية أو بلغاتها الاصلية مع ترجمات لها أو ملخصات باللغة العربية.

4 ـ بطاقة حصر علماء الآثار والمتاحف والفنيين في البلاد العربية :

وافت الادارة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باستبيانات كافة الاختصاصيين في حقلي الاثار والمتاحف الذين تنطبق عليهم الشروط. وذلك منذ ثلاث سنوات تقريبا.

5 ـ موافاة المنظمة بنسخ من تقارير البعثات الاثرية التي عملت بها :

قامت الادارة وتقوم بموافاة المنظمة بالتقارير الاثرية حال نشرها اضافة الى توزيعها على الجهات المختصة في الدول الاعضاء.

ومثال ذلك تقرير البعثة الدانمركية (عربي ـ انجليزي) وكذلك تقرير البعثة الفرنسية لسنة 1976 (عربي ـ فرنسي ـ انجليزي) واخيرا المجلد الأول للبعثة الفرنسية (عربي ـ فرنسي ـ انجليزي) الذي تضمن نتائج البعثة في الموسم الأول 76 ـ 1977 والموسم الثاني 77 ـ 1978 اما المجلد الثاني فهو الآن قيد الطباعة.

وقد قامت الآنسة / دي كاردي بنشر التقرير الأول للبعثة البريطانية عن حفريات 1973 باللغة الانجليزية وتحتفظ وزارة الاعلام بنسخ منه.

1 ـ المسح :

أدت اعمال المسح التي قامت بها ادارة السياحة والاثار والبعثات الدانماركية (1956 ـ 1964) والبريطانية (1973) والفرنسية (1976 ـ 1982) الى اكتشاف ما يزيد على المائتي موقع أثري ووضع لائحة بالمباني الاثرية التي يرجع تاريخها الى الفترة من أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين.

2 ـ المواقع الاثرية :

أ) ما قبل التاريخ

دلت التنقيبات الاثرية على ان اقدم استيطان للانسان في قطر يعود الى العصر السابق للنيوليتي (10,000 ـ 8,000 ق.م) وتتركز المواقع المكتشفة في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد مما قد يدل على ان هذه الاقوام قدمت برا من المملكة العربية السعودية، كما دلت الدراسات على ان كافة المواقع كانت مشاغل لصناعة الصوان، اما العصر النيوليتي الذي شهد قمة التغيير المناخي فقد تخلله (على الاخص الألف الخامس) امتداد الاستيطان ليشمل كافة السواحل القطرية، اعتمد اقتصاد هذه المجتمعات الصغيرة بالدرجة الأولى على الصيد البحري وجمع الغلال البرية والتجارة حيث وجدت في بعض المواقع قطعا من آنية عبيدية مستوردة من بلاد ما بين النهرين، أما سلع التصدير فكانت بالدرجة الأولى الاسماك المجففة والادوات الصوانية وربما الحلي الصدفية.

ب) العصر البرونزي المتوسط

الموقع الاثري الذي تم التنقيب فيه من هذا العصر هو جزيرة الخور حيث وجدت مجموعة من المنازل والمشاغل الصناعية يستدل عليها من أكوام الاصداف البحرية المعظمة والمواقد العديدة والاحواض الفخارية الكبيرة.

ج) العصر الاسلامي

نقب عن هذا العصر في موقع المزرعة حيث اكتشفت مجموعة التلال المدفنية وموقع مرواب الذي يضم قرية من حوالي 250 منزلا منتشرة على شكل نصف دائرة تتوسطها قلعة ومسجدان تعود في مجملها الى العصر العباسي.

د) ترميم الابنية الاثرية

قامت ادارة السياحة والاثار بحصر كافة الابنية المنتشرة في اراضي الدولة من قلاع وحصون وقصور وأبراج ومنازل ومساجد وخصصت الاعتمادات اللازمة للمحافظة عليها وترميمها وإعادة استعمالها كمراكز للنشاط الثقافي وذلك ضمن خطة متعددة السنوات.

4 ـ المتاحف :

أ) متحف قطر الوطني

يتألف المتحف من أربعة اقسام تبرز ملامح قطر الحضارية منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث وهي :

- قصر الحكم القديم
- متحف الحضارات
- البحيرة الصناعية
- القسم البحري.

ب) بيت التقاليد الشعبية (قيد الاعداد)

يعرض كافة الجوانب الحياتية للبيئة القطرية قبل مرحلة البترول.

ج) متحف الخور (قيد الاعداد)

يعرض كافة المكتشفات الاثرية التي تم التنقيب عنها في منطقة الخور.

د) متحف الوكرة (قيد الاعداد)

يعرض كافة المقتنيات الاثرية والتراثية التي جمعت في هذه المنطقة.

5 ـ حماية المواقع الاثرية :

يكفل قانون الآثار الصادر عام 1980 حماية المواقع الاثرية من الاخطار والاضرار المحدقة بها.

الجمهورية العربية اليمنية

الهيئة العامة للآثار والمتاحف

لقد بذلت الهيئة العامة للاثار ودور الكتب في الجمهورية العربية اليمنية ما بوسعها من الجهد من اجل تنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر التاسع ورغم ندرة المتخصصين والاطر في مجالات الاثار والمتاحف والمخطوطات. ونورد هنا تلك القضايا التي تم انجازها أو هي في طريقها الى التنفيذ وهي كالآتي :

1 ـ مشروع صيانة وترميم مدينة صنعاء القديمة للمحافظة على هذه المدينة الفريدة في طرازها المعماري، وتوفير الظروف المختلفة والضرورية لسكانها للبقاء فيها وعدم هجرها.

لقد تم انتهاز فرصة زيارة المدير العام لليونسكو الى صنعاء في بداية هذا العام فقام يرافقه رئيس الهيئة العامة للاثار ودور الكتب بزيارة لمدينة صنعاء القديمة بما في ذلك جامعها الكبير واطلع على وضع المدينة الحالي والمخاطر التي تهدد هذه المدينة التاريخية. وبعد عودته الى باريس قام بارسال الخبراء التالية اسماؤهم لدراسة أوضاع المدينة ومتطلبات الصيانة والترميم وهم :

1 ـ الدكتور عبد العزيز الدولاتلي
2 ـ الدكتور منير بوشناقى
3 ـ الدكتور رون لوكوك.

وقد قدموا ثلاثتهم تقاريرهم الى اليونسكو.

وقد تطرقت هذه التقارير جميعها للقضية الرئيسية ـ صيانة مدينة صنعاء القديمة المحافظة عليها وعلى طرازها المعماري الفريد.

وسوف يصل في شهر سبتمبر أو اكتوبر من السنة الجارية فريق من المختصين من قبل اليونسكو لوضع الدراسات الفنية النهائية ومن المحتمل اذا استكملت الدراسات ان يحضر المدير العام لليونسكو الى صنعاء في نهاية هذا العام لتوجيه النداء العالمي لبداية الحملة العالمية للحفاظ على هذه المدينة وصيانتها.

وقد بدأت الهيئة العامة للاثار ودور الكتب من جانبها العمل للمساهمة والاشراف على هذا المشروع الكبير. فقد تم اختيار أحد منازل صنعاء القديمة والذي يعكس الخصائص المعمارية الفنية للمدينة وكذلك الخصائص الفنية والجمالية المميزة لهذا الطراز المعماري، والمنزل هو من املاك الدولة وتقوم الهيئة وتحت اشراف متخصصين باعداد هذا المنزل ليكون نموذجا حيا لما يجب أن تكون عليه الصيانة. وذلك ليتم الايضاح الكامل للجمهور من خلاله حول

المشروع وفوائده، ودفعهم للمساهمة في الحفاظ على مدينتهم وصيانتها، وهذا المبنى سيخصص بعد الترميم الكامل لنشاط فرع الهيئة ونشاط مكتب اليونسكو الخاص بتنفيذ هذه المشروع، والعمل الآن جار على قدم وساق لتهيئة هذا المبنى لهذه الاغراض. وفي اطار الاعداد والتهيئة للبدء بهذا المشروع تم عمل فيلم فيديو لمدينة صنعاء القديمة مع شرح باللغتين العربية والانجليزية وذلك لتقديمه الى الدول الاعضاء في المنظمة الدولية. كجزء من الحملة الاعلامية للحفاظ على مدينة صنعاء القديمة. وفي هذا الاطار قدمت الحكومية الايطالية مبلغ خمسة ملايين دولار امريكي كمساهمة منها في انجاز هذا المشروع. وسيتم قريبا تشكيل لجنة عليا للاشراف على هذا العمل من الوزراء ذوي العلاقات المختلفة المتصلة بمشروع حماية صنعاء وصيانتها بالاضافة الى الهيئة العامة للاثار ودور الكتب وستكون هذه اللجنة برئاسة رئيس الوزراء.

II ـ صيانة المساجد الاسلامية في اليمن

1 ـ **المدرسة الاشرفية** : استكملت الدراسات من قبل المعهد الدولي لصيانة الاثار في روما حول وضع هذه المدرسة وقد قدرت تكاليف الترميم والصيانة بمبلغ ثلاثة ملايين ونصف دولار امريكي. وقد تبرعت الحكومة اليمنية بمبلغ اربعة ملايين ريال يمني والمبلغ المتبقي سوف يجمع عن طريق حملة وطنية لجمع التبرعات.

2 ـ **المدرسة العامرية** : تولت بعثة فرنسية اعداد الدراسات الفنية لترسيم هذه المدرسة بالمساهمة مع الحكومة الهولندية التي قدمت مبلغ نصف مليون ريال يمني لترميم الجامع والمدرسة. وسيبدأ العمل لصيانة هذه المدرسة في اكتوبر 1982 م.

3 ـ **جامع ظفار ذيبين** : تولت بعثة فرنسية اعداد الدراسة الفنية الخاصة بترميم هذا الجامع وقد قدمت اليونسكو مبلغ اثنين وثمانين ألف دولار أمريكي مقابل معدات لحماية هذا الجامع حتى يتم ترميمه، وقد وصلت هذه المعدات وسوف يتم تركيبها قريبا.

4 ـ **جامع شبام كوكبان** : قامت وزارة الاوقاف والارشاد بترميم هذا الجامع على نفقتها الخاصة.

III ـ في مجال المخطوطات :

1 ـ تم بناء دار حديثة للمخطوطات بجوار الجامع الكبير ولم يبق الا تأثيثها حتى تكون معدة للاستعمال بعد نقل المخطوطات اليها.

2 ـ تم جمع وتصنيف وتنظيف وفهرست المصاحف القرآنية وهي المكتوبة بالخط الكوفي على الرق وهي التي وجدت في سقف الجامع الكبير بصنعاء وتقوم بهذا العمل بعثة المانية غربية وذلك بموجب اتفاقية مبرمة بين الهيئة العامة للآثار

ودور الكتب وبين الحكومة الالمانية، وهذه البعثة مخصصة بترميم المخطوطات وتجليدها وهي مزودة بأجهزة علمية حديثة. ويشاركها في اعمالها متدربون من الهيئة.

3 ـ تقوم الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بشراء المخطوطات النادرة من جهات مختلفة ممن بحوزتهم تلك المخطوطات وتقدم لهم مبالغ مغرية لذلك وقد تم شراء نحو ألفي مخطوط.

IV ـ في مجال المحافظة على النمط العمراني والفن المعماري الاصليين داخل المدينة العربية الاسلامية

لقد حاول كثير من السكان في العاصمة بعد الثورة بناء منازلهم بشكل يغاير الطراز المعماري الصنعاني المعروف، الا انه منذ 3 ـ 4 سنوات أخذ الناس في العودة للبناء على ا لنمط العمراني القديم.

V ـ في مجال المسح الاثري

1 ـ بعثة معهد الآثار ببرلين : قامت بمسح اثري لمنطقة لواء مأرب وقد انجزت عملها واصدرت مجلدا عن اعمالها وستصدر مجلدين آخرين في نهاية هذا العام وما تزال تعمل ولديها مقر دائم في صنعاء.

2 ـ بعثة أثرية فرنسية : قامت بالمسح الاثري في كل من منطقة أرحب ونهم والجوف كما قام فريق من هذه البعثة بدراسة لبعض المساجد الاثرية كما سبق ذكر ذلك ولديها مقر دائم في صنعاء.

3 ـ بعثة اثرية ايطالية : قامت بالمسح الاثري في مناطق خولان والحداء.

4 ـ بعثة اثرية من جامعة شيكاغو : قامت بالمسح الاثري لعاصمة الدولة الحميرية ظفار ـ وما حولها وقد انتهت اعمالها.

VI ـ في مجال تملئة الاستبانات

1 ـ تم تملئة الاستبانة الخاصة بالمدن القديمة مع عرض تاريخي موجز لكل منها وقد أرسلت الى المنظمة العربية.

2 ـ تم تملئة الاستبانة الخاصة بالآثاريين في اليمن وقد أرسلت هي أيضا.

وفي الاخير فان الهيئة العامة للآثار ودور الكتب في الجمهورية العربية اليمنية تتقدم بجزيل شكرها للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على اهتمامها ومؤازرتها في المشاريع الحيوية للآثار في اليمن وبخاصة مدينة صنعاء الديمة.

تقرير المنظمة عن الموقف التنفيذي لمشروعات التراث بين المؤتمرين التاسع والعاشر

تسعى المنظمة من مؤتمر الى آخر ان تقدم الى السادة المؤتمرين ومن خلالهم، الى الامة العربية ما قطعته من اشواط في سبيل تنفيذ ما أوصوا به وما اقترحوه في مجالي البحث في الآثار والتراث لاقتناعها بان توصيات ومقترحات الاثاريين، وهم اهل الذكر، سواء في صلب المؤتمر أو على مستوى اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف، هي التصور الدقيق لما نتطلع اليه وما نريد بلوغه من مستوى علمي، برغم ما في ذلك من امتحان صعب للتوفيق بين الطموحات وبين الامكانيات المتاحة فنيا وماليا وبشريا.

ومهما يكن من امر فان من التوصيات ما قد نفذ ومنها ما هو مبرمج للدورات السابقة ومنها ما يقع عبء تنفيذها على الدول الاعضاء.

ولعل ما يبرهن على اهتمام المنظمة (ادارة الثقافة) بالتراث ان مشروعاته تستوعب 50 % من ميزانيتها، خاصة وان محور صيانة التراث يمثل احد المحاور الاربعة الكبرى التي تتحرك فيها مشروعات ادارة الثقافة.

وفي تضافر جهود الجهات المعنية في الدول العربية الاعضاء الممثلة في مؤسسات الاثار بخبرائها الباحثين والفنيين وكافة العاملين فيها خير معين للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في اداء رسالتها في هذا المجال الذي يشد اهتمام الجميع ويستحق السهر عليه للوصول الى الغايات التي تصبو اليها امتنا العربية.

مقدمة تحليلية لتقارير الدول عما تم تنفيذه في مجال الاثار

تهدف التوصيات التي تقترحها الدول المشاركة في المؤتمرات المختلفة الى عدة اهداف منها : تخطيط العمل الاثري، واتباع الاساليب العلمية والفنية والتحديد الدقيق لما تريد ان تبلغه من نتائج، بالاضافة الى توحيد طرائق العمل في كل الاقطار العربية. وما هذه التقارير في الحقيقة، الا نوع من المراجعة واكتشاف الخطوات التي قطعناها نحو الهدف الذي رسمناه لانفسنا.

وقد كانت التقارير المقدمة، من هذه النظرة، مشجعة، لما تحمله من انشطة متنوعة وتقدم في جميع الميادين التي يشملها العمل الاثري.

فبرغم انها قدمت من اربع دول فقط هي : المملكة العربية السعودية، والجمهورية العربية السورية، ودولة قطر، والجمهورية العربية اليمنية فهي على كل حال مؤشر جيد لما تسير عليه مؤسسات الاثار في جميع الدول العربية، ولما اصبح عليه البحث الاثري من عمق وشمول.

فمن خلال هذه التقارير يتضح ان جل التوصيات نفذت أو هي في طريق التنفيذ. فعمليات المسح التي هي اللبنة الأولى للعمل الاثري، شملت مناطق شاسعة من الاقطار الاربعة وقدمت مكتشفات هامة في المعالم والمواقع مثلا : المباني والتلال الاثرية (سوريا وقطر) الولايات، مأرب، وارحب ونهم والجوف وخولان، والحداء وظفار وما حولها اليمن الشمالي وعدة مناطق من المملكة العربية السعودية.

أما عمليات التسجيل، فقد تقدمت تقدما محسوسا حيث شملت عدة مبان وتلال اثرية ومحطات ومنازل ودروب رسمت في الخرائط ورصدت لبعضها المبالغ لصيانتها أو التنقيب فيها مما يدل على وعي الحكومات العربية بالاهمية الحضارية لهذا القطاع.

كذلك غطت عمليات التنقيب والحفر مواقع متعددة من مختلف العصور والحضارات تقوم بها بعثات عديدة محلية أو أجنبية وتنشر نتائجها المجلات العلمية والحوليات الاثرية التي تصدر في كل قطر.

وشملت عمليات الترميم والصيانة عددا هاما من المعالم والمواقع الاثرية كالمنازل والمساجد وغيرها نفذتها مؤسسات الاثار بمفردها أو بمشاركة الاوقاف.

والشيء المهم الذي نريد تسجيله في هذا الميدان بكل فرح هو الاهتمام بمدينة صنعاء التي بدأت الخطوات الأولى لتنفيذ مشروع ترميمها والمحافظة على طابعها المعماري الفريد حيث وضعت التقارير من قبل خبراء اليونسكو وينتظر توجيه نداء لانقاذها من مدير عام اليونسكو والمدير العام للمنظمة في نهاية هذا العام.

كما نسجل بارتياح العمل على تنفيذ التوصيات العديدة الاخرى كالحفاظ على المخطوطات أو العناية بالخط العربي والمشاركة في المعارض الدولية أو المساهمة في المؤسسات العلمية والدولية وغير ذلك. ولا يفوتنا ان ننوه بالمجهودات التي قامت بها بعض الدول لانتاج افلام وثائقية لبعض المدن كصنعاء أو المواقع الاثرية وحضارات العصور المختلفة (السعودية) التي يمكن الاستفادة منها للعرض والتدريس.

والمنظمة تتمنى مستقبلا بمساعدة الجهات المعنية بالاثار في الوطن العربي ان تتلقى تقارير جميع الدول العربية بدون استثناء وفي موعدها المحدد كي تتمكن من تحليلها واستخلاص نتائجها لتتقدم بالعمل الاثري، خطوات جديدة الى الاهداف المرسومة.

توصيات مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية

بالوطن العربي في مجال صيانة التراث واحيائه

في نطاق تقرير المنظمة عن الموقف التنفيذي لقرارات وتوصيات المؤتمرات السابقة للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي اصدر المؤتمر في دورته الثالثة ببغداد 2 ـ 81/11/5 التوصيات التالية بخصوص (صيانة التراث واحيائه) :

أولا ـ الآثار

1 ـ يوصي المؤتمر الجهات المختصة في الاقطار العربية بتقديم تصورات دقيقة واضحة لما ينبغي ان يكون عليه المتحف العربي، وللواجبات التي ينبغي ان ينهض بها في ضوء خطة التنمية الثقافية القومية، ويدعو اللجنة الدائمة للاثار الى تبادل الخبرات والمعلومات في هذا المجال توطئة لطرح الموضوع في مؤتمر الاثار العربي القادم.

2 ـ يرى المؤتمر ان عملية تبادل الاثار بين المتاحف العربية ستساعد على تكوين مجموعات متحفية عربية كاملة في الاقطار العربية التي هي بحاجة الى متاحف حضارية جامعة لشواهد الحضارة العربية في مختلف ارجاء الوطن العربي.

3 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بتشجيع تبادل الاثار بين المتاحف العربية وباعداد كشوف بالمواد الاثرية القابلة للتبادل، وان تعهد الى المركز العربي لحصر وتنسيق الاثار في بغداد الاشراف على عملية اعداد الكشوف وتنظيم تبادلها وتأمين الوصول الى نتائج فعالة بشأنها.

4 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بوضع وتوحيد الضوابط والقواعد والقوانين المنظمة لعمل بعثات التنقيب الاجنبية في البلاد العربية.

5 ـ يوصي المؤتمر اللجنة الدائمة للاثار باعداد قوائم باسماء الذين يعملون على تهريب الاثار أو تخريبها أو يخالفون القوانين المحلية ويوصي بتبادل هذه القوائم أولا بأول.

6 ـ يرى المؤتمر ان الكفايات المتخصصة في حقول التنقيب والصيانة وفي الشؤون المتحفية والمعالجة المخبرية قليلة العدد ولا تكفي لتأمين احتياجات الاقطار العربية

والمشروعات الاثارية المعلن عنها، ولذا يدعو المنظمة العربية الى العمل على تنظيم تبادل الخبرات الاثارية في تلك المجالات والى عقد دورات ميدانية للتدريب على التنقيب والصيانة.

7 ـ يدعو المؤتمر المؤسسات المسؤولة في الدول العربية الى تدريس قراءة النقوش والخطوط القديمة وطرق استنساخها.

8 ـ يدعو المؤتمر المنظمة العربية الى مواصلة الجهود لاصدار مدونات النقوش اليمنية.

9 ـ يرى المؤتمر ان الكتب والتقارير الاثارية التي تضم المعلومات التقنية والفنية المعقدة لا تهم الا الباحث المختص، وان القارئ العادي يحتاج الى كتب تحتوي معلومات مبسطة ولذا يدعو المنظمة العربية الى العمل ايضا على اصدار سلاسل مبسطة في الاثار العربية تتيح للقارئ العادي فرص التعرف على انجازات أمته ومآثرها الحضارية.

10 ـ يؤكد المؤتمر على ضرورة نشر الكتب والتقارير الاثارية باللغة العربية لتيسير وصولها الى المثقف العربي، ولكي يستقر المصطلح الاثاري في اقطار الوطن العربي ويتوحد.

11 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بان يتجه العمل الاثري الى التنسيق مع مؤسسات السياحة حتى يعطي الاثر للسائح صورة الشخصية القومية على حقيقتها ويعبر عن الجذور الحضارية للامة.

12 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بان تتجه مؤسسات الاثار فيها الى احياء كل ما هو مهدد بالتشويه والاندثار من معالم تراثنا وتقاليدنا وصناعتنا ومعمارنا، وبالعمل على ادخال كل ذلك في الدورة الاقتصادية والفنية لكل قطر عربي.

13 ـ يوصي المؤتمر بدعم اللجنة الدولية المكلفة بالسعي لاسترجاع الممتلكات الثقافية المغتصبة.

ثانيا ـ المخطوطات وتحقيق التراث

1 ـ يوصي المؤتمر باعتماد التصور الجديد لعمل معهد المخطوطات العربية فيما يختص بتنظيم المعهد وانطلاق عمله، وتصوير المخطوطات، وفهرسة التراث وتيسير الانتفاع به، وصيانة التراث المخطوط والحفاظ عليه وخدمة حركة التحقيق والبحث العلمي والاعلام التراثي والتعاون بين المعهد ومؤسسات التراث والخطتين المرحليتين الأولى والثانية (انظر المرفق رقم 2).

2 ـ يوصي المؤتمر الجامعات العربية والمعاهد العليا في الوطن العربي باستحداث دروس في تحقيق التراث وذلك حرصا على استمرار العمل في خدمته وارتفاع المستوى العلمي جيلا بعد جيل ونظرا لقلة عدد المحققين الاكفاء في الوطن العربي اليوم.

ثالثا ـ صيانة المدن التاريخية العربية الاسلامية

اطلع المؤتمر على الوثيقة الخاصة بصيانة المدن التاريخية العربية الاسلامية وعلى ملف صيانة القيروان ويوصي بما يلي :

1 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بان تتم صيانة المدن القديمة وفق منظور يعطي الافضلية للمدينة القديمة على حساب المدينة الحديثة، اذ ان بامكان المشروعات الحديثة استخدام اراض لا تشغلها مبان اثرية أو تاريخية بدلا من تخريب المدن القديمة ذاتها.

2 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بالقيام بحملة توعية قومية شاملة تستغل كل الامكانات الاعلامية المتاحة من اجل تنمية روح الاحترام للمدينة العربية القديمة عند المواطن.

3 ـ يدعو المؤتمر المنظمة العربية الى استكمال (الوحدة الفنية لصيانة المدن التاريخية) التابعة لقسم التراث في ادارة الثقافة حتى تتمكن من اعداد الدراسات المطلوبة في قرار المؤتمر العام في دورته الاستثنائية الأولى في الخرطوم حول صيانة المدن التاريخية وحماية تراثها الحضاري.

4 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بمساعدة المنظمة العربية على تنفيذ قرار المؤتمر العام المشار اليه في التوصية السابقة، وذلك بمدها بالمعلومات المطلوبة لاعداد الدراسة حسب الاستبانة التي اقرتها اللجنة الدائمة للاثار في دورتها الخامسة بنواكشوط ومساعدة الخبراء الذين توفدهم المنظمة على القيام بمهامهم في ملء هذه الاستبانة.

5 ـ يوصي المؤتمر بدعوة المنظمة العربية الى استكمال الدراسة الخاصة بانشاء (المركز القومي لصيانة التراث) واعتبار المركز الذي اقيم بمدينة رقادة بالقيروان نواة أولى لمركز كهذا.

6 ـ يشيد المؤتمر بجهود المنظمة العربية ومواقف السيد المدير العام المتمثلة في النداءات المتواصلة حول صيانة المدن التاريخية وينوه بالتنسيق الذي يدعم هذه الجهود مع المنظمات العربية والاقليمية والدولية (وخاصة جامعة الدول العربية) و (منظمة المدن العربية) و (مكتب التربية العربي لدول الخليج) و (منظمة المؤتمر الاسلامي) و (منظمة اليونسكو).

7 ـ يشيد المؤتمر بالجهد الذي اخذ طريقه للتنفيذ فيما يخص مشروع صيانة مدينة القيروان بعد أن استكمل اطاره القانوني ويدعو الى دعم هذا الجهد الرائد الذي تتبناه المنظمة

متعاونة مع الحكومة التونسية، ويسجل المؤتمر شكره للمبادرة التي تحركت لمساندة هذا المشروع داعيا المنظمة ان تقوم بمزيد التعريف المفصل بالمشروع وابعاده ومقوماته وتكلفته حتى يتم تدعيمه على الوجه المناسب.

8 ـ توكيدا للتوصيتين المرفوعتين من اللجنة الدائمة للاثار في دورتها الخامسة والتوصيتين المرفوعتين من المؤتمر التاسع للاثار المتعلقتين بصيانة وحماية مدن شبام ووادي حضرموت بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وصنعاء بالجمهورية العربية اليمنية يدعو المؤتمر المدير العام للمنظمة لمساندة نداء المدير العام لليونسكو فيما يخص الحملتين المزمع اطلاقهما بهذا الشأن كما يوصي الدول العربية بالمبادرة الى دعم الجهود المبذولة من قبل اليونسكو بشأن حماية وصيانة المدن المذكورة.

9 ـ يوصي المؤتمر بمساندة النداء العالمي الذي اصدره السيد المدير العام لمنظمة اليونسكو يوم 9 أبريل/نيسان 1980 وهو النداء الذي ايده السيد المدير العام للمنظمة العربية فيما يتعلق بانقاذ وصون مدينة فاس العاصمة الأولى للاسلام بالمغرب الأقصى.

10 ـ يوصي المؤتمر البلدان العربية بالمشاركة في تمويل المشروع المتعلق بترميم وصيانة المدن التاريخية الموريتانية : شنقيط وودان وولاتة وتشيت ذلك المشروع الذي يتم تمويله عن طريق حملة دولية قامت منظمة اليونسكو بتنظيمها.

رابعا ـ في الفنون التشكيلية (الخط العربي)

يدعو المؤتمر المنظمة العربية والدول العربية بمؤسساتها المختلفة الى العناية بالخط العربي باعتباره فنا عربيا متميزا جديرا بالعناية والاستمرار والى رعاية الخطاطين المبدعين برصد الجوائز واقامة المعارض وترويج النتاج والى اتاحة الوسائل لتدريب الخطاطين الناشئين وصقل مواهبهم.

خامسا ـ الفنون الشعبية

توصيات مؤتمر وزراء الثقافة في الوطن العربي ـ بغداد 2 ـ 81/11/5

1 ـ يوصي المؤتمر المنظمة العربية بالاهتمام بالفنون الشعبية في مجال الدراسات والبحوث وتطوير الخبرات.

2 ـ يوصي المؤتمر الدول العربية بالمشاركة في مهرجانات الفنون الشعبية، ومنها مهرجان قرطاج الدولي بتونس، ومهرجان اضواء الفاتح الدولي بطرابلس ومهرجان الفنون الشعبية بمراكش.

قانون الآثار الموحد

بعد عرض مشروع قانون الاثار الموحد على المؤتمر التاسع للاثار (صنعاء ـ فبراير/شباط 1980) وادخال بعض التنقيحات عليه تقرر ان يرسل المشروع الى الدول العربية لتبدي ملاحظاتها النهائية فقامت المنظمة بارساله بتاريخ 80/4/5 على ان تتلقى الرد في موعد اخره 80/6/30 لتقديمه في صيغته النهائية الى مؤتمر وزراء الثقافة العرب في سنة 1981 فتلقت بعض الردود فقط من :

سورية ـ 80/5/18
منظمة التحرير الفلسطينية : 80/4/27
العراق ـ 80/7/18
المغرب ـ 81/3/10.

وقدمت المنظمة الصيغة المنقحة للقانون الموحد للاثار الى الدورة الثالثة لوزراء الثقافة العرب في بغداد 2 ـ 1981/11/5 والى اللجنة الدائمة للثقافة التي مهدت للمؤتمر.

واصدر المؤتمر التوصيتين التاليتين :

1 ـ يقدر المؤتمر الجهود التي بذلت من أجل تقديم افكار موحدة لمشروع قانون آثار عربي يحمي تراث الأمة العربية ويساعد على تنظيم العلاقات والنشاطات الثقافية في مجال الآثار.

2 ـ يوصي المؤتمر باعتماد مشروع قانون الآثار المقدم لاغراض تشريع قوانين آثار عربية متماثلة والأخذ بنظر الاعتبار ما طرح من افكار بهذا الخصوص في مؤتمر صنعاء التاسع للآثار وفي هذا المؤتمر.

مدونة النقوش اليمنية

يستمر تنفيذ هذا المشروع من الدورة المالية للمنظمة (1979/78) وقد تقرر في المؤتمر العام السادس للمنظمة المنعقد بتونس في ديسمبر 1981 أن يغطي المشروع في الدورة المالية 1983/82 الخطوط التالية :

ـ اعداد كتاب يقدم نصوصا منتقاة من النقوش لفائدة طلاب الجامعات.
ـ انجاز التوثيق.

- الاتفاق على المنهج والتبويب.
- البدء في تنفيذ المرحلة الخمسية الأولى لمشروع المدونة بانجاز الباب الأول منها.

وبناء على ما تقدم سلم الاستاذ الدكتور محمود الغول المشرف على اصدار المدونة النماذج التي سيتألف منها كتاب النصوص، كما سلم الاستاذ محمد عبد القادر بافقيه المقدمة التاريخية، وارسلت الى الاستاذ الغول لضمها الى المادة التي أعدها.

وبعد اجتماع مع السيد المدير العام للمنظمة، تقرر مبدئيا أن يطبع الجزء المنجز من المدونة، وستعمل المنظمة، حسب توجيهات السيد المدير العام، على طبعها طبعة داخلية، وتقديمها الى المجلس التنفيذي في دورته القادمة.

كتاب الفن العربي الاسلامي

قدم مشروع (الموسوعة الحضارية في الفن العربي الاسلامي) الى المؤتمر التاسع للاثار بصنعاء (1980). وقد أوصيَ باستكمال لجنة الاشراف على اعداد الموسوعة المؤلفة من خمسة أعضاء، وباعادة المشروع الى أعضاء اللجنة بعد تكوينها لاعداد تصور أكثر عمقا وشمولا.

وعلى ضوء ذلك تم عقد اجتماع في سبتمبر/أيلول 1980 بعمان ـ الاردن حضره أعضاء اللجنة برئاسة الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري وقد حددت أهداف الموسوعة وخطتها، ومداخلها، ومشتملات المداخل، على أن تتناول بعد استكمال المداخل، كل الشعب الرئيسية للفن العربي الاسلامي وسميت (موسوعة الفن العربي الاسلامي).

وبناء على توجيه المؤتمر العام السادس للمنظمة (ديسمبر/كانون أول 1981) فيما يتعلق بالمشروع (موسوعة الفن العربي الاسلامي) باختيار اسم جديد له، يتوافق مع مضمونه، دفعا للالتباس بالمفهوم المألوف للموسوعة، تقرر تسميته (كتاب الفن العربي الاسلامي).

وبتاريخ 82/5/6، وافق السيد المدير العام للمنظمة على تسمية الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري مشرفا علميا على المشروع وفي شهر سبتمبر/أيلول 1982 عقد اجتماع بين الدكتور الدوري والمنظمة (ادارة الثقافة)، روجعت فيه الوثائق المقدمة، واستقر الرأي على ضبط خطوات العمل، وتحديد قائمة الباحثين، وخطاب التكليف ومراجعة التكلفة المالية والملف معروض على السيد المدير العامة للموافقة على الخطوات المقترحة.

التراث العلمي عند العرب

1 ـ المنظمة ومركز التراث العلمي بحلب

اصدر المؤتمر العام قراره رقم م ع/د ع6/ق 15 ـ ج/التالي نصه :

(دعوة المدير العام الى اعداد دراسة جدوى انشاء مركز قومي للتراث العلمي العربي وتقديمها الى المجلس التنفيذي لاتخاذ ما يراه مناسبا في ضوء وجود معهد المخطوطات).

وتنفيذا لهذا القرار تقدمت المنظمة الى المجلس التنفيذي المنعقد في دورته الثلاثين بالحمامات من 9 ـ 1982/8/14 بتقرير يلخص الأفكار والمقترحات التي تم التوصل اليها بينها وبين المسؤولين عن معهد التراث العلمي عند العرب.

وبعد مناقشة الموضوع اتخذ المجلس التنفيذي القرارين التاليين :

1 ـ دعوة المدير العام لتوثيق عرى التعاون الفني بين معهد المخطوطات ومعهد التراث العلمي العربي في حلب، والمؤسسات العلمية العربية المماثلة.

2 ـ الموافقة على دعم معهد التراث العلمي العربي بحلب ضمن برامج وميزانية المنظمة.

هذا وان معهد المخطوطات العربية قد فتح باب التعاون مع معهد حلب منذ مدة وجيزة وقد كان من نتائج ذلك ما يلي :

1 ـ اتفق المعهدان على تبادل المخطوطات المصورة بينهما، وقد ارسل معهد المخطوطات الى مركز حلب مجموعة من الافلام (الخام) لكي يصور له عليها مجموعة المخطوطات التي طلبها منه.

كما صور مدير معهد المخطوطات اثناء تواجده بتونس مجموعة من المخطوطات العلمية بدار الكتب الوطنية، لصالح مركز حلب.

كما وعد معهد المخطوطات بتصوير مجموعة من المخطوطات العلمية من مكتبات جمهورية اليمن الديمقراطية.

2 ـ نشر معهد المخطوطات تقريرا مفصلا عن معهد حلب في العدد الأول من المجلد الأول لسنة 1982.

3 ـ يتبادل المعهدان المطبوعات وبعض المعلومات المتعلقة بالمخطوطات وينوي معهد المخطوطات توسيع التعاون بين المعهدين.

2 ـ الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب

من الاعمال الهامة التي ينشغل بها قسم التراث العربي هذه الايام التحضير لعقد الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب في الكويت في العاشر من ديسمبر/كانون أول 1983 ولمدة خمسة ايام، والتي ستخصص لبحث موضوع (علوم النبات والري والفلاحة عند العرب) وذلك بالتعاون مع معهد التراث العلمي في جامعة حلب.

3 ـ كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب

اصدرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) على نفقة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ثم اقترح ترجمة هذا الكتاب الى الفرنسية والانكليزية لعلاقة مادته بالدراسات الجامعية في البلدان الاجنبية فجرى تكليف الاستاذ الدكتور سعيد شعبان استاذ طب العيون في جامعة الجزائر بترجمته الى الفرنسية.

وتنتظر المنظمة العربية انجاز هذه الترجمة كيما تقوم بطباعتها وإبلاغها إلى الجهات التي تستفيد منها لتبيان دور العرب الفعال في تطوير الطب والصيدلة خلال قرون عديدة.

4 ـ كتاب التيسير في المداواة والتدبير

كلفت المنظمة الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة بدمشق بالاشراف على طبع كتاب (التيسير في المداواة والتدبير) لابن زهر الاندلسي وتحقيق المرحوم الدكتور ميشيل الخوري عضو المجمع بدمشق، وتتولى الطبع دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق بموجب اتفاق ابرمته المنظمة معها، وقد تم انجاز الطبع ويجري حاليا وضع المقدمات والفهارس.

صيانة المدن التاريخية العربية الاسلامية

تنفيذا لتوصية المؤتمر العام في دورته غير العادية الأولى (الخرطوم 7/29 ـ 78/8/2) التي تنص على :

(دعوة المدير العام الى الاهتمام بالمدن التاريخية العربية الاسلامية، والعمل على صيانتها، وحماية تراثها، الحضاري ودعم الحملة الجارية لصيانة مدينة فاس بالمملكة المغربية واستطلاع اراء الدول الاعضاء، وتقديم الدراسة للمجلس التنفيذي في دورة قادمة).

وبناء على توصيات مؤتمر الاثار التاسع (صنعاء فبراير/شباط 1980) وموافقته على الاستبانة بعد ادخال بعض التنقيحات عليها، وتوصيته بارسالها الى الدول الاعضاء قامت المنظمة، بتعميمها منقحة بتاريخ 1980/3/31 طالبة استعادتها مملوءة في اخر شهر ماي في نفس السنة.

وذكرت ببرقية بتاريخ 80/5/6 ترجو فيها موافاتها بالاستبانة في اقرب وقت.

كما وجهت مراسلات الى كل الدول العربية الاعضاء بتاريخ 80/8/16 تخبرها بانقضاء الاجل المحدد من قبل مديري الاثار أنفسهم، وتطلب استعادة الاستبانة في الاثار. وقد وردت بعض الاجابات وكانت كالاتي :

1 ـ المملكة الاردنية (80/5/18) اسئلة الاستبانة لا تنطبق على المعالم الموجودة لديها.
2 ـ المملكة العربية السعودية (80/6/25) (العلاء، دومة الجندل، تيماء، الدرعية).
3 ـ دولة قطر (80/9/6) (الدوحة).
4 ـ جمهورية السودان الديمقراطية (80/9/11) تقرير في صفحة واحدة يتعرض الى مدينة سواكن بايجاز.
5 ـ دولة الكويت (80/10/2) لا توجد لهديها مدن بالشكل المتعارف عليه.
6 ـ الجمهورية العربية اليمنية (80/10/14) صنعاء.
7 ـ الجمهورية العربية السورية (81/1/21) (حلب، الرصافة، دمشق، حماة، بصرى، المرقد، قصر الحير الشرقي).
8 ـ دولة البحرين (81/2/23) (المحرّق).
9 ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية (81/6/13) (شنقيط، تيشيت، ولاتة، ودان).
10 ـ الجماهيرية العربية الليبية (81/6/30) (أوجلة، طرابلس، بنغازي).
11 ـ المملكة المغربية (81/10/8) (فاس، مراكش).
12 ـ الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية (82/3/29) (القصبة ـ تلمسان).
13 ـ الجمهورية التونسية (82/10/27) (تونس، سوسة).

عرضت المنظمة الموقف من خلال (الاستبانات) التي استلمتها في بحر سنة 1980، والشهر الأول من سنة 81 على اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف التي انعقدت بنواكشوط (22 ـ 81/2/24) مرفقة ببعض الملاحظات.

1 ـ ان معظم الاجابات المقدمة المدرجة بالاستبانات غير مدققة وغير مركزة، بحيث لا تساعد على أي تصور ممكن.

2 ـ خلو كل الاستبانات من الوثائق التي يمكن اعتمادها للعمل (عدا استبانة صنعاء التي اعدت بجدية وضبط واناة).

3 ـ تعرضت بعض الاستبانات الى مدن منقرضة توقفت فيها الحياة، وهو غير ما تهدف اليه الاستبانة التي تعنى بالمدينة ذات التراث العربي الاسلامي التي تستمر فيها الحياة.

وأكدت المنظمة على :

1 ـ ان الحاجة الى الوثائق ضرورية لصحة الملف.

2 ـ ضبط قائمة المدن التي يشملها التحقيق لتحديد مجال العمل.

ونتيجة لدراسة من طرف اللجنة تم التوصل الى تحديد مفهوم المدينة العربية الاسلامية المعنية بالاستبانة والتعرف على العقبات التي تعيق بعض الدول من الاستجابة لطلب المنظمة (ادارة الثقافة) واهمها حاجة بعض الدول الى خبراء يفدون اليها لجمع المعلومات المطلوبة للاستبانة لذلك أوصت اللجنة (ادارة الثقافة) بتوفير عدد من الخبراء على المستويين القطري والقومي لتلك الدول التي أبدت رغبتها في ذلك.

وبناء عليه قامت اللجنة بضبط حاجات الدول من الخبراءكما قامت بضبط المدن التي اقترحتها الدول نفسها والتي ترغب في اعداد استبانات لها، وهي على النحو التالي :

أولا ـ قائمة الخبراء

1 ـ البحرين : خبير عربي من خارج البحرين
2 ـ تونس : خبير محلي
3 ـ الجزائر : خبير عربي من الخارج
4 ـ سورية : خبير محلي
5 ـ العراق : خبير محلي
6 ـ فلسطين : خبير محلي + خبير خارجي
7 ـ ليبيا : خبير محلي + خبير خارجي
8 ـ المغرب : خبير محلي
9 ـ موريتانيا : خبير محلي
10 ـ اليمن العربية : خبير خارجي
11 ـ اليمن الديمقراطية ـ خبير خارجي.

المجموع : ستة (6) خبراء خارجيين
وسبعة (7) خبراء محليين.

ثانيا ـ قائمة المدن العربية الاسلامية التي تعد استباناتها وتكون موضوع البحث المشترك والصيانة وهي المدن التي توجد في الوثيقة المصاحبة (وثيقة عدد 1).

1 ـ البحرين : مدينة المحرق
2 ـ الجمهورية التونسية : مدينة تونس، الحمامات، سوسة، صفاقس، القيروان، المهدية.
3 ـ الجمهورية الجزائرية : مدينة الجزائر (القصبة)، قسنطينة، وهران، تلمسان، بجاية، غرداية ومدن وادي مزاب، بوسعادة، ميلة، تبسة، الاواد، عنابة، المنيعة، تيميمون، توفورة.
4 ـ الجمهورية العربية السورية : دمشق، حلب، حماة، حمص، المعرة، طرطوس.
5 ـ الجمهورية العربية العراقية : الموصل، البصرة القديمة، بغداد.
6 ـ فلسطين : القدس، الخليل، نابلس، يافا، حيفا، عكا، غزة، خان يونس.
7 ـ الجماهيرية العربية الليبية : مدينة طرابلس القديمة، بنغازي، أوجلة، غدامس، زويلة، سوكنة.
8 ـ المملكة المغربية : فاس، مراكش، مكناس، سلا.
9 ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية : شنقيط، تيشيت، ولاتة، وادان.
10 ـ الجمهورية العربية اليمنية : صنعاء، زبيد، ذمار، ذي حبلة، صعدة، صوران، رداع، تعز، حيس، الزيدية، اب، كوكبان، شبام كوكبان.
11 ـ جمهورية اليمن الديمقراطية : عدن، شبام، تريم، سيئون، الشحر.

ثم استقر الرأي في اجتماع اللجنة أيضا على :

1 ـ مراجعة قوائم المدن المرشحة للاستبانات واختيار مدينة واحدة من كل قطر عربي أو أكثر في الحدود التي تسمح بها الامكانيات المادية المتاحة للمنظمة، واستنادا إلى الاهمية التاريخية لكل مدينة.

2 ـ الاستفادة من المواد التي توفرت لدى المنظمة من الإستبانات السالفة الذكر.

3 ـ تكليف خبراء محليين وخارجيين من الاقطار العربية لتقديم العون للمنظمة (ادارة الثقافة) في جمع المعلومات العلمية، وملء الاستبانات وفق ما تحدده لهم ادارة الثقافة.

وعلى ضوء ما تقدم أوفدت المنظمة الخبراء الآتية أسماؤهم :

1 ـ المهندس نبيل قصبجي (سورية) رئيس دائرة الصيانة في مصلحة الاثار بحلب لمدة اسبوع في البحرين لاعداد بحث وملء استبانة مدينة (المحرق) 1981.

2 ـ الدكتور شوقي شعث (فلسطين) الاختصاصي في المدن التاريخية والاثار بدائرة الاثار بحلب لمدة اثني عشر يوما في اليمن بشطريه لاعداد بحث وملء استبانات مدن (تعز، ذي جلبة، شبام، تريم) 1981.

3 ـ الاستاذ محمد الشابي ـ مكلف بالبحوث بالمعهد القومي للاثار والفنون (تونس) لاعداد بحث وملء استبانة (القصبة ـ وتلمسان) بالجزائر 1981.

وقد تسلمت المنظمة استبانتي وبحثي (القصبة وتلمسان) مارس/آذار 1982.

أما بالنسبة للخبراء المحليين، فقد قامت المنظمة ايضا بتعميم تكليفهم الى السادة مديري الاثار وشملتهم برقية ورسالة الاسراع بانجاز الموضوع، لكننا لم نتلق سوى استبانتي مدينتي (تونس وسوسة) 1982.

ولبلورة الموقف على ضوء المعطيات التي تجمعت لدى المنظمة (ادارة الثقافة) في اجتماعات اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف ومن مجموع الاستبانات التي تلقتها رأت ضرورة التحرك لانجاز دراسة علمية يمكن ان تكون غير شاملة ولكن تعتبر اسهاما نحو انجاز المشروع وعملا ضروريا يقدم الى المؤتمر العاشر للاثار فكلفت احد الخبراء بتفريغ الاستبانات، وتصنيفها وتحليل المعلومات الواردة فيها، وهي التي تقدم اليكم كوثيقة من وثائق المؤتمر (وثيقة عددة 2).

مشروع صيانة القيروان وتراثها

بعد ان استكمل مشروع صيانة مدينة القيروان صورته القانونية بموافقة المجلس التنفيذي في دورته السابعة والعشرين على النظام الاساسي لصندوق الصيانة التي تتم الاتفاقية المبرمة بين المنظمة وبين الحكومة التونسية بتاريخ 22 يوليو/تموز 1980 قطع المشروع المراحل التالية :

- تكون مجلس ادارة الصندوق بمقتضى قرار السيد المدير العام رقم ت 145 بتاريخ 81/8/7 وعين رئيسه.
- عين خبير متفرغ لادارة المشروع والصندوق بقرار السيد المدير العام رقم ت 144 (1981) وتم فتح حساب بنكي.
- بتكليف من مجلس الادارة اعد الخبير تصورا أوليا لابعاد المشروع، درسه المجلس وطلب اعداد خطة وميزانية عمل تستوعب المشاريع المقترحة في تقرير التصور.
- اعدت الخطة وميزانية العمل وتضمنت جانب التسيير والتجهيز ثم قسم المشروعات الميدانية. وقد ناقش مجلس الادارة في جلسات متتالية اثناء شهري فبراير/شباط – مارس/اذار 1982 تفاصيل هذه الخطة ونظر في ضبط بعض ابوابها والتصرف حسب الامكانات المتاحة وركز بوجه خاص على موضوعات : التجهيزات الاساسية – التسيير – البعثات – الاعلام – وأوقف

ألنظر في المشاريع الميدانية حتى ترد مراسلة الحكومة التونسية لتحدد هذه المشاريع طبقا لنصوص الاتفاقية.

- وافق المدير العام بتاريخ ابريل/نيسان 1982 على مقترحات مجلس الادارة للتحرك في المجالات المشار اليها.
- تجري الاتصالات الفنية لضبط عروض الاسعار وانجاز ما حدده مجلس الادارة من مشتريات تجهيزية واعداد وسائل اعلامية.
- تتواصل الجهود لضبط تكاليف مخبري التصوير والتحليل الذي سبق تخصيص قيمة شرائهما منذ مدة.
- طبقا لما اقره مجلس الادارة من ضبط موارد التمويل والتنصيص على أنه يشمل :

1) مساهمات الصناديق والمؤسسات العربية والاسلامية والدولية والتبرعات والهبات العامة أو المخصصة لتنفيذ برامج ومشروعات معينة وعائد استغلال اموال الصندوق وأي مورد اخر لا يتعارض مع دستور المنظمة.

2) مساهمة الحكومة التونسية التي حددت في البند الرابع من الاتفاقية وقد ضبط مجلس الادارة هذه المساهمة التي تشمل الى جانب ما اشتملت عليه على مساهمات العنوان الثاني المرصودة في ميزانية المعهد القومي للاثار والفنون لتنفيذ جزء من الخطة المعتمدة وعلى المساهمات المالية التي وردت وترد مباشرة للحكومة التونسية بغرض صيانة القيروان.

بناء على هذا فقد اعد مدير المشروع البرنامج التنفيذي لمساهمة العنوان الثاني المرصود في ميزانية المعهد القومي للاثار لسنة 1982 وبرنامجا تنفيذيا للميزانية المتحصلة من المساهمات التي وردت على الحكومة التونسية مباشرة وتخص جامع عقبة بن نافع.

وتسمح هذه الارصدة بالاضافة لما هو متوفر في صندوق المشروع من تركيز العمل وبدء التنفيذ ريثما تعد الوسائل الاعلامية المخطط لها لتكون اداة للاتصال ولتنمية موارد الصندوق.

مشروع انقاذ قلعة بني حماد

أوصى المؤتمر التاسع للاثار بصنعاء (فبراير/شباط 1980) بالعمل على تقديم المساعدات الفنية التي يستلزمها مشروع انقاذ قلعة بني حماد الاسلامية بالجزائر واستجابة لذلك كلفت المنظمة (ادارة الثقافة) المهندس سالم بلحاج من تونس لمدة ثلاثة شهور للمساهمة في اعمال الصيانة، والرفع، والترميم، سنة 1980.

وقد انجز مهمته وقدم تقريرا شاملا لكل ما قام به من اعمال.

انقاذ مدينة فاس

أوصى المؤتمر العاشر للاثار بصنعاء 16 ـ 1980/2/22،

كما أوصى مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي (بغداد 2 ـ 1982/11/5)، والمؤتمر العام للمنظمة في دورته السادسة (تونس 21 ـ 1981/12/26) بالمساهمة في انقاذ مدينة فاس استجابة للنداء الذي اصدره المدير العام لليونسكو يوم 1980/4/9، وايده المدير العام للمنظمة بنداء مماثل بتاريخ 1981/4/9.

وعلى ضوء ذلك اتصلت المنظمة بالحكومة المغربية (وزارة الثقافة) بتاريخ 1982/9/21 وطلبت منها ارسال الملف الفني والتقديرات المالية للمشروع، كي يتسنى للمنظمة دراسته، وتقدير حجم المساهمة الفنية والمالية.

التعاون مع اليونسكو في اثارة الانتباه لصيانة المدن العربية الاسلامية

اعدت اليونسكو مشروعا خاصا لرعاية المدن الموريتانية التاريخية : شنقيط ودان وتيشيت وولاتة،ودُعِي المدير العام للمنظمة لتوجيه نداء بمناسبة بدء الحملة بالنداء الذي يوجهه المدير العام لليونسكو. وقد تم ذلك يوم 81/1/15 بمدينة شنقيط حيث نادى الدكتور محيى الدين صابر بابراز الاهمية التاريخية والحضارية لهذه المدن التي عَبَرت اللغة العربية والثقافة الاسلامية منها الى دول افريقيا الغربية وكان لها دورها الكبير في ترسيخ الوجود العربي هناك ودعا الدول العربية والاسلامية الى مؤازرة نداء اليونسكو ودعمه (انظر نص النداء).

وكانت المنظمة قد اتجهت للاهتمام بالتراث العربي الاسلامي بموريتانيا وبخاصة صيانة المخطوطات التي دعمتها بمخبر وبوسائل للتحول تتيح متابعة هذا القطاع الحضاري ورعايته في كامل مساحة الجمهورية الموريتانية.

وستسهم المنظمة بمشاركة السيد المدير العام في توجيه نداء مماثل لصيانة المدن العربية : صنعاء وشبام ووادي حضرموت عندما يتحدد اجل ذلك. وقد سبق للمؤتمر التاسع للاثار ان دعا الى ذلك، كما أوصى به مؤتمر وزراء الثقافة العرب الثالث ببغداد.

التدريب على الوسائل العلمية في التنقيب عن الآثار

(دورة تلمسان : 2 ـ 30 مايو/ايار 81)

بدعوة من المنظمة انتظمت دورة تدريبية على استخدام الاساليب العلمية في التنقيب عن الاثار بموقع اغادير للاثار الاسلامية بمدينة تلمسان بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، بتاريخ 2 ـ 81/5/30 باشراف الاستاذين : خليفة عبد الرحمن وسعيد دحماني المسؤولين العلميين عن الحفرية، شارك فيها متدرب واحد من كل من الأقطار العربية التالية :

الاردن ـ تونس ـ السودان ـ الكويت ـ قطر ـ اليمن العربية ـ البحرين ـ السعودية ـ سورية ـ ليبيا.

وقد اعد برنامج الدورة على اساس الاسهام في حفرية اغادير الاسلامية والتدرب على الحفر بطريقة التراكب الطبقي، وعلى عمليات التسجيل بالرسم والتصوير، والرفع واستعمال الجذاذات وما الى ذلك من الاعمال الفنية.

وفي نهاية الدورة تسلمت المنظمة مطبوعة من ثلاث نسخ تضم مجموعة من الاسئلة والاستفسارات ملأها المتدرب يجيب فيها عما استفاد به من معلومات وفنيات.

ايفاد خبراء في الاثار الى البلاد العربية

أوصت اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف في دورتها الخامسة (نواكشوط ـ فبراير/شباط 1981) المنظمة العربية بتكليف خبراء في الاثار لاعداد بحوث وملء الاستبانات التي تخص بعض المدن التاريخية العربية الاسلامية التي رشحها اعضاء اللجنة لتكون موضوع الاستبانة.

وقد طرح الموضوع على ممثلي الدول الاعضاء فرشحت كل دولة عددا من المدن حسب الاولويات واختارت الخبير الذي سيقوم بالمهمة، اما من خارج القطر المعني أو من داخله كما يلي :

1 ـ دولة البحرين : خبير عربي من الخارج
2 ـ الجمهورية التونسية : خبير محلي
3 ـ الجمهورية الجزائرية : خبير عربي من الخارج
4 ـ الجمهورية العراقية : خبير محلي
5 ـ الجمهورية العربية السورية : خبير محلي

6 ـ فلسطين : خبير محلي + خبير عربي من الخارج
7 ـ الجماهيرية العربية الليبية : خبير محلي + خبير عربي من الخارج.
8 ـ المملكة المغربية : خبير محلي
9 ـ الجمهورية الموريتانية : خبير محلي
10 ـ جمهورية اليمن العربية : خبير عربي من الخارج.
11 ـ جمهورية اليمن الديمقراطية : خبير عربي من الخارج.

المجموع 6 خبراء خارجيين و 7 خبراء محليين

وعلى ضوء ذلك أوفدت المنظمة ثلاثة خبراء الى الدول التالية :

1) دولة البحرين : (خبير واحد ـ لمدة اسبوع لمدينة المحرق 1981).
2) اليمن العربية واليمن الديمقراطية : (خبير واحد، لمدة 12 يوما ـ لمدن تعز، ذي جبلة، شبام، تريم، 1981).
3) الجمهورية الجزائرية : (خبير واحد لمدة اسبوع، القصبة، تلمسان 1981).

ولم تتسلم المنظمة الا استبانتي (الجزائر ـ القصبة، تلمسان) 1982.

أما الخبراء المحليون فبرغم البرقية والرسالة اللتين وجهتهما المنظمة لحث السادة مديري الاثار على التعجيل بارسال الاستبانات فلم تستلم الا استبانتي مدينتي (تونس وسوسة).

حماية الآثار الفلسطينية

ادرجت المنظمة في مشروعات ادارة الثقافة للدورة المالية 1983/82 برنامجا بعنوان (حماية الاثار الفلسطينية) يشتمل على :

1 ـ دعم مركز الاثار الفلسطينية بالخبرة والتجهيزات الفنية.
2 ـ اصدار كتاب عن الندوة العالمية الأولى للاثار الفلسطينية.
3 ـ نشر كتاب عن الاثار الفلسطينية.
4 ـ المساهمة في انتاج فيلم تسجيلي عن الاثار الفلسطينية.

فبالنسبة لدعم المركز والمساهمة في انتاج الفيلم حولت المنظمة، استجابة لرغبة دائرة الاعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ شهر ابريل/نيسان 1982، المبالغ المرصودة لهذين المشروعين.

نشر كتاب عن الاثار الفلسطينية

ادرجت المنظمة مشروع نشر كتاب عن الاثار الفلسطينية في دورتها المالية 1979/78، وصدرت بشأنه توصية في مؤتمر الاثار التاسع في صنعاء (فبراير/شباط 1980).

وكانت حكومة المملكة العربية السعودية، منذ ادراج الكتاب ضمن مشروعات 1979/78 قد تبرعت بمبلغ (6,850) ستة الاف وثمانمائة وخمسين جنيها استرلينيا لتغطية تكاليف تأليف الكتاب.

وبناء على القرار رقم 2/13/2 الصادر عن المؤتمر العام للمنظمة، تشكلت لجنة من الخبراء عقدت اجتماعا في أوائل عام 1978 في مقر دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية بدمشق نوقش فيها كل ما يتصل بالاتي :

1 ـ مادة الكتاب وموضوعاته.
2 ـ مواصفاته العلمية والفنية.
3 ـ ترشيح العلماء الذين يعهد اليهم بتأليف الكتاب والمحرر الذي يتولى السهر على مادة الكتاب، ومراجعتها واخراجها.
4 ـ وضع التقديرات الاولية لجميع تكاليف الكتاب من المبلغ المتبرع به من حكومة المملكة العربية السعودية، وتقديم التوصيات اللازمة بهذا الشأن.

مادة الكتاب وموضوعاته والمؤلفون :

يتألف الكتاب من جزءين :

الجزء الأول

الموضوع	المؤلف	العدد التقريبي للصفحات
ـ تمهيد (حول جغرافية فلسطين ودوافع وأهداف البحث الاثري في فلسطين	الدكتور معاوية ابراهيم	40 صفحة
ـ عصر ما قبل التاريخ العصر البرونزي القديم	الدكتور معاوية ابراهيم	40 صفحة
ـ العصر البرونزي الوسيط العصر البرونزي المتأخر	الدكتور محمد خير ياسين	40 صفحة
ـ العصور الحديدية	الدكتور شوقي شعث	50 صفحة
ـ العصور الكلاسيكية		
أ) فلسطين في العصر الهيلينيسي	الدكتور عاصم البرغوثي	20 صفحة
ب) الانباط وفلسطين	الدكتور نبيل خيري	20 صفحة
ج) فلسطين في العصر الروماني	الدكتور عدنان الحديدي	20 صفحة
د) فلسطين في العهد البيزنطي	الدكتور فوزي زيادين	20 صفحة

الجزء الثاني

ـ تمهيد حول تاريخ بحث الاثار الاسلامية في فلسطين والفتوحات الاسلامية	الدكتور شاكر مصطفى	30 صفحة
ـ فلسطين في عهود الراشدين الاموين والعباسيين		
أ) العمارة	الدكتور غازي بشية	30 صفحة
ب) الفنون الصغرى (الخزف، النحت، التصوير الخ)	الدكتور صفوان التل	30 صفحة
ج) الكتابات والنقوش	الاستاذ يوسف النتشة	20 صفحة
د) المسكوكات	الدكتور محمد أبو الفرج العش	20 صفحة
ـ فلسطين في العصور الاسلامية المتأخرة (الايوبيين، المماليك، العثمانيين)		
أ) العمارة	الدكتور غازي بيشة	30 صفحة
ب) الفنون الصغرى الخزف، النحت، التصوير)	الدكتور صفوان التل	30 صفحة
ج) الكتابات والنقوش	الاستاذ يوسف النتشة	20 صفحة
د) المسكوكات	الدكتور محمد أبو الفرج العش	20 صفحة

منهج البحث :

حرصا على صدور الكتاب بجزءيه، وفي جميع فصوله، منسقا ومنسجما مع اهدافه وممثلا للمقومات الاثرية والحضارية من خلال النصوص واللوحات (الصور والرسوم) :

1 ـ مقدمة تمهيدية تتضمن المميزات الرئيسية، والممالك والشعوب، وأهم المواقع والحفريات والدراسات الاثرية لكل فترة.

2 ـ المخلفات الحضارية، وربطها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في فلسطين في اطارها الحضاري وتشمل :

أ) العمارة ـ بجميع أنواعها واشكالها ووظائفها مع تقديم وسائل ايضاحية منسجمة مع النص وموثقة له.

ب) الفنون الاخرى ـ وتشمل الادوات المنزلية، الاسلحة، الحلي، اللباس، الاختام وكل ما استعمله الانسان في حياته اليومية، وما له علاقة بالاديان والمعتقدات وعادات الدفن، وكذلك النحت والتصوير الخ.

ج) المسكوكات ـ وتشمل النقود والميداليات والاوزان، وأماكن ضربها مع الوسائل الايضاحية اللازمة.

د) الكتابات والنقوش ـ بجميع اشكالها واغراضها.

وبناء على ذلك كلفت المنظمة عن طريق دائرة التربية بمنظمة التحرير الفلسطينية السادة الباحثين بتاريخ 78/10/21 باعداد البحوث كلا حسب ما جاء في الكشف بازاء اسمه.

وقد تلقت المنظمة بتاريخ 82/2/23 كتابا يشير الى ان خمسة من الباحثين قد انتهوا من اعداد بحوثهم للكتاب وينتظر ان ينهي بقية الباحثين عملهم ليتم البدء في اعداد الكتاب للطباعة.

الندوة العالمية الأولى للاثار الفلسطينية

عقدت الندوة العالمية الأولى بجامعة حلب في الفترة 19 ـ 1981/9/24 وقد خطط لها بالتشاور والتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير الفلسطينية (دائرة التربية والتعليم العالي) وجامعة حلب بالجمهورية العربية السورية وبدعم من منظمة (اليونسكو).

فعلى مستوى المادة العلمية استطاعت الاثار الفلسطينية المهددة بالتشويه والمسخ والدمار ان تستقطب اكثر من مائة عالم وباحث في التاريخ والاثار من شتى اصقاع الأرض. فالى

جانب الأساتذة العرب المتخصصين شارك في الندوة أساتذة من: استراليا ـ وألمانيا ـ وأمريكا ـ وإيطاليا ـ وبريطانيا ـ وبولندا ـ والدانمارك ـ والسويد ـ وفرنسا ـ وكندا ـ واليابان ـ ويوغسلافيا.

وعلى مستوى التنفيذ كان لجامعة حلب راعية الندوة ما لهذه المدينة العربية من عراقة في التاريخ، واصالة في العروبة فتجلت هذه المعاني في الجلسات العلمية للندوة ومناقشاتها الغنية، وفي (بيان حلب) الذي جسم الارادة العلمية والحقيقة التاريخية في وجه العبث بالتراث الانساني والذي دعا إلى :

- حماية الاثار الفلسطينية التي هي ملك للانسانية جمعاء من العبث والتشويه.
- طبع وقائع الندوة.

وقد وافق المؤتمر العام للمنظمة في دورته السادسة بتونس (21 ـ 81/12/26) على المساهمة في طبع وقائع الندوة بالتعاون مع جامعة حلب فاقترحت المنظمة بناء على ذلك اجتماعا في دولة المقر مع الاستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب ورئيس اللجنة التحضيرية للندوة والاستاذ الدكتور شوقي شعث أمين سر الندوة عقد في نوفمبر/تشرين الثاني 1982.

بيـان حلـب

ان المشاركين في الندوة العالمية الأولى للاثار الفلسطينية المنعقدة في جامعة حلب بين 21 ـ 26 ذي القعدة 1401 هـ الموافق 19 ـ 81/9/24 من علماء اثار وتاريخ وحضارة اقرارا منهم بما كان للنشاط الاثري في الكشف عن اثار الشرق الأدنى عامة وفلسطين خاصة، من خدمة لمعرفتنا بالتراث الانساني وتقدم الانسان في مجالات الحضارة الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية على مدى العصور كلها، ورغبة منهم في توفير الدعم المعنوي والمادي لمثل هذه الجهود العلمية السليمة في المستقبل رأوا ان يوجهوا هذا البيان الى المنظمات والمؤسسات الدولية والقومية التي تعنى بخدمة التراث الحضاري الاثري وحمايته ورعايته مقررين ما يلي :

1 ـ ان الاثار حيثما وجدت تراث حضاري انساني عام الى جانب كونها تراثا قوميا للبلاد التي قامت عليها الحضارات القديمة وللشعوب التي شاركت في اشادة صروحها وتطوير قيمها الانسانية ولذا يجدر بعلماء الاثار ان يراعوا في كشفهم عن الاثار ودراساتها وصيانتها خدمة جميع النواحي التي تستخرج أو تستنتج من اعمالهم واعطاءها أهمية كاملة متساوية بقدر ما يستطيعون من دراسة وصيانة.

2 ـ ان الزمن الذي كان بعض علماء الاثار يركزون فيه دراساتهم وكشوفهم على محاولة الوصول الى نتائج معينة خدمة لاغراض مقررة مسبقة ينبغي ان يكون زال وانقضى وان كل محاولة للكشف عن الاثار لاغراض مقررة مسبقة أو اعتبارات موجهة عاجلة يعتبر اساءة لكرامة علم الاثار واستهانة بالتراث الانساني.

3 ـ ان المكتشفات الاثرية وثائق اساسية من وثائق الحضارة الانسانية وعلى علماء الاثار دراستها ونشر البحوث والتقارير عنها أولا بأول وان على سلطات الاثار القومية حفظها حفظا ملائما وتيسير الاطلاع عليها لجميع العلماء الجادين المخلصين في نواياهم العلمية.

4 ـ ان الاوضاع الفعلية التي تتعرض لها الاثار الفلسطينية تحت وطأة سلطة احتلال عسكري تجعل من الضروري صيانتها من العبث وتشويه الحقيقة من عمليات التنقيب والكشف التي تجري خدمة لاغراض سياسية دينية تخالف النهج الموضوعي في العلم ولا يرتضيها ضمير الباحث وتخالف الاتفاقات الدولية السارية التي تحظر على سلطات الاحتلال العسكري التصرف بالتراث الحضاري للاراضي المحتلة.

5 ـ ان على جميع العلماء والعاملين في ميدان الاثار الفلسطينية ان يحترموا القرارات والمواقف التي اتخذتها المنظمات الدولية، مثل اليونسكو، والاليكسو لحماية الاثار والعمارة والمدن الفلسطينية وعلى المنظمات والهيئات الدولية متابعة جهودها في رعاية الاثار الفلسطينية وصيانتها من كل ما يسئ اليها ويفسدها.

المؤتمر العاشر للاثار في البلاد العربية

استجابة لتوصيات المؤتمر التاسع للاثار في مدينة صنعاء في جمهورية اليمن العربية (فبراير/شباط 1981) ينعقد المؤتمر العاشر للاثار في البلاد العربية، في دورته الحالية ـ العاشرة ـ في مدينة تلمسان ـ بالجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ابتداء من 15 الى 18 نوفمبر / تشرين الثاني 1982، تتلوه ثلاثة أيام من 19 الى 21 نوفمبر / تشرين الثاني 1982 تكرمت بتنظيمها ادارة الاثار والمعالم التاريخية بوزارة الثقافة الجزائرية وتخصص لزيارة بعض المعالم والمواقع التاريخية.

أولا ـ موضوع المؤتمر العام : (المسكن والمدفن في البلاد العربية في جميع العصور) ولتغطية الموضوع بالبحوث المتخصصة كلفت المنظمة بالبحوث الآتية عناوينها العلماء المسجلة اسماء اصحابها بموازاتها في الكشف التالي :

1 ـ البيت في مصر وسورية وفلسطين ـ الدكتور شوقي شعث
2 ـ البيت في بلاد ما بين النهرين ـ الدكتور مؤيد سعيد

3 ـ البيت في الجزيرة العربية الى العصر الحديث ـ الدكتور عبد الرحمن الانصاري
4 ـ البيت في المشرق العربي الاسلامي الى اخر العصر العثماني ـ الدكتور عبد القادر الريحاوي
5 ـ البيت في افريقية والمغرب الاسلامي الى اخر العصر العثماني ـ الاستاذة جودية بن سليمان (اعتذرت)
6 ـ المدافن في افريقية القديمة وسائر المغرب ـ الاستاذ الدكتور محمد فنطر
7 ـ المدافن في شرق الجزيرة العربية ـ الاستاذة الشيخة هيا آل خليفة
8 ـ المدافن في مصر وسورية وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ـ الدكتور معاوية ابراهيم.

وحتى نهاية الموعد المضروب لاستلام البحوث وصلت الى المنظمة أوراق السادة الاساتذة : الدكتور شوقي شعث، الدكتور عبد القادر الريحاوي، الدكتور محمدفنطر.وقد اتصل بمن لم يتمكنوا من ارسال بحوثهم في موعدها وطلب منهم ان يعدوها بعدد كاف لا يقل عن مائة (100) نسخة يحملونها معهم الى المؤتمر.

ثانيا ـ الاتصال بالدول العربية الاعضاء : تم الاتصال بها عن طريق المندوبين الدائمين ووجهت الى امناء اللجان الوطنية ومنهم الى مديري الاثار ومن هم في مستوى مناصبهم، في 82/3/15 وذلك برسالة عُينت فيها البحوث التي طلبت من خبراء المنظمة، وطلب من ادارات الاثار ان توعز الى الباحثين في بلادها باعداد بحوث في المواضيع التي لم يغطها خبراء المنظمة ولا سيما فيما يخص اقطارها بالذات، وطلب ان تعلم المنظمة بما يمكن الاسهام به من مواضيع قبل أو في اواخر شهر مايو/ايار 1982، على ان تسلم البحوث في اواخر شهر اغسطس/آب 1982.

طلب بنفس الرسالة من كل دولة تزويد المنظمة بالاتي :

1) تقرير عما تم تنفيذه بخصوص توصيات المؤتمر التاسع للاثار، يصل في موعد اقصاه نهاية شهر يوليو/تموز 1982.
2) تقرير حول وضع الاثار في القطر، يصل في موعد اقصاه شهر يونيو/حزيران 1982، ومعه :
3) أية تقارير أو دراسات حول مشروع جدول الاعمال (الذي أرفق بالرسالة).

وظلت المنظمة تتابع سير العمل مع الدول بالبرقيات والتلكسات واخرها برقية تلكس مفصل عن اخر ما توصل فيه عن المؤتمر (1982/8/26) شفعت برسالة مفصلة بالطرق المتبعة المعتادة في 1982/9/7.

استجابات الدول الاعضاء :

أ) وعدت الدول الاتية اسماؤها بالاسهام في المؤتمر، وعددها 12 (اثنا عشر) : (1) المملكة الاردنية الهاشمية ـ (2) دولة البحرين ـ (3) الجمهورية التونسية ـ

(4) جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ـ (5) جمهورية جيبوتي ـ (6) المملكة العربية السعودية ـ (7) الجمهورية العربية السورية ـ (8) الجمهورية العراقية ـ (9) دولة قطر ـ (10) دولة الكويت ـ (11) الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ـ (12) الجمهورية العربية اليمنية، ووصلت استفسارات حول المؤتمر من كل من دولة الامارات والصومال الديمقراطية، ومع استمرار الاتصال بالدولتين بالطرق المعتادة لم تتم الاستجابة.

ب) وفيما يتصل **بالبحوث التي يعدها بعض أعضاء الوفود** بدون تكليف من المنظمة ولكن لاثراء موضوع المؤتمر العام فيما يخص أقطارهم، فقد وعدت 3 (ثلاث) دول فقط بعمل ذلك : **المملكة الاردنية الهاشمية :**

1 ـ المدافن في فلسطين والاردن من نهاية العصر الهيلينستي الى العصر الاسلامي، اعداد الدكتور فوزي زيادين (المساعد الفني لشؤون الابحاث والنشر).

2 ـ قصر الحلابات مثال على تحويل حصن روماني الى قصر أموي، اعداد الدكتور غازي بيشة (المساعد الفني للشؤون الاسلامية).

المملكة العربية السعودية :

1 ـ احياء وترميم المدن القديمة بالمملكة (الدرعية، العلا، دومة الجندل).

2 ـ نشاط المسح الاثري ونشاط الادارة العامة للاثار والمتاحف.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية :

تلقت المنظمة قائمة بعناوين الموضوعات الاتية التي يعالجها العلماء المتخصصون استقبالا للمؤتمر :

1 ـ البيت الفاطمي، الزيري والحمادي في الجزائر
2 ـ حفريات أغادير (تلمسان)
3 ـ الاضرحة البربرية في الجزائر (الجار)
4 ـ المخطوط الاسلامي
5 ـ حفريات سطيف
6 ـ حفريات شرشال
7 ـ الزخرفة في البيت الجزائري
8 ـ القصبة
9 ـ مدخل الى العمارة العربية الجزائرية

10 ـ السكنات المدرسية في المغرب والاندلس
11 ـ المنازل والقصور في العصر الثاني
12 ـ الضريح النوميدي (مدراسن)
13 ـ السكن في العهد الروماني
14 ـ طرق التخوم الجزائرية في العصر الروماني
15 ـ المسالك والدروب وأثرها الحضاري في المغرب الأوسط في العصر الوسيط
16 ـ المسالك والدروب في العصر الوسيط.

وقد وصلت الى المنظمة من هذه البحوث أربعة باللغة العربية، أعدت لملف البحوث المتنوعة والباقية تعد مع البحوث المكتوبة بالفرنسية في الجزائر :

1 ـ بيوت سدراته، اعداد الدكتور رشيد بورويبة
2 ـ حول مخطط أغادير ـ تلمسان بين الفتح الاسلامي وحلول المرابطين، اعداد الدكتور سعيد دحماني
3 ـ المدخل الى المسكن العربي الاسلامي بمدينة الجزائر، اعداد الدكتور محمد الطيق عقاب.
4 ـ المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري أثناء الفترة الاسلامية.

ج) تقرير عما تم تنفيذه بخصوص توصيات المؤتمر التاسع للاثار :

وصلت (4) أربعة تقارير وافية من كل من :

1 ـ المملكة العربية السعودية
2 ـ الجمهورية العربية السورية
3 ـ دولة قطر
4 ـ الجمهورية العربية اليمنية.

د) تقرير عن وضع الاثار :

وصلت (4) أربعة تقارير من كل من :

1 ـ جمهورية جيبوتي
2 ـ المملكة العربية السعودية
3 ـ الجمهورية العربية السورية
4 ـ الجمهورية العربية اليمنية.

هـ) وقد وصل من الجمهورية العربية السورية تقريران اضافيان عن :

1 ـ المدن التاريخية وبخاصة دمشق
2 ـ متحف الحضارة العربية.

وهي المادة الوحيدة التي بعثت استجابة لطلب المنظمة بعنوان **تقارير ومواد اضافية.**

ثالثا ـ الاتصال بالمنظمات والمؤسسات ذات العلاقة بعمل المنظمة الدولية والعربية

تم الاتصال بكل من المنظمات والمؤسسات ذات العلاقة بعمل المنظمة لدعوتها للاسهام في المؤتمر بصفة مراقب :

1 ـ اتحاد الجامعات العربية
2 ـ اتحاد المؤرخين العرب
3 ـ الامانة العامة لجامعة الدول العربية
4 ـ رابطة العالم الاسلامي
5 ـ المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية
6 ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج
7 ـ المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة
8 ـ منظمة المدن العربية
9 ـ منظمة المؤتمر الاسلامي
10 ـ منظمة الوحدة الافريقية
11 ـ منظمة اليونسكو.

وقد اعتذر الاستاذ سلطان عبد القادر الشاوي أمين عام اتحاد الجامعات العربية عن عدم التمكن من الحضور لالتزامات سبقت. وعين مكتب التربية العربية لدول الخليج مندوبا عنه في شخص الدكتور توفيق اليزبكي، وقدم ورقة بعنوان الدليل الاثاري لمنطقة الخليج العربي، كما أن منظمة اليونسكو قد أنتدبت عنها الاستاذ منير بوشناقي.

اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف

عقدت اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف دورتها الخامسة بنواكشوط (موريتانيا) في الفترة : 22 ـ 24 فبراير/شباط 1981 بحضور ثلاث عشرةدولة، ونظرت في عدة مواضيع مما نفذته المنظمة في توصيات الدورات السابقة، والمشاريع المتابعة والتعريف بما جد فيها، ومشاريع للتفكير والتخطيط، والمشاريع التي تسهم فيها ادارة الثقافة بالمنظمة، والمشاريع التي جدت للدرس والتخطيط.

وقد ارسلت وقائع الدورة ومحاضر الجلسات الى الدول الاعضاء للتنفيذ والمتابعة.

تقرر أن تعقد الدورة السادسة بها من الفترة 15 ـ 17 فبرلير/شباط 1983.

وقد وقع الاتصال بدولة البحرين، وبقية الدول العربية الاعضاء لاعلامها بما تم بين البحرين والمنظمة من جهة، ولارسال ما يبدو لها من مقترحات وافكار لادراجها في جدول الاعمال.

وتضمن التقرير النهائي الترحيب بدعوة ممثلة البحرين لاستضافة الدورة السادسة للجنة، غير أن وثائق المؤتمر العام للمنظمة في دورته السادسة، ديسمبر/كانون أول 1981 أدرجت عقد الدورة في دمشق، ولكن المديرية العامة للاثار والمتاحف أبلغت المنظمة بأنها تنوي توجيه الدعوة لعقد المؤتمر الحادي عشر للاثار في دمشق، وبناء على ذلك وافق السيد المدير العام على عقد الدورة في البحرين، وانتهى التشاور مع السلطات المعنية في دولة البحرين بعقد الدورة السادسة في المنامة من 15 ـ 1973/2/17.

المساهمة في معرض (من قرطاج الى القيروان)

كانت الدولة التونسية قد بدأت تعد لمعرض حضاري يعبر عن ألفي سنة من تاريخ هذه الرقعة من الوطن العربي ويندرج في نطاق العلاقات الثقافية الثنائية التونسية الفرنسية ثم في اطار الحوار العربي الاوروبي القائم عبر المؤسسات العربية، وقد أعدت تونس هذا المعرض بانتقاء تراثي من قرطاج الى القيروان شمل التراث البونيقي والروماني والبيزنطي والاسلامي، وكانت أكثر المعروضات القيروانية جديدة في مادتها ومحتواها.

وقد قرر المؤتمر العام في دورته السادسة (تونس : 21 ـ 1981/12/26)، بناء على طلب تقدمت به الحكومة التونسية أن يسهم في هذا الجهد الثقافي وأن يؤازر أهدافه محددا مقدار مشاركة المنظمة المالية، وفوض في عقد اتفاق مع الدولة التونسية يسلم بمقتضاه مبلغ المساهمة على أن تتولى تونس اصدار دليل مصور باللغة العربية يعرض التحف التي يشتمل عليها المعرض، ويتضمن التنويه بمشاركة المنظمة، وتستلم المنظمة 200 نسخة من هذا السجل.

وقد تم افتتاح المعرض بتاريخ 1982/10/17 في حفل ممتاز حضره اعضاء الحكومة الفرنسية والتونسية والمدير العام للمنظمة والمدير العام لمنظمة العالم الاسلامي وعلماء التراث والتاريخ وذلك بمدخل القصر الصغير بباريس. وقد شاركت ادارة صندوق صيانة القيروان بملصقة عربية وفرنسية عن صيانة المدينة التاريخية.

طبع المؤتمرات السابقة

لم تتمكن المنظمة من إدراج نشر وقائع المؤتمرات السابقة – التي لم تنشر – في دورتها المالية (1983/82) لحجز ملفات المؤتمرات التي سبقت مؤتمر صنعاء في مقر المنظمة بالقاهرة.

وقد تم الاتصال بوزارة الشؤون الثقافية بالمملكة المغربية لموافاة المنظمة بالملف الكامل للمؤتمر الثامن الذي عقد في مراكش في سنة 1977.

وستعمل ادارة الثقافة على البدء في نشر هذه المؤتمرات في الدورة القادمة (1985/84) بدءا بالمؤتمر العاشر الذي ستتعاون المنظمة مع وزارة الثقافة في الجزائر على نشره، ثم المؤتمر التاسع في صنعاء الذي ستعمل منفردة على نشره، ثم المؤتمرات التي يُتابع البحث عن وقائعها كاملة.

كلمـــة

الاستاذ الدكتور محيى الدين صابر

المدير العام

بمناسبة النداء العالمي لحماية المدن التاريخية الاسلامية

شنقيط ـ موريتانيا 11 ربيع ثان 1401 هـ 16 فبراير/شباط 1981

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الوزير الأول رئيس الحكومة
السيد المدير العام لمنظمة اليونسكو
السيد وزير الثقافة والشباب والرياضة
السيد وزير الاعلام والمواصلات
اخواني، اخواتي

التحية في هذا المقام، وفي كل مقام، هي السلام، تحية الاسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله، وبعد،
فانه ليسعدني، في هذه المناسبة الجليلة، ان اتقدم باسم منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم، وباسمي الى الجمهورية الاسلامية الموريتانية، رئيسا وحكومة وشعبا بالشكر مستحقا على الدعوة الكريمة والضيافة الحفية، واللقاء السمح.

وانه لشرف، وانها لمسرة كذلك ان اشترك في هذا الحدث الحضاري الكبير إلى جانب اخي وصديقي السيد احمد مختار امبو المدير العام لليونسكو، مؤازرا ومؤيدا، وهو يوجه نداءه الى ضمير العالم، لصيانة المدن التاريخية في الجمهورية الاسلامية الموريتانية وهي مدن حملت رسالة عظيمة هي رسالة الهداية، ورسالة المعرفة، قرونا طويلة، في بقعة غالية من الأرض، هي ملتقى ثقافات ومجمع حضارات، في ظروف انسانية واجتماعية لا يقوم لها، الا اصحاب الرسالات.

ان الدور الذي انتدب له التاريخ موريتانيا لهو دور عظيم في مسار الثقافة العربية والاسلامية في افريقيا، وفي خارج افريقيا، وان اسم هذه المدينة الخالدة (شنقيط) التي نجتمع في ساحتها اليوم كان يعني مدنا أخرى عريقة مثل (تشيت) و (ولاتة) و (ودان) وكانت صورة الشناقطة، وما تزال في البلاد العربية، انهم الممثلون الاوفياء للثقافة العربية الاسلامية في نقائها واصالتها وانهم سدنتها في قاصية ديار الاسلام المرابطون، في ثغورها، حفاظا عليها، ونشرا لها، واشعاعا بها، في تفاعل خلاق مع الثقافة الافريقية.

ان التقاليد الثقافية العريقة التي اثرت عن المدن التاريخية الموريتانية الى عهد قريب كفلت للتراث الاسلامي العربي البقاء والاستمرار من خلال المؤسسات التي ابتدعها المجتمع الموريتاني سواء في المراكز العلمية المستقرة، أو المتنقلة، والتي يمثلها نظام (المحاضر) وهو نظام يكاد يكون دون نظير، استنبط من واقع الحياة البدوية ...

كذلك فان النظام الفريد الذي استمر في التقليد التعليمي الموريتاني من انتشار التعليم العالي بين النساء الموريتانيات، واسهام كثير منهن باستاذية رفيعة، في مجالات العلوم الاسلامية والادبية واللغوية، هو من مفاخر الثقافة العربية في هذه المنطقة، وفي كل المناطق العربية الاسلامية. ولم تكن الحياة الثقافية تعمل في عزلة عن سائر وجوه السعي الانساني، فقد اتحد نسيج تلك الحركة الفكرية، مع التفتح الاقتصادي والاجتماعي، في حياة متكاملة وحية، مع العالم الاسلامي الكبير، فكانت مدينة (أودغيشت) التاريخية المندرسة، مركز التجمع الاقتصادي، وملتقى القوافل التجارية التي كانت تنحدر اليها من (سجلماسة) ومنها يبدأ طريق الذهب الذي كان يتنازع عليه الفاطميون في (القيروان) و (المهدية) والامويون في(قرطبة). ولقد كان ذلك الطريق من المنبهات الحضارية في العالم الوسيط، قامت حوله حركة تفاعل تاريخي عظيم بين شعوب افريقيا والعالم الخارجي.

لقد ظل اهل (شنقيط) اصحاب رسالة، وقد كان مجتمعهم فيما يحدّث المؤرخون، يقوم على ثلاث فئات، فئة دعاة، كانوا ينتشرون في البلاد، لبث العقيدة الاسلامية، وهم المجاهدون، وفئة منقطعة الى العلم، بحثا وتعليما وتأليفا، وفئة تعمل في اصلاح الاموال وفي النشاط الاقتصادي، وهي تقوم على تمويل المجاهدين والعلماء.

وبمثل هذه المعاناة وبمثل هذا العطاء استطاع هذا الشعب الباسل ان يحتفظ بمقوماته، وان يحرس أصالته، وان يسهم في بناء الثقافة العربية والاسلامية مواصلا دوره التاريخي المجيد ...

ان هذا النداء العالمي الذي يحقق، باذن الله غايته، هو تحية مستحقة، تقدمها الانسانية الى هذا الاسهام النبيل الذي قدمته هذه المدن، الى الحضارة البشرية، تحية في مناسبة مطلع القرن الخامس عشر من هجرة الرسول الكريم، دفاعا عن العقيدة وبناء لقواعدها على التقوى والخير والسلام. وهنا ينبغي ان نشير الى قضية اساسية في مفهوم صيانة المدن التاريخية التي نحن بصدد العناية بها هنا، وهي ضرورة ارتباط عمليات الصيانة للاثار الفنية والمعمارية والتخطيطية لهذه المدن، بالعناية الشاملة بالجانب البشري، والاجتماعي، حتى لا يصبح هذا الجهد العالمي، متاحف في الصحراء.

ومن هنا وجب ان تكون هناك خطة موازية في عمليات الصيانة، لاعادة الحياة الى هذه المدن، وتوفير اسباب الاستقرار، ومدها بالمرافق العصرية الاساسية، وإيجاد فرص للعمالة والانتاج فيها باعادة الوظائف التاريخية لهذه المدن في اطار الحياة الجديدة، فالانسان وحده هو الذي يصنع الحضارة، ويرتفق بها ويحافظ عليها.

أيها الاخوة، ان الاهتمام بالتراث الحضاري، ليس ترفا فنيا، وليس متعة ثقافية ولكنه في هذا العصر الذي تتجه فيه الحضارة التكنولوجية القاهرة الى الكونية، وتنزع فيه الى العالمية، وتسعى في عنف، وتعمل في قسوة، لتنميط الحياة البشرية، وتقليل دور الابداع الانساني وتحجيم الانسان امام الالة، يصبح هذا الاهتمام حاجة اجتماعية ملحة لاقامة التوازن بين

الانسان والاشياء ولابراز القيم المبدعة، واعادة تأهيلها وتوظيفها في سياق التقدم. وهذه كلها عناصر اساسية لتحقيق التنمية المتوازنة، وفي اقرار السلام العالمي، فالانسان المعاصر في حاجة الى ان يشعر بقيمة الحياة من خلال تقدير انجازاته ليكتسب الثقة في المستقبل البشري.

والشعوب النامية في حاجة حقيقية ووظيفية لاستحضار اسهامها الحضاري في مواجهة عمليات الاحباط والاغتراب، التي تحاصرها بها الحياة المعاصرة، حتى يتوازن وجودها وتقبل الى تلك المعاصرة : تقبلا ومشاركة، في تكافؤ نفسي، وعافية فكرية، تأخذ وتعطي عن قدرة واختيار. وبنفس القدر، فان الشعوب المتقدمة تكنولوجيا، في حاجة الى استشعار هذه المعاني، وتقدير الجهود الحضارية الشعوب،الاخرى، دون استعلاء ودون تعصب لنمط حضاري واحد بما يعين على التفاهم الدولي، وعلى تخفيف حدة التوتر العالمي وذلك بالاحترام المتبادل للتراث الحضاري لكل الشعوب،فهذا التراث هو ميراث انساني في وظيفته مهما كان مصدره القومي، وهو وحده القادر على اقامة العدالة التاريخية بين الشعوب، وهو الشاهد القائم على قدرة البشرية وعطائها ووحدة اهدافها في استئناس الحياة واغنائها وتجميلها.

ومن هنا كان هذا الاتجاه العالمي الى احياء التراث الفني بالابداع البشري. ولقد نهضت اليونسكو، قادرة في هذا المجال عن طريق تعاون دولي معبر عن المعاني الانسانية المشتركة، فاسدت يدا برة الى البشرية بما قامت به من اعمال عظيمة في مختلف بقاع العالم، فاستنقذت من يد الضياع كنوزا انسانية رائعة ستظل من مفاخر هذه المؤسسة العالمية.

وفي هذا الاطار لقد كان للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بناء على توجيه اجهزتها الدستورية والتنفيذية، شرف اللقاء مع اليونسكو في مجال الدعوة الى صيانة المدن العربية والاسلامية في اكثر من مكان، ففي (القيروان) كان معي الاخ السيد احمد مختار امبو المدير العام لليونسكو، حين وجهت نداء لصيانة مدينة (القيروان) و (جامع عقبة) مؤازرا ومؤيدا، وكنت معه حين وجه نداءه العالمي لصيانة مدينة (فاس) وانا اليوم اسعد ان اكون الى جانبه، وهو يوجه نداءه العالمي لصيانة المدن القديمة في موريتانيا (شنقيط) و (تشيت) و (ولاتة) و (ودان) وسنكون معا في المستقبل في الدعوة الى صيانة مدن عربية واسلامية أخرى، ان شاء الله في الوطن العربي.

وانني اذ اضم صوتي الى صوته، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وباسمي فاني أود ان اشيد باعتزاز كبير بالتعاون الوثيق الذي يقوم بين المنظمة الدولية وبين المنظمة القومية في هذا المجال، وفي كل المجالات الاخرى، وهو تعاون يقوى وتتسع افاقه يوما بعد يوم، بفضل ذلك الادراك البصير لسيادة الاخ المدير العام لطبيعة الاهداف والوسائل المشتركة، ولسياسته الحكيمة واسهام معاونيه في تنفيذها في قدرة ومسؤولية.

أيها الاخوة، ليست هذه المناسبة التاريخية الا مظهرا واحدا، من مظاهر سعي حكومة موريتانيا الموصول لبناء هذه الجمهورية الفتية على اسس سليمة من التخطيط الرشيد، والتفتح

البصير، في مختلف مجالات التقدم الاجتماعي، واني أنتهز هذه الفرصة لأنوه في رضى بالتعاون المتنامي بين الحكومة الموريتانية وبين المنظمة العربية للرتبية والثقافة والعلوم في كثير من المشروعات الثقافية والتربوية التي ندرك حيويتها وأهميتها، والتي تعطي دائما الأسبقية المستحقة. وان المشاركة النشيطة والتعاون القريب في أعمال المنظمة من المسؤولين الموريتانيين، لهو من العوامل الايجابية التي تُهيء لتلك المشروعات المناخ المنتج. وان منظمتكم لا تدخر جهدا في وسعها ولا تحجب قدرة تستطيعها وفاء بواجبها نحو الشعب الموريتاني المناضل ليواصل دوره التاريخي في المسيرة العربية الاسلامية مشاركة وعطاء...

والله مسؤول، فضلا وكرما، أن يجمع أمتنا بالخير على الخير وللخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمـــة

الاستاذ الدكتور محيى الدين صابر

المدير العام

بمناسبة افتتاح الحملة الدولية لصيانة المآثر التاريخية والفنية لمدينة فاس

(المملكة المغربية) 4 جمادى الاخر 1401 هـ 9 أفريل/نيسان 1981

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية نصره الله.

التحية في هذا المقام، وفي كل مقام، هي السلام، تحية الاسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فليكن مأذونا لي، يا صاحب الجلالة، فضلا وكرما، في هذه المناسبة الجليلة، ان اتقدم باسم منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم، وباسمي، الى مقام جلالتكم السامي، والى حكومتكم الرشيدة، وشعبكم الابي الوفي، على الدعوة الكريمة، والضيافة الرحبة، وان اشيد بهذه الجهود القادرة والصاعدة مبذولة في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في المملكة تنمية للقدرات البشرية، وتفجيرا لطاقاتها وتحريرا للامكانات الطبيعية، وتسخيرا لها في خدمة الانسان والمجتمع، وقياما على الميراث الحضاري العريق لامتنا، عقيدة وفكرا، صيانة لذلك الميراث العبقري وتطويرا، بما يبقي على الشخصية العربية الاسلامية نامية، قادرة مشاركة في الحضارة الانسانية، اخذا منها بصيرا، وعطاء لها قديرا.

يا صاحب الجلالة، ها نحن أولاء نشهد اليوم مظهرا من مظاهر هذه النهضة العظيمة، في مدينة فاس العربية الاسلامية الخالدة.

وفي هذه المناسبة التاريخية، فانه ليسعدني ان أنوه، معتزا بتلك المآثر الخالدة والباقية لجلالة الملك المعظم الحسن الثاني، الذي يعتبر بحق باعث الفن العربي الاسلامي، في هذا العصر، بما وفق الله جلالته اليه من تشييد تلك التحفة الاعجوبة الفنية الباقية، ضريح صاحب الجلالة الملك المجاهد المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه، وجزاه عن حسن بلائه وصادق جهاده، خير الجزاء.

ان هذا الضريح يمثل عصرا جديدا في مسيرة الفن العربي الاسلامي الذي كادت تنقرض صناعته، ويتوقف مده، فاعدتم جلالتكم الى هذا الفن الانساني العظيم حيويته، واحطتموه بالرعاية والتشجيع، بما اقمتم من المؤسسات التعليمية والتدريبية لاعدادهم، فنيا، فاصبح خريجوها اليوم هم رسل الفن الاسلامي العربي في كل مكان ...

وان هذا عمل سيظل من الاعمال الخالدة في الثقافة العربية الاسلامية، وتاريخا باقيا من تاريخها، مقترنا على مر العصور باسم جلالتكم، وعهدكم الزاهر، وهو اثر سيظل دائما رمزا للبر، بر البنوة، وبر القيم.

ومدينة (فاس) في موقعها المتميز الفـريد، صاغت جمالها الدائم يدا الطبيعة والانسان معا في قدرة وإبداع، في لقاء خلاق بين المادة والفكر.

ولقد استقرت اسسها الأُولى، لتكون حاضرة لملك ادريس الثاني، سليل للنبوة وباني دولة الادارسة، الذي استفتح الاقامة فيها، يدعو من اعلى منبر الشرفاء : (اللهم وفق سكانها للخير، واعنهم عليه، وكفهم مؤونة اعدائهم وأدرّ عليهم الارزاق، واغمد عنهم سيف الفتنة).

ولقد فتن المؤرخون والجغرافيون عبر قرون التاريخ الاسلامي، بخصائص فاس الطبيعية والبشرية والفنية.

ان جامع القرويين في فاس، حجة قائمة على الدهر، على قدرة الفكر العربي الاسلامي. فالقرون مرت بعد القرون، وفيها من احداث الحياة ما لها اخذ وعطاء واقبال وادبـار، وثبت جامع القرويين شامخا لا ينقطع عطاؤه ولا يتوقف ابداعه، ولا تهتز تقاليد شيوخه وعلمائه، في القدوة الصالحة، وفي التضحية الغالية، في سبيل العقيدة والحرية ... فكان هذا الجامع العتيق منارة القاصدين من المغرب والمشرق، ومركز الوافدين من جزيرة الاندلس، وملتقى الساعين من سائر افريقيا، مثابة لهم جميعا وامنا، وهو كما كان بالامس، في الرعاية الكريمة ويقوم بواجبه في خدمة الفكر العربي والاسلامي على خير الوجوه، واتمها رشدا.

وان تلك الصلة الحميمة التي تربط اهل (فاس) بمدينتهم لهي صلة نادرة المثال فالانسان كل انسان، طبع على حب وطنه، ومسقط رأسه، ومسرح صباه، ومراتع شبابه، ومجال علاقاته، وهو هوى يلقاه الناس جميعا في وجدانهم وعواطفهم، ولكن قل ان تجد مثل ذلك الاعتزاز القديم الذي يجده اهل (فاس) (لفاس) وهو تقليد متصل، فكل شيء يبتدئ من (فاس) والى (فاس) يعود، ان هذا الحب، وهذا الانتماء وهذا الولاء للمدينة، ولما تمثله المدينة من قيم وفضائل، هو الذي حفظ على (فاس) ذاتيتها، وصان شخصيتها، فهذه الحضارة، انما هي صنع الناس، ومن ممارسة الناس، ومن تقدير الناس.

وانه ليسعدني ان اشهد هذه المناسبة العظيمة الى جانب صديقي احمد مختار امبو المدير العام لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، لافتتاح الحملة الدولية لصيانة مدينة (فاس) وتراثها، واني باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وباسمي، لاشاطره هذا الاهتمام الذي يتجه لمدينة من امهات مدن التراث العربي والاسلامي واضم صوتي الى صوته، ولعل هذا الموقف نفسه، دليل على التكامل الذي يقوم بين منظمتينا الدولية والعربية، وعلى التقاليد الرصينة التي اقامتها المنظمتان على اسس من الممارسة الامينة والجادة. ولقد كان لقاؤنا في العام الماضي معا في مناسبة مماثلة في جامع (عقبة بن نافع) في تونس، حين وجه نداء عالمي لانقاذ مدينة (القيروان)، مظهرا من مظاهر هذا التعاون. ولا بدّ ان اشيد هنا، بما تقوم به اليونسكو، من اهتمام بالاثار العالمية، كجزء ايجابي من الحضارة الانسانية، وعامل من عوامل التفاهم الدولي، والفهم المشترك بين الشعوب بما يخدم قضية السلام، وقضية الانسان معا.

وان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ستجد موقعها في اطار هذا المشروع العظيم، حسب توصية المؤتمر العام في دورته غير العادية الاولى، التي دعا فيها لدعم الحملة القائمة لصيانة مدينة (فاس) وقد اتجهت العناية بالمدن العربية ومعمارها وتراثها الفني والفكري، باعتبار ان المدينة العربية الإسلامية مجلى حضاري لفنون امتنا، ولشخصيتها التاريخية المستمرة، والمتفتحة على المستقبل وهي جزء من الفن العالمي والحضارة الانسانية، اخذت منها واعطتها، في عبقرية اصيلة، ولقد تركزت اهتمامات المنظمة على استجلاء موضوع المدن العربية، وتوضيح قضيتها في اثناء اللقاءات والمؤتمرات المختصة المتتالية، والتي افضت الى انشاء نواة لوحدة فنية بالادارة العامة للمنظمة طبق توصية من المجلس التنفيذي في دورته الحادية والعشرين، تتولى الاعداد للدراسات الخاصة بصيانة وحماية التراث الحضاري للمدن التاريخية العربية الاسلامية، وقد اعدت هذه الوحدة اطارا للعمل، والحركة، متعاونة مع مراكز الاثار والمؤسسات المعنية الاخرى في كل بلد عربي. وتوشك الاجراءات التمهيدية على نهايتها لينطلق مشروع صيانة مدينة القيروان وتراثها، وهو المشروع الذي تبنته المنظمة لهذه المدينة المُتَوْأَمَة مع فاس، لتفي لها ببعض ما لها من حقوق على الامة العربية والاسلامية، ثم لتتخذ من المشروع قاعدة لانضاج التجارب وتطوير الخبرات العربية في مجالات الصيانة، والحفاظ، والاحياء لانماط العمارة. والقيم الفنية الجمالية لمدننا العربية، ولتكون هذه الخبرات الجديدة في خدمة صيانة مدننا التاريخية واحيائها، مكتملة التكوين، واضحة الرؤية، مترابطة في تصورها، مستفيدة من شمول نظرتها، متفتحة على التجارب الانسانية في صيانة المدن التاريخية حيثما كانت.

انني اعيد الشكر هنا، للمملكة المغربية، ملكا وحكومة وشعبا، للدعوة الكريمة، وللحفاوة السمحة.

القسم الثالث

تقارير بعض الدول عن أوضاع الآثار

جمهورية جيبوتي

تقرير عن الاثار

I ـ الخصائص العامة

جمهورية جيبوتي :

مستعمرة منذ أواخر القرن الماضي، ومنذ سنة 1946 اصبحت تابعة للساحل الصومالي الفرنسي لما وراء البحر (.T.O.M) ثم اخذت شكل مقاطعة فرنسية سنة 1967 وحصلت على الاستقلال يوم 27 يونيو/حزيران 1977.

الجغرافية والسكان :

تمسح جمهورية جيبوتي 25,770 ألف كلم^2. تحدها من الشمال دولة الحبشة ومن الجنوب دولة الصومال.

وتنفتح على البحر بساحل طوله 300 كلم يمتد من رأس دميرة في الشمال الى حدود لوايادا Loyada في الجنوب. ونظرا لطبيعتها البركانية فان مناخها الحار يعد من اشد مناطق العالم حرارة حيث معدله حوالي 30 درجة ويصل احيانا الى 42 درجة في الفصول الحارة.

يقدر عدد سكانها بـ 350,000 (ألف) نسمة، ينتسبون الى قوميتين مختلفتين : الصومالية، والعفارية. وتشكلت قومية ثالثة من المهاجرين (الاقليات العربية من أصل يمني).

المدن الرئيسية :

المدن الرئيسية في جمهورية جيبوتي هي : جيبوتي أوبوك Obock وتاجورة، ودخيل Dikhilوعلي Ali وسبيه (أو صبيح) Sabieh.

II ـ الوضعية الاثرية في جمهورية جيبوتي

من المؤكد ان ثقافة شعبنا موغلة في القدم، يدل على ذلك وجود العديد من المخلفات منذ العصور السحيقة لما قبل التاريخ الى يومنا هذا. ولذا فان امكانيات العمل الاثري متاحة بوفرة حيث سيجد الباحث في هذا الميدان ارضا غنية بالمستوطنات والمواقع الاثرية كما سيجد هيكلا متواضعا للبحث لا يتطلب الا التحريك والتطوير.

1) الحفريات الاثرية الأولى :

يعود تاريخ الحفائر الجيبوتية الى سنوات 1929 ـ 1932 من طرف بعثة علمية متكونة من ثلاثة (3) باحثين هم : ر. ـ ب. تايلهارد دي شاردان R.P. Teilhard de Chardin والاب براي L'abbé Breul، وبول فيرنر Wernert وابتدأت الحفرية الأولى في منطقة أوبوك Obock وتسمى «المرتفع الأحمر».

2) الموقعان اللذان وقعت دراستهما، هما :

أ) موائد قودوريا Godorya، الواقعة بين أوبوك وخر أنقر Khor Angar، والتي تسمى بالعربية «جبل الجن».

ب) هضبة آس ـ الي As-Alé الواقعة على منعطف وادي سداي Saday شمال غربي اوبوك.

تعود الادوات الكثيرة المكتشفة في هذين الموقعين الى العصر الأنشولي القديم والوسيط، والحديث احيانا (بليو توسين 6,000,000 ـ 100,000 سنة). ويمكن نسبة هذه الادوات اعتمادا على طريقة قطعها الى العصر الاشولي القديم أو الوسيط.

3) المكتشفات الحديثة :

ثم عادت عمليات التنقيب فيما بين السنوات 1950 ـ 1960 من قبل المدارس المسيحية الجيبوتية، وخاصة الاخ بول بوفييه Frère Paul Bouvier. كما قدمت في سنة 1967 بعثة لاستكمال الابحاث الموجودة، تتركب من ضباط الجيش العاملين في الفرق الفرنسية بجيبوتي، برئاسة بيار شابلن Pierre Chapelon، الذي أسس مجموعة دراسات ما قبل التاريخ، والاثار والجيولوجيا (G.E.P.A.G.).

وقعت في غضون هذه الفترة دراسة موقع قومبورتا ـ آس Goumbourta-as وهي هضبة تقع على الضفة المشالية لوادي اويحا Oveha، وموقع قديو الالي Gediyyo Allalé (وهي لا تبعد كثيرا عن الموقع السابق) وموقع وادي بولي Boullé (على طريق قوبتو Goubeto، وموقع هانلي Honlé، وغيرها).

وقد اكتشفت مواقع اخرى في شمال البلاد خاصة في تاجورة وودي Waddi وسبللي (Soublallé).

تضاف الى هذا النشاط جهود كلود تيبو Claude Thibault (الاختصاصي في العصر الجيولوجي الرابع، وعصور ما قبل التاريخ)، الذي قدم مساعدة ثمينة الى المجموعة، ولكنه ركز اهتمامه على دراسات ما قبل التاريخ خاصة الصناعات الاقدم.

اذن فان امكانيات العمل الاثري، كما نرى، واسعة جدا في جمهورية جيبوتي حيث توجد المئات من بقايا جدران «خلوات» مدافن عصر فجر التاريخ، والمدافن التملية Tumulus، وتجمعات قالا Galla، وحقول المتحجرات Fissiles، وحضارة العصر الحجري الأول Pebble-Culture وغيرها. لكنها مازالت تتطلب مجهودات أخرى، نظرا لوفرة المواقع ومخبآتها الثقافية، واسلوب صناعة القطع المطمورة. ولكي نتمكن من امتلاك المعلومات التاريخية يتحتم اتباع اساليب تنقيبية محكمة لان جانبا هاما من ماضينا مازال مدفونا تحت التراب. فالرجوع الى الحفريات التي قام بها الاختصاصيون في مواقع حفرت واستغلت قديما من طرف هواة، ستمكننا من اضافة قدر هام الى المعلومات الموجودة. **مثلا** : فان موقع هندُقا Handoga الاثري يتطلب تنقيبات علمية متطورة فهو يقع في منطقة دخيل Dikhil قرب وادي الشكايتي Chekeiti ويتميز بمبانيه المؤلفة من حجارة البازلت الجليلة المنحوتة حسب طريقة لا توجد عند السكان الحاليين. وقد عثر فيه على الكثير من كسرات الفخار، والارحية، والتماثيل الصغيرة، والحجارة الكريمة والقطع المصنوعة من الدوف، كما عثر فيه على الفحم المنزلي، وقطع من العظام وكثير جدا من المحار البحري.

ويجب على المسؤولين على مستوى الوطن، ان يعوا أهمية الاثار حتى يتسنى لهذا العلم ان يحتل مكانته اللائقة في المجتمع الجيبوتي، لانه المصدر الوحيد للماضي. فمن غير الاثار لا يوجد تاريخ. وهكذا تتقدم الابحاث الاثرية كأداة قيمة لدراسة المجموعات المنقرضة وتاريخها.

ولمجابهة هذه الضرورة، يجب تطوير الهيكل الوحيد الموجودة للبحث الاثري ـ وهو قسم العلوم الانسانية بالمعهد العالي للدراسات والبحوث العلمية والتكنيكية I.S.E.R.S.T. ويجمع ثلاثة باحثين من بينهم اثري واحد، لانه لا يكفي اطلاقا للاستجابة الى حاجيات البلد الفعلية. فمن الضروري تكوين باحثين في الاثار والتاريخ لاثراء المجموعة العاملة في ميدان العلوم الانسانية يضاف الى هذا الهيكل المتواضع مشكلة المحلات التي لا تكفي لضمان عمل جدي ومنتج. مما يعيق تكوين مختبر لمعالجة الادوات المكتشفة، ومخزن لحفظها ورفوف للعرض والتنفيذ، وحفظ مجموعات الوثائق وغيرها.

III ـ تكوين متحف

يتضح مما تقدم ان تكوين متحف قومي ضرورة ملحة حيث سيساعد على تكوين الشخصية القومية، وبناء التاريخ بواسطة الاثار، ومن ناحية أخرى سيساعد على تجميع المعلومات المتداولة شفاهيا، حيث انها الان هي المعطيات الوحيدة المستعملة.

ان انشاء متحف، زيادة على فوائده العلمية المحضة في حقل البحوث المعمقة يرمي الى الهدفين التاليين :

أولا : حفظ التراث الثقافي لشعوب الجمهورية الجيبوتية، الذي تتلاشى كثير من عناصره بسرعة مذهلة نتيجة استجلاب التقنيات الحديثة وتوطين الارياف.

ثانيا : هدف تثقيفي وتعليمي بحت يقدم الى السكان والسواح انماطا من الثقافات التقليدية التي تعود الى المجموعات البشرية المختلفة في ميدان التقنية، والفنون والتقاليد الشعبية، وفي الميدان اللغوي الآخذ في التطور بسرعة هو أيضا. بالاضافة الى التعريف بالثروات الطبيعية للبلاد التي تستجلب من البحر والبر وتثمينها، وللتعريف بالمراحل المتعددة التي قطعها الوطن خلال مسيرته منذ عصور ما قبل التاريخ بمتحجراته وأدواته الصوانية المشطوفة الى هذا اليوم.

IV ـ نشاطات قسم العلوم الانسانية

يعمل هذا القسم منذ نشأته على تجميع التقاليد الشفاهية التي تمثل مع الاثار ثروة ثمينة لبناء تاريخ شعبنا، ويعتبر هذا العمل من أولى مهامته.

1) التقاليد الشفاهية :

تجميع :القصص الشعبي

- **الاغاني الريفية**
- **الشعر، الحكايات، الامثال وغيرها.**

وقد نشر في هذا الموضوع كتاب سنة 1981 بعنوان (قصص من جيبوتي).

أعمال في طور الاعداد :

- قاموس عفاري ـ فرنسي
- كتاب عنوانه «هوبانتا افكاهويو» وتعني : «ثمرات اللغة الأم».
- اعمال حول قانون العرف والعادة.

2) اتنوغرافيا :

- مقتطفات من القطع الاتنوغرافية في جمهورية جيبوتي.
- تكوين ملف شامل للقطع المجمعة لاعداد مشروع متحف.

3) الانتروبولوجيا الاجتماعية :

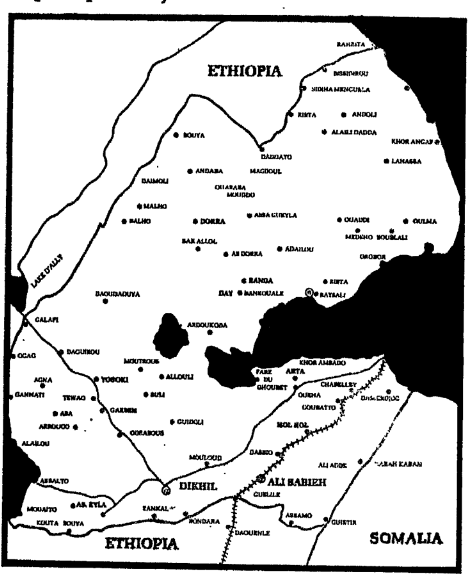
- مشروع دراسة حول الاستيعاب التدريجي للرحل في ظاهرة التطور : تربية المواشي والصناعات التقليدية والزراعة، والصناعة.

هذه الدراسة مدعوة لتحديد الاوضاع الاجتماعية للرحل لادماجهم في الظاهرة الجديدة لتطور البلاد.

4) التربية :

- هناك شواهد، حسب الواقع (تأخر أو نقص) على عدم ملاءمة الطرق التربوية الحالية، وغياب المشاريع المناسبة للاستجابة الى الحاجات العميقة للقطر.
- ستهدف هذه الدراسة الى ايجاد قاسم مشترك تربوي جديد يتلاءم مع الواقع الحاضر.

République de Djibouti



المملكة العربية السعودية

اهتمامات الدولة والمسؤولين بالحفاظ على المدن القديمة وأحيائها

ايمانا من حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله بما للتراث الحضاري من أهمية، اتخذت من الاجراءات ما يكفل ضرورة المحافظة على التراث الحضاري للمدن القديمة واحيائها السكنية، والابقاء على معالم العمارة التاريخية في مدن وبلدان المملكة، وحماية تكامل احيائها القديمة ووجودها الضارب في اعماق التاريخ من اجل استمرار التراث الثقافي الوطني، ومن أهم تلك الاجراءات ما يلي :

1 ـ خطاب صاحب السمو الملكي نائب رئيس مجلس الوزراء رقم 5/م/20220 في 1399/9/6 هـ بالموافقة على ضرورة المحافظة على التراث الحضاري للاحياء السكنية القديمة وعلى التوصيات الخاصة بذلك وهي :

أ) يجب عند اعداد المخططات الجديدة للاحياء القديمة أن يترك منها على حالته الجزء الذي يكفي للاحتفاظ بالتراث الحضاري الذي تنتمي اليه هذه الاحياء.

ب) يجب على جميع الاجهزة التنسيق مع الجهات المختصة باعداد خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعمل على احياء وابراز هذه التراث.

ج) اعداد نماذج معمارية تبرز الطابع الحضاري المحلي للاحياء القديمة يكون دليل ارشاد للمواطنين والاقتداء بها، مع العمل على التوعية المستمرة بقيمة هذا التراث ولزوم المحافظة عليه.

د) ولما للمسجد من ثراء روحي على حياتنا الحضارية يجب التأكيد على ابرازه كعنصر تخطيطي رئيسي داخل الاحياء القديمة والحديثة.

2 ـ تعميم صاحب السمو الملكي وزير الشؤون البلدية والقروية رقم 122 بتاريخ 1400/1/19 هـ بخصوص ضرورة المحافظة على التراث الحضاري للاحياء السكنية القديمة.

3 ـ تعميم صاحب السمو الملكي وزير الشؤون البلدية والقروية رقم 2316 بتاريخ 1401/3/29 هـ. بشأن ما أوحى به المجلس الاعلى للاثار في دور انعقاده بضرورة الحفاظ على معالم العمارة التاريخية في مدن وبلدان المملكة وحماية تكامل احيائها القديمة.

4 ـ توصيات ندوة المدينة العربية المنعقدة بالمدينة المنورة بتاريخ 29 ربيع الثاني 1401 هـ والتي توصي بان التراث الحضاري الاسلامي امانة في اعناقنا يلزم الحفاظ عليها وضمان استمرارية ما يحمله هذا التراث من قيم لصالح الاجيال القادمة، والانسانية جمعاء، وخاصة فيما يتعلق بالمدن العربية الثلاثة مكة المكرمة، المدينة المنورة، والقدس الشريف.

5 ـ قرار مجلس الوزراء الموقع رقم 25 بتاريخ 1401/2/15 هـ الخاص بضرورة المحافظة على المعالم التاريخية والمدن والاحياء القديمة، وعدم ازالتها والحرص على تفادي الاضرار بها عند التخطيط.

6 ـ خطاب صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم 16883 بتاريخ 1398/5/30 هـ لمعالي وزير المعارف بضرورة حماية الطابع القديم لمدن وقرى المملكة بما تمثله من اصالة ولحمايتها من الزحف العمراني الجديد.

7 ـ خطاب صاحب السمو الملكي نائب رئيس مجلس الوزراء لصاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء بالتأكيد على الوزارات والدوائر الحكومية بالتنبيه على الشركات المتعاقدة معها بالمحافظة على حركة المباني والمواقع الاثرية (الخطاب رقم 3/م/222252 وتاريخ 1399/10/12 هـ.

8 ـ تعميم معالي وزير الشؤون البلدية والقروية بالنيابة رقم 609 وتاريخ 1399/10/26 هـ المتضمن مراعاة عدم التعدي على المواقع والمباني الاثرية بمدينة تيماء الاثرية.

وبناء على تلك القرارات والتعاميم والخطابات والتوصيات قامت الادارة العامة للاثار والمتاحف باتخاذ الاجراءات اللازمة حيال تلك المدن من ناحية تحديد المدن القديمة الكاملة والاحياء القديمة في بعضها وكذلك وضع المخططات المساحية وتصنيف انماط العمارة بها واعتماد المبالغ اللازمة لنزع الملكيات واسلوب تعويض الاهالي عن ممتلكاتهم تمهيدا للشروع في تسجيل مبانيها وانماطها المعمارية والزخرفية وعناصرها تسجيلا علميا دقيقا ووضع المشروعات اللازمة لصيانتها وترميمها حفاظا عليها.

أهم مكتشفات المسح الاثري

صفاقه :

لا شك ان الانسان الأول قد استوطن شبه جزيرة العرب على نطاق واسع تشهد بذلك مخلفاته الحجرية والتي تتمثل في الادوات التي تنتمي الى العصر الحجري القديم ولا سيما العصر الآشولي.

وقد انتشرت مستوطنات العصر الحجري القديم على أطراف الصحاري العظيمة كالنفود في الشمال والربع الخالي في الجنوب والجنوب الشرقي وقد عثر على العديد من المواقع التي تنتمي الى العصر الآشولي بجبل طويق ونجران ووادي تثليث وخيبر ووادي السرحان وعفيف بالمنطقة الوسطى وافضل هذه المواقع على الاطلاق هو صفاقة بالدوادمي حيث اجريت حفرية في هذا الموقع وهي تعتبر حدثا أثريا عظيما وثروة علمية كبيرة وانها الفريدة من نوعها.

فقد تم اكتشاف عدة آلاف من الادوات الحجرية المختلفة الكبيرة الحجم وأهمها الفأس اليدوي ويرجع تاريخها الى حوالي 300,000 سنة قبل الوقت الحاضر ويوجد هذا الموقع على شاطيء واد حيث توجد شلالات لمياه قديمة بالقرب من قاطع طويل يتجه شرق ـ غرب ويتكون من سبانات وكراتوفير مع قليل من الريولايت.

حفرية الصرار :

أجرى بهذا الموقع حفريات أولية بغرض التعرف على الكائنات القديمة في منطقة الصرار الواقعة على بعد 100 كلم تقريبا من ساحل الخليج العربي ويضم هذا الموقع وغيره من المواقع العديد من الحيوانات الفقارية واللافقارية حيث يتمثل وجود اللافقاريات في المرجان والحيوانات الرخوية وعقابر البحر حيث يؤكد وجودها على وجود بيئة ساحلية لمناخ استوائي.

أما الفقاريات فقد عثر عليها باعداد كبيرة تبلغ حوالي 66 نوعا منها 27 نوعا من فصيلة الثدييات، وقد اكتشف خمسة انواع من اسماك المياه العذبة ونوع واحد من اسماك المياه المالحة، اضافة الى وجود انواع من السمك الشعاعي وسمك القرش.

أما الزواحف فوجد منها انواع نادرة من السحالي وخمسة انواع من الثعابين اضافة الى انواع من السلاحف والتماسيح باعداد قليلة، واخيرا فان خمسة انواع من الطيور تم التعرف عليها ودراستها ويكتب عن وجودها بالجزيرة العربية لأول مرة، والجدير بالذكر ان تاريخ هذه البيئة الحيوانية القديمة في منطقة الصرار يرجع الى أوائل العصر الميوسيني (15 ـ 17 مليون سنة).

النقوش الصخرية في جبه :

تعتبر جبه اكبر وأهم مواقع النقوش الصخرية في الجزيرة العربية ولا عجب في ذلك فقد وصفها الجغرافيون القدامى بانها غزيرة المياه طيبة التربة كثيرة النخيل والزرع، وهي مياه العرب الكبرى ومستراح للقوافل التي كانت تسافر بين نجد ودومة الجندل، أي انها همزة وصل تجارية وعسكرية بين منطقتين هامتين وحيويتين، كما كانت دون شك مركزا لتجمع بشري زاخر يدل ذلك آلاف النقوش والصور والمخربشات التي يضمها جبل (ام سليمان) و (الثنابيت)، و(أم شداد)، و (الفوطة)، و (الشلالة)، وتعد هذه النقوش الصخرية المحفورة دليلا صريحا على قيام حضارة مميزة يعود تاريخها الى اقدم عصور الاستيطان البشري في الجزيرة العربية منذ 8000 سنة.

وهذا الاسلوب يعرف بطراز جبه ويتميز بالضخامة وكبر الرسوم والدقة والاتقان من حيث التجسيم ومراعاة النسب التشريحية للجسم حيث تبدو فيه الحيوانات في حالة سكون أو انقضاض، واصطياد الابقار الوحشية والتي انقرضت من الجزيرة العربية بعد ذلك، اما الاشكال الآدمية فتمتاز بطول القامة والاذرع الطويلة الرفيعة ويرتدون القمصان القصيرة.

النقوش الصخرية في بير حما :

لا تقل أهمية بير حما في الجنوب (175 كلم شمال شرق نجران) من حيث النقوش الصخرية والصور الفنية عن جبه في الشمال ساعدها على ذلك طبيعة المنطقة مما يحيط بها من جبال القارة والكوكب، حيث سطح الصخر المناسب من جانب ومهارة الفنان ومقدرته الفذة من جانب آخر.

ومن الصور الفنية صور الابل والبقر الوحشي والجمال البرية والجدير بالذكر ان هذه النقوش والرسوم تمثل حياة هؤلاء الاقوام من البشر بما فيها من حرب وقتال وصيد وقنص ورقص وطرب وقد نقش الفنان صور الجمال والخيول ومن الادوات الحربية الحراب والسهام والسيوف والدروع وتبدو حركة الخيول في الكر والفر معبرة وكذلك حركة الفوارس فوق صهوات الجياد وظهور الجمال.

أما مناظر الصيد فتتمثل في قنص الثيران والجمال البرية المتوحشة والخراف والغزلان حيث تبدو جميعها والحراب أما مسلطة عليها أو مخترقة اجسامها.

أما الصور الآدمية فتظهر عارية ما عدا ازار يستر به الرجل عورته وفوق رأسه غطاء به ريش طيور، وفي احدى يديه بلطة وفي الاخرى حربة لعلها توضح حياة الصيد التي يعيشها.

أما صور المرأة فكانت عارية اكثر اتقانا محفورة بأسلوب غاية في الدقة والاتقان مع مراعاة النسب التشريحية لجسمها مع التركيز على عضو التأنيث ربما كان يقصد به الرمز الى الخصوبة كما هي الحال في الحضارة المصرية القديمة كما يبدو اهتمام المرأة بزينتها من العقد الذي يحيط بجسدها اضافة الى ضفائر شعرها على هيئة جدايل خلف الظهر.

كـلــوه :

تعتبر كلوه من أهم المواقع الاثرية بالمنطقة الشمالية، حيث تقع بين جبل الطبيق على مسافة 200 كلم شمال شرق القلبيه، أو مسافة 75 كلم شمال غرب صغيراء.

وتشير الدلائل المادية الى أن كلوه مستوطنة كبيرة يرجع تاريخ الحياة فيها الى العصر الحجري الحديث (عصر النيولوثيك) يشهد بذلك ما عثر عليه من أدوات صوانية بكميات كبيرة غاية في الدقة والاتقان، عبارة عن شفرات ورقائق ومكاشط ومخازن صوانية وغيرها اضافة الى رسوم وعول وبقر وحشي بأسلوب قديم يذكرنا بطراز منطقة جبه.

ولا يفوتنا ان نذكر ان كلوه قرية كبيرة انشأها الرهبان في القرن السادس الميلادي ولجأوا اليها في هذا المكان النائي الضارب في الصحراء في عهد اضطهاد المسيحية ابان الحكم الرومان.

وقد شيد الرهبان معبدا (كنيسة) لا تزال عمارته قائمة بحالة جيدة، طمرت الرمال اجزاء كثيرة منه، ونستدل من الكتابة العربية على عتب احد الابواب أن كلوه كانت ماتزال مأهولة بالسكان حتى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، ولا توجد هناك دلائل على ان احدا كان يقيم في كلوه بعد ذلك الزمان.

وادي ثرية :

يقع وادي ثرية على بعد 35 كلم شمال غرب مدائن صالح، يمثل الموقع مستوطنة يرجع تاريخها الى العصر الحديدي تتكون منطقة سكنية والمقبرة، ونظام الري ومزارع المستوطنة.

والمدافن بسفح الجبال الشمالية عبارة عن انماط ثلاثة، مدافن مفردة أو مزدوجة، أو ثلاثية وهي في معظمها تشبه القارب مبنية بكتل والواح حجرية ضخمة يصل عددها الى 150 مقبرة حسب احصاء (تشارلزدوتي) الذي زار الموقع عام 1980 م أما المنطقة السكنية فموجودة في بطن الوادي نفسه عبارة عن بيوت مطمورة، ومهدمة تبدو معالمها واضحة، أما مناطق الزراعة فهي عبارة عن مدرجات ومصاطب سويت للزراعة على سفوح الجبال الجنوبية.

والموقع باجزائه الثلاث غني بالملتقطات السطحية ولا سيما الفخار الاحمر الرقيق الروماني النبطي والفخار الاحمر السميك الذي يعود الى العصر الحديدي، وهو يشبه الى حد كبير فخار تيماء.

الرجاجيل :

يرجع تاريخ هذا الموقع الى الألف الرابع قبل الميلاد، ويوجد في منطقة منخفضة على بعد 10 كلم جنوب سكاكا تمثل امتدادا لمنخفض وادي السرحان وربما كان هذا الموقع طريقا هاما في الماضي يمتد ليصل منطقة الجوف ويحيط بصحراء النفود العظيمة حتى حافتها الشمالية.

ويمثل الموقع مجموعة من مركبات الاعمدة الحجرية ترتفع حتى تصل الى ثلاثة امتار ونصف، قطر العمود الواحد 75 سم وتتجه الاعمدة شرقا حيث شروق الشمس وقد تم حصر حوالي 19 مجموعة من هذه الاعمدة.

كما يوجد بناء من اعمدة حجرية على شكل حرف، وبه الكثير من الألواح الحجرية الصغيرة مضافا اليها الرمال، واظهر المجس استخدام اجزاء من هذا المبنى كمواقد حيث عثر على آثار حريق.

وينتهي بنا الامر الى ان هذه المنشآت كانت تخدم بعض الاهداف الدينية وأغراض العبادة.

مدافن العيون بالافلاج :

يوجد بمنطقة العيون بالافلاج مستوطنة كبيرة ربما تصل مساحتها الى 3 كلم × 3 كلم وتتكون من ثلاثة عناصر هامة، ويرجع تاريخها الى الفترة الهلينسية.

أولا : المنطقة السكنية عبارة عن مساكن وبيوت مطمورة تحت الرمال تكون تلالا مرتفعة وباجراء حفرية في احدها كشفت عن وجود غرفة من بيت كبير، وما هذا البيت الا واحدا من الكثير المطمور.

ثانيا : منطقة المدافن عبارة عن مساحة كبيرة، ولكن القبور تحت الارض غير ظاهرة من فوق السطح، على عمق مترين حيث توجد فتحة تؤدي إلى غرفة أو غرفتين ذات أقبية متقاطعة عثر بها على عظام آدمية اضافة الى كسر من اواني فخارية تشبه الطراز الهلنيستي.

ثالثا : يوجد نظام ري يتمثل في شبكة من القنوات تتفرع من عين الرأس أكبر عيون الافلاج قوامها ثلاث قنوات رئيسية تتفرع منها جميعا قنوات أخرى فرعية وجميعها تمتد حتى تصل الى منطقة مزارع المستوطنة وهذه المنطقة خالية تماما الا من الكسر الفخارية الكثيرة المتناثرة هنا وهناك.

مدافن الخرج :

تقع واحدة الخرج بالمنطقة الوسطى إلى الجنوب من الرياض بمسافة 85 كلم وتقع منطقة المدافن على طريق الخرج ـ الدلم، شاغلة مساحة (5 كلم × 3 كلم)، تطل على وادي الخرج حيث تنتشر المدافن الكثيرة على هيئة تلال صغيرة أو ركامات ترابية يصل عددها إلى 700 مدفن فوق سلاسل المنحدات والتلال وفي السهول المطلعة على وادي الخرج، ويحتوي كل تل أو رجم أو ركام سواء صغر أو كبر على حجرة تتكون من خمسة ألواح حجرية، أربعة منها تكون جداري المقبرة، مشيدة راسيا، أما الخامس فعبارة عن غطاء أو سقف لها، وقد تنوعت أشكال المدافن وانماطها، فمنها الدائري والمستطيل والمربع، ثم تغطي غرفة الدفن (اللحد) بعد ذلك بالطوب والدبش بمعنى ان شكلها الظاهري لا ينم أو يدل على مخططها الداخلي وفي احداها عثر على جزء من سوار نحاسي بالاضافة الى عظام آدمية.

الاخدود بنجران :

تعتبر نْجران ولا سيما الاخدود من المواقع الهامة من الناحية التاريخية والاثرية وقد ورد ذكرها في النصوص والوثائق القديمة وفي اشعار العرب واخبارهم اشار اليها الكثير من الرحالة والمؤرخين منهم استر أبو بطليموس والهمذاني والاصطنري والبكري.

وقام المستشرق الفرنسي جوزيف هاليفي بزيارة الاخدود عام 1870 م وقام بنسخ عدد من النقوش وتلاه بعد ذلك فان بيك وفيلب وترجع أولى مراحل الاستيطان المعروفة لنا حتى الآن الى حضارة حنوب الجزيرة العربية في الفترة بين (600 قبل الميلاد ـ 250 بعد الميلاد) ثم تلا هذه الفترة مراحل استيطان أخرى حتى العصر الاسلامي المبكر والوسيط والمتأْخر.

ويجري الآن اجراء برنامج شامل لتسوير الاخدود وتحسينه وجعله معلما سياحيا هاما شأنه في ذلك افضل المواقع الاثرية التي تم تحسينها وتجميلها.

وقد ورد ذكر اصحاب الاخدود في القرآن الكريم (سورة البروج) وقصة اضطهاد المسيحية في نجران وتعذيب النصارى مما جعل الدولة البيزنطية توصي الى النجاشي ملك الحبشة للتدخل وانقاذ المسيحيين.

ويجري الآن وضع برنامج شامل لتسوير الاخدود، وتحسينه وتجميله وجعله معلما سياحيا الى جانب أهميته الاثرية شأنه في ذلك شأن المواقع الاثرية المشهورة والمعروفة عالميا.

مدينة عشم الاثرية :

ورد ذكر «عشم» كثيرا في المصادر التاريخية وكتب الرحالة على أنها أحد المحاج القديمة بين مكة وصنعاء ولا سيما الطريق الثانية طريق تهامة وقد ذكرها «ياقوت الحموي» في

كتابه «معجم البلدان» انها كانت قرية بشاطيء تهامة أما ابن خرداذبة المتوفي سنة 300 هـ في كتابه «المسالك والممالك» فقد ذكرها ضمن اربع مدن رئيسية في تهامة.

أما المقدسي في كتابه «احسن التقاسيم» فأورد أن عشم من أهم حصون وقلاع تهامة.

أما عمارة عشم فهي عبارة عن بيوت ومساكن كثيرة ربما تصل الى المائة بيت كلها مشيدة بالكتل والالواح الحجرية البركانية السوداء دون استخدام المونة كمادة للبناء وعلى الرغم من انطمار هذه الابنية الا ان بعض الجدران مازالت ظاهرة بارتفاع 1,5 متر اضافة الى غنى عشم بالملتقطات السطحية من (فخار ـ خزف ـ زجاج ـ حجر صابوني).

. أما مقبرة عشم فقد عثر بها على 25 شاهد قبر مكتوبة بالخط الكوفي بنوعيه البارز والغائر، من بينها 6 شواهد مؤرخة باعوام 385 هـ، 395 هـ، 427 هـ، 429 هـ، 434 هـ، 449 هـ.

قرية العصداء الاثرية :

لا تختلف قرية العصداء عن عشم، وربما كانت معاصرة لها، عبارة عن مستوطنة صغيرة، تشهد بذلك المقبرة الموجودة والتي تحمل شواهد قبور، بالخط الكوفي البسيط وذي الطرف المتقن والمورق ويرجع تاريخها الى الاربعة قرون الأولى للهجرة، والجدير بالذكر انه لا يوجد في قبور العصداء شواهد مؤرخة وانما هناك تشابه كبيرة بينهما.

مدافن النماص :

توجد هذه المدافن في وادي ثرج شرقي النماص الذي يقع على بعد 140 كلم شمال أبها يمثل الموقع منطقة مقابر كبيرة تتكون من نوعين من المدافن الأول عبارة عن مقابر تحت سطوح الارض محفورة ثم مغطاة بألواح حجرية وغالبا ما تحتوي المقبرة على جثة واحدة.

الثاني مدافن فوق سطح الارض بعضها يتكون من طابق واحد أو طابقين أو ثلاثة طوابق فيصبح المدفن مدرجا ولكل طابق فتحة باب تستخدم للدفن ولقد لوحظ وجود عدة هياكل عظمية داخل عدد منها مما يؤكد أنها استخدمت للدفن الجماعي ولا توجد ملتقطات سطحية. ومن المرجح ان تاريخها يعود الى العصر الاسلامي المبكر (الثلاثة قرون الأولى للهجرة).

درب زبيدة :

يعتبر مشروع مسح واستكشاف محطات واستراحات درب زبيدة من أهم المشروعات الضخمة التي تضطلع بها الادارة العامة للاثار والمتاحف، هذا المشروع الذي لم يكن الهدف منه اجراء دراسة تاريخية بقدر ما كان الهدف منه هو انهاء عملية التوثيق المعماري لكل ما

في الدرب من ملامح اثرية من برك وقنوات ومبان وذلك تمهيدا لاجراء دراسة شاملة بقصد احيائه وترميمه وصيانته ويبلغ طول الدرب 1400 كلم مسجل خلال هذه المسافة 85 محطة من محطات الدرب تسجيلا وتوثيقا دقيقا داخل اراضي المملكة العربية السعودية.

سد السملقي ـ الطائف :

يوجد في وادي ثمالة جنوب الطائف (نسبة الى قبلية ثمالة من ثقيف) وهو اضخم سدود الطائف على الاطلاق اذ يبلغ طوله 200 متر وسمكه عند القاعدة 13 مترا وعند القمة 10 أمتار فهو بناء هرمي الشكل تقريبا مزود من اسفل بفتحات لنقل الماء من جانب الى آخر وتوجد بالقرب من السد اطلال قرية قديمة يرجع تاريخها الى تاريخ السد، حيث عثر بها على كسر فخارية ترجع الى عصر ما قبل الاسلام اضافة الى أبراج مربعة تعلو التلال بقصد المراقبة والدفاع عن القرية.الجدير بالذكر ان تاريخ السد يرجع الى (250 سنة قبل الميلاد ـ 250 ميلادية).

سد معاوية ـ الطائف :

يطلق عليه سد سيسد نظرا لوقوعه في وادي سيسد وهو مشيد على نفس طراس السدود في منطقة الطائف فهو بذلك هرمي ومدرج يبلغ طوله 71 مترا وارتفاعه 20 مترا وسمكه من أعلى 4 أمتار ومن اسفل 5 أمتار.

والجدير بالذكر انه يوجد نقش كوفي تأسيسي يحمل تاريخ بناء السد وهو سنة 58 للهجرة واسم معاوية بن أبي سفيان الذي امر عبد الله بن صخر ببناء هذا السد.

أضـــاخ :

لقد ورد ذكر اضاخ في المصادر القديمة التي تكلمت عن شبه جزيرة العرب وتوجد بالقرب من قرية نفى بمنطقة القصيم، كانت عامرة قبل الاسلام حتى القرن السادس الهجري وبها معدن البرم وكان بها محكمة ومجلس للقضاء حيث يفد اليها جميع البدو وأهالي هذه المناطق لفض المنازعات الدائرة بينهم تشهد بذلك أشعار العرب عنها.

أضاخ غنية بملتقطاتها السطحية من فخار وزجاج وحجر صابوني وقطع واساور معدنية وخزف يرجع الى العصر العباسي، وقد عثر على مواد محروقة لاشك انها مواضع أو افران تصنيع الفخار.

وهكذا فان اضاخ كانت مدينة كبيرة ذات حضارة عريقة بدأت قبل الاسلام وازدهرت وبلغت أوجها في العصر الاسلامي المبكر ثم كانت نهايتها في القرن السادس الهجري.

سد القصيبة خيبر :

يطلق عليه سد قصر البنت ويقع على بعد 30 كلم جنوب خيبر ويعتبر من اكبر سدود المملكة على الاطلاق ويقع في وادي الفرس بين حرتين من الشرق والغرب، شيّد السد من الكتل الحجرية البركانية السوداء دون تهذيب أو تشذيب ويبلغ طوله 205 مترا وسمكه من اسفل 18 مترا ومن اعلى 1,70 مترا، فهو بناء هرمي مدرج وارتفاعه من الناحية الجنوبية 19 مترا ومن الناحية الشمالية 25 مترا وهذا يوضح طبقات القرية التي ترسبت في الجانب الجنوبي.

وغطي السد بطبقة من اللياسة عبارة عن جص مضاف اليه تراب أصفر من نفس المنطقة الموجود بها السد، هذا ويرجع تاريخ السد الى 250 بعد الميلاد وربما العصر الاسلامي المبكر.

قلعة زمرد ـ طريق خيبر العلا :

تعتبر قلعة زمرد من القلاع الحصينة الضخمة التي تتكون من طابقين على طريق الحج الشامي المصري ويرجع تاريخها إلى الفترة التركية. وهي عبارة عن بناء مستطيل (23م×10م) ذات صحن مكشوف 10,5م×10,10م) تتوسطه بئر وتنتشر على جوانبه غرف القلعة والايوانات المفتوحة (التي تفتح على الصحن) ويكثر بها العقود النصف مستديرة والاقبية البرميلية والابراج الاسطوانية في زوايا الاركان والاعتاب الحجرية التي تعلو فتحات الابواب اضف الى ذلك وجود بركة الى جانب الشرق من القلعة.

قلعة المعظم :

احدى محطات سكة حديد الحجاز القديمة بين الاخضر ومدائن صالح وهي عبارة عن قلعة مربعة (18 م × 18 م) اصغر حجما من قلعة زمرد ولكنها من حيث التحصينات والعناصر المعمارية اكثر ثراء فقد زودت باربعة ابراج اسطوانية، واحد في كل ركن ينتصف القلعة فناء مكشوف تفتح عليه سبعة ايوانات ـ أيوانان على جانبي المدخل، وثلاثة ايوانات مقابلة للمدخل ثم ايوان في كل جانب وتغطي الايوانات جميعها أقبية برميلية قائمة على مثلثات كروية في الأركان.ومما يسترعى الانتباه وجود مسجد بالطابق الثاني من القلعة به محراب مجوف يوجد به كتابة بخط الطفراء والقلعة غنية بالفتحات والمزاغل ولاشك ان هذه القلعة ترجع الى الفترة التركية.

مشاريع صيانة وترميم المدن القديمة بالمملكة

تيماء والنقوش المكتشفة :

تقع تيماء في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة العربية وتبعد 520 كلم الى الجنوب الشرقي من تبوك و 300 كلم الى الجنوب الغربي من الجوف و 150 كلم الى الشمال الغربي من العلاء.

ولقد بدأ البحث الاثري الجاد في تيماء في عام 1951 م بزيارة سان جون فيلبي الذي وصف الآثار في تيماء وزار بعض المراصد والمواقع التي كانت تتحكم في مدخل المدينة كما زار كل من دفيت وريد تيماء وركز كتابها حول هذا الموضوع على الاطلال العمرانية بالمدينة والنقوش التي عثر عليها فوق قمة جبل غنيم القريب منها والذي اكتشف مكانه لأول مرة فيلبي، وقد عرف جبل غنيم بنقوشه العديدة وكمركز للطقوس الوثنية بالجزيرة العربية.

كما قامت الادارة العامة للآثار والمتاحف في عام 1975 م بعمل توثيق للمعالم الاثرية في تيماء أدى الى الاهتمام بهذا الموقع فيما بعد، حيث قامت بعثة من الادارة العامة للآثار والمتاحف في عام 1979 م بعمل مخطط مبدئي للموقع وتعين الحيز المكاني الذي تشغله الموجودات الاثرية.

وكانت نتائج هذه الحملة هي الاساس الذي اعتمدت عليه البعثة التالية من الادارة العامة للاثار والمتاحف في عام 1982 م لاجراء بعض المجسات في مواقع معينة من مدينة تيماء ولتكون بالتالي برنامجا وخطة للعمل في هذا الموقع للسنوات المقبلة.

ولعل من ابرز المظاهر التي تميز تيماء كموقع اثري اضافة الى الاسوار والمركبات المعمارية، لعل ذلك هو النقوش والكتابات وشواهد القبور، ومن أهم المواقع التي تضم النقوش والكتابات هو جبل غنيم الا انه اصبح الان منطقة عسكرية محظورة زيارتها، هذا اضافة الى النقش الآدامي الذي عثر عليه خلال عمل فرقة الآثار عام 1979 م في منطقة الحمراء بتيماء.

ولعل من ابرز النقوش والكتابات التي عثر عليها في تيماء خلال موسم عام 1982 م هو ذلك النقش النبطي الذي وجد في منطقة حي القبلة بتيماء حيث عثر عليه عن طريق الصدفة واسفرت عمليات الحفر والتنقيب في مكان العثور عليه عن وجود مقابر جماعية اضافة الى العثور على عدد من الكسر الفخارية النبطية من النوع المعروف بقشر البيض ويعني هذا النقش أول نقش نبطي يعثر عليه في تيماء حتى الآن ولعل ذلك يعطي دلالة اخرى عن أهمية موقع تيماء بشكل عام.

كما عثر على شاهد قبر يحمل كتابات آرامية في منطقة السور الشرقي اضافة الى احضار احد المواطنين لجرن حجري يحمل كتابات آرامية ايضا ولعل من ابرز الاشياء التي عثر عليها خلال الموسم المذكور ايضا هو العثور على شاهد قبر في بستان الصعيدي يحمل كتابات آرامية ولعل أهمية هذا الحجر أنه يعتبر أول شاهد قبر يعثر عليه خلال عمليات حفر منظمة للادارة العامة للآثار والمتاحف وهو يحمل اضافة الى الكتابات نحتا بسيطا لملامح الوجه، وهو ما اعتدنا على رؤيته على ما يتقدم به المواطنون من شواهد قبور عثروا عليها بالمنطقة.

ومن المناطق الاخرى التي تتوفر بها الكتابات والنقوش القديمة هي : منطار بني عطية والذي يقع الى الشمال الغربي من مدينة تيماء.

نبذة عن مدينة الدرعية القديمة :

تقع مدينة الدرعية في واحة بوادي حنيفة بنجد وعلى بعد 10 كلم من قلب العاصمة مدينة الرياض بنحو الشمال الغربي وتنتشر اشجار النخيل في أماكن كثيرة وتضم مدينة الدرعية الحالية «والعاصمة السعودية الأولى لآل سعود» عدة أحياء قديمة من بينها حي الغصيبة الذي اصبح في حالة دمار شبه تام. وحي الطريف الذي يقع في الجانب الجنوبي للمدينة وهو أهم احياء المدينة حيث لا يزال يضم بقايا مبان متنوعة من بينها قصور آل سعود والجامع الكبير وهي مبان مشيدة من مداميك من الطوب اللبن فيما عدا الاعمدة واجزاء الاساسات فقد شيدت من الحجارة ...، كما يوجد احياء أخرى مثل العلب والعوجة وتقع على الجانب الايمن، كما يوجد على الجانب الايسر مكان منخفض يضم منزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب دعوة الاصلاح الديني الذي دعا الى توحيد الله والقضاء على الخرافات والبدع السائدة آنذاك. تلك الدعوة التي احتضنها آل سعود وخاصة القائد الامام محمد بن سعود ثم ابنه عبد العزيز الأول وحفيده سعود.

ويحيط بالمدينة سور مدعم بابراج طوله سبعة كيلومترات ولا تزال بعض اجزائه وابراجه قائمة ... وقد استخدم في بنائه قطع من الاحجار القشيمة (الدبش) مع طبقات سميكة من الطين.

وقد نشأت الدرعية قبل منتصف القرن التاسع الهجري عندما وفد اليها من نواحي القطيف (مانع بن ربيعة المريدي) الجد الثالث عشر لجلالة المغفور له الملك فيصل (الجد الثالث عشر لجلالة الملك فهد) والدرعية اسم بلاده الأولى في القطيف ... ولكن الدرعية لم تكتسب اهمية كبيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وذلك عندما نهض الحكم السعودي في ايام الحكم والقائد الامام محمد بن سعود ... وذلك عندما انتشرت

دعوة الاصلاح الديني بالقوة الروحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي اختار الدرعية مركزا للدعوة فاتحدت كل الجزيرة تحت زعامة آل سعود... وازدهرت الدرعية فأقيمت فيها المباني وراجت الحركة الثقافية والسياسية والتجارية ... ولكن الرقي السياسي والثقافي توقف فجأة وذلك عندما قامت الفرق العسكرية التركية القادمة من مصر بمحاصرة الدرعية وتدميرها في سنة 1224 هـ ـ 1819 م وكذلك مرة أخرى سنة 1236 هـ ـ 1821 م.

ومن العوامل السابقة نرى ان مدينة الدرعية هي من ابرز العلامات على طريق التاريخ الاسلامي الحديث في الجزيرة العربية ... وتمشيا مع سياسة المملكة العربية السعودية في المحافظة على التراث التاريخي وصيانته،أ فقد رأت وزارة المعارف تكليف الادارة العامة للاثار والمتاحف ولقد قامت الادارة العامة للاثار والمتاحف بتجهيز مرئياتها واحتياجاتها لهذا المشروع وانتهت الدراسة المبدئية الى ان للمشروع شقين رئيسين :

الأول : هو الاهتمام بالمدينة الاثرية من حيث التحديث والتسجيل والترميم.

الثاني : اعطاء المنطقة الطابع الثقافي السياحي.

كذلك صدر امر ملكي سام بتأليف لجنة لدراسة المشروع وبدأت مزاولة اعمالها في عام 1394 هـ (1974 م) لتحقيق اهداف المشروع من الناحية الثقافية الحضارية والاثرية والسياحية الترويحية ... ونتيجة لوضوح الاهداف فقد تحددت عناصر المشروع الاربعة فيما يلي :

1 ـ التسجيل والتنظيف والنشر العلمي.
2 ـ الترميم والتقوية واستكمال بعض المباني القديمة.
3 ـ اقامة مشروع للصوت والضوء والصورة بمنطقة الدرعية.
4 ـ اقامة مبان حديثة تخدم بوجه عام خاص النواحي الثقافية والسياحية.

وقبل الشروع في هذه العناصر يجب ان تؤخذ ثلاث خطوات اساسية في الاعتبار وذلك لضمان سلامة المبنى ولضمان نتيجة مرضية وذلك لان اعمال الترميم تتطلب الدقة والحذر التامين وهذه الخطوات الثلاثة هي :

1 ـ يتم أولا تنظيف المبنى وازالة الاتربة والرديم الموجود به بغية اظهار المعالم الاساسية للمبنى وكذلك فرز المخالفات من أي اثار مادية قد تكون مدفونة. وذلك بالاضافة الى عمل مخطط معماري للمبنى.

2 ـ يجري تسجيل وتخطيط المبنى لتحديد الاجزاء التي يجب ترميمها ومدى ارتفاعها أو مساحتها وذلك بالاضافة الى عمل مخطط معماري للمبنى.

3 ـ الخطوة الثالثة هي الشروع في عملية البناء والترميم الفعلي للمبنى على ضوء الدراسات السابقة.

وقد بدأت المرحلة الأولى للمشروع في 4 صفر 1396 هـ (4 فبراير 1976 م) وتم الانتهاء من اعمال الرفع والتسجيل وذلك بالتعاون مع بعثة عمل تابعة لهيئة الآثار المصرية، تلتها مرحلة الدراسة والتحليل وفي نفس الوقت القيام ببعض اعمال التنظيف ثم اعمال الترميم والبناء للعناصر المعمارية الجديدة التي ستضاف للمنطقة وكذلك البدء في اقتراح ودراسة مشروع الصوت والضوء والصورة بعد أن يكون قد تم وضع النص التاريخي والموسيقي التصويرية للمشروع. هذا وقد تم الانتهاء من الترميم الكامل لقصر ناصر بن سعود الكبير وذلك على شبه مراحل وكان هذا بعد التسجيل والتنظيف وهذه المراحل هي كالآتي :

1 ـ مرحلة أولى للمنطقة الشرقية من القصر وذلك لغرض اجراء تجربة مادة كيمائية لوقاية المباني الطينية واللياسة الخارجية من عوامل الطقس (الحرارة والرطوبة والجفاف).

2 ـ مرحلة ثانية للجانب الشمالي والنصف من الجانب الغربي.

3 ـ ثالثة للجانب الجنوبي والجزء من الجانب الغربي مع اقامة الاعمدة (سواري) للفناء الداخلي (اعمدة الأروقة الداخلية للقصر).

4 ـ اقامة سلالم الدرج المؤدي الى سطح القصر وكذلك عمل الحمامات العلوية.

5 ـ انشاء مظلة واقية لسلالم الدرج وذلك لحمايتها من المطر.

6 ـ ترميم الساحتين المواجهتين للقصر من الناحية الشرقية والغربية وذلك بتشييد الجدران المنهارة وتلبيسها ثم فرض الارضية بالحصوة.

ويعد هذا القصر احد نماذج القصور العديدة وذات الدور الواحد والمتواجدة في هذا الحي (الطريف). وقد اعد هذا القصر ليكون متحفا اقليميا مصغرا يضم التراث الشعبي والاثار الخاصة بأهل تلك المنطقة.

هذا وقد قامت الادارة العامة للاثار والمتاحف باعمال اخرى ضمن الخطة المرسومة لاحياء الدرعية القديمة (بحي الطريف) اهمها :

1 ـ **قصر سعيد** : تنظيف ورفع الرديم من داخل القصر والكشف عن بقايا الجدران والاعمدة ومخازن الغلال بالقصر.

2 ـ **مسجد سعد** : هو مسجد ملحق بالقصر من الناحية الشمالية وقد تم فيه التنظيف ورفع الرديم من داخل وخارج المسجد ثم ترميم مرحلة أولى لاعمدة وجدران المسجد حتى منتصف الارتفاع أي ما يعادل 50 % من كامل النباء.

3 ـ **بيت المال** : وهو ما يسمى في الوقت الحاضر بوزارة المالية وقد تم تنظيفه ورفع الرديم والجدران المنهارة.

4 ـ أقيم سور سلك شائك وذلك لسد جميع منافذ الحي وعمل بوابات يمكن التحكم فيها عند الحاجة.

5 ـ كما اقيم مطار مصغر للزيارات الرسمية والخاصة.

هذا والعمل جــار في عملية توثيق وتسجيل الآتي :

1 ـ سور وإبراج حي الطريف بالدرعية
2 ـ قصر سعد
3 ـ قصر سلوى
4 ـ قصر الفصاصمة
5 ـ الحمام التركي
6 ـ بيت المال

وجميع هذه الاعمال كان يصطحبها تصوير فوتوغرافي ـ وعمل مخططات للمساقط والقطاعات والواجهات تشكل وحدة مع حصر كميات الاصلاحات ومواصفاتها.

وبحق فهذا المشروع الذي سيحتاج الى اكثر من اربع سنوات لتنفيذه سيكون مفخرة للمملكة لما يهدف اليه من المحافظة على التراث الديني والقومي والثقافي ونشر الوعي التاريخي في الجيل الحاضر والاجيال القادمة لتستمر رسالة الخير والايمان.

دومة الجندل (الجوف) نبذة تاريخية :

نبذة تاريخية :

هي ما كان يعرف قديما باسم دومة الجندل وتقع على حافة النفود الشمالي وكانت مقرا لملوك الشعب الادومي الذي اطلق عليه الاشوريون وعلى المنطقة مسمى «ادوماتو» روي البلاذري في القرن الثاني الهجري في كتابه فتوح البلدان انه قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وضع ثلاثة من قبيلة طي اصول الخط العربي الذي اخذوه عن السريان في «تعا» وهي بلدة على مقربة من الحيرة عاصمة اللخميين (تبعد حوالي 160 كلم جنوبي بغداد) واتوا بهذا الخط الى «مكة» وقد أتى به شخص يدعى «ليثر» وهو اخو الأكيدر احد زعماء كندة وكان في دومة الجندل[1].

ويقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي الى اكيدر بن عبد الملك الكندي ثم السكوني بدومة الجندل فأخذه أسيرا وقتل اخاه وسلبه قباء ديباج منسوجا بالذهب[2].

(1) الامام ابن الحسن البلاذري ـ فتوح البلدان، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت 1978 م.
(2) المصدر نفسه.

قدم اكيدر على النبي صلى عليه وسلم فأسلم ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم منع الاكيدر الصدقة ونقض العهد وخرج من دومة الجندل يلحق بالحيرة وابتنى بها بناء سماه دومة بدومة الجندل(3).

ويقال ان أبا بكر كتب الى خالد بن الوليد وهو بعين التمر يأمره ان يسير الى اكيدر فسار اليه فقتله وفتح دومة، وكان قد خرج منها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد اليها، فلما قتله خالد مضى الى الشام، وقال الواقدي، لما شخص خالد من العراق يريد الشام مر بدومة الجندل ففتحها وأصاب بابا(4).

وقال أيضا : كان النبي صلى عليه وسلم غزا دومة الجندل سنة خمس فلم يلق اكيدرا ووجه خالد بن الوليد الى اكيدر في شوال سنة تسع بعد اسلام خالد بن الوليد بعشرين شهرا، ودومة الجندل هي المدينة التي صار فيها التحكيم بين معاوية وعلي بن أبي طالب والتي اشتهرت به.

نبذة جغرافية :

تقع واحة الجوف في اقصى الطرف الشمالي للمملكة العربية السعودية، ويقع ضمن هذه الواحة البلدة المشهورة بالتاريخ والمعروفة باسم دومة الجندل وتأتي اهميتها التاريخية والحضارية لوقوعها على درب القوافل الكبير الذي كان يربط بين بعض المواقع على المحيط الهندي في جنوب الجزيرة العربية وبين شاطيء البحر الابيض المتوسط، فكانت القوافل النبطية تحمل تجارة الهند وما وراءها، كما تأتي بالبخور والعطور واللبان والمر من جنوبي الجزيرة من اليمن وحضرموت، وتخترق بلاد اليمن ومنها الى الحجاز مارة بمكة المكرمة والمدينة المنورة ثم العلا ومدائن صالح ثم الى تيماء ودومة الجندل حتى تصل الى بلاد آدوم ومؤاب، ثم تتجه شمالا الى بصرى ومنها الى غزة وفلسطين وكانت تتفرع من هنا الدروب عند كل محطة كبيرة من محطات القوافل، دروب فرعية تربطه بكثير من البلاد التي في شرقي الجزيرة العربية على الخليج، كما تربط ايضا بالمواني التي على البحر الاحمر في الجهة الغربية وكان التجار يحرصون بطبيعة الحال على ان تعود قوافلهم وهي محملة بكل ما تجده في أسواق الشام من بضائع ومصنوعات محلية أو جلدية من مصر والاناضول والعراق ومختلف بلاد حوض البحر المتوسط، وتبيع ما حملته من بضائع في كل محطة في طريقها اثناء عودتها الى الجنوب ولهذا كان من يتحكم في هذا الدرب التجاري الهام ويحصل على ما يفرضه من اتاوة أو مكوس مقابل السماح بمرور القوافل في بلاده والتعهد بحمايتها، يستطيع أن يجني ارباحا طائلة وكانت هذه القواعد التجارية مراكز حضارية هامة فتركت لنا الكثير من الآثار القائمة والكتابات والمخربشات هنا وهناك على طول الخط التجاري.

(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.

وكان بدومة الجندل سوق عربية تبدأ في أول يوم من شهر ربيع الأول وتنتهي في منتصفه في كل عام.

مدينة دومة الجندل الاثرية :

من آثار مدينة دومة الجندل الاثرية البارزة معقلها الحصين الذي عرف بقصر الاكيدر، والذي يعتقد انه بني أولا في فترة تسبق القرن الثالث لما قبل الميلاد وتعاقبت عليه فترات بناء متعددة بعد ذلك، وبجانب الحصن يوجد مسجد ذو مئذنة حجرية مخروطية الشكل بارتفاع 15 م مكونة من ثلاث مناطق بكل منطقة فتحة وهي تشبه اشكال المسلات المصرية ينسب هذا المسجد الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن الممكن ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قام ببناء هذا المسجد عندما كان في طريقه الى بيت المقدس في السنة السابعة عشر للهجرة 638 م.

والمسجد مبني من الحجر وقد تعاقبت عليه الاصلاحات والترميمات وآخرها في عهد الامام عبد العزيز بن سعود عند بداية الدعوة الوهابية.

ويقول والن 1845 هـ ان مئذنة مسجد عمر بن الخطاب كانت المئذنة الوحيدة بدومة الجندل كما يشير الى وجود نفق تحت الارض يربط المسجد بقصر مارد والذي تم ردمه بالحجارة.

المخطط المساحي لدومة الجندل الاثرية :

قوامه شبكة معقدة من الطرق الضيقة (المسالك والدروب) والغير المنتظمة الشكل والاستقامة والمغطاة في بعض اجزائها وعلى جانبيها منازل قليلة المساحة في معظم الاحيان ومتعددة الطوابق من طابق الى ثلاثة طوابق.

وكما تشتمل المدينة على الابار القديمة المطوية بالاحجار هذا الى جانب الاسوار المحيطة بالمدينة والبوابات التي تتخللها.

الانماط المعمارية :

1 ـ الاسوار : تتكون تحصينات المدينة من الاسوار الضخمة المبنية من الحجارة والتي تلتف حول المدينة وتشرف على قصر مارد والمنطقة المحيطة به وكما يوجد سور (يسمى سور شعيب اللويد) شمال دومة الجندل وخلف السور السابق كما كون تلاصق جدران الدور والبنايات المختلفة الهيئات والاغراض مع بعضها فيما يبدو اسوارا كانت تحيط بالبلدة القديمة، ويظهر ذلك جليا في الجزء الذي لا يزال قائما في شمال غرب المدينة.

2 ـ البوابات : كان يتخلل الاسوار مداخل (بوابات) متعددة، يدخل منها الى داخل المدينة وكانت تلك البوابات (كتلة المدخل) عميقة وذلك يتضح من البوابة العميقة التي لا تزال قائمة في شمال غرب المدينة والمغطاة بجذوع النخل.

3 ـ **المسالك والدروب :**

تتميز مدينة دومة الجندل بشبكة من المسالك والدروب الضيقة التي يتراوح اتساعها من 1,1/2 م ـ 2 م بعض تلك المسالك والدروب (الحواري) مسقوف بجذوع النخل ومَجاديل حجرية وقواطع خشبية ويعلو السقيفة في اغلب الدروب حجرات تطل على تلك الدروب والمسالك بواسطة نوافذ صغيرة وفتحات مختلفة الاحجام والاشكال ربما كانت هذه الحجرات كانت تتخذ كأماكن للسمر والترفيه أو لتربط بني منازل العائلة الواحدة على كلا الجانبين.

وتوجد في كثير من المسالك والدروب بعض المصاطب (المكاسل) الحجرية التي كانت تتخذ في العادة كأماكن للاستراحة والاسترخاء والسمر ايضا، ولقد اشتملت الشوارة الرئيسية بوسط البلدة على مجموعة عقود مدببة مثال ذلك ثلاثة عقود متوازية يعلوها سقف افقي قوامه جذوع النخل وفروع الاشجار وعلى كلا الجانبين مصاطب للتسامر والسهر.

4 ـ المنازل : تمتد المنازل عبر شوارع البلدة الضيقة، ويتضح من البقايا المعمارية ان قوام تصميمها المعماري عبارة عن فناءا وسط مكشوف تلتف حوله الحجرات قليلة العدد والمساحة، متعددة الطوابق حيث يتراوح عدد طوابقها بين طابق الى ثلاثة طوابق، ويشتمل معظم الدور على عقدود بنوافذ ضيقة ومرتفعة تطل بها الى الشارع، الى جانب مداخل البيوت التي تعلوها اعتاب حجرية محمولة على كابولي من الحجر، وعلى جانبي بعض المداخل توجد مصاطب السمر.

ومادة البناء من الاحجار الرملية المختلفة الاحجام، وتغطي جدرانها طبقة من الطين في بعض الاحيان، والواقع ان التصميم المعماري لمنازل هذه المدينة يشير الى انها كانت تخضع الى نظام اجتماعي سليم اذ يلاحظ أن الطابق الارضي في معظم دورها كان مخصصا للاستقبال بينما كان يصعد للطوابق العليا والتي كانت مخصصة لاهل الدار بواسطة سلم صاعد.

وتتميز العناصر المعمارية لعمارة تلك المدينة بالتالي :

أ) الفتحات : ضيقة مداخل في معظم الاحيان وهي اما بوابات خارجية بأسوار البلدة واما مداخل الدور أو نوافذها، تعلوها اعتاب حجرية مرفوعة على كوابيل حجرية بسيطة (غير مركبة) أو يعلوها جذوع النخيل وافرع الاشجار.

ب) الابواب : غالبا ما تتكون من دلفتين مواجها جذوع النخيل رأسيه تربط بينها عوارض خشبية افقية مزودة بترابيس (مزلاج) خشبية.

ج) العقود الحجرية التي تعلو جدران الدور أو التي تتقدم الوجهات اما مدببة أو نصف كروية كما تعلو معظم الفتحات الداخلة بالمنازل وكذلك الخارجية المطلة على الشوارع وتلك العقود المدببة عقود اسلامية استخدمت من قبل بالمسجد الجامع بدمشق (705 ـ 715 م) وقصير عمره (712 ـ 715 م) وحمام الصرخ (727 ـ 730 م) وقصر الحير الغربي وكذلك في خزان مياه الرملة بالشام (781 م).

هـ) الكوابيل الحجرية البسيطة أو المركبة التي تحمل الفتحات الداخلية للمنازل.

و) الحنايا التي تتقدم بعض فتحات المنازل المطلة على الشوارع.

مدينة العلا، نبذة تاريخية :

عرفت قديما باسم بلاد دادان وكان لها دورها البارز والهام في تاريخ الممالك التي تعاقبت على حكم تلك المنطقة فكانت حاضرة مملكة دادان ودولة لحيان والدولة المعينية الى ان استولى الانباط على حكم المنطقة.

وجاءت أهميتها كموقع جغرافي واستراتيجي هام وكانت مركزا تجاريا واقتصاديا كبيرا وملتقى للقوافل التجارية التي تحمل تجارة الهند وتأتي بالعطور واللبان والمر من بلاد اليمن قاطعة للطريق على امتداد شواطيء البحر الاحمر مارة ببلاد الحجاز ومكة المكرمة والمدينة المنورة الى أن تصل العلا ومدائن صالح (الحجر).

ولقد خلفت لنا هذه الاقوام التي حكمت تلك المنطقة الكثير من الاثار والنقوش والكتابات المختلفة والتي يرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد وبعده هذا وقد عثر في العلا ومدائن صالح على الكثير من الكتابات المعينية الشمالية واللحيانية والثمودية والنبطية.

وفي فترة العصر الاسلامي ازداد رخاء مدينة العلا بعد توسع الاسلام وبزوغ الحجاز وكانت العلا تقع على الطريق الرئيسي من سوريا، لذا بقيت أهميتها حتى اثناء العهد التركي.

حي الديرة :

1 ـ الموقع ومساحته : يقع الجزء القديم الباقي من حي الديرة شمال واحة العلا الكبيرة، وهو عبارة عن مستطيل يقدر بحوالي 500 × 180 م بمساحة قدرها 90,000 م^2، تأثر عند طرفيه الشمالي والجنوبي بشكل الوادي مما ادى الى ضيق المساحة عند هذه الاطراف بمعنى أن التخطيط المعماري لحي الديرة قد تأثر بطبيعة المنطقة المحيطة به (انظر المخطط المرفق).

2 ـ المخطط ومكوناته : قوام حي الديرة شبكة معقدة من المسالك والدروب، (الضيقة) والغير المنتظمة أي المتعرجة يقع على جانبيها دور صغيرة ذات طابع معماري خاص، يتوسط

الحي منطقة صخرية كبيرة تعلوها قلعة تعرف بقلعة موسى بن نصير ومعظم البنايات في الحي قائمة فيما عدا الجانب الشرقي حيث ازيلت المنازل والسور الشرقي وبوابته وبذلك لم يبق من الجانب الشرقي الا مساحة قليلة تقدر بحوالي 150 م × 20 م = 3,000 م^2 بها مسجد قائم، هذا الى جانب بئر في الجزء الشمالي تعرف باسم بئر تدعل والمسجد الكبير في الجزء الجنوبي الشرقي.

3 ـ الانماط المعمارية :

أ) الاسوار : لقد كون تلاصق جدران الدور والبنايات المختلفة مع بعضها اسوارا كانت تحيط بحي الديرة كله، حيث لا يزال واضحا على طول الجانب الغربي للحي، والذي يشرف على شارع المناخة أما باقي الاسوار فقد اختفت معالمها بفضل تلاصق البنايات الحديثة في الجانبين الشمالي والغربي، والمعروف ان للاسوار أغراض حربية ودفاعية وربما اجتماعية.

ب) البوابات : كانت للمدينة عدة مداخل موزعة على أسوارها أي تتخلل الاسوار التي كانت تحيط بها، ومازالت توجد بالسور الغربي سبع بوابات كانت تغلق ليلا للتحكم في أمن المدينة خاصة تلك المنطقة المحيطة بالقلعة وبعض هذه البوابات ذات تخطيط منكسر وهذه البوابات بنيت من الحجر الرملي ويعلوها أما عتب مستقيم من الحجر أو كتل خشبية مستقيمة أيضا من جذوع النخل كما كانت تغطي تلك المداخل بكتل خشبية من جذوع النخل وأفراعه فتبدو وكأنها ممرات بواسطتها يتم اختراق الاسوار والوصول الى المسالك والدروب في المدينة وعلى تلك البوابات (المداخل) أبواب خشبية ضخمة بعضها معلق في البنايات (المداخل) والكثير منها ساقط على الارض، وكانت تلك الابواب الخشبية مزودة، بزلاقات (أقفال) خشبية ضخمة وبعض البوابات كان يصعد اليها بواسطة درج صاعد من الحجر مكون من ثلاث درجات أو خمس درجات أو تسع درجات حسب نسب ارتفاعات المداخل مع انخفاضات المسالك والدروب، ويعلو البوابات فتحات للاضاءة والتهوية، كما كان يوجد على جانبي تلك البوابات أماكن للراحة والسمر، عبارة عن مصاطب (تكايات) أو مكاسل من المحجر ترتفع قليلا عن الارض.

ج) المسالك والدروب : يتميز حي الديرة بشبكة من الشوارع الضيقة والتي كان يطلق عليها قديما «المسالك والدروب» حيث يتراوح عرضها ما بين 150 سم الى 200 سم وبعض تلك المسالك والدروب مسقوفة بجذوع النخل وغالبا ما كان يعلو تلك الظلات أو السقيفة حجرات تطل على الدروب بواسطة شبابيك صغيرة وفتحات مختلفة الاحجام والاشكال.

وبينما كانت تلك الحجرات تتخذ كأماكن للسمر والترفيه ومشاهدة المارة بأزقة وحارات الحي أو كانت تتخذ كمعابر أو جسور تربط بين منازل العائلة الواحدة على كلا الجانبين.

وتوجد في كثير من الدروب خاصة تلك القريبة من البوابات الرئيسية لبعض المصاطب الحجرية.

ويبدو أن تلك المسالك والدروب كانت مزودة بشبكة لتصريف مياه الامطار، منها فتحات في أسفل أرضيات المنازل تنحدر منها المياه بعد تجميعها.

د) المنازل : تمتد عبر شوارع حي الديرة الضيقة على الجانبين ويتكون من طابق أو طابقين وتوجد بها فتحات تطل على المسالك سوى المداخل التي يعلوها اما عقود حجرية مستديرة (نصف كروية) أو أعتاب حجرية مستقيمة فضلا عن الشبابيك أو النوافذ الصغيرة التي تعلو الجدران في بعض المنازل.

ويصعد الى بعض المنازل بواسطة درج أو اثنين من الحجر. وتلك المنازل أو الدور مبنية من الحجر الرملي المختلف الاشكال والاحجام ويبدو ان بعض تلك الاحجار منقولة من المناطق الاثرية القريبة منها خاصة منطقة الخريبة الاثرية، وينهض دليلا على ذلك تلك الكتابات والنقوش السابقة على الاسلام التي توجد على بعض القطع الحجرية التي اتخذت صدارة الدار موضعا لها في معظم الاحيان ووضعت بدون ترتيب أو تنسيق احيانا أخرى كما شيدت بعض الاجزاء من المباني من الآجر، وتغطي اسقف الدور جذوع النخل وافرعه كما طليت جدران بعض المنازل بطبقة من الملاط (طين لبن) الامر الذي اخفى بعض الكتابات والنقوش.

وعلى مداخل تلك الدور ابواب خشبية ضخمة بعضها عليه زخارف ونقوش وبعضها خال من النقوش وهذه الابواب مزودة بمزاليق خشبية ومثبتة في الجدران بواسطة قوائم خشبية قوية وعلى جانبي مداخل بعض الدور توجد مكاسل (مصاطب) من الاحجار.

هـ) قلعة موسى بن نصير :

تتخذ قلعة موسى بن نصير مكانها فوق قمة الهضبة الصخرية التي تتوسط حي الديرة وغرب طريق موسى بن نصير (حاليا) وهي مبنى ضخم من الاحجار الرملية كان يرقى اليها بواسطة درج من الحجر متهدم اجزاء كثيرة منها الا ان مبانيها الباقية لازالت تدل على تخطيطها، حيث كانت محصنة بأبراج ضخمة تتخللها فتحات للسهام ومزاغل للمراقبة، ووقوعها فوق ربوة عالية وسط المدينة كدليل على مدى تحكمها في حماية المدينة.

و) بئر تدعل :

من المعالم الاثرية الهامة حي الديرة بئر تدعل تقع في شمال الحي لا زالت مياهها جارية تنحدر من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، مشيد فوقها بنايات من الحجر الرملي، كما ان البئر مطوية من الداخل بالحجر الرملي ربما يعود تاريخها

الى فترات الاستيطان الاسلامي المبكرة في المنطقة، وفي قول آخر ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد توضأ منها وصلى بمسجد الصخرة في نفس المنطقة.

وهذا البئر منقسم قسمان احدهما للرجال والآخر للنساء.

ز) مواد البناء :

أ ـ جميع مباني حي الديرة من اسوار وبوابات ومنازل فضلا عن القلعة والبئر والمسجد مبنية بالحجر الرملي.

ب ـ ملاط من الطين اللبن مثبت به المداميك الحجرية في معظم الاحيان.

ج ـ الآجر (الطوب الاحمر) بعض اجزاء من الجدران المنازل بنيت من الآجر.

د ـ الاخشاب : قوامها جذوع نخيل والواح خشبية استخدمت في البوابات وتغطية اسقف المنازل والبوابات.

العمارة وزبيدة :

منطقة عنيزة

مكان الموقع : 9 كلم شمال مدينة عنيزة على حافة وادي الرمة الشمالية.

الوصف : كان موقعا العمارة وزبيدة مسكونين منذ القرن الثالث قبل الميلادكما دلت على ذلك اعمال المسح الاثري والحفريات الاثرية عام 1977 م ـ 1979 م وذلك بدليل ما وجد من الكسر الفخارية التي تعود الى تلك الفترة كما كشفت الحفريات الاثرية عن اساسات وجدران لمبان من الطوب لا تزال قائمة على ارتفاعات مختلفة.

هذا الموقع الاثري ينقسم الى ثلاثة اقسام وذلك حسب طبيعة الموقع الطبوغرافية كالتالي :

1 ـ الآثار القائمة على جانبي وادي الرمة والمتمثلة باسوار المدينة القديمة والتي لا تزال ظاهرة على ارتفاعات مختلفة.

2 ـ الارض الزراعية الواقعة على الجانب الشمالي لوادي الرمة وتعرف باسم «زبيدة» وهذا الجزء من الموقع قد لحقته اعمال الازالة والتخريب لاجزاء كبيرة منه نتيجة لاعمال الحرث والزراعة.

3 ـ منطقة الكثبان الرملية وتعرف باسم «العمارة» وتقع الى الشمال من وادي الرمة وبمسافة 150 مترا من موقع زبيدة.

وتنتشر فوق سطح التربة الكثير من الكسر الفخارية كما واجريت اعمال الحفريات الاثرية في هذا الجزء من الموقع حيث تم الكشف عن جدران لاحد المباني التي شيدت من

الآجر من المحتمل ان يكون مكانا لصهر النحاس حيث وجد الكثير من حيث المعادن والنفايات المتبقية بعد عملية الصهر وكذلك على الكثير من الفحم والرماد وعلى رأس سهم برونزي وبعض من الكسر الفخارية من الفخار السميك الخشن المحبحب والمخلوط بالصلصال من الفخار الهلنستي الذي يعود الى القرن الثالث من الميلاد.

المقابر النبطية :

تحتل المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية منذ فجر تاريخها دورا هاما وبارزا في تاريخ وحضارة هذه المنطقة فهي بحكم موقعها الاستراتيجي الهام تعد جسرا للتجارة العالمية البرية والبحرية، وملتقى لحضارات ما بين النهرين ووادي النيل والحضارة الكنعانية في فلسطين وحضارة شرقي الاردن وموطنا لعديد من الحضارات نمت وازدهرت بين سهولها ووديانها وعيونها وجبالها وشواطئها، كان من ابرزها حضارة مدين التي يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحضارة الانبط في القرن الخامس قبل الميلاد.

وفي العهد النبطي كان لشمال غرب الجزيرة العربية وارض مدين الدور الهام في نشأة وتطور وازدهار مملكة الانباط وذلك بحكم موقعه الاستراتيجي فالانباط الذين نزحوا من جنوب الجزيرة العربية في القرن الخامس قبل الميلاد، قد امضوا وقتا في شمال غرب الجزيرة العربية في أرض مدْين وجاء اليوم الذي سدوا نفوذهم التجاري والسياسي على بعض جيرانهم.

الجمهورية العربية السورية

تقرير عام حول وضع الاثار والمتاحف

تعديل القوانين :

ان المديرية العامة للاثار والمتاحف في القطر العربي السوري، هي من أقدم المؤسسات يعود انشاؤها الى عام 1919، وهي مؤسسة مستقلة ذات طابع علمي تهتم بالبحث الاثري والتاريخي وتتمتع بالاستقلال المالي والاداري، وصلاحيتها تشمل جميع انحاء القطر والمدير العام هو المسؤول عن جميع النشاطات المتعلقة بالبحث والتنقيب والترميم وانشاء المتاحف والاشراف عليها في جميع انحاء القطر (خلافا للمؤسسات الاخرى) وجميع الموظفين مسؤولين امامه.

والمديرية العامة للاثار والمتاحف مؤلفة من :

1 ـ مديرية الشؤون الادارية
2 ـ مديرية التنقيب والدراسات الاثرية
3 ـ مديرية الهندسة والترميم
4 ـ مديرية المباني والتوثيق التاريخي
5 ـ مديرية الوثائق التاريخية
6 ـ مديرية التخطيط
7 ـ مديرية المعمل الفني
8 ـ مديرية المحاسبة.

ولقد أحدثت مؤخرا (1981) المديريات التالية :

1 ـ مديرية شؤون المتاحف
2 ـ مديرية اثار حلب
3 ـ دائرة اثار دمشق القديمة
4 ـ دوائر للاثار في المحافظات.

كما عدلت القواعد الخاصة بمكافآت البحث والدراسة واصبحت منسجمة مع ارتفاع التكاليف.

عدّل قانون الاثار كما يلي :

1 ـ اضيفت مواد تتعلق بامكان مشاركة السلطة الاثرية بتكاليف الترميم كلها أو جزء منها.
2 ـ الغيت جميع المواد المتعلقة بتجارة الاثار.
3 ـ وضعت حدود لعمليات اعارة الاثار ومنع التصدير والاهداء نهائيا.

الحفريات الاثرية :

تتابع المديرية العامة للاثار والمتاحف اعمال الحفريات الاثرية في القطر والتي تقوم بها بعثات وطنية وبعثات مشتركة وبعثات اجنبية كما يلي :

البعثات الوطنية :

بعثة عمريت (طرطوس) ـ بعثة عين داره (ادلب) ـ بعثة الميادين (دير الزور) ـ بعثة الحميدية (حمص) ـ بعثة بصرى (درعا) ـ بعثة شهبا (السويداء) ـ بعثة تل دينيت (ادلب) ـ بعثة قلعة جعبر (الرقة) ـ بعثة هرقلة (الرقة).

البعثات المشتركة :

بعثة الميادين الرحبة مع بعثة رأس شمرا (اللاذقية) فرنسية في محافظة دير الزور ـ بعثة ابن هاني مع الفرنسية في محافظة اللاذقية ـ بعثة تدمر مع الالمانية في محافظة حمص.

البعثات الاجنبية :

بعثة رأس شمرا (اللاذقية) فرنسية ـ بعثة رأس البسيط (اللاذقية) فرنسية ـ بعثة تل الحريري (دير الزور) فرنسية ـ بعثة تل براك (الحسكة) انكليزية ـ بعثة داحس (حلب) فرنسية ـ بعثة الضمير (دمشق) المانية ـ بعثة سيع بجوار قنوات (السويداء) فرنسية ـ بعثة تل مرديخ (ايبلا) (ادلب) ايطالية ـ بعثة تل برى (الحسكة) ايطالية ـ بعثة تل أبوضنة (حلب) بلجيكية ـ بعثة افاميا (حماه) بلجيكية ـ بعثة موقع شيخ حمد (دير الزور) ـ بعثة تل البيعة (الرقة) المانية ـ بعثة المسطومة (ادلب) يابانية ـ بعثة حمام التركمان (الرقة) هولندية ـ بعثة تل النبي مند (حمص) انكليزية ـ بعثة العشارة (دير الزور) اميركية ـ بعثة تل ليلان (الحسكة) اميركية ـ بعثة معسكر ديوقليسيان (تدمر) بولونية ـ بعثة تل ممباقة (الرقة) المانية ـ بعثة تل الكوم (حمص) فرنسية.

ولقد كانت حصيلة التنقيب جيدة اذ أوضحت ابعاد الفن والحضارة في سورية القديمة مما يجعلها على مستوى واحد من الحضارتين الكبيرتين ـ الرافدية والمصرية.

وتم اعداد التقارير، ونشرها في مجلة الحوليات الاثرية، كما تم نقل المكتشفات الى المتاحف.

المتاحف :

مازال عدد المتاحف يزداد باستمرار وفيما يلي جدول بالمتاحف الجديدة المنشأة.

المتاحف قبل 1972 :

1 ـ المتحف الوطني بدمشق وهو مؤلف من خمسة فروع ما قبل التاريخ ـ الفرع الشرقي القديم ـ فرع الاثار العربية الاسلامية ـ فرع متحف الفن الحديث.
2 ـ المتحف الوطني بحلب وهو مؤلف من خمسة فروع ما قبل التاريخ ـ فرع الشرقي القديم ـ فرع الاثار العربية الاسلامية ـ فرع متحف الفن الحديث.
3 ـ متحف حماه.
4 ـ متحف تدمر.
5 ـ متحف طرطوس.
6 ـ متحف التقاليد الشعبية بدمشق وهو مؤلف من فرعين هما :
   1 ـ قسم الصناعات اليدوية.
   2 ـ قسم التقاليد الشعبية.
7 ـ متحف السويداء.

المتاحف التي انشئت بعد عام 1973 :

1974	متحف الخط العربي بدمشق
1975	متحف حمص
1976	متحف دير الزور
1977	الفرع الاسلامي في متحف حلب
1978	متحف اللاذقية
1978	اضافة جناح اسلامي لمتحف تدمر
1978	متحف الطب والعلوم عند العرب في دمشق
1978	الفرع الحديث في متحف حلب
1979	فرع ما قبل التاريخ في المتحف الوطني بدمشق
1979	متحف بصرى
1980	متحف دمشق التاريخي (البيت الشامي)
1980	متحف التقاليد الشعبية في حلب
1981	متحف الرقة
1982	متحف الفسيفساء في افاميا
1982	متحف جزيرة أرواد
1983	من المقرر ان يتم بناء متاحف جديدة في السويداء ـ درعا ـ اللاذقية ـ دير الزور ـ الحسكة.

الترميم :

تقوم (120) ورشة ترميم باشراف المديرية العامة للاثار والمتاحف وفق الاصول العلمية بصيانة وإعادة بناء المباني الاثرية المسجلة في جميع انحاء القطر على الشكل التالي :

في دمشق : خان اسعد باشا ـ بيت نظام ـ قصر العظم ـ التربة القيمرية ـ المدرسة الجهاركسية ـ التربة التكريتية ـ المدرسة الرشيدية ـ التربة الفرنتية ـ بيت السباعي ـ البيت الشامي.

في حلب : بيت اجقباش ـ جامع العادلية ـ الطاحونة الجديدة ـ خانقاه الفرافره ـ جامع الدباغة ـ صالة عين دارا ـ صالة تل دينيت ـ قلعة سمعان ـ قلب لوزة ـ المدرسة الظاهرية ـ المدرسة الكاملية ـ البيطارستان النوري ـ بيت رجب باشا ـ قلعة حارم ـ اسوار وأبواب حلب ـ قلعة نجم ـ قبة المدرسة الشرقية.

في أدلب : المعصرة الكبرى ـ قلعة ابي سفيان ـ ضريح عمر بن عبد العزيز.

دير الزور : قلعة رحبة مالك بن طوق ـ انشاء فرن الاجر.

في الرقة : معمل الاجر في الرقة ـ سور مدينة الرقة ـ جامع الرقة العباسي ـ قلعة جعبر.

السويداء : متحف شهبا ـ معبد الكلية ـ معبد عتيل.

درعا : مدرسة ابي الفداء ـ نبع الجهير ـ الجامع العصري ـ مدرج درعا الأثري ـ الحمامات الرومانية.

حمص : قلعة الحصن.

تدمر : السور الشمالي بتدمر ـ قصر الحير الشرقي ـ الحديقة الأثرية ـ خان الحلابات ـ المسرح.

حماه : متحف حماه ـ الجامع الكبير ـ جامع الشيخ ابراهيم ـ دار طيفور ـ جامع الافندي ـ متحف افاميا ـ جامع الامام اسماعيل بالسلمية ـ قلعة مصياف ـ قصر ابن وردان.

اللاذقية : مدرج جبلة ـ مسجد القبة ـ المدفن الأثري بالشاطئ الأزرق ـ قلعة صلاح الدين.

محافظة طرطوس : برج طاحون الهواء ـ قلعة ارواد ـ عمريت ـ قلعة المرقب.

حماية المدن :

تم تسجيل المدن القديمة التالية : دمشق ـ حلب ـ بصرى ـ تدمر ـ جزيرة ارواد ـ في السجلات الاثرية السورية، واصبحت تابعة للنظام الاثري وباشراف السلطة الاثرية.

كما تم تسجيل : دمشق ـ بصرى ـ تدمر ـ في السجلات الدولية ـ اليونسكو ـ تقوم المديرية العامة بحملة حماية مدينة دمشق القديمة ولهذا قامت بالاعمال التالية :

1 ـ انشاء هيئة عالمية لحماية مدينة دمشق تجتمع كل ثلاثة شهور للاشراف على اعمال مسح المدينة اثريا واجتماعيا.

2 ـ انشاء جمعية اصدقاء مدينة دمشق للاستفادة من القطاعات الشعبية لحماية المدينة.

3 ـ انشاء دائرة مدينة دمشق القديمة.

4 ـ انشاء بلدية لدمشق القديمة وذلك لتغطية الخدمات اليومية للمدينة.

5 ـ وضع مخططات تصنيفية لمباني دمشق القديمة.

6 ـ اخلاء المباني الاثرية والتعويض على اصحابها.

7 ـ نقل جميع المعامل وبناء منطقة صناعية بديلا لها.

8 ـ وضع حلول لانظمة السيرفي المدينة القديمة.

9 ـ ترميم واجهات الشوارع والحارات وترميم البيوت والمباني الاثرية.

10 ـ ترميم الطرقات وتحسين الشبكات.

11 ـ اعادة توظيف المباني لخدمة الحرف والصناعات اليدوية والمراكز الثقافية والفنية والسياحية.

12 ـ تخصيص مبلغ 250 مليون ليرة سورية لهذا المشروع الذي يجب ان ينتهي مع نهاية الخطة الخمسية الخامسة.

13 ـ الاعلان عن مكافآت مادية لاحسن ترميم يقوم به سكان مدينة دمشق القديمة.

14 ـ القيام باعمال ترميم واسعة في المدينة.

في مجال التأليف :

متابعة اصدار الحوليات الاثرية العربية السورية

المجلد الخاص بالندوة الدولية لآثار اوغاريت

المجلد الخاص بالفن الاسلامي

المجلد العادي لعام 1981.

أدلة المتاحف :

تم طبع الادلة التالية :

1 ـ أدلة المتحف الوطني بدمشق بالعربية والانكليزية والفرنسية
2 ـ دليل متحف حلب عربي ـ انكليزي
3 ـ دليل قلعة حلب عربي
4 ـ دليل بصرى عربي ـ انكليزي ـ فرنسي
5 ـ دليل متحف حماه عربي
6 ـ دليل تدمر الماني ـ عربي
7 ـ دليل رأس شمرا عربي ـ فرنسي
8 ـ دليل قلعة المرقب عربي
9 ـ دليل قلعة الحصن انكليزي ـ فرنسي ـ الماني
10 ـ دليل شهبا عربي
11 ـ دليل قصر ابن وردان عربي
12 ـ دليل ايبلا عربي
13 ـ دليل قلعة شيرز عربي
14 ـ دليل افاميا ترجمة عن بالتي
15 ـ دليل دمشق ـ دراسات تاريخية
16 ـ دليل ماري عربي
17 ـ دليل قلعة الرحبة ـ عربي
18 ـ دليل دورا اوربوس ـ عربي
19 ـ دليل للمتاحف والمواقع الاثرية ـ عربي
20 ـ دليل متحف التقاليد العشبية عربي ـ فرنسي
المباشرة بكتابة تاريخ سورية بترجمة كتاب ـ دوسو
(الجغرافية الاثرية في سورية) وكتاب بالتي (الفسيفساء في سورية).

تقرير عن المدن التاريخية وبخاصة دمشق القديمة

كانت المنظمة قد اقرت ضرورة المساهمة في حماية المدن العربية القديمة، مثل فاس وسواكن والقيروان ودمشق القديمة وصنعاء.

ولقد قامت المنظمة فعلا بدعم بعض مشاريع الحماية، ونظرا لان مدينة دمشق تعتبر اقدم مدينة في العالم وللطابع الاصيل في عمرانها وعمارتها.

فلقد قامت السلطة الاثرية في القطر العربي السوري بالاجراءات التالية :

1 ـ تم تسجيل مدينة دمشق القديمة واحيائها القديمة في سجلات الاثار واصبحت محمية بموجب قانون الاثار الذي يمنع هدمها وتشويهها ويفسح المجال لترميمها وصيانتها.

2 ـ تم انشاء جمعية لاصدقاء دمشق للاستفادة من القطاعات الشعبية لحماية المدينة.

3 ـ تم تسجيل مدينة دمشق في سجل الممتلكات الثقافية الدولية التابعة لليونسكو وهذا يعني حماية هذه المدينة دوليا ودعم مشاريع صيانتها. ولقد تم تخصيص مبلغ (110) ألف دولار مبدئيا عدا عن الدعاية الاعلامية التي تقوم بها اجهزة اليونسكو لهذه المدينة.

4 ـ تم انشاء هيئة دولية من الخبراء من جامعات امريكية والمانية وفرنسية وسورية تجتمع كل ثلاثة شهور للاشراف على اعمال خمس لجان لمسح المدينة اثريا واجتماعيا. وقد تم انجاز اعمال هامة خلال السنوات الاربعة الاخيرة.

5 ـ تم انشاء دائرة اثار خاصة بمدينة دمشق وزودت بالملاك اللازم للقيام باعمال الحماية والترميم. ان الجهود العلمية التي تقوم بها هذه الهيئات تحتاج الى تنفيذ عاجل لانقاذ المدينة وللاستفادة منها ثقافيا وسياحيا.

ولكن هذا المشروع الضخم يتطلب اموالا لا يستطيع القطر العربي السوري تحمل اعبائه كاملة في ظروفه التعبوية المعروفة التي تلزمه ان يخصص ما يقرب من 80 % من ميزانيته لصد العدوان الصهيوني عن كامل الوطن العربي.

ولكي لا تهدر الجهود والامكانات، في اقامة الدعوات وتوجيه النداءات الدولية لحماية دمشق القديمة، نلجأ اليوم الى اقرب الطرق المجدية ونعرض الموضوع على الزملاء اعضاء المؤتمر العاشر للاثار والمتاحف آملين اقرار مبدأ المساهمة على ان تعطي المنظمة نفقات الدراسات والاعلام في حدود مبلغ (250) ألف دولار، وان يدعى السيد المدير العام لتوجيه نداء الى الدول العربية الاعضاء لتحديد اسهاماتهم في صندوق ستشرف على الانفاق منه هيئة وزارية مع الاشارة الى ان جميع الاعتمادات والمخصصات ستكون لعمليات الحماية ولن يكون من مشمولاتها اية نفقة ادارية أو تعويضات شخصية ترهق مشروع الحماية.

متحف الحضارة العربية

تحقيقا لما ورد في ميثاق الوحدة الثقافية العربية فقد قام القطر العربي السوري بتقديم مشروع بانشاء متحف الحضارة العربية عرض على مؤتمر الاثار الثامن والتاسع ودرس في مؤتمر وزراء الثقافة في عمان. والغرض من هذا المتحف تمكين دارسي الحضارة الغربية من تتبع مظاهر نموها وتطورها وتجسيد الوحدة الثقافية والحضارية للامة العربية.

وقد رأت المنظمة تنفيذا لهذا المشروع :

1 ـ تشكيل لجنة فنية لدراسة امكانية تحقيق هذا المشروع وتحديد اطاره وتقدير تبعاته المالية خلال 80 ـ 1981.

2 ـ تبدأ الخطوات التنفيذية خلال عامي 1982 ـ 1983 في ضوء ما توصي به اللجنة الفنية ويتم اقراره.

3 ـ تقدر التكلفة النقدية للمشروع خلال مراحل الخطة 265,000 دولار امريكي وفي مؤتمر الاثار التاسع في صنعاء في شباط لعام 1980 وفق الوفد السوري استعداد القطر العربي السوري لاستضافة المتحف في دمشق.

وقد اصدر رئيس الجمهورية العربية السورية مرسوما بانشاء متحف الحضارة العربية في دمشق تحفظ فيه بعض اثار الوطن العربي وفنونه وصناعاته.

وينقسم المتحف الى الفروع والاقسام التالية :

1 ـ الفرع القديم : ويضم اثار الحضارات التي نشأت على الأرض العربية قبل الاسلام وبعده.

2 ـ الفرع الانتروبولوجي : ويضم نماذج عن الفنون والصناعات والتقاليد الشعبية في أنحاء الوطن العربي.

3 ـ الفرع التاريخي : ويضم شواهد عن التطور الفكري وعن حركات والتجمع والتحرر والتوحيد والاستقلال.

4 ـ فرع الفن الحديث : ويضم نماذج من الانتاج الفني المعاصر في التصوير والنحت والحفر والعمارة في الوطن العربي.

ولعل اللجنة الفنية المشار اليها لم تؤلف بعد ولتزويدها ببعض المعلومات المساعدة فان القطر العربي السوري يبدي ما يلي :

1 ـ استضافة المتحف في دمشق وتقديم البناء، وهو بناء أثري ضخم مساحته تزيد عن 1500 م^2 ومساحته المكشوفة 2,4500.

2 ـ يتعهد القطر بحفظ وحماية القطع الأثرية والمتحفية المرسلة من الدول العربية على سبيل الاعارة الطويلة.

3 ـ أمور الادارة والتجهيزات يتفق عليها مع المنظمة لاحقا.

الجمهورية العربية اليمنية
تقرير عن أوضاع الاثار والمتاحف

ان اي تقييم للاوضاع الحالية للاثار والمتاحف في الجمهورية العربية اليمنية ينبغي ان يأخذ بعين الاعتبار المسائل التالية :

1 ـ ان الجمهورية العربية اليمنية غنية، وهذه الاثار متناثرة على طول البلاد وعرضها.
2 ـ ان بداية اهتمام الدولة بالآثار والمحافظة عليها لم تتجاوز عقداً من السنين وذلك بسبب ظروف البلاد التي مرت بها بعد الثورة.
3 ـ تدني مستوى الوعي الحضاري بين السكان عن أهمية الآثار والمحافظة عليها وصيانتها.
4 ـ افتقار الجمهورية العربية اليمنية لاطر وطنية متخصصة في مجالات الآثار والمتاحف والمخطوطات.

ونحن اذ نشير الى هذه المسائل لكي تتوضح الاعباء والمسؤوليات الملقاة على كاهل الحكومة اليمنية ممثلة بالهيئة العامة للاثار ودور الكتب، الجهة الحكومية المسؤولة عن الحفاظ على الآثار وصيانتها.

ا ـ في مجال صيانة المواقع والمباني الاثرية وفي مجال المسح الاثري :

1 ـ توجد حاليا أربع بعثات اثرية عاملة في الجمهورية العربية اليمنية وهي كالتالي :

أ) **البعثة الاثرية الالمانية** : تعمل هذه البعثة في منطقة لواء مأرب في مجال المسح الاثري لهذه المنطقة الاثرية الهامة، وكذلك تقوم بدراسة قنوات الري القديمة في المنطقة وتقنية وسائل الري القديمة. وقد اصدرت هذه البعثة المجلد الأول عن دراساتها لها وستصدر مجلدين آخرين في نهاية هذا العام مع ملخص لهذه الدراسات باللغة العربية وبالاضافة الى المسح الاثري الذي قامت به البعثة الالمانية فان فريقا من هذه البعثة المختص بالاثار الاسلامية قد قام بالمسح الاثري لبعض الجوامع والمساجد الاثرية ووضع دراسات شاملة عنها وهي على النحو التالي :

1 ـ المسجد الجامع في ذمار.
2 ـ المسجد الجامع في ذي جبلة.
3 ـ مسجد تمور.
4 ـ مسجد الملحكي.
5 ـ مسجد تيثد.

6 ـ مسجد صرحة.
7 ـ مسجد خاو.
8 ـ مسجد العباس في خولان.
9 ـ الجامع الكبير في صنعاء.
10ـ جامع شبام كوكبان.

وقد وعدت الحكومة الالمانية الغربية بترميم مسجد صرحة.

ب) البعثة الاثرية الفرنسية وتقوم بالنشاط التالي :

1 ـ مسح اثري لمنطقة لواء الجوف وأرحب ونهم.
2 ـ دراسات اثرية وفنية لجامع ظفار ذيبين ـ وقد قدمت اليونسكو المعدات اللازمة للصيانة الاولية لهذا الجامع حتى يتم ترميمه ـ وتقدر المعدات بمائتين وثمانين ألف دولار.
3 ـ دراسات أثرية وفنية للمدرسة العامرية.

ج) البعثة الاثرية من جامعة شيكاغو : وقد قامت بالمسح الاثري لمنطقة ظفار عاصمة الدولة الحميرية وما جاورها.

د) بعثة اثرية امريكية وتقوم بدراسات انسان ما قبل التاريخ في اليمن.

هـ) بعثتان ايطاليتان احداهما من جامعة روما : وتقوم بالمسح الاثري في مناطق خولان والحداء، وتتبع مسار نشوء الدولة السبئية. والاخرى من جامعة فلورنسا وتقوم بتحديد المحطات التجارية القديمة.

2 ـ النشاطات الاخرى في مجال صيانة الآثار هي التالية :

أ) تم ترميم (باب اليمن) في العاصمة صنعاء.
ب) تم ترميم جامع شبام كوكبان باشراف وزارة الاوقاف.
ج) تم ترميم جزء من سور مدينة ثلاء والجزء الاخر قيد الترميم.
د) تم ترميم جزء من قلعة القاهرة في تعز، والجزء الاخر قيد الترميم.
هـ) استكملت الدراسات لصيانة وترميم جامع الاشرفية بتعز وستبدأ عملية الترميم قريبا.
و) استكملت الدراسات لترميم سور مدينة عمران ـ والعمل جار للبداية بترميمه.
ز) استكملت الدراسات الفنية لجامع العامرية وسيبدأ ترميمه قريبا.
ح) سوف تستكمل الدراسات الفنية لمدينة صنعاء القديمة مع سورها الاثري قريبا، وسيبدأ بتنفيذ مشروع صيانة مدينة صنعاء القديمة.
ط) سيتم قريبا تنفيذ مشروع تسوير المناطق الاثرية في مأرب والجوف وغيرها، وهذا ضمن مشروعات الخطة الخمسية الثانية التي بدأ تنفيذها هذا العام.

ي) تم تعيين حراس للاثار في كثير من مناطق الجمهورية.

ك) تم تنظيف تمثال الملك ذمار علي وكذلك تمثال ابنه يهبر في المانيا الغربية وقد وضع لهما نموذجان طبق الاصل.

II ـ في مجال المتاحف :

1 ـ تم افتتاح متحف آخر في تعز، قصر صالة ـ قصر الامام احمد سابقا ـ وخصص جزء من المتحف لاثار ما قبل الاسلام، والاجنحة الاخرى خصصت للعاديات والملابس والحرف الشعبية.

2 ـ تم افتتاح متحف ظفار ـ عاصمة الدولة الحميرية ـ وهو يحتوي على آثار ما قبل الاسلام ـ ويتكون من غرفتين وصالة للعرض ومخازن.

3 ـ انتهت الدراسات الكاملة لانشاء متحف جديد في صنعاء وسيشرع في بنائه قريباً.

4 ـ سوف يتم بناء متحف في مأرب قريباً.

5 ـ تم انشاء قسم للتصوير والتحميض في متحف صنعاء، وقد قدمت اليونسكو الاجهزة الخاصة لذلك كهدية.

6 ـ تم التصوير والتسجيل الاولي للقطع الاثرية الموجودة في متاحف صنعاء وتعز.

7 ـ تم بناء دار جديدة للمخطوطات وسيتم افتتاحها قريبا.

وفي الختام نود ان ننوه من جديد، ان عدم توفر الاطر في مجال الاثار والمتاحف والمخطوطات لعب دورا كبيرا في تأجيل تنفيذ كثير من المشروعات الضرورية والهامة التي كنا نطمح الى تنفيذها.

مكتب التربية العربي لدول الخليج

الدليل الاثاري لمنطقة الخليج العربي

ان الاهمية التي يعقدها مكتب التربية العربي لدول الخليج على اخراج هذا المشروع الحضاري المهم والذي يهدف الى ابراز التراث الحضاري في منطقة الخليج العربي وأهمية الحفاظ عليه باعتباره القاعدة القوية لقيام الحضارة العربية المعاصرة ولتعريف الجيل الجديد من ابناء عرب الخليج بعظمة هذا التراث.

ويهدف المشروع الى اختيار المعالم الاثارية والحضارية للتراث العربي الاسلامي في العصور المختلفة بدءا من عصر ما قبل الاسلام والعصور الاسلامية المختلفة ودورها في بلورة الروافد الحضارية والى التأكيد على الصلات الحضارية والبشرية التي تربط منطقة الخليج العربي بالوطن العربي والعالم.

ان هذا المشروع لا يتحقق الا بتعاون المتخصصين في اقطار الخليج العربي على اعداد المعلومات المطلوبة وفق الدراسة وخطوات اعداد الدليل :

أولا :

أ) المقدمة : وتتضمن النقاط التالية :

1 ـ جغرافية المنطقة وترابط دول الخليج العربي الكامل بعضها ببعض.

2 ـ الحضارات التي ظهرت في دول المنطقة وامتداداتها وتأثيراتها في مناطق العالم القديم (وابراز ذلك على الخرائط) مع مراعاة التسلسل الزمني لهذه الحضارات.

3 ـ الكتابات التي ظهرت والتي سادت مناطق كثيرة في الخليج العربي والوطن العربي والعالم.

4 ـ ابراز دور تجارة الخليج العربي في التاريخ القديم واثرها في تنمية العلاقات بين ابناء الوطن العربية والعالم.

5 ـ اعداد جدول زمني لتاريخ حضارة الخليج وحضارات العالم.

6 ـ اعداد خرائط متعددة توضح الحقب التاريخية التي سادت منطقة الخليج العربي.

7 ـ اعداد خرائط توضح تأثير حضارات الخليج العربي على مناطق العالم القديم.

ب) سرد تاريخي للحضارات التي ظهرت في كل دولة من دول الخليج العربي حسب تسلسلها الزمني وعلى الترتيب الآتي :

1 ـ الخريطة الاثارية للدولة.
2 ـ سرد موجز للحضارات.
3 ـ بيان أهم المواضع الاثارية وفق التسلسل الزمني مع استعراض لاثارها البارزة وفنونها وامتدادات تأثيراتها مصحوبة بالخرائط والصور والمراجع والشرائح الايضاحية.
4 ـ ثبت بالمصادر التي تناولت الاثار والحضارات في كل قطر عربي.

ج) ثبت يتضمن اسماء المصادر والمراجع الاثارية من كتب وبحوث تعرضت لذكر الاثار والحضارات في منطقة الخليج العربي.

د) ثبت باسماء المواقع الاثرية والاعلام لما ورد في الدليل (ككشاف له).

ثانيا : ان لا يتجاوز حجم الدليل الاثاري لمنطقة الخليج العربي (350) صفحة من القطع الكبير.

ثالثا : تقوم الدول الاعضاء باعداد المادة المطلوبة وفق الدراسة التي اقرتها ندوة الدليل الاثاري لمنطقة الخليج العربي المنعقدة في الرياض بمقر المكتب للفترة من 22 ـ 1402/7/24 هـ الموافق من 15 ـ 1982/5/17 م بالطريقة التي تراها كل ادارة اثار وترفق به الخرائط المطلوبة والصور الفوتوغرافية والشرائح الملونة ليتسنى للمكتب تنفيذ المشروع في الوقت المحدد.

رابعا : ان مراحل انجاز العمل تكون على النحو التالي :

أ) سنة كاملة لاعداد المادة من قبل ادارة اثار في الدول الاعضاء اعتبارا من 15 شعبان 1402 هـ الموافق 7 يونية/حزيران 1982 م.
ب) أربعة شهور لتنقيح المادة من قبل هيئة التحرير واعداد المقدمة.
ج) أربعة شهور للطباعة.

خامسا : يقوم مكتب التربية العربي لدول الخليج بالاتصال والتنسيق مع الامانة العامة لاتحاد الجامعات العربية من اجل الاستفادة من الامكانات العلمية المتوفرة لدى مؤسسة اطلس الوطن العربي لتثبيت الخرائط المطلوبة.

سادسا : يطبع الدليل بمعدل (10,000) نسخة باللغة العربية مع ملخص لمواده باللغة الانكليزية.

القسم الرابع

أعمال المؤتمر

التقرير النهائي والتوصيات والملاحق

محتويات التقرير

الجلسة الافتتاحية

افتتح المؤتمر العاشر للاثار في البلاد العربية أعماله في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين 29 محرم 1403 هجرية الموافق لـ 15 نوفمبر/تشرين الثاني 1982 ميلادية بدار الثقافة بمدينة تلمسان بحضور السادة الدكتور عبد المجيد مزيان وزير الثقافة في الحكومة الجزائرية، والدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، و الاستاذ الحاج محمد الصغير عبد الصمد الامين العام لمحافظة حزب جبهة التحرير الوطني لمدينة تلمسان والسيد أحمد دقسي والي تلمسان والرائد الناصر عبد القادر قائد المنطقة العسكرية وجمع غفير من اساتذة التعليم العالي ورجال الفكر والثقافة والاثار والفنون وطلاب اقسام التاريخ والاثار في الجامعات الجزائرية.

استهلت الجلسة بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم، ثم تناول الكلمة السيد محمد الصغير عبد الصمد الامين العام لمحافظة حزب جبهة التحرير الوطني بتلمسان فرحب بالحاضرين الذين تجشموا عناء السفر، وبعد الدار في سبيل العلم ونوه باعتزاز الجزائر بتراثها العربي الاسلامي ومساهمتها العريقة في الحضارة الانسانية وتمنى للمؤتمر النجاح والتوفيق في أعماله، وتلاه الدكتور عبد المجيد مزيان وزير الثقافة فالقى خطابا توجيهيا شاملا رحب في مستهله بالحاضرين، ثم تخلص الى تحليل بعض المفاهيم التاريخية، والاثارية منوها بالجهود التي تبذلها الجزائر في صيانة تراثها ومقومات حضارتها كما أشاد بالجهود التي يبذلها الباحثون العرب للحفاظ على تراث اجدادهم، ثم تعرض الى عمليات المسخ والتشويه الذي تقوم به الصهيونية العنصرية في الاراضي الفلسطينية ودعا الى الانتباه الى عمليات الدس التي يقوم بها الاسرائيليون والاستعماريون للحط من قيمة حضارة الامة العربية الاسلامية وتراثها.

وتكلم اثره الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فأشار الى عراقة تاريخ تلمسان، وبعدها في الحضارة، وتكريمها للعلم والعلماء مكبرا عناية الحكومة الجزائرية بالثقافة والعلم ثم تخلص الى اهتمام المنظمة بالتراث، وخاصة مؤتمر الاثار الذي تسعى دائما أن تجند له أكبر نخبة من العلماء والباحثين العرب، وقال بعد أن أشاد بالتجربة التي اكتسبتها هذه المؤتمرات اثر عقد عدة دورات منها أن الهدف من تخصيص موضوع رئيسي موحد يبحثه جمهور كبير من الباحثين هو طرح مرجع متكامل حول موضوع معين بين أيدي الدارسين والعلماء.

كما اشار الى عناية المنظمة بعدة مشاريع هامة تتعلق بالحفاظ على التراث وصيانته، وتخليصه عما علق به من المسخ والتشويه وشكر في ختام كلمته الحكومة والشعب الجزائري على الضيافة الكريمة، وحسن التنظيم، والتعاون المخلص وبارك للمؤتمرين اعمالهم وتمنى لهم النجاح والتوفيق.

واخذ الكلمة اثره القاضي اسماعيل الاكوع رئيس الهيئة العامة للاثار والمتاحف ودور الكتب بالجمهورية العربية اليمنية باسم الوفود العربية المشاركة في المؤتمر فحيا الحكومة والشعب الجزائري، واشاد بحسن الضيافة والقبول وما وهب الله للجزائر من جمال في الطبيعة وكرم في النفوس وارادة صادقة في النضال ثم تمنى للمؤتمر كل التوفيق وللجزائر المسلمة التقدم والازدهار.

أما ممثل اليونسكو، الدكتور منير بوشناقي، فقد نوه بالعلاقة المتينة بين منظمة اليونسكو والمنظمة العربية، واشتراكهما في العديد من المشاريع العلمية في المنطقة العربية.

ثم تناول الكلمة الدكتور توفيق اليوزبكي ممثل مكتب التربية العربي لدول الخليج، فنوه بالمؤتمر ورجاله، واشار الى أهمية هذه التظاهرة العلمية الكبيرة، ثم تكلم عن المشروعات الثقافية التي ينهض بها مكتب التربية العربي لدول الخليج.

وفي الختام تكلم الدكتور عطاء الله دهينة رئيس الوفد الجزائري ورئيس المؤتمر العاشر للاثار، فرحب بالضيوف من العلماء والباحثين في الاقطار العربية في بلدهم الثاني الجزائر، ثم تكلم عن اهتمام هذا البلد العربي بالتراث وأشار الى أن الحكومة ترصد الاموال الطائلة للعناية بالمعالم والمتاحف وتبذل جهدا مشكورا في تكوين الاطار في هذا الميدان حتى يتمكن من القيام بما يستحقه العدد الوافر من المعالم والمواقع التي تزخر بها البلاد من العناية والرعاية.

واثر كلمته رفعت الجلسة واتجه المشاركون الى افتتاح معرض للصور الاثرية اقيم بمناسبة انعقاد المؤتمر.

لجنة رؤساء الوفود

عقدت اللجنة الأولى المؤلفة من السادة رؤساء الوفود ثلاث جلسات :

الجلسة الأولى :

انعقدت الجلسة الأولى يوم الاثنين 1982/11/15 م قبيل افتتاح المؤتمر وأقرت برنامج المؤتمر ورؤساء اللجان العلمية ومقرريها ومشروع جدول أعمالها وكذلك لجنة الصياغة.

الجلسة الثانية :

اجتمعت يوم الثلاثاء 1982/11/16 م على الساعة 9 مساء وبعد افتتاح الجلسة تم استعراض التقارير الواردة من الدول العربية حول ما تم انجازه من توصيات المؤتمر التاسع وتقرير المنظمة عن الموقف التنفيذي لمشروعات الاثار ونظرت كذلك في القضايا المطروحة في جدول الاعمال.

الجلسة الثالثة :

اجتمعت يوم الاربعاء 1982/11/17 وواصلت اللجنة دراسة البنود المتبقية من جدول الاعمال ونظرت في القضايا والمشروعات وصادقت على التوصيات التي احالتها الى لجنة الصياغة.

الجلسات العلمية

عقد المؤتمرون اربع جلسات علمية وتم الاتفاق على أن يكون لكل جلسة منها رئيس ومقرر وكانت المحاور الاساسية المسكن والمدفن الا أن بعض المشاركين تناولوا قضايا أخرى على هامش هذه الدراسات التي قدم بعضها خبراء كلفتهم المنظمة وأخرى قدمها بعض أعضاء الوفود المشاركة.

الجلسة الأولى : يوم الاثنين 1982/11/16 من الساعة 9 ـ 12,30
الرئيس : الدكتور ابراهيم البغلي من الكويت
المقرر : الاستاذ فوزي زيادين من الاردن

استمع المؤتمرون والمشاركون خلال هذه الجلسة الى دراسات حول المسكن في البلاد العربية عبر العصور.

الجلسة الثانية : يوم الاثنين 1982/11/16 من الساعة 16 ـ 19,30
الرئيس : الدكتور عفيف بهنسي من سوريا
المقرر : الاستاذ محمد جاسم الخليفة من دولة قطر

استمع المؤتمرون والمشاركون خلال هذه الجلسة الى دراسات حول المسكن في العهد البيزنطي وفي العهد العثماني والى دراسات أخرى تناولت المدافن في فلسطين وسورية وبلاد ما بين النهرين وكذلك في المغرب الكبير.

الجلسة العلمية الثالثة : يوم الثلاثاء 1982/11/17 من الساعة 9 ـ 12,30
الرئيس : الدكتور حامد ابو درك من السعودية
المقرر : الدكتور عبد العزيز توري من المغرب

تمحورت المحاضرات خلال هذه الجلسة حول المدفن والتقاليد الجنائزية في البلاد العربية قبل الاسلام وبعده ومنها ما يتصل بما قبل التاريخ مما يبين أن البلاد العربية عرفت الحضارة منذ العصور الحجرية المتقدمة.

الجلسة العلمية الرابعة : يوم الثلاثاء 1982/11/17 في الساعة 16 ـ 19,30
الرئيس : الدكتور عبد الله السعيد شيبوب من ليبيا
المقرر : الدكتور معاوية ابراهيم (خبير)

استمع المؤتمرون والمشاركون في المؤتمر الى دراسات قدمها اصحابها على هامش المحورين الاساسيين (المسكن والمدفن) منها ما يتعلق بالمسالك والدروب قبل الاسلام وبعده ومنها بحوث تعرض حفريات واكتشافات حديثة.

قدمت هذه المجموعة الوافرة من المحاضرات والدراسات في جو من الاهتمام والعناية من المؤتمرين والمشاركين وأشفعت كل واحدة منها بنقاش زادها اثراء ونفعا، وقد تمكن المشاركون في هذا المؤتمر العاشر للاثار في البلاد العربية الى جانب الابعاد العلمية والفنية من دعم الروابط الانسانية وتبادل وجهات النظر في قضاياهم المشتركة وتبادل الاراء حول اساليب التعاون والتشاور في مشاكل البحث ونتائج الابحاث المختصة التي يقوم بها أكثر المشاركين مما ساعد ويساعد على تعميق الافاق وإثراء التجربة العربية الشابة.

ويؤكد الاعضاء على أهمية هذه الملتقيات المجمعية التي يجب أن تستمر وتتطور بحيث ما يمكن استنتاجه من تقييم كافة مؤتمرات المنظمة.

الموضوعات العلمية للمؤتمر

أ) البيت في العالم العربي

أكدت المحاضرات والبحوث التي تقدم بها العلماء والمختصون الى مؤتمر الاثار العاشر على أهمية ما يمتلكه العالم العربي من تراث هام في مجال بناء المسكن تجمع من نتاج الاف من السنين.

ولقد تخلفت عن عهود ما قبل الاسلام شواهد موغلة في القدم كشفت عنها أعمال التنقيب في المشرق والمغرب على السواء دلت على تقدم السكان القدماء في هذا المضمار وما بذلوه من جهد من أجل تطوير المسكن والارتقاء به.

كما أبرزت الدراسات والبحوث التطور الملحوظ الذي توصل اليه البيت في ظل الحضارة الاسلامية، بعد أن تأصلت فيه المبادىء والاسس المستمدة من الدين الاسلامي ومبادئه وما أحدثته الحضارة الاسلامية في المجتمع من اتجاهات جديدة في الاذواق والمفاهيم، يشهد عليها

ما تخلف من العهود الماضية من اطلال المدن والقصور التي تضم عناصر وشواهد متنوعة في مجال التخطيط الهندسي والعناصر المعمارية والزخرفية.

الا أن مجموعة كبيرة من البيوت المشيدة في القرون الاخيرة والتي لا تخلو منها مدينة عربية تؤلف الثورة الحقيقية للمساكن التي تم بناؤها عبر الاجيال لما يتجلى فيها من خصائص ومميزات.

ولقد غصت كتب الرحالة في الماضي من عرب واجانب بعبارات الاعجاب وسرد المحاسن، كما كانت موضع دراسات جدية في العديد من المؤلفات الحديثة وأبانت الدراسات والبحوث المقدمة الى المؤتمر بعد تحليل دقيق لخصائص هذه البيوت ما يتوفر في اقسامها المختلفة من المزايا والفوائد والقيم الفنية والعلمية.

ذلك أن البيت العربي الاسلامي في مرحلته الاخيرة قد جمع حصيلة الخبرات والتجارب التي مارسها الاجداد على مر القرون ليصبح البيت الذي تصبو اليه النفوس ويرضي سائر الرغبات والحاجات البشرية ويرضي الذوق الفني ويتلاءم مع الاقليم والمناخ بصفته وشكله بما حققه من حلول ومبتكرات واستخدمه من الموارد، وينسجم مع التقاليد الاجتماعية التي يحرص المواطن في العالم العربي على التمسك بها.

ومع الاسف الشديد فان هذا المسكن المثالي قد توقف النسج على منواله منذ أوائل هذا القرن وهجرت معظم البيوت الباقية وتهدم بعضها نتيجة لتطور النظام المعماري وتوسع المدن. وأصبح ما بقي من البيوت عرضة للخطر قبل أن تقدم السلطات الاثرية على حماية بعض منهاوتحمل مسؤولية صيانته وترميمه وتوظيفه في أغراض ثقافية وانسانية كي يبقى على مر الزمان وللاجيال المقبلة تراثا معماريا يدعو للفخر وشواهد محسوسة على نتاج هام مما انتجته الحضارة العربية الاسلامية في القرون الماضية في طريق ايجاد المسكن الافضل وتحقيق الحياة السعيدة.

وإذ يقدر المؤتمر للمنظمة العربية هذا الدور الهادف الى ابراز ما خلقه السلف في هذا المضمار يتجه الى أن يوصي المنظمة :

ـ بالعمل على اغناء موضوع المسكن العربي عبر العصور رغبة في ترسيخ مفهوم العنصر الجمالي في العمارة العربية.

ب) المدفن في العالم العربي :

استمع المشاركون في المؤتمر الى الابحاث العلمية التي قدمها الاساتذة وخبراء المنظمة مما مكنهم من الوقوف على أهمية المدافن عبر العصور في استكمال الصورة الحضارية في البلدان العربية.

وإيمانا من المؤتمر باهمية هذا المحور من الدراسات الاثرية يوصي بالحفاظ على جميع الوان المدافن سواء أكانت فوق سطح الارض أو محفورة في باطنها أو كانت أثرا منقولا وكذلك الكشف عنها ودراستها دراسة علمية متأنية ونشر نتائجها.

ج) المسالك والدروب :

تأكد للمشاركين في المؤتمر أهمية هذا النوع من الدراسات بعد أن استمعوا الى الابحاث القيمة التي أعدها خبراء المنظمة والمشاركون الاخرون حول هذا الموضوع حيث أن التعرف على المسالك والدروب يؤدي الى الاطلاع على كثير من المناطق التي لا تزال مجهولة وبالتالي على أهميتها الحضارية وتحديد دورها في تعميق الانتساب العربي الاسلامي.

وتحقيقا للفائدة العلمية المتوخاة من مثل هذه الدراسات يوصي المؤتمر المنظمة العربية بضرورة اعدادها في شكل كتاب ينشر موثقا بالصور والمخططات.

تقارير الدول عن أوضاع الآثار فيها

أولا :

استمع المؤتمر الى تقارير الدول الاعضاء في المنظمة عن أوضاع الاثار في بلادهم وهو اذ يقدر الجهود التي بذلتها تلك الدول في صيانة تراثها الاثري من خلال ترميم المباني الاثرية وانشاء المتاحف والتنقيبات وغيرها من نشاط.

وهو اذ يلاحظ عدم استجابة العدد الكافي من الدول العربية لاعداد هذه التقارير وحيث أن المنظمة ترغب دائما أن تتصل بالنشاطات الاثارية في الوطن العربي كاملة تتمنى أن تتلقى تقارير جميع الدول العربية دون استثناء، وفي الموعد الذي تحدده المنظمة كي تتمكن من تحليلها واستخلاص نتائجها لتتقدم بالعمل الاثري خطوات جديدة نحو الاهداف المرسومة.

تقرير المنظمة عن الموقف التنفيذي

ثانيا :

استمع المؤتمر الى تقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حول الموقف التنفيذي لمشروعات التراث التي تولت المنظمة العربية تنفيذها في الفترة ما بين المؤتمرين التاسع والعاشر وهو اذ يقدر الجهود الطيبة التي بذلتها المنظمة العربية في سبيل تنفيذ مشروعات التراث يوصي بمواصلة هذه الجهود الجادة الخيرة الهادفة الى صيانة تراث الامة العربية وادماجه في الحياة المعاصرة يرى :

أنَ في التوصيات الصادرة عن مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي في دورته الثالثة المنعقدة ببغداد بين 2 ـ 5 نوفمبر/تشرين الثاني 1981 ادراكا واعيا لقضايا التراث الثقافي على مستوى من المسؤولية في الوطن العربي ويوصي بتكثيف الجهود لوضع هذه التوصيات موضع التنفيذ.

ـ مدونة النقوش اليمنية :

اطلع المؤتمر على الخطوات التي قطعت حتى الان في انجاز مشروع مدونة النقوش اليمنية، ويدعو المنظمة الى مواصلة جهودها الرامية الى طبع الجزء المنجز منها في أقرب فرصة ممكنة.

ـ كتاب الفن العربي الاسلامي :

احيط المؤتمر علما بالخطوات التي قامت بها المنظمة نحو البدء في مشروع اعداد كتاب الفن العربي الاسلامي، من حيث تعيين مشرف علمي لهذا المشروع وحيث أن المؤتمر يؤكد على أهمية الكتاب في مراجعته النظرة التاريخية الى الفن العربي الاسلامي، يوصي بالاسراع في تكليف الباحثين، من أجل الاقلاع بالمشروع.

صيانة المدن العربية الاسلامية التاريخية وتراثها

1 ـ بعد فحص نتائج بعض الاستبانات التي اتصلت بها المنظمة، يرى المؤتمر متابعة تنفيذ توصيات اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف في دورتها الخامسة بنواكشوط، المتضمنة تخصيص خبراء محليين يستكملون الاستبانات التي لم تحرر بعد، ومراجعة الاستبانات القديمة بهدف اعداد دراسة شاملة عن أوضاع المدن التاريخية تقدمها المنظمة للنشر في صورة كتاب.

2 ـ احيط المؤتمر علما بالجهود التخطيطية التي انتهى اليها مشروع صيانة القيروان وتراثها ووصوله الى المراحل الميدانية التي يبدأ انجازها في وقت قريب ويسجل المؤتمر ارتياحه للخطوات المتبعة في دفع المشروع وتطويره ولما قامت به الجمهورية التونسية في اصدار مرسوم بقيام مركز رقادة لدراسة الحضارة والفنون الاسلامية الذي سيكون دعما ومستندا لمشروع القيروان.

3 ـ ينوه المؤتمر باسهام المدير العام للمنظمة في توجيه نداء من رحاب جامع القرويين بفاس لصيانة مدينة الادارسة والاشادة بمقامها الحضاري. ويدعو المنظمة أن تعمل على التعبئة العربية و الاسلامية لصالح المشروع وأن تنسق مع الجهات المعنية مساهمتها في صيانة بعض قطاعاته.

4 ـ يسجل المؤتمر بارتياح موقف المنظمة في الدعوة لصيانة المدن الموريتانية شنقيط وتيشيت وولاتة وودان، وذلك بمشاركة المدير العام للمنظمة في توجيه نداء من مدينة شنقيط في شهر فيفري 1981. ويهيب بالدول العربية أن تحدد مساهمتها في صيانة هذه المدن التراثية واحيائها.

5 ـ يتقدم المؤتمر الى السيد المدير العام للمنظمة أن يشارك بتوجيه نداء دولي لحماية مدينة صنعاء بمناسبة الحملة الدولية التي ستنطلق في وقت قريب.

وان تجد المنظمة الوسائل الكفيلة للاسهام في صيانة مدينة صنعاء وتراثها مساعدة منها في صيانة المدينة التاريخية.

6 ـ يقدر المؤتمر جهد المنظمة بايفاد خبير الى قلعة بني حماد بالجمهورية الجزائرية الذي وضع تقريرا فنيا شاملا عن المعالم ومشاكلها، ويوصي بمتابعة الجهد بتحقيق الخطوات التالية في سبيل ترميمها وصيانتها.

7 ـ يسجل المؤتمر بارتياح ما قدمته المنظمة من ايفاد خبير لدراسة مدينة تلمسان التاريخية وتدعو السلطات الاثرية والبلدية أن تعمل على المحافظة على الطراز المعماري المعبر عن شخصية المدينة وفنونها، وتحقيق التطابق بين الابنية المحددة وتقاليد المعمار التلمساني، وهو ما يجب اعتباره ايضا في كافة البلاد العربية وأن يقع الاهتمام بمشاكل صيانتها في اطار صيانة المدن العربية الاسلامية ...

8 ـ يدعو المؤتمر المنظمة لمناشدة الدول العربية بالعمل على مساندة مشروع مدينة شبام باليمن الديمقراطية الذي تتبناه اليونسكو وتعميم نداء الى الدول العربية والاسلامية.

ينوه المؤتمر بجهود السيد المدير العام للمنظمة التي يبذلها من أجل تسجيل مدينة القدس الشريف في قائمة التراث العالمي وكذلك بالجهود التي بذلت حتى الان من أجل تسجيل المدينة في قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر، ويدعو السيد المدير العام الى التدخل لدى المجلس الدولي للمباني والمواقع الاثرية (الايكوموس) لان يتحمل دوره الايجابي العادل لتسجيل مدينة القدس في قائمة التراث المهدد بالخطر.

سياسة أعداد الاطارات المختصة

يوصي المؤتمر المعماريين العرب أن يعنوا باعادة استكشاف تقاليد المعمار الذي عرفته أوطانهم عبر العصور وبخاصة العصر العربي الاسلامي وان يجددوا اعادة بعث التقاليد التي تطابقت من البيئة واستجابت لحاجيات حضارتهم سواء على مستوى الاشكال والاحجام أو المواد.

ـ ان تركز مديريات الاثار في الوطن العربي عنايتها واهتمامها على تأطير وتكوين المهندسين المختصين في المعمار التاريخي العربي ترميما وصيانة واحياء.

ـ ان يتعاون الأثريون والمهندسون العرب على إعداد مدونة تنسق فيها الجهود لتقديم نماذج وأنماط العمارة التاريخية على رقعة العالم العربي بطريقة المقارنة، بحيث تسجل المعالم والعناصر برسومها التحليلية مع تعريف تاريخي موجز وتحديد الموقع والتاريخ وتقديم تحليل

معماري وزخرفي يفيد المهندسين في أعمالهم الانشائية ويستلهمونه فيما يتجهون اليه من أعمال تخطيطية.

يوصي المؤتمر أن تركز الدول الاعضاء على تهيئة الكوادر المختصة وتوفير وسائل اعدادها على مستوى رفيع يهيئها لتحمل أمانة الامة العربية الاسلامية في صيانة تراثها وتفسيره وحفظه وتحريره من التبعية.

أولويات الصيانة

يوصي المؤتمر باعطاء الاولوية لصيانة التراث وحفظه ودراسته واحيائه، وصيانة المواقع التاريخية وتسجيلها ريثما تتوفر لها وسائل الحفظ وامكاناته، حتى تساير التنقيب وتصون مواده المستخرجة ومعالمه المكتشفة.

المخطوط العربي

يحدد المؤتمر دعوته لصيانة التراث العربي المخطوط الذي حافظت عليه صنعاء وسائر مراكز العلم في الجمهورية العربية اليمنية وما يتصف به هذا التراث من ندرة وثراء وتعبير عن عبقرية الفكر العربي الاسلامي في عهد ازدهاره واشعاعه.

ـ ينوه المؤتمر بالجهود التي تبذلها الهيئة العامة للاثار ودور الكتب بصنعاء في صيانة مخطوطات الرق المكتشفة بالجامع الكبير، ويدعو الى التعاون معها والافادة بالخبرة الفنية والفهرسة.

ـ يعيد المؤتمر توصيته برعاية المخطوط العربي الاسلامي، والتوجه لدراسة مشاكله باعتباره اثرا فنيا اثريا الى جانب ما يتضمنه نصه من محتوى فكري.

ـ ينوه بجهد الحكومة التونسية التي اصدرت في شهر اكتوبر 1982 قانونا لنقل أهم مجموعة من المخطوطات التاريخية الاثرية واقدمها لتستقر في مركز دراسة الحضارة والفنون الاسلامية برقادة بالقيروان.

القضايا والمشروعات المطروحة للبحث

الدليل الاثاري للمنطقة الخليج العربي

استمع المؤتمر الى ما عرضه ممثل مكتب التربية العربي لدول الخليج حول اعداد الدليل الاثاري لمنطقة الخليج العربي وأهميته لتلك المنطقة والعالم العربي، وإذ يرحب المؤتمر بتأليف مثل هذا الدليل الاثاري، يوصي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمواصلة التعاون مع المكتب المذكور لانجاز هذا المشروع الحيوي، كما يوصي الدول العربية بتقديم المؤازرة الفنية اللازمة له.

متحف الحضارة العربية

احيط المؤتمر علما بتوصيات اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف في دورتها الخامسة المنعقدة في نواكشوط 1981، واطلع على الوثيقة التي تقدم بها رئيس الوفد السوري حول استضافة المتحف، يوصي المؤتمر باستمرار الاتصالات بالسلطات السورية لتقديم دراسة ملف يوضح طاقة استيعابه وكلفته المالية ومهامه.

متحف طليطلة للاثار العربية

عرضت المنظمة العربية على المؤتمر الوثيقة التي اتصلت بها من اللجنة الوطنية السعودية للتربية والثقافة والعلوم حول استحداث مركز ثقافي ومتحف للاثار العربية في طليطلة، وأخذ علما بما اشارت اليه اللجنة في مذكرتها من احترازات حول استعمال دير وعدت باهدائه بلدية طليطلة، وبعد دراسة شاملة ومستفيضة للنتائج المترتبة أو المتوقع أن تجنيها الامة العربية من اقامة مثل هذه المراكز خارج الوطن العربي، يعرب المؤتمر عن :

1) الترحيب بمبدأ انشاء هذا المركز بطليطلة.
2) معاودة الاتصال بالجهات المعنية في المملكة العربية السعودية حول مقر المركز واستجلاء رأي السلطات الاسبانية في ذلك.

توحيد المصطلحات الاثرية

نظرا الى دور المصطلحات في النهوض بعلم الاثار والفنون تنقيبا وترميما وعرضا، يوصي المؤتمر باعارة هذا الموضوع الاهتمام الذي يجدر به وذلك بمواصلة الجهود، وعقد

ندوات مختصة يحضرها المعنيون من اثاريين ولغويين للاتفاق على مصطلحات موحدة، تتعهد الاقطار العربية باستعمالها ونشرها.

ويرى المؤتمر أن مشروع (القاموس الحضاري المتخصص) الذي تضمنه تقرير المملكة العربية السعودية و (قاموس اسماء المواقع الاثرية والجغرافية الفلسطينية) الذي قدم وفد فلسطين مذكرة بشأنه يدرجان في هذا الاطار.

حماية الاثار الفلسطينية

استمع المؤتمر من رئيس وفد فلسطين الى المخاطر التي تعرض لها التراث الثقافي الفلسطيني ويتعرض لها باستمرار في الارض المحتلة وخارجها كما اطلع على المشروعات الاثرية الفلسطينية التي عقدتها المنظمة بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية أو بدعم منها وهي :

1 ـ الندوة العالمية الاولى للاثار الفلسطينية

نظرا لما حققته الندوة من انجاز علمي على المستوى العربي والدولي وتساوقا مع توصيات اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف في دورتها الخامسة المنعقدة بنواكشوط في فيفري شباط عام 1981 وتوصية المؤتمر الثالث للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية المنعقدة ببغداد في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 1982 فان المؤتمر يوصي المنظمة العربية في هذا الاطار بما يلي :

أ) اعتماد موضوع انعقاد الندوة العالمية للاثار الفلسطينية والعمل على جعله مشروعا مستمرا من مشروعات المنظمة يجري التعاون في تنفيذه بين المنظمة ومركز الاثار الفلسطينية (دائرة الاعلام والثقافة) والجهات المختصة في البلد العربي الذي سيستضيف الندوة.

ب) رصد الاعتمادات اللازمة لاقامة الندوة في الدورة المالية للمنظمة 1984 ـ 1985.

ج) البدء، وحالما تسمح الظروف، باعداد الدراسات واجراء الاتصالات اللازمة لجمع المعلومات توطئة لتحديد موضوعات الندوة وذلك في اطار التعاون الملمح اليه في الفقرة (أ).

ـ ضرورة ان تبادر المنظمة الى طباعة اعمال الندوة العالمية الاولى بما أمكن من الضرورة توخيا لتعميم الفائدة التي حققتها وذلك بالتعاون مع جامعة حلب ومركز الاثار الفلسطينية هذا ويمكن الاتفاق مع دار نشر اجنبية اذا أمكن، لنشر النصوص التي القيت باللغة الانجليزية.

مركز الاثار الفلسطينية

أحيط المؤتمر علما بافتتاح المركز وبدء نشاطاته وهو اذ ينوه بالدعم المالي الذي قدمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واذ يقدر ما قامت به وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية المتمثل في تقديم مقر للمركز يوصي بما يلي :

أ) مواصلة دعم المركز بالخبرة القيمة والتجهيزات بصفة دورية كي يتمكن من المثابرة على القيام بمهامه.

ب) تنفيذ مشروعات مشتركة بينه وبين المنظمة تتعلق بالاثار الفلسطينية خاصة والعربية عامة.

ج) دعوة المنظمة ومديريات الاثار في الدول العربية بتقديم الدعم والمؤازرة في تنفيذ مشروعات المركز واتاحة الفرص امامه للقيام بمشروعات علمية مشتركة على أن يكون من بين تلك المشروعات دعم المؤسسات البلدية والقروية لاقامة متاحف محلية للاثار والتقاليد الشعبية.

الجمعية العربية لعلم النقائش

نظرا للثروة العلمية الكبيرة التي تقدمها النقائش التاريخية في كامل وطننا العربي.

ونظرا لان هذه المواد من أهم أدوات كتابة التاريخ الصحيح وتفسير الحضارة.

ونظرا للوفرة المتنوعة التي تكشف كل آن في رقعة بلادنا العربية.

ونظرا لندرة المتخصصين العرب الذين بامكانهم مواجهة مسؤولية هذا العبء الثقيل مما أدى الى أن يكون هذا الاختصاص وقفا على غير العرب، من العلماء الذين يستمدون اشعاعهم ومكانتهم من هذا التراث فان المؤتمر يوصي :

ـ أن تتولى المنظمة تبني المشروع المرفق لبعث جمعية عربية للنقائش على الوجه المفصل في مشروع النظام الاساسي المقدم الى المؤتمر من الوفد التونسي.

ـ أن تخصص المنظمة بعثات تخصصية في هذا القطاع حسب احتياجات الدول الاعضاء.

أن تعتبر المضي في خطة تهيئة الكوادر اسهاما حقيقيا في تحرير هذا القطاع المهم من التبعية وتعتبره جزءا مهما من استراتيجيتها الثقافية.

ـ أن يدعو الجامعات في البلاد العربية بالعناية بهذا الاختصاص والاسهام في تطويره واستغلاله لفائدة كتابة تاريخنا.

المراكز المختصة في صيانة التراث

أولا : المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية :

بعد الاستماع الى التوضيحات التي أدلى بها مدير المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية ببغداد، يشيد المؤتمر بالجهود القيمة التي يبذلها هذا المركز لصيانة التراث في الوطن العربي ويوصي :

1 ـ بدعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى مواصلة دعم المركز والتعاون معه بشأن انجاز بعض الدورات الدراسية والتدريبية لبعض أوجه مجالات المعرفة في العمارة والصيانة.

2 ـ بحث الدول العربية الاعضاء في المركز الاسراع في اخراج النظام الاساسي للمركز على أن يكون هذا النظام مصدقا من قبل كل دولة عربية عضوة لكي يتمكن المركز من تكوين قاعدة ادارية ومالية له وبشكل ثابت والمساهمة في نشاطاته وزيادة المساهمات السنوية فيه.

ثانيا : مشروع المركز العربي للترميم وصيانة التراث :

بعد أن اطلع المؤتمر على المشروع المقترح من وفد الجمهورية الجزائرية والخاص بتأسيس المركز العربي للترميم وصيانة التراث.

ونظرا لكثافة المسؤوليات ووفرة المعالم والتراث الذي يتطلب التدخل السريع بالانقاذ والصيانة في الجمهورية الجزائرية وفي منطقة المغرب العربي وفي الوطن العربي، ومشاركة في تحمل هذه الاعباء، وتنويعا للخبرات، وتوفيرا لمجالات جديدة للعمل.

يبارك المؤتمر الاتجاه الى انجاز مثل هذا المشروع ويوصي المنظمة بدعمه والاتصال بالسلطات الجزائرية لوضعه موضع التنفيذ.

ثالثا : المركز العربي لحماية التراث الثقافي في الاراضي العربية المحتلة :

يوصي المؤتمر ضرورة القيام بمثل هذا المركز الى أن تتحرر الاراضي العربية المحتلة ليتولى التنسيق بين الجهود التي تبذلها المنظمات والمؤسسات العربية والدولية في دراسة وحماية التراث الثقافي فيها.

وتنسيقا لتلك الجهود يوصي المؤتمر المنظمة العربية بالعمل على اتخاذ الخطوات الضرورية لتحقيق هذا المشروع.

مركز توثيق القدس الشريف وصيانة تراثه

يسجل المؤتمر بارتياح انشاء مركز مختص ضمن الامانة العامة لجامعة الدول العربية يعنى بتوثيق معالم القدس الشريف وصيانة تراثه.

ويدعو الدول العربية الى دعم هذا المركز بالتنسيق مع الجهات المعنية ويدعو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تعمل على التعبئة العربية العلمية والفنية لصالحه.

مركز الابحاث الفلسطينية

يدعو المؤتمر المنظمة العربية والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي الى المساهمة في اعادة بناء مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية ببيروت التي تعرضت للسرقة من قبل جنود الاحتلال الصهيوني عند احتلالها الغادر لبيروت.

المؤتمر الحادي عشر للاثار

درس المؤتمر الاقتراحات المقدمة حول موضوع المؤتمر الحادي عشر وزمانه ومكانه ورأى احالة الموضوع الى اللجنة الدائمة للاثار والمتاحف المزمع عقد دورتها السادسة في المنامة يثري رأيها فيه مع الاخذ بعين الاعتبار اتجاه المنظمة الى التركيز على موضوع محتوى لكل مؤتمر والى قصر اعماله على الجانب العلمي فيه.

توصيات عامة

نظر المؤتمر في التوصيات التي اقترحها المشاركون حول بعض الموضوعات التي لم تكن مدرجة في برنامج أعماله.

يوصي بشأنها بما يلي :

1) يؤكد المؤتمر على التوصيات السابقة ويدعو الدول العربية بضرورة المبادرة الى المشاركة في منظمتي الايكروم والايكوموس حتى لا يترك ذلك الميدان الى أعداء الامة العربية وفي مقدمتها العدو الصهيوني العنصري كما يؤكد على ضرورة تكثيف الحضور العربي في المؤتمرات العلمية والمهنية التي تعقد في الاطار الدولي.

2) يوصي المشاركون بالمؤتمر وقد ارتفعت فيهم اعداد الباحثين الشباب بضرورة العناية بتدريب هؤلاء الشباب ومساعدتهم على مواصلة بحوثهم الاثرية وذلك بتخصيص منح دراسة تمثل هذه الغاية، كما يوصي بتوفير الامكانيات لهم لتبادل الخبرات والتجارب من خلال الجولات الاستطلاعية والمؤتمرات العربية والدولية.

3) يوصي المؤتمر المنظمة العربية بالسير قدما في الجهود التي تبذلها في سعيها الى استرجاع القطع الاثرية التي مصدرها البلاد العربية وتسربت الى خارجها بطريقة غير شرعية.

4) يوصي المؤتمر المنظمة العربية باحياء مشروع اقامة اتحاد للاثريين العرب العاملين في حقل الصيانة والمتاحف والتنقيبات.

5) يدعو المؤتمر الدول العربية والمنظمة العربية الى تشجيع ايفاد بعثات عربية مشتركة لاعمال التنقيب الاثري والصيانة والدراسات.

6) يوصي المؤتمر المنظمة العربية بدعم التوصية التي اتخذتها اللجنة الدائمة للاثار في دورتها الخامسة (1981) والمتضمنة اصدار نشرة احصائية حول نشاطات مديريات الاثار في البلاد العربية تشمل التنقيب الاثري والاعمال المتحفية وصيانة المدن التاريخية والمباني الاثرية.

7) يوصي المؤتمر المنظمة العربية بضرورة الاهتمام بعقد ندوات تخصصية في فرع من فروع التراث، كأن تعمل على اقامة ندوة للكتابات والنقوش والمسكوكات والخزف والمخطوطات وغيرها.

8) أن تقوم المنظمة العربية بتقديم المؤازرة الممكنة لحكومة المملكة الاردنية الهاشمية بالتنسيق مع منظمة اليونسكو والمركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في بغداد لانقاذ مدافن قويلبة ـ ابيلا المزينة بالرسوم الجدارية الملونة التى تتعرض للتلف وذلك بتقديم الخبراء في الترميم والمساهمة كليا في تلك الجهود ان أمكن ذلك.

9) يدعو المؤتمر حكومة المملكة الاردنية الهاشمية للمحافظة على المنازل القديمة في مدن عمان والسلط والعقبة.

نداء من المؤتمر العاشر

نـــــداء

نداء من المؤتمر العاشر للاثار في البلاد العربية المنعقد في مدينة تلمسان بالجمهورية الجزائرية في الفترة ما بين 29 محرم و 3 صفر 1403 الموافق 15 ـ 18 نوفمبر/تشرين الثاني 1982 والذي يضم علماء الاثار وخبراءها في الوطن العربي وقد ناقش المؤتمر مشكلات الاثار في الوطن العربي وخاصة ما يتصل منها بموضوعات المسكن والمدفن والمسالك والدروب.

والمؤتمر وهو يضم علماء الاثار والمعنيين بالتراث بشكل عام في الوطن العربي يرى من واجبه أن يشجب ويندد بعنف بالاعمال الخطيرة التي تقوم بها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة من اهمال وتدمير واستلاب للمقومات الثقافية للشعب العربي الفلسطيني مخالفة بذلك الاتفاقات والتوصيات الدولية التي تقضي حماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاع المسلح وخاصة اتفاقية لاهاي لعام 1804 وقرارات الامم المتحدة والمنظمة الدولية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

كما يندد بالاعمال التخريبية التي قامت بها سلطات الاحتلال الصهيوني خلال اجتياحها للجنوب اللبناني والعاصمة اللبنانية حيث أقدمت على تنقيبات اثرية في موقع قبر حيرام في حانوية وغيره من المواقع على أمل اكتشاف آثار لها علاقة باليهود القدماء، هذا الى جانب القصف المركزي للمواقع الاثرية والاحياء التاريخية في صيدا وصور وبناية المتحف الوطني في بيروت كما قامت بسرقة كل الاثار التي وصلت ايديها اليها في مخازن المديرية العامة للاثار هذا بالاضافة الى سرقة كافة محتويات مركز الدراسات الفلسطينية في بيروت كما منعت ولا تزال تمنع السلطات الاثرية اللبنانية من ممارسة مهامها في صيانة المباني الاثرية التي دمرتها حربها المجنونة ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني.

والمؤتمر وهو يشجب هذه الاعمال ويندد بمرتكبيها يناشد المنظمات الثقافية والمؤسسات العلمية والاثرية الدولية وشعوب العالم كافة أن تتعاون على ايقاف هذه الاعمال التي ترتكبها اسرائيل الموجهة الى التراث العربي بقدر ما هو موجه الى التراث العالمي والحضارة الانسانية، كذلك يهيب بجميع العلماء والجامعات والاوساط العلمية أن تمتنع عن الاشتراك مع سلطات الاحتلال الاسرائيلي في اجراء التنقيبات الاثرية في المناطق العربية المحتلة والقيام بالدراسات التاريخية التي تشمل تلك الاراضي تحقيقا للامانة العلمية واستجابة لدواعي الكرامة

الفكرية في الحيلولة دون استشراء العدوان الصارخ على الحضارة الانسانية والموروثات الثقافية، وتوثيقا لاسباب التعاون بين هؤلاء العلماء، وتلك الجامعات والاوساط العلمية وبين البلاد العربية في المحافظة على هذا التراث.

هذا ويوصي المؤتمر المنظمة العربية بارسال هذا النداء الى الامين العام للامم المتحدة، والامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية، والمدير العام لليونسكو والمجلس الدولي للمتاحف (الايكروم) والمجلس الدولي للمباني والمواقع الاثرية (الايكوموس) والى اتحاد الجامعات العربية وإتحاد الجامعات التي تدرس كلا أو بعضا باللغة الفرنسية والامانة العامة لدول عدم الانحياز والمركز الدولي لترميم وصيانة الممتلكات الثقافية في روما والمركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية ببغداد.

بـــرقيـــــة
الى فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية

بــرقيـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

ان أعضاء المؤتمر العربي العاشر للاثار يشاركهم الاستاذ الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد اجتمعوا في مدينة تلمسان العريقة، قادمين من أطراف الارض العربية الواسعة، يسعدهم في نهاية أعمال مؤتمرهم أن يتقدموا الى فخامتكم والى حكومتكم الموقرة والى الشعب الجزائري الشقيق بوافر الشكر والامتنان على الرعاية الكريمة، وحسن الضيافة لمؤتمرهم، الذي تعودوا أن يعقدوه كل عامين في احدى العواصم العربية تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وأعضاء المؤتمر يعلنون عن تقديرهم العالي لحسن التنظيم والادارة والتعاون الذي وفرته حكومتكم الموقرة، سعيا الى انجاح المؤتمر، خدمة للثقافة العربية الاسلامية.

ويشيدون بالخطوات البناءة المخلصة التي تخطوها الجزائر في سبيل دعم العروبة والاسلام في هذه الربوع، ويباركون الجهود الموفقة التي تقدمها حكومتكم لدعم الاثار وحمايتها، وصيانتها، سدد الله خطاكم.

السلام عليكم ورحمة الله

الملاحق

المحتوى

قائمـة

بأسماء السادة أعضاء وفود الدول العربية

والمنظمات العربية والدولية

الدول العربية :

- المملكة الاردنية الهاشمية	الدكتور فوزي زيادين
- دولة الامارات العربية المتحدة	الاستاذ ناصر حسين العبودي
- الجمهورية التونسية	الدكتور محمد فنطر
	الاستاذ عزالدين باش شاوش
	الاستاذ خالد بن رمضان
	الاستاذ عبد الحكيم القفصي
	الاستاذ علي مطيمط
	الاستاذ محمد الباجي بن مامي
	الاستاذ الحبيب بن حسن
- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية	الدكتور عطاء الله دهينة
	الدكتور محمد الطاهر عدواني
	الدكتور رشيد بوروبية
	الدكتور ناصر الدين سعيدوني
	الدكتورة فطيمة قادرية قادرة
	الدكتور السعيد الدجماني
	الدكتور عبد الحميد حاجيات
	الاستاذ سيد أحمد كزرابي
	الاستاذ عبد الرحمن خليفة
- دولة الكويت	الدكتور ابراهيم البغلي
- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية	الدكتور عبد الله سعيد شيبوب
	الدكتور علي البلوش
	الاستاذ جمعة محمد العيناق
	الاستاذ مفتاح بن طاهر

ـ دولة قطر	الاستاذ محمد جاسم الخليفي. الدكتور نبيل صاروفيم
ـ فلسطين	الدكتور شوقي شعث
ـ المملكة العربية السعودية	الدكتور حامد أبو درك الاستاذ علي صالح المغنم الاستاذ جمال سراج علي الاستاذ عبد الله السعود الاستاذ خالد السكوني
ـ الجمهورية العربية السورية	الدكتور عفيف بهنسي الاستاذ حسن كمال
ـ الجمهورية العربية اليمنية	الاستاذ القاضي اسماعيل الاكوع

المنظمات العربية والدولية :

ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج	الدكتور توفيق اليوزبكي
ـ مكتب صيانة الممتلكات الثقافية	الدكتور طارق مظلوم
ـ منظمة اليونسكو	الدكتور منير بوشناقي

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ـ الدكتور محيى الدين صابر	المدير العام
ـ الدكتور صالح خرفي	مدير ادارة الثقافة
ـ الاستاذ ابراهيم شبوح	خبير المنظمة ـ مدير مشروع صيانة القيروان
ـ الاستاذ محمد الشابي	خبير المنظمة في قسم التراث
ـ الاستاذ بشير عثمان بشير	ادارة الشؤون المالية والادارية
ـ الاستاذ محمد أحمد القابسي	مكتب المدير العام
ـ السيد عبد الفتاح العيساوي	ادارة الثقافة

خبراء المنظمة :

- الدكتور محمد فنطر
- الدكتور عبد القادر الريحاوي
- الدكتور شوقي شعث
- الدكتور معاوية ابراهيم

برنـامـج المـؤتمـر

البرنامج اليومي

السبت : 1982/11/13 ـ الوصول إلى الجزائر والنزول بفندق (ماء الزعفران بزير الدا)

الأحد : 1982/11/14

الساعة : 7.00 ـ التوجه نحو مدينة الشلف (الاصنام) ثم (مستغانم) ـ تناول الغداء بها

الساعة : 16.00 ـ التوجه نحو وهران وتناول العشاء والمبيت بالمجمع السياحي الاندلس

الاثنين : 1982/11/15

الساعة : 8.00 ـ التوجه نحو تلمسان ـ النزول بفندق الزيانيين

الساعة : 15.30 الجلسة الأولى للجنة الأولى : اقرار برنامج المؤتمر ورؤساء اللجان العلمية ومقرريها ومشروع جدول أعمالها ولجنة الصياغة

الساعة : 16.30 ـ افتتاح المؤتمر العاشر للآثار

الساعة : 18.00 ـ تدشين معرض الآثار

الثلاثاء : 1982/11/16

الساعة : 9.00

حتى 12.30 ـ الجلسة العلمية الأولى

الساعة : 16.00

حتى 19.30 ـ الجلسة العلمية الثانية

الاربعاء : 1982/11/17

الساعة : 9.00

حتى 12.30 ـ الجلسة العلمية الثالثة

الساعة : 16.00

حتى 19.30 ـ الجلسة العلمية الرابعة

الخميس : 1982/11/18 ـ (صباحا) التوجه إلى حنين، وبني صاف، وسيق ما عدا لجنة الصياغة

الساعة : 18.00 ـ (مساء) الجلسة الختامية للمؤتمر

الدعـــوات

الاثنين : 1982/11/15 الساعة : 20.00

ـ دعوة عشاء من الاستاذ عبد المجيد مزيان وزير الثقافة في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية على شرف المؤتمر بفندق الزيانيين.

الثلاثاء : 1982/11/16 الساعة : 13.00

ـ دعوة غداء من الاستاذ الدكتور محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على شرف المؤتمر بفندق الزيانيين.

البرنامج السياحي

الجمعة : 1982/11/19 الساعة : 9.00

ـ الجولة السياحية (جولة بمدينة تلمسان وزيارة المناطق الاثرية : المنصورة، سيدي بومدين، أغادير، الرجوع إلى الفندق وتناول الغداء)

بعد الظهر

جولة حرّة

السبت : 1982/11/20 الساعة : 7.00

ـ التوجه إلى الجزائر العاصمة ـ الغداء بمستغانم.

الأحد : 1982/11/21 يوم حُرّ في الجزائر

الاثنين : 1982/11/22 مغادرة الوفود

نظام العمل في المؤتمر

أولا ـ جلسات المؤتمر :

ـ تعقد جلسات المؤتمر صباحا ومساء
ـ يعقد المؤتمر جلساته الصباحية من الساعة 9 الى الساعة 12,30 دقيقة
ـ يعقد المؤتمر جلساته المسائية من الساعة 16 الى الساعة 19,30 دقيقة
ـ يعقد المؤتمر أربع جلسات علمية بالاضافة الى جلستي الافتتاح والاختتام
ـ تتخلل كل جلسة علمية فترة مناقشة واستراحة لمدة 30 دقيقة.

ثانيا ـ لجان المؤتمر :

تتفرع عن المؤتمر ثلاثة لجان :
ـ الأولى : لجنة الاجراءات التنظيمية والقضايا المطروحة للبحث
ـ الثانية : لجنة البحوث والدراسات
ـ الثالثة : لجنة الصياغة.

اللجنة الأولى :

ـ تتألف من رؤساء الوفود أو من ينوب عنهم
ـ تهتم بالفقرتين (أولا) و (ثالثا) من محاور اعمال المؤتمر.

اللجنة الثانية :

ـ مفتوحة لجميع اعضاء المؤتمر
ـ تهتم بالبند (ثانيا) عن محاور أعمال المؤتمر.

اللجنة الثالثة :

تتألف من :
ـ رئيس المؤتمر ونائب الرئيس والمقرر العام.
ـ رئيس اللجنة الأولى ومقررها.
ـ رؤساء الجلسات العلمية ومقرريها والمنظمة.

ثالثا ـ رئاسة الجلسات :

ـ تنتخب لجنة رؤساء الوفود (اللجنة الاولى) رئيس المؤتمر ونائب الرئيس
ـ والمقرر العام
ـ تنتخب اللجنة الأولى رئيسها ومقررها
ـ تقترح اللجنة الأولى رؤساء الجلسات العلمية ومقرريها.

رابعا ـ عرض الابحاث والدراسات :

تعرض الابحاث في ملخص لا يتجاوز 15 دقيقة بما في ذلك الصور التوضيحية.

خامسا : المناقشات :

يخصص نصف ساعة للمناقشة قبل فترة الاستراحة وقبل انتهاء الجلسة.

سادسا ـ ملاحظة أساسية :

ـ تقدم مشاريع التوصيات والمقترحات الى لجنة الصياغة مكتوبة.

محاور أعمال المؤتمر

أولا ـ التقارير :

1) تقارير الدول الاعضاء عن أوضاع الاثار في بلادها (عرض ومناقشة).
2) تقرير المنظمة في الموقف التنفيذي (مشروعات التراث بين المؤتمرين التاسع والعاشر (عرض ومناقشة).

ثانيا ـ الدراسات :

1) الدراسات المتخصصة في الموضوع الرئيسي للمؤتمر (المسكن والمدفن).
2) الدراسات المتنوعة اذا لم يتسع الوقت لعرضها توزع على أعضاء المؤتمر وتضمن في الكتاب الذي يصدر عن المؤتمر.
3) **القضايا والمشروعات المطروحة للبحث :**

1 ـ صيانة المدن التاريخية (دراسة تحليلية)
2 ـ الدليل الاثري لمنطقة الخليج العربي (مكتب التربية العربي لدول الخليج)

3 ـ متحف الحضارة العربية (الجمهورية العربية السورية)
4 ـ متحف للاثار العربية في طليطلة (المملكة العربية السعودية)
5 ـ القاموس الحضاري المتخصص (المملكة العربية السعودية)
6 ـ الجمعية العربية لعلم النقائش (الجمهورية التونسية)
7 ـ حماية الاثار الفلسطينية
8 ـ المركز العربي لصيانة وترميم التراث (الجمهورية الجزائرية)
9 ـ المؤتمر الحادي عشر للاثار.

برنامج الجلسة الافتتاحية

ـ القرآن الكريم
ـ كلمة الامين العام لمحافظة حزب جبهة التحرير الوطني بتلمسان
السيد الحاج محمد الصغير عبد الصمد
ـ كلمة السيد وزير الثقافة
الدكتور عبد المجيد مزيان
ـ كلمة السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الدكتور محيى الدين صابر
ـ كلمة الوفود العربية الى المؤتمر العاشر للاثار يلقيها بالنيابة
الاستاذ القاضي اسماعيل الاكوع ممثل الجمهورية العربية اليمنية
رئيس المؤتمر التاسع للاثار بصنعاء
ـ كلمة منظمة اليونسكو يلقيها المسؤول عن القسم العربي في مديرية التراث الثقافي
باليونسكو الاستاذ منير بوشناقي
ـ كلمة مكتب التربية العربي لدول الخليج
الدكتور توفيق اليوزبكي
ـ كلمة رئاسة المؤتمر العاشر للاثار يلقيها الدكتور عطا الله دهينة
رئيس الوفد الجزائري ورئيس دائرة الدراسات التاريخية والاثرية بجامعة الجزائر.

برنامج توزيع المسؤوليات

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الأولى :

عقد رؤساء الوفود في المؤتمر العاشر للاثار جلسة أولى يوم الاثنين 1982/11/15 على الساعة الثالثة ظهرا لمناقشة برنامج سير الاعمال الادارية والجلسات العلمية وتوزيع المسؤوليات فتم الاتفاق على أن تسند رئاسة المؤتمر الى رئيس وفد الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ومهام المقرر العام الى رئيس وفد فلسطين.

وبناء على ذلك تكون مكتب المؤتمر كالاتي :

الرئيس	:	الاستاذ دهينة عطاء الله	(الجزائر)
نائب الرئيس	:	القاضي اسماعيل الاكوع	(اليمن الشمالي)
المقرر العام	:	الدكتور شوقي شعث	(فلسطين)

وتكونت لجنتان كما يلي :

اللجنة الأولى :

الرئيس	:	الاستاذ الدكتور دهينة عطاء الله	(الجزائر)
المقرر	:	الدكتور محمد فنطر	(تونس)

الجلسات العلمية

الجلسة الأولى :

الرئيس	:	الاستاذ ابراهيم البغلي	(الكويت)
المقرر	:	الاستاذ فوزي زيادين	(الاردن)

الجلسة الثانية :

الرئيس	:	الدكتور عفيف بهنسي	(سوريا)
المقرر	:	الاستاذ محمد جاسم الخليفة	(قطر)

الجلسة الثالثة :

الرئيس	:	الدكتور حامد أبو درك	(السعودية)
المقرر	:	الدكتور عبد العزيز توري	(المغرب)

الجلسة الرابعة :

الرئيس	:	الدكتور عبد الله شيبوب	(ليبيا)
المقرر	:	الدكتور معاوية ابراهيم	(خبير)

برنامج الجلسات العلمية

الجلسة العلمية الأولى

الثلاثاء 1982/11/16 الساعة : 9.00 ـ 12.30

- البيت في المشرق الاسلامي — الدكتور عبد القادر الريحاوي
- تطور البيت في شمال افريقيا — الدكتور عبد الله سعيد شيبوب
- المباني المدنية في المغرب والاندلس — الدكتور دهينة عطاء الله
- بيوت سدرتة — الدكتور رشيد بورويبة

مناقشة

فترة استراحة

الثلاثاء 1982/11/16 الساعة : 16.00 ـ 19.30

- المدخل الى المسكن العربي الاسلامي — الاستاذ محمد الطيب عقاب
- دراسة حول قصر بيزنطي بتبسة — الاستاذ علي سلطاني
- المدفن في سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين — الدكتور معاوية ابراهيم

مناقشة

فترة استراحة

- المدافن في شمال افريقيا وسائر المغرب — الدكتور محمد فنطر
- المدفن في ليبيا — الاستاذ مفتاح حسن بن طاهر
- الاضرحة البربرية (الجدار) — الانسة فطيمة قادرة

مناقشة

انتهاء الجلسة

الجلسة العلمية الثانية

الاربعاء 1982/11/17 الساعة : 9.00 ـ 12.30

- انصاب شرشال الجنائزية — الاستاذ محمد خير أورفة لي
- شواهد افريقية في القرن 6 هـ — الاستاذ خالد بن رمضان

ـ محاولة لدراسة بعض شواهد قبور أندلسية — الاستاذ عبد الحكيم القفصي
ـ مدافن قبل الاسلام بشمال افريقيا — الاستاذ فرحات نجيب

مناقشة

فترة استراحة

ـ شواهد حضارية لتاريخ ما قبل الاسلام — الاستاذ على صالح المغنم
ـ عالم الاحياء وعالم الاموات — الانسة حينات أوماسيب
ـ العادات 'المأتمية في منطقة مكثر في فجر التاريخ — الاستاذ علي مطميط
ـ التربات وبعض أماكن الدفن بمدينة تونس — الدكتور محمد الباجي بن مامي

مناقشة

انتهاء الجلسة

الجلسة العلمية الثالثة

الاربعاء 1982/11/17 الساعة : 16.00 ـ 19.30

ـ المسالك والدروب في الهضاب العليا — الاستاذ الدكتور ناصر الدين السعيدوني
ـ المسالك والدورب — الاستاذ عبد الحميد حاجيات
ـ استكشافات أثرية في العصر الحجري القديم بالمنطقة الوسطى بالمملكة العربية السعودية — الاستاذ جمال الدين صالح سراج علي
ـ التخوم الرومانية في الجزائر — الاستاذ الشنيتي بشير

مناقشة

فترة استراحة

ـ حول مخطط اغادير ـ تلمسان — الاستاذ سعيد دحماني
ـ نتائج حفريات شرشال — الاستاذة نصيرة بن الصديق
ـ الطرق البحرية — الاستاذ بلغراد

مناقشة

انتهاء الجلسة

كلمـــة

الاستاذ محمد الصغير عبد الصمد

ممثل حزب جبهة التحرير الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي وزير الثقافة
أخي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
اخواني الضيوف الكرام
أيها الاخوة والاخوات

باسم حزب جبهة التحرير الوطن وباسمي الخاص وباسم السلطات المحلية أرحب بكم جميعا في مدينة تلمسان، متمنيا لكم اقامة طيبة ولمؤتمركم العاشر كامل النجاح والتوفيق.

ولا يفوتني في مستهل هذه الكلمة الوجيزة أن أتوجه بالشكر الى الاخوة المشرفين على تنظيم المؤتمر العاشر للاثاريين العرب على اختيارهم مدينة تلمسان لاحتضان هذا المؤتمر العلمي والتاريخي الهام، وبذلك أتاحوا لتلمسان أن تضيف صفحة جديدة الى صفحات تاريخها الفكري والحضاري المشرق الذي ستتعرفون على بعض ما تزخر به من معالم وآثار تاريخية تبرز الدور الكبير الذي اضطلعت به تلمسان عبر العصور التاريخية باسهاماتها الكثيرة في بناء حضارة هذا الوطن الكبير والتي لا تزال ماثلة للعيان.

أيها الاخوة

انه لشرف عظيم أن تستقبل مدينة تلمسان العريقة وأن تنظم بها تظاهرتان فكريتان كبيرتان خلال سنة واحدة ألا وهما الملتقى السادس عشر للفكر الاسلامي وثانيهما المؤتمر العاشر للاثريين العرب.

هذا المؤتمر الذي سيساهم دون شك في اثراء وتطور هذا النوع من العلوم التي لا تزال بحاجة ماسة الى بذل المزيد من الجهد والعمل المتواصل من أجل تطور وتعميق الدراسات والبحوث التي ترتبط بهذا الميدان الخصب الذي يجسد اصالتنا ومقومات شخصيتنا.

أيها الاخوة

لقد حرص الاستعمار طيلة وجوده على الاهتمام بالاثار الرومانية بالبحث عنها وصيانتها واقامة الدراسات العديدة حولها وذلك لتحقيق أغراضه الاستعمارية الصليبية، ومقابل ذلك

عمل بكل قواه على اهمال وطمس المعالم الاثرية والتاريخية ذات الطابع الوطني وخاصة منها معالم الحضارة العربية الاسلامية.

وحرص كل الحرص على دك أركانها في محاولة منه لطمس تاريخنا وحضارتنا ورغم ذلك فان عراقة شعبنا وتمسكه بمقومات شخصيته وأصالة ثورتنا واختياراتها الاساسية، استطاعت الحفاظ على المكاسب التاريخية التي تعد الدليل المادي القاطع على ما بلغته حضارتنا من تطور وتقدم في جميع الميادين ولذلك فان هذا النوع من الاثار والمعالم في حاجة ماسة أكثر الى الاهتمام البالغ والعناية الفائقة لان معالم عديدة منه تتطلب الكثير من البحوث والدراسات والصيانة، في حين أن أماكن أثرية أخرى تتطلب التنقيب عنها لاكتشافها وابراز معالمها.

أيها الاخوة

ان ولاية تلمسان غنية بالمعالم الاثرية وبقايا المراكز العمرانية التاريخية منها ما هو في حاجة الى الصيانة والدراسة كأثار مدينة تلمسان وندرومة وهنين وتاونت وسيقة وغيرها، ومنها ما هو في حاجة الى التنقيب والبحث كترنانة وتيزيل وموانييء مصكاك وتابحريت وتافرجنيت وغيرها من الاثار التي لا بدّ أن نوليها عناية خاصة نظرا لاهميتها الحضارية والتاريخية والقومية.

وأخيرا أجدد ترحيبي بكل الحاضَرين في هذا المؤتمر وتمنياتي بالنجاح والتوفيق لاعماله.

وفقنا الله لما فيه خيرا أمتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كلمــــة

الاستاذ الدكتور عبد المجيد مزيان

وزير الثقافة بالجمهورية الجزائرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي المدير العام،
أخي المحافظ،
سيدي الوالي،
زملائي الاساتذة،
سيداتي وسادتي،

انه لمن دواعي الاعتزاز بوحدتنا الثقافية الممتدة حقا من الخليج الى المحيط، ان نجتمع بعد ملتقانا في صنعاء بمدينة من المغرب العربي، أهلت بعد مشاورتكم لان نحتضن هذا المؤتمر العاشر للاثريين العرب.

ان مدينة تلمسان الزاخرة بالاثار التي ستشاهدونها بأنفسكم أثناء الجولات العلمية المخصصة لكم، لترحب بكم نيابة عن كل الجزائر شعبا وحزبا وحكومة، ترحيب الاخوة والاكبار للعلم، والمودة في القربى العربية الاسلامية.

ان الموضوع الذي سيعتكف على دراسته في هذا الملتقى وهو المسكن والمدفن موضوع بالغ الاهمية، لان هذين النوعين من الاثار يكونان بالتقريب ثلث الاثار في البلاد العربية، بينما يكون المسجد والمدرسة والحصن الثلثين الاخيرين، اذا كانت العناية بالاثار الدينية والعلمية تحرك همم المواطنين الى المحافظة والترميم بالاضافة الى عناية الدول، فان المساكن والمدافن قد تكون في كثير من الاحيان عرضة للاهمال والخراب فالوازع الديني يؤدي الى توقيف الاوقاف وجمع التبرعات وتعبئة المتطوعين من رجال الفن للسهر على المسجد والمدرسة يكاد يكون منعدما بالنسبة للاثار الاخرى، فعلينا كرجال علم أن ننبه الى أهمية كل اثر حضاري شيدته الاجيال والامم السابقة على ترابنا، وعلينا كمسؤولين أن نعمل كل ما في وسعنا لانقاذ هذا التراث الثقافي لفائدة الاجيال الحاضرة والآتية.

ان الجهود التي بذلت في السنين الاخيرة من طرف الحكومات والعلماء ببلادنا العربية لما يدل على وعينا الشامل بالموضوع وقد انتبه الرأي العام العالمي الى معالمنا الحضارية، بل انتبه الى أن بلادنا هي مهد كل حضارات العالم بدليل الاثار القائمة والكنوز الثقافية التي تكتشف كل يوم.

اننا في هذه الظروف الحالكة التي هي ظروف محنة سياسية وعسكرية كبرى بالنسبة لقضايانا الأولية بعيدين كل البعد عن موقف المفاخرة بالماضي، ولكننا نعيش الطور الصعب الذي هو طور انقاذ كياننا الحضاري بجميع ابعاده الثقافية وخصوصا في أساسيات هويتنا التي هي تاريخنا بمعالمه وبالادلة المادية والفكرية المعبرة عنه.

ان كل اهمال أو خراب يعتري أقل جزء من التراث المحلي ببلد عربي انما هو نكبة للتراث العربي والانساني بأجمعه من أجل هذا نؤكد كما أكدنا في الملتقيات الماضية على توحيد المخططات وتبادل الخبرة وجمع الامكانيات في هذا الميدان المهم من نشاطنا العلمي.

ومن حسن حظنا أن السلطات في جميع أقطارنا تولي هذا الموضوع أسبقية خاصة، لكن المناخ الاجتماعي المتأخر في كثير من الاحيان عن هذه اليقظة الحكومية والغفلة الشعبية عن أهمية الاثار كثيرا ما يؤديان وقد أديا بالفعل الى الاهمال وبعض التخريب.

لن أذكر الامثلة في هذا الميدان لان ذلك من اختصاص الباحثين، الذين توجد لديهم كل الاحصاءات ولكني أعطي لمحة موجزة عن بعض الوضعيات التي تقتضي توحيد النظرة والمجهود فيما بيننا وذلك انطلاقا من تجربتنا الجزائرية في الابحاث والاعمال الاثرية.

ان خطتنا لا تهم اليوم احصاء ما حققناه بقدر ما تهم احصاء ما يجب تحقيقه من الكشف والتنقيب والصيانة والترميم والدراسة والاستغلال الثقافي للاثار.

فاذا أخذنا الاوضاع القانونية مثلا وجدنا أن ما يربو على الثلاثمائة موقع ومدينة وبناء أثري وقع تصنيفها ووصفها وحمايتها بموجب القانون مع سرد العقوبات الصارمة التي يمكن تطبيقها على المخربين أو المغيرين للاثار وهذا أرضية تشريعية ذات أهمية كبرى لكن بعض مظاهر التخريب لا زالت تشاهد في كثير من البقاع والمباني الاثرية، مما يدل على عدم التوافق والتتابع بين القوانين وسلوك المواطنين، والصعوبات هنا ذات وجوه متعددة فمنها عدم القدرة على تجنيد الاف الحراس الاكفاء والمحصلين على سلطة المتابعة المماثلة لسلطة أعوان القضاء، ثم أن اتساع بعض البقاع الاثرية لا يسمح مطلقا بالحراسة والصيانة الكاملة فوعي المواطن أهم بكثير من الحراسة وتطبيق القانون يتعلمون مثلا أن أثار ما قبل التاريخ الموجودة بالتاسلي والهقار والاطلس الصحراوي تتعدى مساحات حضائرها المليون كلمترا مربعا، وهي عرضة للتهب والتخريب ليس من طرف المواطنين ولكن من طرف السواح الاوروبيين وحتى من طرف الباحثين الغربيين في كثير من الاحيان ونرى في بعض الجهات أن مقتضيات التوسع العمراني بدأت تشوه من المظهر الجمالي للمدن التقليدية وتخل بالبيئة الثقافية لاثارنا وهي نزعة عرفناها في عهد الاستعمار الذي كان يقصد تخريب البيئة المعمارية وطمس المعالم الكبرى لحضارتنا، وعلى عاتقنا اليوم مسؤولية التنبيه التاريخي الموجه الى أطرنا من مهندسين معماريين ورؤساء بلديات ورجال الادارة لنفسر لهم ما قام به الاستعمار من تخريب مثل تحطيمه لاكثر من مائة (100) مسجد ومدرسة بالجزائر العاصمة، وتحويله

المساجد الى كنائس وأذكر بالضبط هنا في تلمسان نسف للمدرسة التاشفينية، وتحويله مسجد أبي الحمني الى مخزن لعلف البهائم وتخريبه للمشور كما ستشاهدون ذلك مشاهدة العيان.

وفي ميدان الترميم يسجل العالم بأجمعه ما تقوم به الدول العربية من مجهودات مالية وفنية ولكن نظرتنا الواقعية على ما تنتظره منا الاجيال من جهد متواصل في هذا الميدان يجعلنا نترقب المستقبل بتخوف شديد لان سرعة الخراب قد تتغلب على سرعة الترميم في كثير من الاحوال فترميم قصر الداي بالعاصمة وقصر الباي بقسنطينة ومدرسة العباد بتلمسان وهي عمليات تقتضي التعاون الدولي والمصاريف الضخمة والوقت الطويل، لن تتوج بالنجاح الا اذا خططنا بعد اتمام العمليات للصيانة المستمرة ولتكوين الخبراء من المواطنين في الهندسة الترميمية وفي اعادة اكتشاف المواد التقليدية وتقنيات صنعها من جديد.

وأما عن الحفريات فكلنا نعلم أنه ميدان علمي معاصر وأن جل خبرائنا قد تكونوا ابتداء من مدارس أوروبية كان الكثير منها شديد العناية بآثار ما قبل الاسلام وبالروماني على وجه التخصيص ولن أتعرض هنا للاسباب العقائدية لهذا الاتجاه رغم أهمية هذه الاسباب ولكننا نلاحظ معا أن مدرسة الاثار الاسلامية لم تعرف الاهتمام الكافي الا فعلى يد سلطات الاستقلال، وان ما بقي علينا أن نكتشفه وأن نصونه وأن نتداوله بالدرس الدقيق ستصرف فيه لا شك مجهودات عدة أجيال.

ففي الجزائر وحدها بقي علينا أن نخرج عدة مدن اسلامية من تحت التراث فمنها تأقدمت التي هي تيهرت القديمة وقلعة بني حماد، وآشير أول عاصمة للزيريين، وأرشقون وسدراتة الصحراوية وما لا يحصى من القرى الاسلامية ذات الشأن التاريخي والحضاري في هذه البلاد.

اننا متيقنون بأن المجهودات الحالية والاتية في ميدان الاثار ليست ذات مردود مادي مطلقا بل أن مخططاتنا في هذا الميدان تقتضي صرف الكميات الهائلة من الاموال وان ربط الاثار بمردود السياحة ليس الا نظرة تجارية ضيقة لان السائح الواعي بالقيم الحضارية للشعوب لا يوجد خارج فئة المثقفين الواسعي الآفاق والعلماء الكثيري الخبرة في ميدان الفن والفكر.

من أجل هذا أدركنا جميعا بأن المردود الحقيقي للاثار هو المردود الثقافي والحضاري لفائدة شعوبنا في الاساس، ومن هنا سننطلق الى التعريف بكنوزنا الحضارية للانسانية جمعاء.

ولا نزال نكرر في كل مناسبة اليوم وغدا بأن الصراع الحضاري بيننا وبين الاستعمار ومع أذنابه الصهيونية والعرقية والعمالية الرخيصة هو صراع شامل سياسي ومادي وفكري لا يحتمل التشتيت والاقليميات والغفلة عن القضايا المشتركة بين الاشقاء.

وإن ما تتعرض له فلسطين من نهب وتخريب وتشويه لمعالم الحضارة العربية الاسلامية هو قضيتنا الاولى اليوم، نجند لها جميعا كل وسائلنا الاعلامية والعلمية، حتى يعدل العدو عن مخططاته ويرضخ للاقتناع بالقيم الحضارية والانسانية أو سنستمر في النضال حتى تعاد الاراضي ويعاد بناء معالم الاسلام وسنبشر بهذا الجهاد أبناءنا وحفدتنا.

واننا لا نبتدع شيئا في هذا الجهاد بل هي عبر التاريخ أن للصهيونية الحقودة وللاستعمار نسبا معروفا وهو الصليبية العمياء التي تكررت حملاتها الهمجية على حضارتنا عشر مرات في القرون الوسطى وقد استمر عندنا جهاد البحر حتى القرن الماضي قصد رد هجومات العدو على شواطئنا وما أهلك المسلمين في ذلك العهد أكثر من التشتيت وما أظفرهم على عدوهم مثل وحدة الصف للجهاد، واسمحوا لي أن أذكر على سبيل المثال عبرة تاريخية، تبرز لنا ما يوجد من اتصال حضاري وفكري وديني وسياسي بين مدينة القدس الجريحة ومدينة تلمسان التي قدر لنا أن نجتمع فيها اليوم ستزورون غدا أو بعد غد مدفنا نموذجيا لاحد العلماء والاولياء المجاهدين من القرن السادس الهجري الا وهو مدفن الشيخ أبي مدين شعيب الاندلسي.

ان الملوك الذين بنوا المجتمع الثقافي من مسجد ومدرسة ورباط حول قبره، والشعوب التي حافظت على هذه الاثار باوقافها وتبرعاتها انما فعلت تكريما واكبارا للعمل والجهاد.

ولنا في حياة هذا الرجل خير مثال عن الوحدة الفكرية والسياسية للامة العربية الاسلامية لقد نشأ بضواحي اشبيلية وعمل بمراكش وتعلم بفاس، وأنشأ مدرسته الشهيرة التي هي أم الحركة الشاذلية ببجاية وتوفي ودفن بتلمسان، ولكن الفترة الغنية من حياته هي فترة جهاده ضد الصليبيين حيث تطوع في جيش الفاتح صلاح الدين الايوبي وقطعت ذراعاه في الجهاد ودخل بين المقدس مع الفاتحين وقد حفظ أهل المغرب العربي هذه الذكرى وأوقفوا الاوقاف باسمه في القدس من مساكن وحمامات ودكاكين كانت تستغل لتدريس العلوم الاسلامية ولايواء المسافرين وإعانة المحتاجين من الطلبة.

وبقيت ملفات هذه الاوقاف موجودة بالجزائر وتونس والرباط وباريس الى عهد غير بعيد، ولكن هذه الاوقاف وهذه المعالم التاريخية دمرت بأكملها على يد الصهيونية الحقودة لا لشيء الا لانها تذكر بجهادنا المشترك وبوحدتنا الحضارية والفكرية وبجدة ذاكرتنا الثقافية والسياسية.

وإذا كان كل مسجد وكل مدرسة وكل مسكن وكل مدفن وحصن ببلادنا يحتوي على هذه الابعاد الحضارية والفكرية والسياسية فحق لنا أن نعيره اهتماماتنا المكثفة وأن نصرف عليه مجهوداتنا العلمية والعملية المشتركة.

ان دراساتكم اخواني العلماء ضرب من الجهاد لانه نضال ثقافي عميق، وما من كبيرة ولا صغيرة في التاريخ والاثار الا ولها قيمتها بالنسبة لتثقيف الاجيال وتوحيد صفوف الامة وإدراك عمقنا الحضاري الموحد.

أعانكم الله في هذا السبيل وسدد خطاكم ووفقكم للعلم النافع والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمـــة

الاستاذ الدكتور محيى الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الاخ السيد / ممثل رئيس الجمهورية ووزير الثقافة
أصحاب السعادة الاخوة السادة / أعضاء المؤتمر
سيادة الاخ أمين سر المحافظة تلمسان السيد / محمد الصغير عبد الصمد
سيادة الاخ / داقي والي تلمسان
الاخوة السادة / ممثلي المنظمات العربية والدولية
السيدات والسادة،

فانه يسعدني في هذا المقام الجليل أن أحييكم التحية أنتم كفؤها وأن اتقدم باسمي وباسم منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم باسمى آيات الشكر والتقدير الى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، رئيسا وحكومة وشعبا على ما يسروه لهذا المؤتمر ضيافة واستقبالا وتنظيما واعدادا، تعبيرا منهم حميما، على الاهمية التي يولونها لتراث هذه الامة، والتطلع الى احيائه ونشره، وادراكا منهم عميقا للدور التاريخي للوشجة الحضارية التي هي الاساس المتين الذي يقام عليه صرح الوحدة القومية، وهو الذي ينميها ويحميها على مر الزمن.

توافدتم أيها الاخوة، الى تلمسان، هذه (المدينة العريقة في التمدن، الكريمة المنبت) كما يصفها يحيى ابن خلدون، والتي أحبها أهلها بحق، فآثروها على عاصمة الخلافة الاسلامية، بغداد فيما قال شاعرها الخالد ابن خميس :

تلمسان لو أن الزمان بها يسخو
منى النفس، لا دار السلام ولا الكرخ

فقد عهد التاريخ ولم يزل من تلمسان الحفاوة بالفكر ورجاله، والتكريم للعلم ودارسيه، وقد كانت وما تزال منتجعا لهم ومقاما.

انها تلمسان ابي مدين الغوث والمقري وابن خلدون ومحمد بن خميس والمشدالي المحدث الثبت الذي يقول عنه الامام السخاوي بعد طول صحبة (انه هيئة لا يحاط بكنهها، وهو آية ابرزه الله في هذه العصر للعباد).

ولقد كانت تلمسان العربية الاسلامية، أحد منابت العلماء والمفكرين والشعراء، ورابعة حواضر المغرب الاسلامي، الى جانب القيروان وقرطبة وفاس.

الاخوة المؤتمرون

ان مؤتمر الاثار ــ وهو من أقدم المشروعات في نطاق الجامعة العربية منذ انشائها ــ ظل احدى الركائز الصلبة والدعائم المتينة في مشروعات منظمتكم وهي تجتهد في التئامه وفي الاعداد الجاد له، وتسعى في ان يشارك فيه أكبر عدد من جمهور الباحثين والعلماء، يتبادلون الرأي والمعرفة، ويتدارسون التجربة والخبرة، اغناء للثقافة الاثرية، وتوسيعا لساحة المعرفة العلمية بتراثنا الحي، على أن ما قررتموه من عقد المؤتمر في احدى المدن العربية في كل مرة هو جزء من طبيعة المؤتمر نفسه، في الانتقال الى المواقع الاثرية والتاريخية نفسها من ناحية، ثم في التعرف القريب على تراثنا ... في منابته الجغرافية، في اطراف بلادنا العربية الواسعة والاطلاع على معالمها الحضارية، وعلى مظاهر العمران وأنماط الحياة فيها من ناحية أخرى.

الاخوة المؤتمرون

لقد شق مؤتمركم هذا الذي بلغ دورته العاشرة طريقه وقد كان يتلمسها وتوضحت أهدافه وكان يتمثلها، وهو بعون الله وبجهدكم بالغ بالنشاط الاثري والتاريخي، بحثا وتوثيقا وصيانة ما نرجو له من النضج والعطاء في وطننا العربي، بفضل ما اعتمدتموه وتعتمدونه من منهجية علمية موضوعية، ووسائل فنية متطورة تعيد لحضارتنا، اصالتها وتبرز ابداعها، وتعيد توظيفها في سياق الحياة الجديدة، وترفع عنها ظلم العهود الاستعمارية، وتكشف ما جناه اعداء هذه الامة على تاريخها من مغالطات وأباطيل، فهذه تجربتنا الثانية للخروج بهذه المؤتمرات الى المواقع الميدانية، وفي هذا المؤتمر تنضج التجربة الأولى التي اتبعتها المنظمة في المؤتمر التاسع في صنعاء، وهي الاعتماد على موضوع أثري متخصص يتناوله المؤتمرون من كل الجوانب، بصورة متكاملة ليكون مرجعا للباحثين ومصدرا للدارسين بدلا من معالجة الموضوعات المتفرقة في بحوث أفانين وفي دراسات أشتات، وهكذا أختير لمؤتمركم العاشر هذا، موضوع (المسكن والمدفن) بوابتا الحياة اللتان يكون بينهما سعي الانسان في الحياة، وإبداعه وعطاؤه، وهذا الموضوع يتمثل الملامح الاساسية في بنيان العمارة العربية الاسلامية، ويكشف عن فلسفة الحياة والموت عند الفنان العربي والمعماري العربي.

ومن هنا فان تخصيص كل مؤتمر بموضوع رئيسي يركز عليه البحث يعين على أن نضع بين أيدي الدارسين العرب، وغيرهم دراسة مستوعبة ومتكاملة حول موضوع معين في الاثار والتاريخ والعمران، في الوطن العربي يقوم عليها، العلماء والباحثون العرب من أهل الاختصاص والمعرفة والخبرة، على أن المنظمة أدرجت في مجال التراث، كما فعلت في المجالات الاخرى، مشروعات كبرى طويلة المدى إضافة الى المشروعات المتوسطة أو القصيرة المدى وهي تهدف جميعا الى الغاية الكبرى، وهي احياء تراث هذه الامة ومكانتها الفكرية والفنية، لتلهم الثقافة العربية المتطورة وتخصبها وتحفظ وحدتها، وتؤكد أصالتها الابداعية، وتنمي خصائصها الفريدة عطاء للانسانية، نافعا وكريما.

وفي هذا الاطار فان منظمتكم العربية تولي كذلك عناية خاصة لمجال (صيانة المدن التاريخية الاسلامية) وانقاذها من البلي والاندثار ولقد أسفرت عمليات الحصر الأولى عن أن ما يربو على سبعين مدينة عربية تستدعي التدخل السريع لحمايتها والحفاظ عليها وعلى شخصيتها من طغيان الهندسة المعمارية الغربية والطرز الاجنبية ولعل مدينتكم هذه التي تجتمعون اليوم فيها أن تكون عرضة لمثل ذلك.

ان المنظمة تتعاون في هذا المجال مع المنظمات العربية والدولية المتخصصة مثل اليونسكو والمؤتمر الاسلامي، ومنظماتها المتخصصة ومع مكتب التربية العربي لدول الخليج.

ويندرج في هذا السياق مشروع كتاب الفن العربي الاسلامي، الذي تأمل المنظمة أن يكون مرجعا لما أنتجته عبقرية الامة العربية من فنون وزخارف وعمارة من منظور عربي اسلامي يستلهم الروح والوجدان اللذين أبدعهما الفن خلال العصور والاحقاب.

هذا، وان للنقوش العربية القديمة، في بدايات كتابة لغتنا القومية مكانة متميزة في اهتمام منظمتكم، فهي ترعى مدونة (النقوش اليمنية) رعاية خاصة حرصا على انقاذ هذه النقوش من ناحية، ثم نشرا لما تتضمنه من وقائع تاريخية، وحقائق ثقافية من ناحية أخرى وان ميدان الكتابات العربية القديمة، في الجزيرة العربية وما حولها من منابت الحضارة العربية الأولى، ميدان ظل يحتكره العلماء الاجانب، ولم يتصل بذلك الا قليل من العرب، ويقل الاهتمام بذلك عاما بعد عام، ومن هنا فان المنظمة تدعو شباب العلماء العرب للتخصص في هذا المجال، وهي تمد بالتشجيع المادي والمعنوي، كل الذين يعملون في أي مجال حيوي من مجالات ثقافتنا وتاريخنا.

الاخوة المؤتمرون

وفي مجال صيانة التراث وتوفيرا لاسباب الحماية القانونية له عرضت المنظمة مشروع (قانون الاثار الموحد) على السادة الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي في مؤتمرهم الثالث ببغداد من 2 ـ 5 نوفمبر 1981، فاصدر توصية بدعوة الدول العربية الى أن تستلهم قوانينها وتشريعاتها الاثرية منه حتى يتيسر العمل الاثري في ارجاء الوطن، ويسهل تبادل الخبرات، وحماية التراث وصيانته وانقاذه، على أن المنظمة من جانب آخر، تتابع بالعناية الواجبة قضية استرجاع الممتلكات الاثرية الفنية المنهوبة الى صناعها ومبدعيها وهي القضية التي اثيرت في المؤتمر العام الاخير لليونسكو في بلغراد، وفي المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية في المكسيك، وللدول العربية سعي في هذا السبيل متواصل حتى تسترجع آثارها المسلوبة.

وانه ليسعدني في هذا الحفل المشهود أن أشير الى مشروع خطير وجليل تعنى المنظمة برعايته، والسهر عليه وهو العناية بالاثار الفلسطينية التي يعدو عليها العدو الصهيوني، اغتصابا واستغلالا، طمسا للحقائق لخدمة أهدافه الاستعمارية.

ومن هنا فقد اسهمت المنظمة في دعم (مركز الاثار الفلسطينية) وعقدت (الندوة العالمية الأولى للاثار الفلسطينية) بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية وجامعة حلب، شارك فيها أكثر من مائة باحث وعالم من البلاد العربية والاجنبية كامريكا، وفرنسا، وايطاليا، والاتحاد السوفياتي، واستراليا، واليابان، وكندا، وألمانيا، وغيرها، وصدرت عنها توصيات رصينة وأذيع عنها نداء عالمي، وتعد وقائع تلك الندوة وبحوثها لجمعها ونشرها في كتاب، الى جانب كتاب (الاثار الفلسطينية) الذي يتم وضعه بالتعاون مع دائرة الاعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك بالاضافة الى الاسهام في انتاج فيلم تسجيلي ملون عن هذه الاثار ناطق بعدة لغات هو في طريق الاعداد الان.

ومن الانجازات البارزة في هذا المجال أن منظمتكم نجحت في التنسيق بين الانشطة العربية والدولية، في أن تسجل القدس الشريف في التراث العالمي، ثم في السعي القائم على اثباتها في قائمة التراث العالمي، المهدد بالخطر تحميلا للعالم كله مسؤولية ذلك، وستكون القدس حينئذ، أول مدينة تسجل في هذا المجال ان المعركة كانت ضارية وهي مستمرة، ولكن جهودا كبرى مقدرة أسهمت في هذا النجاح، وفي هذه المناسبة، وفي هذا المؤتمر الموقر فاني أشيد بالجهود المخلصة لمنظمة اليونسكو بمديرها العام ومجلسها التنفيذي، والاعضاء العرب فيه، والمجموعة العربية لدى اليونسكو والمجموعة الافريقية، ومجموعة السبعة والسبعين والدول الاسلامية، والدول الصديقة التي وقفت معنا في هذه المعركة الشرسة، المتعددة الجوانب، والتي حشد العدو الصهيوني وأعوانه فيها كل نفوذهم وقوتهم.

الاخوة المؤتمرون

الآن، وانا ابلغ نهاية هذه الكلمة، فانه من واجبي ومن حقكم أن أحييكم وأن أشكر لكم تعاونكم الكريم واستجابتكم المقدرة وجهودكم المثمرة، في الاعداد لهذا المؤتمر، ونحن نتطلع جميعا الى أن يؤتي المؤتمر نتائجه المأمولة.

وفي هذا المقام، فان الشكر يتجه بحقه الى معالي الاخ الاستاذ الدكتور عبد المجيد مزيان وزير الثقافة الجزائرية، الذي عرفته الامة العربية عالما من علمائها، ومثقفا جليل المقام بين مثقفيها، على ما بذل من جهد كريم لانجاح هذا المؤتمر، والى معاونيه القادرين في الوزارة.

والشكر كله مبذول للمسؤولين الذين شملوا المؤتمرين من الولاة والمحافظين ومعاونتهم من الجزائر حتى تلمسان يقفون بهم على آثار شهداء الثورة الخالدة، ومسارح البطولة المظفرة وعلى الارض التي تفجر ارادة البقاء من زلازل الدمار والفناء.

وباسمكم جميعا اتقدم بالشكر الى المسؤولين في الولاية والمحافظة على حسن الاستقبال والضيافة والتنظيم والاعداد والشكر والتقدير كذلك للاساتذة الخبراء العرب والى السادة ممثلي الدول الاعضاء ومسؤولي الاثار فيها، والسادة ممثلي المنظمات القومية والدولية والى الاخوة رجال الاعلام الذين يتتبعون أعمال هذا المؤتمر ويقدمونه الى الرأي العام العربي والعالمي في مسؤولية وقدرة.

واني اذ أدعو لكم بالتوفيق فذلك على أمل أن يكون لقاؤنا الحادي عشر ان شاء الله على منبت طيب آخر من منابت الحضارة في وطننا العربي وفي قلعة من قلاع صمود هذه الامة، وحاضرة من حواضر تاريخنا العريق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمـــة

الاستاذ القاضي اسماعيل الاكوع

باسم الوفود العربية المشاركة في المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي السيد / الاخ الدكتور عبد المجيد مزيان وزير الثقافة
معالي الدكتور / محيى الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
السيد / والي تلمسان،
أيها السادة الحاضرون جميعا،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

باسم الوفود العربية المشاركة في هذا المؤتمر اتقدم بالشكر الجزيل الى الحكومة الجزائرية ممثلة في وزيرها وفي وفدها الى المؤتمر والقائمين على اعداده على استضافتها للمؤتمر العاشر للاثار وعلى الاعداد الهائل المنظم لنجاحه وعلى كرم الضيافة.

وبعد فلقد حملني اخواني وزملائي رؤساء الوفود العربية المشاركة في هذا المؤتمر أن اتحدث باسمهم وحاولت أن أعتذر بان اترك المجال لمن هو أقدر مني لانه لم يبق على افتتاح المؤتمر سوى نصف ساعة فلم يقبلوا لي عذرا وقالوا لا بدّ أن تتحدث في الجلسة الافتتاحية أما بصفتك كنت رئيسا للمؤتمر التاسع الذي عقد في صنعاء في ربيع سنة 1980 واما باسمنا فقلت في نفسي : هما أمران أحلاهما مر فقبلت أن الخيارين حيث لا مناص لي من ذلك وانتحيت جانبا لاكتب هذه المعالجة السريعة.

أيها الحاضرون جميعا : اسمحوا لي أن أشذ عن القاعدة المألوفة في مثل هذه المؤتمرات ودعوني أن أنقل اليكم انطباعاتي عن الجزائر، وهو لعمري انطباع جميع زملائي الذين قدموا الى هذا المؤتمر.

لقد كنا نسمع عن الجزائر الشيء الكثير عن شعبها المغوار الذي انتزع حقه في استقلاله مئات الالاف من الشهداء، وأثبت بعزيمته ومجادلته وصلابة ايمانه بدينه انه شعب لا يقهر، لكننا لم نكن نعرف عن الجزائر - وقد شاهدنا هدفا في رحلتنا الطويلة من الجزائر العاصمة الى تلمسان المدينة الشهيرة عاصمة المغرب العربي الكبير الموحد، ان فيها آثارا عظيمة متناثرة على طول البلاد وعرضها وحضارات متعددة وقلاعا شامخة وحصونا منيعة وأرضا واسعة مليئة بالخيرات ومدنا وقرى تملأ سهولها الفيحاء وبطاحها ووهادها وفيها شعبا دؤوبا

عاملا نشيطا يزرع ويبني نهضة عمرانية حديثة واقتصادية وصناعية وعلمية عاجلة امتلأت نفوسنا بالامل مما شاهدناه بان مستقبل الامة العربية الى خير رغم الارتكاسات التي تقع فيها كما أن عودة الشعب الجزائري الى استعمال اللغة العربية في حديثه وتعليمه وشؤونه كلها مخيبة لامال من كان يريد له أن يبعده عن لغة دينه ويفرغه من ثقافته الاسلامية.

واني لأتذكر انني حينما جئت الى الجزائر في خريف 1964 كان من الصعب على الحديث مع من القاه من الجزائريين في العاصمة في الفندق أو في السوق أو في الطريق ذلك لانني كنت غريب اللسان، واليوم وبعد زهاء ما يقرب من عشرين عاما تبدل الحال وتغير الوضع وأصبحت اللغة العربية تأخذ مكانها في الجزائر البلد العربي المسلم في المدرسة في الجامعة في الشارع في الدوائر الحكومية كأقوى ما تكون فحيا الله حماة النهضة العربية الاسلامية في هذا الشعب العظيم.

أيها الاخوة الكرام باسم الوفود العربية أكرر شكري لحكومة الجزائر وللاخ وزير الثقافة في المقام الأول.

والشكر والتقدير للسلطات المحلية وللمفكرين، والمثقفين في الجزائر جزائر الاسلام الذي هو أحد لبنات الحضارة الاسلامية.

أيها الحاضرون جميعا ان لم يكن العرب بالاسلام فلن يكونوا شيئا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمـــة

الاستاذ منير بوشناقي

ممثل اليونسكو

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة ممثل اليونسكو الى المؤتمر العاشر
لعلماء الاثار في البلاد العربية
(تلمسان في : 10 نوفمبر 1982)

السيد / وزير الثقافة
السيد / المدير العام للالكسو
سيداتي سادتي زملائي الكرام،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد، فانني أريد قبل كل شي أن أعبر ـ بمناسبة انعقاد المؤتمر العاشر لعلماء الاثار في البلاد العربية الذي تفضلت الالكسو بدعوة ممثل لليونسكو لحضوره ـ عن مشاعر الشكر لهذه المنظمة وكذلك للحكومة الجزائرية وخاصة لوزارة الثقافة التي تستضيف بمدينة تلمسان العريقة ممثلي ومسؤولي المصالح الاثرية في البلاد العربية.

واسمحوا لي بداءة ذي بدء أن أنقل اليكم اطيب تمنيات سكرتارية اليونسكو تلك المنظمة التي تعلمون اهتمامها البالغ بهذا المؤتمر. أما أنا فسعادتي سعادة خاصة وشرفي شرف خاص أن يتاح لي حضور مؤتمر أصبح الان سنّه حيث يعقد دورته العاشرة لا سيما انه ينعقد في المدينة التي نشأت بها وكبرت فيها، واني لانتهز فرصة هذا اللقاء لأؤكد من جديد حرص اليونسكو على ضرورة تعزيز الصلات بين علماء الاثار والباحثين في البلاد العربية وتيسير تبادل النتائج والخبرات في مجال غني عن البحوث الاثرية وبوجه أهم في مجال الدراسات المتعلقة بمعرفة وصون التراث الثقافي واحيائه.

أما موضوعات هذا المؤتمر التي تعالج البحوث الخاصة (بعالم الاموات) و (عالم الاحياء) في الماضي فلئن دلت على شيء فانما تدل على تزايد وعي المرافق الاثرية الفنية بواجب مساهمتها في زيادة التعريف والتعرف على تراثها وزيادة صونه.

فلقد بات من الحقائق المقررة التي لا تقبل الجدال الان أن التعرف على تراثنا وثرواته يمثل القاعدة الحقيقية لتقدم مجتمعاتنا.

ان اليونسكو اخذت على نفسها بمقتضى قانونها الاساسي أن تتفرغ لهذه المهمة الشريفة وهي تعمل على صون التراث الثقافي والطبيعي للانسانية جمعاء. وفي مجال البحوث عن التراث، فانني اريد أن أذكر أن اليونسكو تشارك في تنفيذ مشروعات وطنية شتى بهدف المحافظة على التراث الثقافي للبلاد العربية واحيائه. ومن بين أهم هذه المشروعات أخص بالذكر :

- اعداد الحملات الدولية لصيانة مدينتين تاريخيتين هما صنعاء (في الجمهورية العربية اليمنية) وشيبام (في اليمن الديمقراطية).
- المشاركة في مشروع بناء وتصميم متحف طرابلس (في الجماهيرية الليبية).
- البحوث والتنقيبات الاثرية للتعرف على الحضارات العتيقة في مدينة قرطاج (بالجمهورية التونسية).
- المشاركة في تصميم مركز للبحوث الاسلامية ورواق للعرض تخليدا لذكرى المرحوم الملك فيصل.
- المشاركة في بناء متحفين بالقاهرة واسوان (في مصر).
- انشاء حضيرة اثرية طبيعية بقرطاج وسيدي آبو سعيد (في بلاد تونس).
- المشاركة في الدورة السنوية لتدريب المشرفين على المتاحف بالمركز الاقليمي في بغداد.
- المشاركة في حماية وصيانة المدن (الاثرية) القديمة في موريتانيا على انني لا أريد أن أزهقكم بسرد القائمة الطويلة للمشاريع والانشطة الميدانية الممولة من طرف برنامج الأمم المتحدة (بامت) ومن طرف أموال الودائع والتي تمول في إطار الميزانية العادية لليونسكو بيد أنني أريد أن أنتهز فرصة وجود جميع مسؤولي المتاحف والآثار والمباني التاريخية والمواقع والمعالم في البلاد العربية لاؤكد الاهمية التي توليها اليونسكو لكل نشاط يرمي الى تعزيز التعاون العربي لا سيما في مجال التراث الثقافي.

كذلك يجدر بنا التنويه بأهمية اللقاءات الناتجة عن نشاط الالكسو وكذا باستمرار الاتصالات بين الالكسو واليونسكو تلك اللقاءات التي تجعل هاتين المنظمتين متكاملتين ولا شك ان في دوام هذه الاتصالات ضمانا لتنفيذ الاهداف المشتركة.

وأخيرا أود أن أعرب عن سروري العميق لتواجدي هنا وسط زملاء ينتمون لقطاع البحث الاثري، أولائك الزملاء الذين لازمتهم وعملت معهم مدة تزيد عن خمس عشرة سنة، ويزداد سروري اني أعرف شخصيا معظم الحاضرين وأعرف اعمالهم العلمية.

واني على يقين أن للبحوث الاثرية مستقبلا زاهرا في البلاد العربية لمعرفتي بالايمان والحماس الذي يحدوكم.

ولا يفوتني أن أشكر في الختام منظمي هذا المؤتمر على حسن استقبالهم وكرامة ضيافتهم وعلى الترحيب الاخوي الذي خصصوه لنا.

سيداتي، سادتي، اخواني اخواتي،

اتمنى لكم كل التوفيق في أعمالكم وشكرا لكل من له سهم في انجاح هذا المؤتمر وجعله يتجاوب مع تطلعات علماء الاثار.

وبعد الحادث المؤلم الذي كان سبب وفاة زميلتين الانسة محمدي والانسة بيرام رحمهما الله أود أن أقدم الى عائلتيهما تعزيتي وشعور الاشتراك في حزنهما.

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمـــة

الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي

ممثل مكتب التربية العربي لدول الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الاستاذ وزير الثقافة المحترم
معالي الاستاذ أمين محافظة تلمسان المحترم
معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
الدكتور محيى الدين صابر المحترم
السادة الاخوة اعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر المحترمين
الاخوة الاعزاء الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فيسرني أن أتقدم باسمي وبالنيابة عن سعادة المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج باسمى التحيات على دعوتكم الكريمة للمكتب ـ لحضور اجتماع مؤتمركم العاشر للاثار المنعقد في القطر الجزائري الشقيق وهو من مشاريع وخطط التنسيق والتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبين مكتب التربية العربي لدول الخليج والذي اقر في الاجتماع الثاني المنعقد في تونس للفترة بين 14 ـ 17 سبتمبر/أيلول 1982م. كما نشكر معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والقائمين على المؤتمر لادراج الدراسة التي أعدتها ادارة الثقافة والوثائق والاعلام بمكتب التربية العربي لدول الخليج في جدول اعمال المؤتمر، والتي تتضمن الخطوات العملية لاعداد الدليل الاثاري لمنطقة الخليج العربي، بهدف ابراز التراث العربي الاسلامي في دول الخليج العربي خاصة. في وقت تتعرض فيه أمتنا العربية في وطنها الكبير وفي خليجها الى المطامع والصراعات الاجنبية بهدف طمس معالم حضارتنا العربية الاسلامية ونحن اليوم أحوج ما نكون الى توحيد الجهود والعمل البناء المخصص من أجل المحافظة على عروبة الخليج بالعمل على ابراز التراث الحضاري العربي الاسلامي بالشكل الذي يتيح لابنائه وللعالم فرصة الاطـلاع على هذا التراث العظيم. ونأمل من عرض هذه الدراسة على مؤتمركم أن يطلع الاخوة الزملاء المشاركون في المؤتمر على أهمية هذا المشروع وذلك بتبني المؤتمر مشروعا مماثلا له لاصدار دليل أثاري بالوطن العربي يتضمن ابراز المعالم الاثارية الاساسية في الوطن العربي في عصوره المختلفة وليعبر عن الاصالة الحضارية للامة العربية.

وختاما أرجو لمؤتمركم النجاح والتقدم من أجل الوصول الى تحقيق تراثنا الحضاري الانساني وأرجو للاخوة القائمين على المؤتمر التوفيق وأشكرهم جميعا على جهودهم الطيبة المخلصة في تهيئة مستلزمات نجاح المؤتمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

كلمـــة

الاستاذ الدكتور عطاء الله دهينة

رئيس الوفد الجزائري، ورئيس المؤتمر

في الجلسة الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي وزير الثقافة
سيدي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
السادة مسؤولو الولاية
الاخوة الكرام علماء الاثار العرب
حضرات السادة الافاضل

يسرني أن أرحب بالسادة الافاضل المجتمعين في هذا المكان في المؤتمر العاشر للاثريين العرب في وطنهم الثاني الجزائر باسم بلادنا وباسم وزارة الثقافة التي شرفتني لاترأس مؤتمركم هذا، وسوف يتمخض هذا المؤتمر ولا شك عن نتائج علمية هامة لها آثارها البعيدة وذلك بفضل ما تقدمونه من أبحاث في هذا المؤتمر.

ونحن نعلم جميعا أن العالم العربي من المحيط الى الخليج مليء بآثارنا العربية الاسلامية من دور وقصور وقلاع وقباب وحمامات وأربطة ومساجد وأوان عديدة من الخزف والزجاج بالاضافة الى تلك المجموعات الضخمة من المنسوجات وكل هذه الاثار ما هي الا دليل مادي قائم يشهد العالم كله على حضارتنا الاسلامية العربية وعلى الفن الاسلامي الرفيع الذي وصل الى حدود الصين شرقا والى الاندلس غربا.

وليس من شك أن ذلك الفن الاسلامي الرفيع انتقل الى الغرب ونقل عنه الاجانب كما امتلأت متاحف العالم بتلك التحف العربية الاسلامية التي تميزت بالاتقان والجمال.

ونحن كعرب لنا الفخر كل الفخر في أن أثارنا الكثيرة تنتشر في كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي، وكلها تدل على عظمة العرب وما بلغوه من رقي عبر القرون بالاضافة الى كونها ثروة فنية كبيرة لا تقدر بمال.

ومن حسن الحظ أن أخوتنا علماء الاثار العرب لا يزالون يوالون البحث والتنقيب ويتابعون الندوات والمؤتمرات ويأتون بالجديد من المعلومات في هذا الميدان الاثري.

واننا نقدر جهودكم جميعا في سبيل انجاح هذا المؤتمر الذي سيكون باذن الله مثمرا وجادا.

وانني في النهاية أرجو لجميع اخواننا علماء الاثار العرب التوفيق واشكركم على مساهمتكم الفعالة في هذا المؤتمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمـــة

الاستاذ الدكتور عبد المجيد مزيان

وزير الثقافة الجزائري

في الجلسة الختامية

أيها الاخوة الكرام،

اننا يحمد الله قد ختمنا هذا الملتقى العلمي على أحسن الوجوه، والفضل في ذلك راجع الى مجهوداتكم واعدادكم الدقيق، ومشاركتكم النبيهة، وليس هذا بالغريب عن رجال العلم وهم أكثر الناس وعيا بأساليب العمل المشترك، ومناهج الوحدة الثقافية بين أمتنا العربية، وهم مع هذا أكثر الناس عفة وتواضعا وتحملا للمشقات.

واننا باسم هذه العفة العلمية نلتمس منكم العذر عن كل خلل أو ضعف في النظام والخدمة يكون قد وقع منا، ونحن متيقنون من حسن ظنكم فينا، بقدر ما نكنه لكم من عواطف الاخوة والتقدير وما نعقده عليكم من أمل في متابعة رسالتكم الشريفة في سبيل مجدنا الثقافي.

ولا شك أن مسؤولينا على مستوى الحكومة وعلى مستوى منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم سيسهرون معكم على تبليغ وتنفيذ توصياتكم على الوجه الذي نأمله جميعا، وسيكون المردود العلمي والسياسي من عملنا هذا مردودا بعيد الافاق عميق الاثر في النفوس.

ان الشخصية الصامدة لا تبنى بالتلقين الشفوي والكتابي وحده ولكنها تبنى أيضا بخلق البيئة المادية والثقافية التي تحمي الناس من الغزو الخارجي وتنبه وعيهم وتحرك عزتهم وتبعث هممهم الى الابداع، وسنكرر معا في كل مناسبة بأنه لا شخصية بدون تاريخ ولا تاريخ بدون أساس حضاري يتجلى في الاثار الفكرية والمعمارية.

لقد شاهدتم معالم جزائرية ذكرت لا شك كل مواطن عربي منكم بان تراثنا واحد لا يختلف الا قليلا باختلاف الاقاليم، لانه مطبوع بنفس الطابع الروحي والجمالي، مما جعلكم تتيقنون أنكم زرتم جزءا من بلدكم الكبير واتصلتم بأمتكم حاضرها وماضيها وأنتم تعيشون معنا هذه الفترة القصيرة وفي هذه البلدة الصغيرة التي اعتزت بزيارتكم.

ولقد كان من توصياتكم الصريحة والضمنية معا تأكيد هذه الوحدة والعمل على ابرازها وتقوية وصائلها، ولقد ادركنا معا بأن التغريب باسم المعاصرة خطر يكتسحنا ويتصيدنا في كل مناسبة اقتصادية وثقافية، فعلينا أن نتنبه الى مخاطره وأن نعيد لبيئتنا المعمارية شخصيتها وطابعها الفني وبالخصوص في بناءاتنا الرسمية وفي المخططات التي تسهر عليها الدول

أو تراقبها، ولقد قلنا بأن استرجاع هذه الشخصية لا يكون بالقوانين بقدر ما يكون بالتوعية وتكوين البيئة الثقافية الممهدة لذلك.

ان الباحث في الاثار هو رجل ميداني، ورجل تأليف ومحاضرات وهو أيضا في كثير من نشاطه مناضل سياسي يجند الضمائر لحماية الاثار، ويشرح الفن، ويبشر بالجمال ويفضح البشاعة التي تتسرب الى وجودنا اليومي باسم المعاصرة والسرعة، والرسالة السياسية هنا لا تقل أهمية عن الرسالة العلمية العصماء المبرزة للتاريخ الحي المحيي الذي تتغذى من مآثره كل الاجيال.

من اجل هذا سيكون دوركم في تنفيذ ما ورد من توصيات لا يقل أهمية عن دور رجال السلطة بل ربما ستصطدم بعض السلطات بمواقفكم في كثير من الاحيان.

لقد لقب بعض علماء الاثار بالجزائر على سبيل التنكيت بشيوخ الاحجار، وذلك لشدة سهرهم على حماية المباني والاطلال الاثرية وقوة معارضتهم لكل المخططات العمرانية التي تمس بها، ثم أصبح اللقب بعد نضال طويل، محل اكبار لدى السلطات والجماهير.

ومن الاحجار وبفضل شيوخ الاحجار تكتشف الاجيال الحاضرة أن ماضي أمتنا كان ماضي ابداع حضاري واننا ورثنا عن الحضارات السابقة مآثر لم ترفضها عبقريتنا العربية الاسلامية بل انتفعت بها وصاغتها صياغة نبيلة تدل على نزوعنا الصريح الى العالمية والشمولية الانسانية.

هذه سمة من سمات فنوننا وتفكيرنا التاريخي نستطيع احياءها والتمسك بها في عصرنا حتى لا تفوتنا فرصة التطور الذكي الذي يعطي الاصالة العربية الاسلامية حقها، بل لا ينطلق الا منها ولا يستوحي مخططاته الا من أسسها ومبادئها وكما أن الفلاسفة كانوا يدعون الى العقل السليم في الجسم السليم فاننا ندعو اليوم الى المجتمع السليم في البيئة السليمة، واذا كانت البيئة المعمارية والثقافية خاضعة لكل أنواع الغزو لا شخصية ولا هوية ولا قيمة سياسية للمجتمع.

وفي الختام أوجه شكري الى كل السادة المشاركين في هذا المؤتمر من علماء وأساتذة وطلبة، وأعبر للسلطات المحلية بتلمسان من حزب وولاية عن امتناني وتقديري لمجهوداتهم في سبيل انجاح هذه التظاهرة العلمية.

والى الاخوة الصحفيين الذين بلغو انباءنا الى الجماهير خدمة للعلم، والى كل عمال الثقافة الذين ناضلوا في الخفاء تهيئا للمعارض وللوسائل المادية والعلمية، والى كل المتطوعين ممن عرضوا خدماتهم علينا، أوجه تشكراتي واعترافي بالجهد والفضل لمنظمتنا العربية للتربية والثقافة والعلوم نعبر عن اعترافنا بالجميل وتقديرنا للخدمات في سبيل اعلاء كلمة الثقافة العربية الاسلامية ونصرة العلم في أمتنا، ولها الفضل أولا وأخيرا في انعقاد هذا الملتقى المهم.

والى المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم نعرب عن تشكراتنا وامتناننا لها لما تبذله من جهود المتابعة والمساعدة لمشاريعنا وأعمالنا العلمية والثقافية.

حياكم الله وسدد خطاكم في سبيل نصرة العلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمـــة

الدكتور صالح الخرفي

ممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

في الجلسة الختامية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الاخوة الوزراء،
حضرات الاخوة مسؤولي السلطات المحلية،
حضرات الاساتذة،

باسم السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدكتور محيى الدين صابر الذي كان يأمل مخلصا أن يشرف باختتام مؤتمركم، كما شرف بافتتاحه، لولا ظروف قاهرة، والتزامات رسمية في الجزائر العاصمة، باسمه الكريم أحيّ النتائج الطيبة التي انتهى اليها المؤتمر العاشر للاثار، والتي كانت الحصيلة المنتظرة لتضافر الجهود المخلصة التي احتضنت أعمال هذا المؤتمر، والحفاوة العربية الاصيلة التي لقيها أعضاء المؤتمر في هذا البلد الطيّب وفي هذه المدينة العريقة، والعناية البالغة التي شمل بها المسؤولون على مختلف مستوياتهم هذا المؤتمر.

واسمحوا لي حضرات السادة، أن أشذ عن القاعدة وأبدأ بتوجيه الشكر الى القاعدة المتمثلة في السكرتارية العامة للمؤتمر، هؤلاء الجنود المجهولون، الذين نعيش جهودهم، ولا نرى أشخاصهم، نهارهم صائم، وليلهم قائم، يعملون في صمت وصبر لتجد هذه الدراسات وهذه القرارات طريقها الى أنظاركم الكريمة.

والشكر موصول الى رجال الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفزة، فقد أعطوا لهذا المؤتمر أبعاده المتموّجة خارج دار الثقافة بتلمسان، واستثمروا الحوار العلمي الجاد الذي ساد جلساته، فجعلوا منه المادة الاخبارية لتعميق الوعي بالحضارة العربيّة الاسلامية.

والشكر أجزله لسادتنا العلماء الذين لبّوا التلبية الكريمة دعوة المنظمة لحضور هذا المؤتمر، واغنائه بدراساتهم وآرائهم، فأعطونا الكثير من سعة آفاقهم، والكثير من سعة صدورهم، والشكر لهذه النخبة من الشباب الجزائري الصاعد التي شاركت في المؤتمر أساتذة وطلبة، يسفرون عن وجه مشرق للجزائر العربية المسلمة.

وان انعقاد هذا المؤتمر في تلمسان العربية أصالة وحضارة، الممتدة في أعماق التاريخ، والشامخة في بناء الحاضر، والمتطلعة الى مستقبل مشرق، هذه الحاضرة التي أعطت للاسلام

والعروبة في هذه الربوع صفحات خالدة مسجلة في أمهات كتب التاريخ، وماثلة فيما نراه اليوم من المعالم الحضارية الخالدة على مرّ العصور.

ان انعقاد مؤتمركم هذا في تلمسان لهو دليل الوفاء من منظمتكم العربية، ومنكم رجال التاريخ والحضارة، للعواصم والحواضر التي تمثل منائر الابداع العربي الاسلامي في مسيرة الحضارة الانسانية.

الاخ السيد وزير الثقافة،

بدافع من كريم خلقكم، وحسن ظنكم بمنظمتكم العربية، أرجعتم الفضل كلّ الفضل في كلمتكم الختامية للمنظمة العربية في ما حققه هذا المؤتمر من نتائج طيّبة نعتز بها جميعا.

واسمحوا لي الاخ الوزير بأن أقول بأن هذا المؤتمر كان قرارا من قرارات المؤتمر العام للمنظمة فجعلتم القرار بكريم رعايتكم مؤتمرا حافلا بالحيوية والنشاط، وملتقى للاخوة العلمية، والحقيقة التاريخية وفرصة نادرة لاكتشاف الجزائر المناضلة من جديد، في اعتزازها بأصالتها العربية الاسلامية وفي عراقتها في اكرام الضيف، وفي طبيعتها المشرقة أرضا وسماء فامتد المؤتمر العاشر للاثار في التاريخ، امتداده في الحاضر.

فلكم الاخ الوزير، ولمعاونيكم في وزارة الثقافة، شكر المنظمة، وشكر المؤتمر والمؤتمرين.

وفقنا الله لمؤتمر قادم في حاضرة عربية عريقة، في هذه الارض العريضة، أرض العروبة والاسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الكلمـــة الختامية

الدكتور عطاء الله دهينة

رئيس المؤتمر

سادتي الوزراء
حضرات السادة الافاضل

ان مؤتمر علماء الاثار العرب المنعقد بتلمسان حاليا قد جرى في ظروف جيدة وهذا بفضل الجهود المبذولة من طرف وزارة الثقافة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجميع المسؤولين المحليين.

ومن دواعي الارتياح أن تنعقد جلسات المؤتمر العاشر للاثار في مدينة تلمسان جوهرة المغرب. وتبشر أعمال المؤتمر باحراز حظ وافر من النجاح والتوفيق يملأ القلوب بالبهجة والسرور ويعد بمستقبل يتسم بالازدهار والاشراق. وكانت البحوث القيمة التي قدمها العديد من المؤتمرين تتناول مواضيع هامة حول آثار مختلف البلاد العربية وقد أظهرت ضرورة العناية بهذه الاثار ومواصلة الجهود من أجل التنقيب عليها وصيانة وترميم الكثير منها. وقد اصطبغت المناقشات المفيدة والهامة التي جرت بين المؤتمرين بكثير من الجد والعمق والموضوعية وعكست ما اتصفوا به من نضج في التفكير واتقان في التصوير وبراعة في التعبير.

ولا يفوتني أن أشكر جميع السلطات المحلية من محافظة الحزب والولاية والبلدية وجميع من قاموا باستقبالنا وتوفير جميع التسهيلات على حفاوتهم البالغة وحسن تنظيمهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس

الثمن : 12 دولارا أو ما يعادلها